

عبد الرحمن الشرقاوي

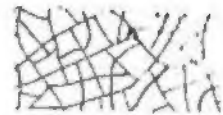
Amly

<http://arabicivilization2.blogspot.com/>

الأرض

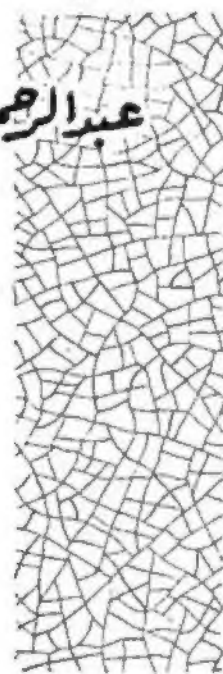


من الأدب العربي الحديث



روايات
عربية

عبد الرحمن السرقاوي



الأرض

Amly

<http://arabicivilization2.blogspot.com/>

دار الكاتب العربي للطباعة والنشر
بالمسلة

أنا أعرف قريتي تماما ..

وأعرف أنها لم تكن تستطيع أن تقف عند شيء أو تشغل بشيء على الإطلاق في تلك السنوات التي يلعبها دائما صراع لا يهدأ من أجل التوت.

من الحق أن فتیان القرية الذين يجدون العمل والطعام قد يشغلون أحيانا بغتة تشج فجة ولكنها مائكات تنزوج ويحمل إلى بيتها الصندوق الأحمر المخطط ، حتى تغرق القرية بسرمة من الممس الشائع المعروف عن خيبة الزوج في أول ليلة .. ثم تخرج الزوجة من بفسه هذا في الصباح المبكر لتتلا الماء من النهر الصغير وهي تلوح ببدها المصبوبة بالحنساء .

وأنا أعرف أن القلائل الذين يملكون أرضا في القرية ، كانوا وحدهم يشغلون بالضرائب المتجمدة على الأرض ، وبالنصراف الذي يطالبهم بهمال الحكومة ، وبهددهم دائما بالحجز على الأطين .

على أن بقية الرجال والفتيان لم يكن بينهم من تنتزع الأرض من أيدي الملاك أم تظل ، مادام كل واحد منهم يجب أن يبحث آخر الأمر عن حقل يصل فيه طول النهار .. وفي الحق أنهم يحاولون أبدا أن يخفوا فستكانهم الشامتة كلما شاهدوا النصراف يدخل - ومعه خفير بينديته - إلى بيت أحد الذين يملكون أرضا في القرية .

ولكن وصيفة شغلت قريتي كما لم تشغلها فتاة أخرى ، وكما لم تشغلها أبدا قصص الأيام الأولى من الزواج ، أو حديث المال والنصراف والمحجوزات .

وعندما عدت إلى قريتي في ذلك الصيف بعد أن حصلت على الابتدائية ، خيل إلى من كثرة ما سمعت عن وصيفة أنني لا أعرفها .

لم يسألني الصبيان كمادتهم كل صيف عن مصر وما بمصر ، ولم يطلب واحد منهم - كما تعودوا - أن أحدث أمامه باللغة الإنجليزية أو أضحك بالإنجليزية أو أفتح له كتابا ليقرأ فيه الكلام الذي يكتب ، وإنما حدثني الجميع عن وصيفة ، ونحن واقفون بعد العصر بالقرب من دكان الشيخ يوسف بقال القرية ، في الطريق الرئيسي الذي يمتد من القرية إلى جسر النهر .

وسألت الأولاد الذين وقفوا معي عن وصيفة هذه من تكون . فشد أحدهم طاقبته الصفوف الرمادية على رأسه وزأم :

- هيه .. يعني نسيت ؟ يعني مصر تخليك تنسى وصيفة ؟

وابتسم الصغار ولم يكن قد تذكرت بعد ، فرفع أحدهم حاجبيه وقال وهو يلعق ريقه :

- بئي مانعوني وصيفة التي كانت طول النهار بتنظ مصانا غر .. التومة من قيمة أربع خمس سنين ..

وقال ولد آخر وهو يستند إلى عصا صغير من التوت كما يستند الكبار إلى الشوايخ :

- حاكم هيه غارت بسرمة يا جدمان ، وهيه لسه راجعة من البندر إلى الشنا ..

ثم التفت إلى وهو يحك جسده :

- لكن بئي يعني مانتشي فاكها ؟ .. وصيفة مراك يا أخى !! ..

وشحك الأولاد .. وتذكرت وأنا أضحك كل ما كان بيني وبين وصيفة أ .

كنا قليل أن اذهب إلى المدرسة الابتدائية . بعام واحد نستحم في رعة صغيرة إلى جوار دور القرية ، وكنا نحن الصغار من أولاد وبنات نمرغ أجسادنا على التراب ونكسو وجوهنا ونؤوسنا بالطين لنصبح شكل المغاريت .. لم نغفر إلى التومة الصغيرة ، ونغطف في الماء المثلث بالطين ، وزرعينا يغسل بصباح الأوز والبط الذي يسبح إلى جوارنا ويستقبلنا مصفقا بأجنحته ..

وذاث يوم التقينا كلنا على هذه التومة الصغيرة قبل صلاة الظهر كما تعودنا دائما .. وقبل أن نخلع ملابسنا قالت لنا وصيفة بتألق :

- تيجو يا ميايل نستحمه في البحر ؟

والسبت وصيفة أنها تعرف مكانا في النهر غير عميق نستطيع أن نستحم فيه ، وتقف على أرجلنا في الماء ..

ولم تكن في تلك الأيام قد استلطنا أن نقرب ماء النهر ، وأن كنا لنحلم أن نسبح فيه ونعبره ذات يوم كالكبار ..

كانت وصيفة هي أكبرنا ، تعرف كثيرا من الأشياء التي لا نصرلها نحن ، تعرف النهر وتحمل جرمتها الصغيرة وتذهب إليه لتعلا كما يلا النساء ..

كانت وحدها تستطيع أن تتلقى أشجار التوت ، وتجرها علينا فائل الثمار الطيبة ، وكانت وحدها تنط على أشجار « الزنزلخت » وتجمع العقود من حبالة الصغيرة .. وكانت تطلع جريدة عبد الهادي الخيفة الارتفاع وتنزل سرمة وممها كوم من الثمن الجميز لوزعه علينا لنلعب به أو نأكله وهو أخضر .

كانت هي وحدها التي تستطيع أن تصنع هذا كله . وهكذا تعودت وصيفة أن تفتح أمامنا أسرار الأشياء لتبهتنا وتعودت

أن ترد في ملاقة على الرجال الذين يصرخون في وجوها ونحو نلعب .
وتشتمهم أن نر الأسر .

ولم تكذ وصيفة فتترح علينا أن نذهب لنستحم في النهر بعيداً !
عن الأول والبط وعن دور القرية حتى مضينا نحري وراءها فرحين .
لنضرب الماء بأيدينا وأرجلنا ونقفز في الماء بظهورنا كالذين يكبروننا
من العمر ..

وقادتنا وصيفة الى مكان قريب من ساقية مهجورة وبدانا نخلع
ملابسنا ..

كان واضحاً ان وصيفة هي اكبرنا ، فلبدتها شبيه قوى يأبدان
النساء .

ولنا مد تعودنا عندما نخلع ملابسنا عند الفرقة الصغيرة ان ننظر
الى وصيفة معجبين ، فلم يكن فينا ولد أو فتاة فوق الثامنة ، أما هي
فكانت تعبر الحادية عشرة بإحدى الضفر والردفين ذات جسد محدد
الخطوط .. وكان يروق لنا - نحن الأولاد - أن نتحس جسدها
من على الصدر والظهر ..

وخلعنا ملابسنا وكومناها كلها تحت شجرة ثم نزلنا الى النهر
ومشينا في الماء بخيلاء نخلعها الرهبة .. وأقبل بعض نساء ليمان
بالقرب منا ونظرت اليها أحداهن ، ثم جرت نحونا وهي تمسك ذيل
جلبائها الأسود بأسنانها وانقضت على وصيفة من بيننا فقصصتها في
فخذها وهي تصيح :

- اطلمي يا مغسوخة .. انت محشورة ليه في وسط الصبيان ..
فصرخت إليها وصيفة متحذرة كعادتها كلما شتمها رجل أو امرأة :
- الله ! .. وأنت مالك ؟ .. أنت كنتي أمي ولا أبوي .. أو هي ؟ ..
.. ما حدثش له ضرب على .. أنا بنت شيخ الفخر .

وإذا ذلك قدفتها امرأة أخرى بحفنة من الطين قائلة :
- ياوكستي ! هو أنت لسة صغيرة .. دا خراط البنات قرب ينيلك
.. دا أنت غلبتي خضره ..
افصاحت فيها وصيفة :

- واتنى مالك ياكسيفة بباردة .. يا بتاعة المزاله ..
وعجبنا نحن لجرأة وصيفة ووقفنا في الماء لثنيين .. غير ان امرأة
ثالثة هددتنا بأن نحمل ملابسنا الى اهلنا في القرية ولتتركنا
عراة ..

فأسرعا بمغادرة الماء والشتائم للاحق وصيفة .
ولمعنا وصيفة غارتدنا ملابسنا ، وهي تقول لي :

- ليحيى نروح عند ساقية عبد الهادي ابن عمك نلعب هناك في
الفل تحت الجميزة !

ونعمست انا للفكرة ، وجريت الى ساقية ابن عمي ، وجرى من
خلفي الأولاد ووصيفة .
وسبقتنا وصيفة الى الساقية فاستلقت الى جذع شجرة قديمة
بحوار الساقية على حافة النهر حيث تقوم مصلى ذات سور منخفض
تحت ظلال الجميزة .

وجلسنا حول وصيفة وبدانا كلنا ننظر اليها متلهفين الى معسرة
اللمبة التي ستفترجها ، بينما كان عبد الهادي من بعيد يهوى بفأسه
على الأرض .

ونظرت وصيفة الى عبد الهادي وهبت لنفسها : « الحمد لله
لسه مايلوش » .. ثم تلفتت حولها ، تسأل من خضرة فقال لها أحد
الأولاد ان خضرة اليوم تنقى الدودة في هربة محمود بك مع شريها من
الصغار .. فتنهدت وصيفة وبلعت ريقها ، ونظرت في وجوها جميعاً ..
وانظرننا ان تقترح لعبة ، وكانت تعرف الكثير ،
ولكنها لم تقترح علينا لعبة ..

وانما بدأت تروي لنا مشاهدته هي بنفسها في زفاف أختها بالأمس
الى فتى من القرية يعيش في البندر ويلبس على جلبابه الجاكّة
والطربوش ..

فاختها دخلت الى القاعة ومعها الداية كعادتها العرائس ، وتسللت
وصيفة ومعها خضرة الى قاعة العروسة .. وانتظر الجميع
العريس .

ودخل العريس يلبس جلباباً من حرير التز وطربوشاً فاتحاً مائلاً
على جبينه ولم يكن معه المنديل الأبيض الذي يدخل به كل عريس .
وإذا وجد العريس قائمه مزودة بالداية وأم العروس والصغيرات
ولف في وسط القاعة غاضباً ، وطرد الجميع وأصر على ان يبقى وحيداً
مع عروسه ..

وخرجت الداية تلطم على وجهها تروي شيخ الخفراء والد العروس
من بدع عريس البندر .. ودخل محمد أبو سويلم غاضباً الى
القاعة وضرب العريس بالكف على صدغه ، وطلب منه ان يدخل بمى
ابنعه العروس كما يدخل كل العرسان على البنات الشريكات في
القرية ..

وبعد قليل دخلت الداية ولف العريس حول إصبه متديلاً أبيض ،
وسللت وصيفة وخضرة الى الحجرة من جديد .

كنا نسمع من وصيفة يشغف كبير ، وقلوبنا الصغيرة تدق
واقترينا منها ونحن جالسون حولها ، وهي تحكي بلدة ، وعيناها
الواسعتان مفتوحتان في تألق وشفتاها تنفجان قليلا عن لحظتات مسمت
وابتسام .. ولكن بعضنا البعض ونحن نتلصق بها ونطلب منها ان تكلم
على طول وتكمل لنا حكاية اخوها والعريس والمندبل الابهى ..

ومضت وصيفة تروي لنا كل شيء : منذ صرخت اخوها حتى انطلقت
الزغاريد عندما رمى على الواقفين امام قاعة العروسين مندبل ابيض
عليه نقط من الدم ومضى الرجل في طرقات القرية يحملون على
اطراف الشماريخ مناديل بيضاء ، تملؤها بفق دم قائم وهم يرفقون:
« الحلو احمه » ومن وراءهم حلقات نساء يرقصن ويصفقن يابدين
المرفوعة ، ورؤوسهن مائلة ، وهن يفتنن في نعم سريع :

« قولوا لبراه ان كان جعان يتعشى » ..

« بنت الابن شرقتنا الليلة » ..

ثم تترك وصيفة عن القصة شيئا ..

وعندما انتهت منها سكتنا ، ووقف بعضنا يبحث لنفسه جوار
المصلى من قطعة من ظل الجميزة ..

وفجأة نظرت وصيفة الى المصلى وقالت :

— تعرفوا نلعب ايه يا عمال ؟ تعالوا نعمل فرح ..

واختارت وصيفة ابطال اللعبة .. فاقترحت ان تكون هي العروسة
وبعشت من فتاة تقوم بدور الداية وتمتد لو ان خضرة كانت معا بدلا
من بقائها طول النهار تنقى دود القطن في حقول بعيدة .. وعلى اية حال
فقد اختارت فتاة لدور الداية .. اما العريس .. فقد اختارتنى انا لان
لي صلة باليندر فاخوتي في القاهرة يتعلمون ، ومسمى للبنفر لي
الاخير !

واختارت وصيفة المصلى لتكون مخطما للزوج ، ودخلت المصلى
ودخلت ورادها الداية الصغيرة واخيرا دخلت انا ..

وظل الصغار خارج المصلى .. البنات يفرغن ويفتنن ، والاولاد
يمسكون عصيا صغيرة من التوت يلوحون بها وينتظرون ..

غير ان اللعبة لم تتم رغم ان العروس كانت قد هبت تماما لامتصاص
اللمبة .. فقد اقبل الشيخ الشناوي فجأة !

والشيخ الشناوي هو فقيه القرية ومفتيها ، وخطيب مسجدها
وملاؤها الشرعى ، ومعلم الاولاد فيها ، وواعظ الكبار ..

وهو رجل طويل مريض تسخم الجثة ، غليظ القفا ، عظيم الكرش،
يحب الزوالد والطعام ، وكنا نحسب نحن الصغار انه يستطيع ان يضع

في بطنه بقرة .. وهو رجل يحبه الجميع ويضحكون معه ولا يكاد يوجد
في القرية رجل لم يذق عصا سيدنا الشيخ الشناوي عندما كان يقرأ
في الكتاب ..

وسمنا نحن من وراء سور المصلى شاة الصغار ينقطع ، واصواتهم
يرتفع مضطربة مختلطة بحركات الاقدام على التراب ..

وفي اللحظة الحاسمة انتهت البنا اصوات الصغار :

— سيدنا الشيخ الشناوي .. يادى الحوسه .. اجري يا بنت ..
قوم يا بوله .. اجري يا واد اجري ! .. سيدنا طب يا جدهان ..

وسمنا الشيخ الشناوي نفسه بصوته المتهدج الوقور الذي يعمل
الينا ذكرى تلاوة القرآن من اللوح الصفين في الكتاب ، كان الشيخ
ما يزال على الجسر عند الجميزة يشغف في الصغار :

— انجر منك له لها .. انجروا بعيد من المصلية احسن تنجبوها

.. يعنى طهايين قوى .. الى اهاليكو ما بنهوب ناحية الجامع ..

وايتمد صوت الصغار وسمنا رنين حيات مسيحة سيدنا وصوته

بمرمر بايات من القرآن .. واقترب الشيخ ، فتمخط وبصق بعيدا ..

ام خلع حذاءه ودخل المصلى .. والهواء يعمل الى وجوهنا رذاذ صداقه

وكنا نحن — وصيفة والداية الصغيرة — انا — نشعر انا دوهمنسا

بعاما .. فالتفتنا بعباد المصلى المصنوع من الحصىرة والطين ، وحاولنا

ان نغلق انفسنا بالخوص المفروش على ارض المصلى ولكننا لم نملك

الفرصة لنصلح من حالنا ..

وقمت علينا عين سيدنا فذهل .. وحملق فينا وقد راح لونه ..

واستقرت اليه النظر فوجدته يتراجع قليلا ويثقلت بصره وهو يتنم

بظلام لم افهمه ، ثم ببيل براسه ليتأمل كل بدن وصيفة .. ويتراجع

وهو يقول :

.. امود باه من الخبيث والخيالة .. امود .. امود باه من الشيطان

الرجيم .. اللهم .. اللهم .. انسى ولا جان ؟ .. قل امود رب الفلق

مر ثم ما خلق .. قل امود يرب الناس ملك الناس اله الناس ..

وجف ريني ، والتصقت بوصيفة ، والتصقت بي الداية الصغيرة

.. فصرخت وصيفة باكية :

.. معلوش والنبي ياسيدنا .. انا ماليش دومة .. هه !! والنبي

هو الى دخل عليه وقال تعالى ياوصيفة نلعب لعبة العروسه

والعريس ..

وهنا اطمأن سيدنا وارتفع صوته في التفجير :

.. هو اندو ؟! يا آنجاس ياخناير .. وفي المصلى كمان لا والله
 (ويخفي في البحر) ..!!

وعلا ما الرب ، وتاكدا ان سيدنا سيرمينا في البحر حقا فقد كان
 يهدهع أي شيء في القرية ويروي له حديثا أو قصة ليبر ما صنع ..
 واحضنت وصيفة مستنجدة ، واحتضنتي بوجل شديد ، وأزمنت
 الدابة الصغيرة فوقنا وكنا مانزال على حالنا استعدادا للحظة الزفاف
 .. فانهال سيدنا بيديه الثقيلتين علينا :

— وكمان قداسي ؟ ترقدوا على بعض قداسي ياكثرة يا فجرة ؟ غوروا
 من هنا .. غوروا ..
 لم صفق بيدي ، وهز رأسه قائلا :

.. يا اخواني هي البلد دي جرى لها ايه ؟ كلها متنبلة بنبلة كدهه
 من مصغرها لكبرها ، أعوذ بالله يا اخواني .. يا سيد الهادي .. تعالى
 يا سيد الهادي تعالى ..!!

وكان سيد الهادي يهوى بالقاس على ارضه المبتدة تحت بطن الجسر
 امام الساقية على مرمى البصر .. فاقبل مسرعا على نداء سيدنا بينما
 سيظهر علينا الفرع ولم نعد نعرف ماذا نصنع .. وظل سيدنا يقول
 لنفسه :

— يا خويا العيال دي مايتقيلش ليه .. طالعين على البحر في وسط
 المياه ؟! يعني لو خطفتكم جنبه ؟ الهى تخطفكم جنبه بدل ما تطلعو
 فسدانين ؟! ..

وظافت برؤوسنا صور سريعة من الجنية تظهر على النهر بأصابع
 حمراء في ساعات الظهور لطيف الصغار ، فاذا رأت صغيرا يمشي وحده
 هابلته بالأصابع الحمراء قائلة : تعالوا كلوا بلح .. فاذا ذهب واحد
 اليها اخلته الى أعماق النهر بلا عودة .

ولكن قصة الجنية التي أشار اليها سيدنا ، والتي سمعناها من
 الأمهات دائما لم تكن هي التي تخيفنا بالتحديد ؟! ..

كان هناك سيدنا هو كل مايرعشنا في تلك اللحظة ..
 واطل سيدنا من جديد على وصيفة وكانت مانزال على حالها ففسر
 راسه وفوج بيديه قائلا :

— باسنفك سودة يادى البنيت .. دا انتي على وش جواز .
 لم ماد يطل عليها وهي لتتصق بي وزرع :

— فزوا اطلعوا بره المصلية دا اتو نجستوها .. افقرو هنا هه
 بره مسور المصلية .

وسال سيدنا وصيفة :



— أنت بنت مين ؟

فقلت وصيفة وهي تقف الى جوارى خارج المصلى باكية !

— بنت شيخ الغر .

— بنت محمد ابو سويلم ؟ والله النار يتخلف تراه يا اولاد !

وكان عبد الهادي قد اقبل ، يمسح عرق جبينه بظهر كفه .. وقد
عبد الهادي :

— خير ايه ياسيدنا ؟

وقبل ان يجيبه سيدنا كان قد فطن الى وجودي انا فخصص شفتيه
وقال متمججا :

— ماشاء الله !!

ومضى سيدنا يروي لعبد الهادي كل ما رآه بالفاظ ملاني خجلا
ولزعا واشحكت عبد الهادي فاسك بشعري قائلا وشحكانه تتوالى :

— يعني طالع فرخ من يومك !

غير ان الشيخ الشناوى لم يضحك ، وانما مهر عبد الهادي وتحدث
طويلا من اهتمام ابي بتاديبى بأداب الدين وسبما الفاظا رهيبية تستط
من فم الشيخ .

سبما لأول مرة كلمة الفحشاء .. وسبما لأول مرة كلمة الزنا
.. الزنا الذى قال عنه سيدنا انه يغرب البيوت !!

وظل الشيخ يتحدث من النار والزنا والغراب .

ورأيت عبد الهادي يلتقط عصا رفيعة من الأرض ويضرب بها
وصيفة قائلا :

— طب هوه لسه صغير مايعرفش الحاجات دى ولا يفهم العيب ..

لكن انت يا متصوفة الرقية ؟! انتى الى تعمري دار ؟ مايعرفش غير
اللعب الاخير ده .. هو ذا لعب ؟!

واذ كان عبد الهادي يضرب وصيفة وهي تبكي ، جرت الفتاة
التي كانت تقوم بدور الدابة .. فالتقط عبد الهادي طوبة وقذفها الى
ظهرها ماثلا :

— امسنى جالك سخونة ..

ولكن الدابة الصفرة تابعت جريها على الجسر وهي تتحسن ظهورها
وجرت من وادها وصيفة ، وجريت انا ..

واذ أصبحت وصيفة بعيدا عن سيدنا وعبد الهادي ، التفتت قائلة:
« جالك ضارب يا عبد الهادي انت وسيدنا » .

واخذتني الرهبة انا ايجرى ، وما زال صوت سيدنا ينطلق وقد
احمر سدناه المتفخا وهو يتحدث عن الفاحشة والنار وخراب
البيوت !!

وفي الحق انا لم نفهم سر مايفضب علينا الشيخ الشناوى . لقد
لنا صداه لمايه ونحن نلعب .. كنت انا ووصيفة والدابة الصغرى
نلعبك طول الوقت في الفصل ، والصغار يشقون وراء السور المنخفض
فرحين . ولم نشعر ابدا اننا نرتكب شيئا يستحق هذا كله .. وبصفة
عامة يستحق النار ..

لاني ابي عد قال لي ذات مرة : « لا تكذب فالدين يكذبون ويحرقون
بالنار » .

ولم اذهب بعد ذلك في تلك السن منذ قال لي ابي هذا الكلام يرغم
اني رايت لتيرين يكذبون ويحرقون غيرهم في النار ، ورأيت آخرين
يكذبون فيحرق غيرهم بالنار ، وعلى أية حال فلم يكن أحد قد قال
لي بعد ان الصغار حين يلعبون .. يمكن ان يلعبوا بأشياء يحرقون
اجاها بالنار !

ولم اجرؤ على ان اسأل ابي في هذا ابدا ..

وللي الشيخ الشناوى عندما زارنا في ذلك المساء همس في اذن
اي بظلمة ، وارتفع صوته مغالبا يمولد لاهل الله .. وهز ابي راسه
لم نادى ، وضربني ، ولم يقل لي لماذا يضربني .. غير اني فهمت ، فلم
اهد الى هذه اللعبة مرة اخرى . وعرفت انها كالكذب يمكن ان تجعلني
احرق بالنار ، وربما لعبها آخرون فلم تهرقهم النار وانما احرقوا غيرهم
بالنار !

ولم اسأل ابي عن تفسير لكل هذا .. ولكني حاولت ان اسأل
وصيفة ، فقد كانت تعرف الاسرار .

غير اني لم اعد اراها .. لم تعد تخرج الى التربة قبل الظهر ولم
اعد تجلس على باب دارها في المساء وتضع شطنتا مقلوبا على الأرض
وتهرع عابدة ، وتقني ونحن من حولها ترد وتسمع .

وبما ان اهلنا ضروها بعد المغرب ومنعوا من اللعب ، وأن محمد
ابو سويلم شيخ الخفراء فرض على عبد الهادي ان يقيم على المصلى
.. ورا عاليا وبنا ينطق حتى لا يتسلل اليها الصغار .

وسافرت الى القاهرة بعد ذلك بعام لأقيم مع اخوتي الكبار اسعدا
لاهل المدرسة الابتدائية .. ولما عدت الى قريتي في أول صيف عرفت
ان .. فلة سافرت مع اختها الى عاصمة الاقليم ، حيث يعمل زوج
الاهل .. فلة الى مدرسة الزراعة المتوسطة ..

ومرت اربعة اعوام .. خمسة .. وانتهت من دراستي الابتدائية
والاقلت الى قريتي مع الصنف محملا بالكتب ، وبأحلام المدرسة الثانوية

واحلام البنطلون الطويل والحاجطة المعوجة ذات الجيب العنصرى
داخلها ، والكراخنة التى تتراقص مع الريح ، والحذاء القصير
ورجوت أمى - وأنا أقبل يدها - أن توسط عند أبى ليحول
مصروفى اليومى الى مصروف شهرى محترم بما أنى حصلت على
الابتدائية ..

واخذت أمى النفس بقطع فضية لعل جيب بنطلونى ، وانتشى
بتصور نفسى أضاع يدى فى جيب البنطلون لأجبت بالنفود فانتعرتنيته
الجميل .

وحملت بساعة وطلبته من أمى ولكنها قالت لى أن الساعة تعطى
للذين فى مثل سننى ، وأن الساعة كالشعر الطويل ميزة للذين يدرسون
فى السنوات النهائية من المدارس العالية كاخوى الكبار !!

ومع ذلك فقد ظلت أحمل بالساعة واتخيل نفسى وأنا أدرس اللغة
الفرنسية وأنظر فى الساعة ، وهنكت أياها فى لحظات الحلم أوبرأوى
وبدى على حركة من يلقى نظرة خاطفة على ساعة يده .

وحملت أكثر من هذا بآننى أسير فى المظاهرات التى يقوم بها
طلبة المدارس الثانوية وأطلق ضججى بالهتافات التى تنطلق بها
الحناجر .. وكنت قد سمعت من اخوى الكبار كثيرا جدا مما صنعوه
فى الجامعة عندما فصل طه حسين من الجامعة .. واسم طه حسين
اذ ذاك يملأ نفوسنا برهبة غامضة !!

وفى قمار هذه الأحلام كنت قد نسيت وصيفة .. وظل أصداءه
صبأى فى القرية يتحدثون عنها أمامى ، ولكنى أقبلت أروى للصغار
كثيرا مما شاهدته فى القاهرة .. وفى ذلك العام بالذات شهادت
فى القاهرة مالم أشاهده فى عام آخر من قبل .

ولم يسألنى الصغار كما تعودوا أن يسألوا من مصر ولكنى بدأت أن
أحدثهم عما رأيت فى مصر .

وفى تلك الأيام كانت القاهرة لانهما أبدا .. وكنت أعرف من أحاديث
اخوى الكبار ومن الجرائد التى يحملونها أن رجلا اسمه صدقى يحكم
مصر بالهدى والنار بعد أن ألغى الدستور لصالح الانجليز . وكنت إذ
أه أطلق فى القاهرة جنود الانجليز حمر الوجوه ليحموا له سلطانه على
رقاب الناس !

وكنت فى المدرسة المحمدية الابتدائية أسمع دوى الرصاص كل يوم
وأعرف عندما أنصرف الى البيت فى العصر ، أن دوى الرصاص كان
يرازل القاهرة كلها ومع ذلك ففى صباح كل يوم كانت اقتصابات العمال
وهتافات الطلبة تم من جديد أوتار الحياة .

وكانت المدرسة الخديوية علينا باب المدرسة ذات صباح
دمعت بحياة الدستور والاستقلال والحرة وبسقوط صدقى
والانجليز .

واقفهم طلاب المدرسة الخديوية علينا باب المدرسة ذات صباح
من مارس واضطرب الناظر والمدرسون وضباط المدرسة ، ولكننا
اندفعنا مع طلاب الثأرى . وقد أهبنا الفرح وسرنا فى مركب كبير
يتسابق بيننا واحد . ونسر كل واحد بقلبه يتنفس وبجمعه يحمى
الدم بلى فى العروق ومضينا نرد هتافات الكبار فى شوارع الحامدة
الجديدة وأزدهمت الشرفات بالنساء يصقن لنا ، وفتحت الشبائك
وظهرت الفتيات المختبات خلف الشيش ، وصقن بحماس ..

وفجأة واجهتنا جماعة من الجنود الانجليز حمر الوجوه .. كانوا
يسدون نحرنا البنادق ، وتعالى الصراخات من الشرفات والشبائك
.. وصاح قى منا : « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » .. وطلبت
النساء فى ضراعة أن ترجع الى الوراء .. ورجعنا قليلا الى الوراء ..
فوجدنا جنودا مصريين ، سمر الوجوه كالرجال فى قريش وبسنادون
بعضهم بنفس الأسماء .. أسماء الرجال فى قريش ، ولكنهم كانوا
يحملون العصي الفيلضة ، يقرعون بها الرؤوس والأرض !!

مضيت أروى لزملائى فى القرية كل هذا .. احلامي بالمدرسة
الثانوية ولمشاهدته فى القاهرة .. حديث البنطلون الطويل ، والانجليز
والساعة ، وصدقى ، والدستور ، والانجليز .. وكانوا يسكنون أحيانا
ويسمعون يشنف ، وأحيانا يتحدثون عن وصيفة فى الكبار ، وتسمع
أنا بعجب ..

ووجدتهم يعرفون صدقى .. وسألنى أحدهم مرة :
- هوه صدقى قد أبه ؟ يعنى هو الذى يغلب ولا الواد عبد الهادى
لو نزلوا لبعض لعب مصا ؟

أفرد عليه آخرون أن صدقى هذا كان عجيب يغلب مائة عبد الهادى
ولكن فى غير لعب المصا .. وأنه يأكل خبزا كله من القمح .. وهو لا
يعرف خبز الدرة الذى يأكلونه فى القرية .. وهو يشرب الماء بالثاج
من الحنفية لا من الزبر !!

وسألنى ولد آخر أن كان صدقى يستطيع فى المرة الواحدة أن يأكل
عشرين رغيفا من خبز القمح ، ويشرب ملء جرة من ماء تقى كماء ظمئة
المسجد !

ولم استطع أن أجيب ..
وسألنى أحد زملاء طغولتى عن هذا الدستور الذى هتفنا بحبائه

وكانت المدرسة الخديوية الثانوية تخرج الى الطريق كل صباح
فتنهت بحياة الدستور والاستقلال والحرية ويقفون صدى
والانجليز .

واقترح طلاب المدرسة الخديوية علينا باب المدرسة ذات صباح
من مازس واضطرب الناظر والمدرسون وضباط المدرسة ، ولكننا
اندفعنا مع طلاب الثانى . وقد هبتنا الفرح وسرنا فى موكب كبير
يتصاحب بتهافت واحد ، وشعر كل واحد بقلبه ينبض وبجسمه يهوى
والدم يقلى فى العروق ومضينا نرد هتافات الكبار فى شوارع العاصمة
الجديدة وانزدهمت الشرفات بالنساء يصفقن لنا ، وفتحت الشيايبك
وظهرت الفتيات المختبات خلف الشيشى ، وصفقن بحماس ..

وقفاة واجهتنا جماعة من الجنود الانجليز حمر الوجوه .. كانوا
يسعدون نحموا الشناق ، وتماثلت الصرخات من الشرفات والشيايبك
.. وصاح ناس منا : « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » .. وطلبت
النساء فى فراحة أن نرجع الى الوراء .. ورجعنا قليلا الى الوراء ..
فوجدنا جنودا مصريين ، سمر الوجوه كالرجال فى قريش ويسادون
بعضهم بنفس الاسماء .. اسماء الرجال فى قريش ، ولكنهم كانوا
يحملون المعنى الفليطية ، يقرءون بها التروس والأرض ..

مضيت اروحى لزملائى فى القرية كل هذا .. احلامي بالمدرسة
الثانوية وما شاهدته فى القاهرة .. حديث البنطلون الطويل ، والانجليز
والساعة ، وصدقى ، والدستور ، والانجليز .. وكانوا يسكتون أحيانا
ويسمعون يصفق ، وأحيانا يتحدثون عن وصيفة فى الكبار ، وتسمع
أنا بصبح ..

ووجدتهم يعرفون صدقى .. وسألنى احدهم مرة :
- هوه صدقى قد ايه ؟ يعنى هو الى يغلب ولا الواد عبد الهادى
لو نزلوا لبعض لعب عصا ؟

فرد عليه آخرون أن صدقى هذا كائن عجيب يغلب مائة عبد الهادى
ولكن فى غير لعب العصا .. وأنه يأكل خبزا كله من القمح .. وهو لا
يعرف خبز الدارة الذى يأكلونه فى القرية .. وهو يشرب الماء بالكلاج
من الضنفة لا من الزبر ..

وسألنى ولد آخر ان كان صدقى يستطيع فى المرة الواحدة ان يأكل
عشرين رغيفا من خبز القمح ، ويشرب ماء جرة من ماء نقى كماء طلمبة
المسجد ..

ولم أستطع أن أجيب ..

وسألنى أحد زملاء طقوتى عن هذا الدستور الذى هفتنا بحيانه

واحلام بالبنطلون الطويل والجاكيت المفتوحة ذات الجيب الصغير فى
داخلها ، والكرافتة التى تتراقص مع الريح ، والحداء القصير .

ورجوت امى - وأنا أقبل يدها - أن تتوسط عند أبى ليحصل
مصرفونى اليومى الى مصرف شهنرى محترم بما أبى حصلت على
الابتدائية ..

واخذت امى النفس يقطع فضية تملا جيب بنطلونى ، وانتشى
بتصور نفسى أضع يدى فى جيب البنطلون لأعبث بالنفود فاقترعت برئيتى
الجيبيل .

وحملت بساعة وطلبتها من امى ولكنها قالت لى ان الساعة تعطيل
الذين فى مثل سننى ، وان الساعة كالشعر الطويل ميزة للذين يدرسون
فى السنوات النهائية من المدارس العالية كالخوى الكبار ..

ومع ذلك فقد ظلمت احلم بالساعة واتخيل نفسى وأنا ادرس اللغة
الفرنسية وانظر فى الساعة ، وعشت اياما فى لحظات الحلم أديرأسى
وبدى على حركة من يلقى نظرة خاطفة على ساعة يده ..

وحملت أكثر من هذا بأننى أسير فى المظاهرات التى يقوم بها
طلبة المدارس الثانوية وأطلق حنجرتى بالهتافات التى تنطلق بهما
الحنجر .. وكنت قد سمعت من أخوى الكبار كثيرا جدا مما صنعه
فى الجامعة عندما فصل طه حسين من الجامعة .. واسم طه حسين
اذ ذاك يملا نفوسنا برهبة فاضفة ..

وفى غمار هذه الاحلام كنت قد نسيت وصيفة .. وظل اصدقاء
صباى فى القرية يتحدثون منها امامى ، ولكنى اقبلت اروحى للصغار
كثيرا مما شاهدته فى القاهرة .. وفى ذلك العام بالذات شهادت
فى القاهرة مالم اشاهده فى عام آخر من قبل .

ولم يسألنى الصغار كما تعودوا ان يسألوا من مصر ولكن بدات ان
احدهم معا رايت فى مصر ..

وفى تلك الايام كانت القاهرة لاتهدأ ابدا .. وكنت اعرف من احاديث
أخوى الكبار ومن الجرائد التى يحملونها أن رجلا اسمه صدقى يحكم
مصر بالتحديد والنار بعد أن ألغى الدستور لحساب الانجليز . وكنت اراه
يطلق فى القاهرة جنود الانجليز حمر الوجوه ليحموا له سلطانه صلب
رقاب الناس !

وكنت فى المدرسة المحمدية الابتدائية اسمع دوى الرصاص كل يوم
وأعرف عندما انصرف الى البيت فى العصر ، ان دوى الرصاص كان
نزول القاهرة كلها ومع ذلك ففي صباح كل يوم كانت اغتصابات العمال
وهتافات الطلبة تهب من جديد اوتار الحياة .

مع الكبار وأوشكنا أن نقتل من أجله .. ولكنني لم أستطيع أن أجيب ،
وقلت له أن الكبار يعرفون ، فحدثني هو عن فلاحين سجنوا وضربوا
في المركز من أجل الدستور وعن الشيخ حسونة ناظر المدرسة في
القرية المجاورة وقال لي أنه نقل إلى بلد في آخر الدنيا من أجل
الدستور .

واقترع من الذي ولد آخر وهمس أن شيخ الخفراء هم محمد
أبو سويلم والد وصيفة فند فصل من وظيفته في جزائر الدستور فالتقية
فاطمت الانتخبات التي يجربها صدقي ويدخل فيها حزب الشعب ،
ولم يذهب رجل إلى الصناديق ليغطي صوته ، وطلب المأمور من محمد
أبو سويلم أن يسوق الرجال إلى صندوق الانتخابات ، ولكنه رفض ..
ورآهم يجمعون أصوات المؤتي فتشابه ..!

وأخذني ولد من يدى وأبتعد بي خطوين من دكان الشيخ يوسف ،
الذي كنا نقف أمامه في قضاء الطريق ، ليقول لي أن الشيخ يوسف
نزعته منه ملكية نصف فدان من الفدان الذي يملكه بعد هذاب الدستور!

ومضى زملائي يروون لي أشياء من الدستور ، وفسحرت أنهم في
القرية يعرفون عن الدستور - بكثير من المرات - أضعاف ما أعرف أنا
رغم أنهم لم يشتركوا مثلي في مظاهرات من أجل الدستور ..

وملائي الأكابر للشيخ حسونة الذي كان ناظرا على في المدرسة الأولة
بالقرية المجاورة ..

واحبست بالشفاف على الشيخ يوسف ، وهم محمد أبو سويلم
والد وصيفة صديقة صباي ..

وهرفت أن محمد أبو سويلم يشتغل بنفسه الآن في نصف الفدان
الذي يملكه وقد هادت وصيفة من عند أختها في البندر لتساعد
أبائها ..

فصل فصل الرجل لم يعد الخفراء يساعدونه كما كانوا من قبل وهو
بعد لا يستطيع أن يؤجر الأنظار ليزرعوا له !

عادت وصيفة من عند أختها ، وهبطت القرية بجلباب ماون كبشات
البندر .

ومنذ هبطت وصيفة إلى القرية ، والقرية مشغولة بها .. وهي
وحدها دون بقية الفلاحة تمشي بجلبابها الملون لتعلم من على الجسر
وتزوح وتبني بجلبابها هذا إلى الحقل ، غير حافلة بما تثير من همسات
الفلاحين .

ويقولون أن هم محمد أبو سويلم لا يستطيع أن يشتري لوصيفة
الجلباب الأسود المهود الذي تلبسه كل الفتيات والنساء في القرية .

وبقول اخرون يستطيع أن يشتري هذا الجلباب ولكنه لا يريد أن يكسر
حاطر وصيفة فهو يتركها تلبس كامل البندر بعد أن حرما من الإقامة
مع البندريات .

وسمعت ان وصيفة أصبحت كالشهد ، وأنها تتحدث بلغة أهل
البندر وسمعت أن محمد أفندي المدرس الأوامي طلبها من أبها ، ورغم
أنه يقبض أربعة جنيهات كاملة كل شهر فان محمد أبو سويلم لا يريد أن
يروحها من أهل البلد ..

وسمعت أن عبد الهادي قرأ الفاتحة سرا مع زوج أختها الذي يعمل
بمدرسة الزراعة المتوسطة في عاصمة الاقليم ، وهما صديقان قديما ..

وسمعت أن عبيد ابن خال وصيفة طلبها من أمها ، ولكنه عاد من
مصر متعللا برفض محمد أبو سويلم .
وهكذا مضيت في دومة من الحديث عن وصيفة .

وأقبل العصر على قريتي وأنا مع زملائي في الطريق الواسع أمام
دكان الشيخ يوسف نتحدث عن كل شيء .. ومر حمار عجوز عليه شاب
يلبس طاقية يبدو من تحتها شعره الطويل وقد ظهرت خصلة ترتفع
على جبهته .. وكان جلبابه المخطط متسخا بمض الشيء .. ركان يقعد
على الحمار ورجلاه تتدليان من ناحية واحدة ، وفي القرية يسمون هذه
الطريقة « بالخسروان » وهمس ولد :

— أهه .. أهه .. عبيد ابن خال وصيفة طول عمره في مصر من
يوم أبوه ما طلع من البلد فليشان يشتغل سايس .. وبعد أبوه ما مات
قعدله سنتين ثلاثة ورجع قال يساعد محمد أبو سويلم .. ولكن دالا هو
عارف بزورع ولا يقنع .. شوف ياخويا راكب خسروان ازاي تقولشي
بنداه إبعادية !!

ومضى الحمار العجوز بعيدا حتى اختفى في أحد دروب القرية
وأخلت أسراب الفتيات تمشي إلى النهر بالجوار الفارغة .. ومن بعد
من جهة النهر تهادت فتيات يلبسن ثيابهن الطويلة السوداء إلا واحدة
منهن تلبس ثوبا ملونا .. وكان يرفع بينهما صوت واحد وسط
الضحكات ..

كن عائدات من النهر ، وقد مالت الجرار المليئة على رؤوسهن في
اتساق واحد .. الإجرة واحدة كانت أكثرهن ميلا ..

وكأنت صاحبتها أطول الفتيات قامة ، وأبتن خطوه ، وكانت
وحدها تلبس ثوبا ملونا ضيقا من على خصرها ، وتضع فوق رأسها
طرحة سوداء شوافا ، تظهر من تحتها حمرة فاقمة لمندل الرأس الذي
يلقي على جبهتها المريضة الناعمة كرات صغيرة زاهية من القماش .

وهمس بي علام :

— أهى وصعها أهه نا ترى جانتكر ؟

واغترب سرب الغنيات .. كن يسكنن مع بعضهن وقد هدد
فصحنهن والرؤوس مسحة إلى الامم وبظرائهن تنجرون في الطريق ..
إلا واحدة كانت عيدها الواسع تلعبان نظرات بعيدة إلى الامام ..

وسمعت وصيحه تقول إلى صاة مريمعه الصوب .

— احتشى يا حصرة بلى احسن احب دخلنا ابلد .. بقينا في وسط
البلد ..

وتقدم أسرب .. ولاحت لي وصعته بصاء بشفعه نكه أكثر مما
تحتمل أرض فرنن ذات البيوت الوطنية الدائكة .

كانت ناصعة البحر ، مثلثة ، واسعة البدن ، ذات يهدين متماصكين
.. وكانت يدها التي لسدت بها حرتها تكتشف قليلا من ساعد رقرقي به
اساور من لجاج أرق حافظ البريق !

وكانت تقدم الغنياب وحدها ..

وحدها دائما ..

وكانت وحدها ليس « الشبشب » يقرع كصها في دقات متناهمة
منتظمة ..

لم تكن باهرة الحسن ، ولكن وجهها كان يفيض بصعرة جميلة تجعل
في بياض كاللبن السطحي ، وتكسو احمرار حديها بشعوب غات ..

وكان شعرها الاسود انكثيف المسترسل على كتفيها من تحت المبدل
الاحمر وكان معها الواسع العليظ اللثمين ، وانها الصبر الكور وذاتها
العريضة المرتفعة في كبرياء .. وكان صدرها المعص البار .. كان كل
هذا .. وسعرها المتألق .. جعل لها بين الغنيات سعرا خاصا ..

واصحت وصيعة قرصة منا ، وانقطع حديث الغنيات ..

وناديتها وهي تمر امامنا : وصيعة ا .

ولم نلظر ألينا وذهل الصبيان من حولي وسمعتهم يهيمون أن احدا
في القرية لم يعملها من قبل ..

.. فمن يحدث وصيعة في الطريق لا يسلم أبدا .. وهمس غلام وهو
يشير إلى حفية أن وصفة ستدور الاء لتصب الماء على رأسي من جرتها
كما صنعت مع آخرين ..

وتقدمت أنا إليها وأدب لها عني لأنها كرت إلى هذا الحد ،
واحت وصيعة معها قليلا لتراني فقد كنت أقصر منها بشكل واضح

.. وارتفعت طرائي إلى دراعها انعاري وهبط على كل جسدها اش
الصن .. وبانثني حصرة راعه :

— الله .. انت حيت ؟ اراى مصر ؟ .. حمد الله على اسلامه ..
نا نحتكم ياللى بروجوا مصر !!

وانتسمت وصيعة وابطأت في مشيتها قليلا وقامت متسمة :

— الله .. يا حلاوة .. هو انت ؟ اريك ؟ .. والله رمل !

وصحك وجهه كله والتممت صيعة سريق جميل ، واشاعت المعاجد
السارة في رأسها وكنتها حركات من المديحة - ولاح في حديها عماريان

تطعين لسمتها عدويه صبيحة .

وتأملت سيرها وهي تقول :

— حيت لنا معاك حاجة حاوة من مصر ؟

ولم احب فلم اكي قد فكرت في هذا ابدا ..

ولم يكذب يفي اول اسوع من احارة الصيف حتى هرب اسماء
كثرة من وسيعه - عرب ان عواي وهو من مربي ود في التربة .

أد يوما تسير وحدها بجرتها إلى الحصر ، بينما كان هو يجلس في
حقل الطيخ ابدي يحرسه ، والمساء ستر اول ظلاله على الدور والحقول

والماء .. واد مرت وصيعة امام حقل السطح الذي يحرسه صفق : و
يصبح طريا :

— أهلا وسهلا .. افضل يا جدد ا .

كان الطريق فارغا ، والعلاجون قد هادوا بالهائم إلى اندور ووسيعه
تمضي دور ان تلتفت إلى ترحيب علواني بوجوده وحيدة في لفساء

الحقول .. وشجعت وحدها عوانى فتقدم معها وهو يحمل بطيحه
كيرة قائلا :

— أنا عبد الاسياد ولو قطعوا مراسيلي . انا عبد الاسياد - خذي
السطحة دي ! .. ذا السي قد الهدية .. خذي السطحة الحلوة دي طري

بها على ذلك في العر ده ..
وفاحاته وصيعة تقولها :

— حاك وجع قلبك يا هرباوى يا صانع .

والمطلق علواني صحتة متكررة قصيرة وحك ته :

— به ؟ .. مقبول منك .. حاوة قوى المهارشة دي .. حاكم ض .
الحبيب زى اكل الزبيب .

وسد عليها الطريق ومد إليها يديه بالسطحة ، فذقت يد واسد
حرتها يد صالوخة :

— أنت فكر بعثت إليه ياوادم ياغرابوى أنت يا واد ؟ .. دانت حته
حدام بتحرص بطيح شيخ اسلد ! سارف لى واحدة مسه ياخطاف ؟ يا
حاب الغراب لأمه !

وصحبت علوانى وكسرت صحنائه وطالب ..
ومد يده قنالا :

— حدى بس يا شيخه ! ..

فصاحت وصيغة وهى لبتعد من يده الممتدة

— جاتت أسى فى خطافيت .. كن ايدك دى ياقول لك .. امعد
ايدك دى عسى .. والا نسي عشتره بتخوف ابعبال الهس الى ريب
.. اب لا اسمرك لا أنت ولا حتى شيخ اسلد بتدعت .. آمال يا احمى لو
كنت تحتكم على قراطيل ارضى !

على ان علوانى لم يتركها تذهب فمد ظلت يده ممدودة لبطيخه
وهو يقول !

— كله مصول منك بس اقسى انهديه .. دى العماره بسيطه برضه
واا شيخ حرب يا وصيعة .. حدى يا بت !
فانصرفت وصيغة :

— اخرسى قطع لسائت .. بته تترك انت واللى جابوله ! ذا انت مررت
ميشي ياوادم ياغرابوى .. بت ؟ قال بت قال ؟! ذاا ستك وناح راسك،
وستت اسيدالك كمان ، هو أنت ياوادم يا خطاف فاهم اننا مش عارفه
شعملك وملاعيك .. ذا أنت حرمشى انزل البحر .. قال ايه الايتك
عالم على حميرة عبد الهادى رى عريت القباله وممال لصى عليا من بعد
واحد بنمتجمه .. والسى واللى لو ابويا عارف ولا هند الهادى
ولا محمد اسدى ولا ابها واحد من ابني رايعين حايين يتولوا عليه لكنا
قطمورا وتنتك دى الى واقعة على عرق !

— كلامك حلو .. وانسى كلامك حار .. طيب وايمان السى انتى
عمرلك ما التكتيت مع حد الى الملك كله قداما التكتيت معابا دلوقت ! قولى
كمان قولى .. قولى ابها حاجة ..

لم مد يده بالبطيخة حتى لامست يده صلبها وهو يكمل .

— طيب يا ستى .. ولا ترعلى .. خدى البطيخة دى حق عرب
ووصلح نقى ..

وهما وضعت وصيعة حرتها على الأرض بسرعة وقالت له بحق :

— طبع هات .

وامسكت البطيخة فقلدتها بكل ثوبها فى وجه علوانى .

وتركه يتروح ، واندمعت ألى اسهر .. الى المكان الذى تملأ منه
القرية الماء ، ويستحم فيه النساء غير بعيد من جيمرة عبد الهادى ، وراء
دغل من البوص المرتفع يحجب البحر من الجسر ..

شافت حد الفصة .. ومنذ شافت لم يحرخو واحد من فتيان القرية
ان يتعرض لوصيعة .. فصيوانى رجل تهواه غير واحدة من بساء القرية .
وبهايه بعض الرجال ، فهو كايه الذى نزع الى القرية ، شجاع يتقن
ضرب النار ، حبيب اليد فى لعب العصا ، وقد ورث من أبيه مهنته
موا .. حيانا يرعى اقسام الملاك الكبير فى القرى المجاورة ، واحيانا
يحرص حدائق البرتقال او حقول البطيخ ها او هناك ..

وكان يعلك بديقية قديمة يسميها « المروطة » ورثه من ابيه
الذى اقبل الى القرية ذات شئ .. ورث عيوانى من ابيه ابديقية ،
وورث معها شجاعة اسب ، والجرأة ولا شيء بعد .

وعلى أية حال فسد كان رجال الليل الاعراب وصعاليك القرية
يحسبون له ألف حساب .

وقد أصبحت قصة وصيعة وعلوانى طلى كل لسان حتى غدا فتيان
القرية واطفالها عندما يتسلسرون يقولون : « دى بعنى ولا بطيخة
طوانى ! »

وحجتها قصة البطيخة من معاكسة الفتيان الآخرين .

وانصرف من وصيعة كل الذين فكروا فى خطيبها منذ اعلن ابوها انه
لن يزوحها من اهل البلد .

اما عبد الهادى فلم يياس ابدا .. وقال للشيخ يوسف بقال القرية :
— ابوها لا راغى يدينى حل ولا عند .. كلما احمى اقول به ادبى
فقاد نافع يقول لى تتمدل ، بعنى هو رايح يجوزها لابن السلطان .. ذكره
اخذها من جوز اختها .

وقال له الشيخ يوسف وهو يسلم عليه ليدخل باب الجامع قبل
صلاة العشاء ذات ليلة :

— والله ما له حق ابدا محمد أبو سويلم فى انعامك دى .. هو اس
تلوع كده .. ذا الناس كلها تمنى تناسبك يا عبد الهادى .. ذا لولا ان
سنى بحبة مايزلمهاش الا واحد اسدى كنت احببها لك واجبها
لحد الدار .

وانصرف عبد الهادى شاكرًا للشيخ يوسف عواطفه .. ومضى الى
داره يفكر فى انه سيأخذ وصيعة من روح اختها .. وروح اختها صديقه
القديم .. عاشا معا طعونة واحدة وقرأ معا فى كتاب الشيخ انسبوى

وفي المدرسة الأولى به في القرية المجاورة وذهب معا لزيارته أخت وصيه أيام العطلة ، وأنفعا مما شربا جيلاد ملاء بالمواويل .. وعنى عبد الهادي في أول أيام رواج صديقه باستحضار حجاب من أحد العازمين المقيمين بقرية مجاوره ليمنحه الحجاب من السحر الذي يمشه الحصاد في محاذ الأرواح الجدد .

وحل الحجاب عقدة الزوج بالعمل ، وسافر يروحته سعيدا الى أنس ، ولم يسر صديقه عبد الهادي فكان يرسل اليه أحدث ما تصدره المدينة من كتب المواويل ، وأرسل اليه نسخة كاملة من انب ليله ، وسيف بن ذي يرس .

وكانت وصيفة تعرف هذا كله وتعرف ان عبد الهادي هو وحده الذي يستطيع أن يصلح بين أختها وروح أختها كلما راء عاصمة الانليم ووجد في البيت مشاجرة .

وكانت وصيفة تنظر الى عبد الهادي في حيرة ، وتعرف أنه يريد ان يحطها ، وتفكر أحيانا في انها يجب ان تتزوج رجلا يلبس الطربوش كما تزوجت أختها ، ومع ذلك فقد كان يسرها أن ترى عبد الهادي يحل مع الرجال وهي تعنى في أي شيء في القرية .

ومازالت وصيفة كما كانت وهي طفلة تصب الحناء والرقص وتمسك المعصا ، وتضع على وجهها طرحة سوداء ، وتدخل في حلقات الرجال الذين يصقون كك الحرب فتزفص محتشمة وهي تعنى في هم سريع :

« وفري صديقه .. »

فردد الرجال :

« عائلته .. »

وتعود تعنى :

« والحلوة تبني له » عائلته ..

جده ياتي ورا الحيط ..

انت حلي ولا خيف ..

انا ضيف ومعايا سيح ..

أقطع رموس الظالين ..

فردد الرجال :

« الظالين .. الظالين .. »

مازالت وصيفة ترقص وتمنى وتفتن الجميع ، وبجشاشها الجميع ، وكنت أنا مولما لفناء الفتيات بقرتي .. وكان عبد الهادي يصرف هذا .

ودأت يوم جاء عبد الهادي الى داره قبل العصر وطلب مني ان اذهب معه الى مرقح كبير .. وكان يسير جلدبا مفاصا من الكشمير الكحل ، وبسك بيده الشرجح الطويل ذا الشفرة الواسعة بين هواة لعب المعصا في قريتنا والقرى المجاورة .

وبعد العصر تقدم الطبل البيدي رفه أنفوح ، وسرب مع عبد الهادي ، مرهوا به ومن ورائنا زغاريد النساء ، وغناء محتلط ، ووقف الطبل فجأة في مضام واسع ، واتخذ الناس شكل حلقة ، وبدأ عبد الهادي يلعب المعصا مع رجل مشهور ماهر من قرية مجاوره .. وعرب عبد الهادي الأرض بعضاه ووثب .. وفعل الرجل الذي كان يقف بعيدا بمن الشيء ، وأخذ عبد الهادي يدور حول نفسه ويقرف عسا رميته ثم يرقف ويقوم ويلف ويتلوى ورميله يصنع بمن الأشياء ، وأخيرا انقض عبد الهادي في غربة معاجلة على عسا رميته الألعاب الماهر .. وضح الناس فرحين :

« يدوم الحساس يا عبد الهادي .. براوه يا جده .. تسيم ايدله .. »

ولم يضرب عبد الهادي زمينه .. انما عانقه في سماعة ، وكان الرجل الآخر مزلكا ، ولكنه لم يملك الا عناق عبد الهادي .. ومضى الطبل بالناس مرة أخرى ثم توقف للعب المعصا ..

وطل عبد الهادي يلعب اللعب ويعرف ويرقد وينوم ويدور .. وفي كل مرة كانت الزغاريد تتصاعد والفتيات يصيحون في حماس وتصعب لصد الهادي .

وفي آخر موكب الرجال كان الصبيان يلعبون المعصا بأعسواد رفيعة من التوت وينشدون حركات عبد الهادي .. وانتهت الزفة لعبد الى بيته ..

وعندما اقبل الليل جاء عبد الهادي وأخذه لاسمع فناء وصيفة .. وأمست عهده الطويلة بيد وأمسكى بالأخرى .. وانطلقا الى درب طويل في القرية وأمام أحدي دوره كانت الدلك الحشبية قد صامت وحلست عليها بعض الرجال .. بينما جلس على الأرض هدد كبير من النساء والفتيات - وحلستا في آخر الدكة حوارا العنيتات .. ورأى وصيفة في أنصدر وقال لى عبد الهادي ان العريس هو ابن خالها الذي كان يعمل بالقاهرة .

وكانت الطلة الصغيرة أمام وصيفة ، وقد وثقت خضرة ثرقص وبعض الفتيات ينظرن الى حركاتها في خجل ، وانطلق صوت وصيفة للصام ، ورأسها مائلة ، وحاجبها يرتفان قليلا ووجهها مشرق مبسم

حالم .. ويطرأها الفأمة المعترة بتحه الى الباحية التى احلست فيها
وعند الهادى .

كانت ترتط معها بمندبل ، وصوتها الداعى بعضى احيانا فى بحة
فيمنحه جمالا جارقا ، وما برحت وصيهه ترتع يديها عن الطلبة وتحرر
ساعدها المشمر البصر فتحدث الاساور الزجاجية ريبا بدلا الاسماع .
ولم تتوقف وصيةه عن الماء ابدا ، حتى هلما كانوا ياحذون منها
اطفيه ليشدوا جلدها على النار ..
وبدأت تسمى :

« اا كل ما اطيب وصائلك بذلك تمضيلى »

« عشبان ما انت الحلوة والجميل معنى »

كان النعم حريا هادئا يتساقط من بحة صوتها فى جلال عميق ،
كأساة .. ودايت راسى وأنا احاول سطرانى المنصحة ان اواجه عيبيها
العاثتين فى راسها المائل بشوة السم .. وسمعت صد الهادى يوشوش
« امضيك ليه ياوصيفة .. دانت تضيقى بد .. طب قولى لا يوكى » .
واحيرا سكنت وصيهه عن انماء فقامت تهر كيهها الطويل ، وترهب
شعرها ييدها ، ولمسمع وجهها بكمها .. وجلست مكانها خفرة تلقى
اغنية خليعة بصوت متعثرج :

« على السرير ودلعتى ليه ليه يا مناه » .

وترددت الغنيات فى الرذ طيها ، بينما مشت وصيةه حتى اصيحت
غريبة مى ، واشرت اليها يراسى ضاحكا فرحا ووجهى ينضرم وداست
فى طريقها على بعض الغنيات وثقلت الاحتجاجات عليها بايتسامة ..
وعندما لمعتنى ضربتنى على صدرى ييدها ضاحكة ، وسحنت نفسها
قويا من انها وزلزلت قائله وهى مازال تضحك :

« عجبك الماء ؟ .. والنبي ما تضحك عليا اصل احنا فلاحين ..
مانعوشى فما مصر ! »

وسحنت انفها ييدها ، ثم اخفت بها ثعما الضاحك ..
ولم اجبها ، وشعرت بسعادة قوية تعمرنى ويدها الطرية ترت
صدرى ..

وقلت لها قبة فى شه همس :

« التى مش سالتينى حنت لك ايه من مصر ؟ انا حنت لك حاجة
خلوه .. قراءة ربيعه ! »

كنت همس فى حذر ، وعند الهادى الى حواى يتحدث الى رجل
وقف وراء الدكة الخشبية .

وسالى وصيةه فى همس لاحت فرح :

« صحيح .. والنبي .. قراءة عتر .. هيه مين ! »

« تعالى حديها متى دلوقت صد ساقية عبد الهادى »

بعالت نفسى الهمس :

« طيب .. دلوقت اشحت جلديه سوده واطلع لك على طول ..
بس ترجع علشان نسمع المواويل .. فيه اثنين معاوية .. واحد يقول
والثانى يعطى .. »

وسكنت قليلا ثم قالب وهى تعمز بعينيها :

« قائلنى فى المصينة دلوقت .. »

وضحكك وترجرج وجهها بعمرات ابشر ، وتالق كله .. ثم انصرفت
وشعرت بقلبي يعقق وأنا احاول ان انتزع نفسى من مكانى .. وانسحبت
بعد قليل دون ان اقول كلمة لميد الهادى .. وكان هو ما يزال يتحدث
الى الرجل الواقف من خلفه فى موضوع لم ابيته .

وعندما خرجت من الدرب الضيق الذى كنت فيه ، شعرت بالديبا
تتفتح أمامى .. وبكل وحدة الكون لغضى على نفسى بالسكينة .. ومضيت
فى الطريق الى الجسر .. الى الحميرة .. ومضى اذكريات ! ..





طلب امتي على الطريق انترب ابي احمر ..
 كن الطريق حذبا ..
 أنا وحدي .. والليل !..

وكان نحو حذرا في ثقت الليسه من الضيف . وبدا
 الطريق امامي موحشا طويلا لا نهاية له .

لم يكن في اسماء قمر ، والحقول لا ترسل السمات .. وكانت
 الجوم فوق رأسي تمنع كمبون معاريف في ظلمات من مونها ظلمات ' ..
 وانتهى الطريق المترب ، وصعدت ابي الحمر ، بحوار النهر .
 الذي يحجبه غاب الوص من حين ابي حين .

وملأني صور من الحنية ، انني تخرج في الليل وتجلس على احمر
 في شكل امرأة ملاحه بيضاء طويله الشعر الى حوار بلاص ملهى بالماء .
 وتنادي من يمر على الجسر ليسعددها على رفع الملاص ماذا ذهب ليها
 انسان جلدته من نورها الى الموج الساكن اعظم الى حيث لا يسمع منه
 احد بعد شيئا .

طالما سمعت في هذه الحنية في قريتي ، وان كنت لا اعرف احدا
 على الإطلاق مضى اليها .

تذكرت اسماء ائدين قتلوا على الحمر قبل او اولد . وفي طعونتي
 الأولى .

منى يا ترى تخرج معاريتهم ان لم تخرج في هذه اللحظات السوداء
 من الليل ؟

ونقلت على دوامة من الاشياخ والمسخو التي سمعت منها من اهل
 قريتي ، مختلطة بصور المومياء وقرانكشتين التي رايتها في دور السينما
 بالقاهرة .

وكنت اصرخ من الرعب والوحدة ، ولكني جعت من صوئي .
 وحاولت ان ارجع الى عبد الهادي او الى بيتي ، غير اني كنت قد قطعت
 معظم الطريق الى حميرة عبد الهادي .

ولاخت لي الحميرة من بعيد كشخ هائل له الف ذراع يقف شامحا
 في الليل المظلم .

واحمرا رايب وجه وصيغه تحت الحميره تجلس في ثوب اسود
 ماله وسط الغلال .. ولكن وجهها كان يضي وتبدو ملامحه الوسيه
 واضحه في الظلام ..

وصيبت لابه لا تخاف ، وحجبت من نفسي بعض اشيء .. ولم
 اكد احرب مها حتى نالت دقات قبي ، وشمرت في الاعماق من صدرى
 بمثل قرق الطبول .

فقد اكتشفت حفاة وان اتقدم لانف الى حوار وصيعة ، اما لم
 توجد وحدنا من قبل ابدا وحتى عندما كنا صغارا !! فقد تعودنا ان
 يلعب مع صغار آخرين ، وكان الكبار يشربون ويقولون اشياء رهيبه اذا
 عثروا بلعل وطعنه بعبث معرودين ، فقد علمهم سيدنا الشيخ الشساوي
 ان الشيطان يدخل بين كل اثني تخطو الى ذكر . حتى الاطفال ! .

وهكذا تعودنا نحن الصغار ان نلعب في جماعات ، وحين لعبت مع
 وصيعة لعبة العريس والعروسة لم تكن وحيدا فقد كانت معنا الهادي
 الصغرة وجمع كبير من صبيان وبنات .

هلي ان الامر لم يكن لمبا هذه المرة ..
 وأنا لم اعد بعد صغرا لاجل اسرار النداء بين متى وفته ، ومع
 ذلك فما كنت ادرك هلي التحقيق كل اسرار هذا النداء .

كنت في الثانية عشرة ، وقد سمحت باعوامى الفتيه انفضة لاكون
 وحدي مع فتاة تصطرم في اعينها لونه اب امرأة ، ومن حولها
 الليل الساحل العريض .

وريت نفسي ، فقد كنت قبل هذا النداء بحمصه احوام ، الي في
 الترمه مع وصيعة واجدها بيسر من أى مكان في جسدها ، والحنس
 لي دهشة واستطلاع قوامها العدى انطلق الذي ينضج يوما بعد
 يوم .. وكانت هي تصنع نفس الاشياء .

كنت اعرف كل جزء في بدننا ، وكانت هي الاخرى تعرف كل شيء
 في ، ولم يكن احدا يرتفع من الآخر ..

اما في هذا انشاء تحت حميرة عبد الهادي ، فقد احدثت انظر برعه
 الى صدرها المله وبندنا المعجم البديع ، نفس البدن الذي عرفته
 ولخصت كل جزء فيه ، عندما كنا اطفالا ..

ظلمت انظر الى هذا البدن نفسه ، وأنا اعاني مع هذا كله دوى البضات
 لي قلب ، واشعر بعمايا عديدة كالاسرار الهائلة تستلتي لي جسديها
 الرابع .

ومدت وصيعة يدها الى وقالت اني ثبات وسباطة :
 - واقف لمن لي ليه ؟ .. انت خايف ؟ .. تعالى اقدم ربي ! ..

كان الليل يبنى كل خلاله الداكه انوره على المصلى والحجيرة
والساقية وأسهر والحمول ، ويسكب على كل الاشياء لونا واحدا لا
يتميز .

ولم يكن سهر صوت ، ولا للحمول ..

لا شيء غير سمكات تواتب من حجب الى حجب وتلطم وجه الماء بذبولها
الرميحه ، ونفحة رتيبة تتصادم من الحمول ، والغضاء بعد هذا راكد
مثل بالحرارة ، وبأصداه حادثة للكلاب تسبح في انغرية من بعيد ، ثم
ذقات قلبية وصوت انماقي ، وهمس الراحة توسوس به حنطرة وصيغه
في رسوخ ا .

ورفعت طرف جساي الأبيض من الحلق لأجلس على جلع أنجيزه
الى جوار وصيغه ويدي على صدرى أحاول ان احمى بها دوى
النضات ..

واغتربت وصيغه بوجهها من وجهي ، وشمرت بأفاسها لتراسل
هادئة .. وسألتني في همس مسح ان كنت أذكر آخر لقاء كان يسا ..
ها في هذه المصلى اا .

وباعتني الضجل ، ولكنى ضحكت ، وضحكت هي وأخذت تسترجع
حالة التشيخ الشناوى حين دخل المصلى هليا في لحظة الزفاف
بالتعديد ا .

لم يكن في صوتها اضطراب .. فقد كانت تضحك بيسر ، وتريد
ان تتحدث بلا انقطاع .. ولاحظت في كلماتها خطيما من لهجة قرين
ولهجة عاصمة الاقليم ..
ولم أقل لها شيئا ..

ومدت وصيغه يدها فوضعتها على ذراعى ، ونهضت طالعة منى ان
أعنى منها الى المصلى بعيدا عن طريق الحمر .

ووقعت متفتشيا ، واستندت الى الجور المتل بالليل ، وراينا من
بعيد شعاعا أصفر يعق على صفحة المياه السوداء .

وحمل الى المنظر صورا من قصص فرام نشرتها المجلات التى كان
اخوتى الكبار في القاهرة يعالون في ابعادها حتى وقراها أنا خفية ..
وظنت صور من خارج القرية تلح على ، وأردسم راسي بالأعلام العرايية انى
كنت أشاهدها في دور السينما بالقاهرة ، وتذكرت كلمات إقراها في
الترجمة العربية لعيلم امريكى غرامى ، وأيشه في سيمبا أجنبية - خلسة
من وراء احوى - فقد كانوا ككل الغلاب الكثر في ذلك الوقت يتشددون
في مقابلة السينما الأجنبية ، والبضائع الأجنبية وكل ما هو اجنبى .

واهرب من التمتع احده ، فاجت على صور مفاخره أو ربه
في الميمبا .. واستجيب شجاعتى وجاهت ان امست وصيغه من
كتيبها لأقول لها كلاما ملتبس ثم أغيب معها في ضاك حار حتى الصباح
.. فلما كد رايت في الاعلام وقرات في انصص انى كانت تشر في
حظة الفكاهة وانحامة والصباح وروايات مسامرات شهراد ؟ ولكن
يدى أحاطت بحره من خضر وصيغه ، ولم تلم كتيبها .. فمت
لهمى « حسا » يجب على وصيغه الا ان تشى الى الوراء وتنبذ
وتقول : « يا دنياى ! » فلما كد كنت تقول انصص الشباعة
التى قرأها في القاهرة .

انها كما قرأت فلما ، طويلة مبيضة في حماله كبرياء كامييرة هدية
.. ولكنى لسوء الحظ لم أكر بعد قد أصبحت كداس من فرسان الصور
الوسطى - كما كانت تقول القصص التى قرأها اا .

ومع ذلك فقد بادرت فأسكت وصيغه من خصره بعف ، وشددت
حولها ذراعى ، وفى صوت هامس حاولت ان أحميه حونا .. وقعت
الحول :

- يا غرامى .. احبك ..

ووقعت وصيغه وأمسكت ذراعى بيدها انحنسة ، وقالت :

- آه .. زعق شوية .. على حسنت حبه ..

وأعدت فيها ما قلته بصوت نصف هامس هذه المرة ..

وانتظرت منه ان تعلق عينيها في ذبول ، أو تنظر الى المحمول
بمعين نصف معلقة على الأقل ، وانتظرت منه ان يرفر أو يشوق ، وانتظرت من
أن تنفثا ابداه ، وانتظرت منه ان يسط ويسألنى : أصبح .. يا حبيبى !.. وانتظرت
صبرها ان يملو أو يسط ويسألنى : أصبح .. يا حبيبى !.. وانتظرت
منه بهذا كله ان تعلق براسها فى كتفى ونسبل شحرها الأسود الكشيب
كالأجاجة المطرة على وجهها ، فأرفع رأسها بين راحتي ، وانتظر في
عينيها بهيام شديد ، ثم ينفض كل واحد عما على الآخر في قبلة .
وأحدتها عن جمالها ، وتحدثني عن جواها .. ولا تغترق إلا مع الفجر !

انتظرت ان يحدث هذا كله كما قرأت في القصص المصرية ورأيت
في الاعلام الامريكية .. ولكن وصيغه لم تصنع شيئا على الإطلاق من
كل هذا . بل سمحت نفسها سريعا من أعيا ، ودعكت وجهها بيديها ،
وفتحت عينيها الواسعتين المكعرتين قائلة :

- يا احلى ولا وكسة ! انت بتتكلم كده ليه يا احوى ؟ واللى
ما انا فاهمة منك حاجتى تحلق ! أصل أنا ما اعرفش الكلام الإيجيرى

التي ابت ينعوه ده .. ماتقول يا احويا كده بالمتشر .. هابر ايه ..
عاير ايه يا صاى ؟

وم اقل شيئا .. فمشيت وصيفة نعيدا عى لتبصق فى ماء النهر
وهي تقول ،

— تماى هدا تقعد على حرف البحر ..

ولم تفتطرى مجلسى هي على الساقية ، واعطس ظهرها ، وبطرت
بوجهها الى النهر الصغير ، واجدت تتشم بأصيبة سمعت منها :

قدام بيت اللى بأجيبه

شجرة وظله ومضى وهو

ان كنت حايب من ابويه

دا ما ابوى يحبك زى أنا

وان كنت حايب من عمى

دا أنا عمى يحب الصهينا

وان كنت ما حاضدى

لاقلع خلعاتى واغوم أنا ..

وقبل ان افرغ من مشوى بصوتها ، قطعت عندها لتسألنى :

— امال عين اللى قلت عليه .. عين قرآزة العتر يا اخويه ؟

ولم اعرف كيف اقول .. واجدت انظر الى الضوء الشاسع الذى
يتقدم من بعيد على صفحة المياه السوداء ومن حوله هيممة رائقة ..

وتعثر صوتى فى حلقى ، وأنا احاول ان اقول اى كلام وبانغتنى
سخرية مليئة بالخبرات حتى الأديب ، وابتلمت ريقى واخذت اتصنع

وأما احاول ان اطرد الكلمات العاصفة فى حلقى ،

واستطلعت آخر الأمر ان اعترف لوصيفة انى لم احبل اليها زجاجة
عطر ، ولكنى حملت لها عشرة قروش نس رجاحة تستطيع ان تشتريها

هكذا تلعب انى اختها فى عاصمة الاقليم ،

وتناولت وصيفة قطعة الشود من يدى بسرعة كالها تخطفها ، وونت
فجأة ، وقد تهلل وجهها واشرق ، ووقعت فيه الضاربات .. واوشكت

ان تتمش بجاعة بثر الساقية ، فوثبت اليها اسدها ، وقلنى يشب معى فى
اشفاق كبير ، ووقفا على الأرض معاً الى جوار البئر .. فقبلتنى من راسى

صاكرة .. ثم وقفا واجدت تمسح لى حلقى ، وجرت بعيدا عن ظلال
حدار الساقية الى الفضاء على حافة النهر تتأمل القطعة وتقلها فى يدها

فى حرص وفرح وهي تقول :

— حلالة يا أمه .. بريزه ! بريزه جالها ..

وعادت بسرعة فوجئت عند سور المصلى ، وارتكت عليه وهي تطلق
ضحكات مكسرة سعيدة ..

وفي بطة واعترأ وحدر فتحت الجدياب من على صدرها ثم وصحت
فهملة البود بحت نهدها .. وارنبت نظراتى على صدرها الوهمى الساطع

وحديث نهديها ، واحتلحت وشعرت بدة غريبة تنب فى كل يدى ..

وشدنى وصيفة بيديها عى قوة ، وهي تترك الى سور المصلى
وقالت :

— فاكر لما لعبا هي المصلية آخر مرة .. آخر مرة لعبا فيها واحدا
صغيرين كانت فى المصلية .. وأول مرة حالمب فيها واحدا كبار حاكون

برحه فى المصلية ..

واحدت وصيفة تضحك وبهر بعسا ، فطلت لها ان سور المصلى قد
ارفع اليوم ، فثابت لى والضاوات على حديثها وعيهاها تتألف انما نحن

انظما قد كبرنا ..

وسكتت قليلا قبل ان تقول لى ان سيدنا الشيخ الشماوى لا يستطيع
اللغة أن يفسد علينا اللهب ..

كانت تترقص وهي تتكلم وقد سرت فرحة جديدة فى كل عروقها ،
واسمعت منها العيان بثور قريب احاذ ..

وامسات احساسا بأى رجل رغم سنواتى الاثنى عشرة ..

وبكن وصيفة طلت وهي تترقص تحدثنى بسخرية عن الشيخ
الشماوى وتتمتع وتبرز نهديها المترعخ ..

ولمأنى هذا كله بالرعب .. وحيل الى ان لديها هي فى يدها الفائز
ابدى يوعضنى اشياء كثيرة تستطيع أن تتحدى بها الشيخ ، وكل شيوح

الأرض ، اما أنا فلم اكن قد أصبحت بعد مالكا لشيء اتحدى به ..

وكأن ذكر الشيخ الشماوى ما زال يصل الى صور النار والحاشية
وحراب البيوت ، ويصل الى بصمة حاصصة غضبة أبى ويثير فى نفس

الوقت الواما من الرب ترترلى حتى النخاع ..

وحيل الى ان أبى ربما أرسل الى من يبحث عى لى الفرح .. فماد
لو لم يجدنى .. وشيل الى أبى ربما رأيته أمامى فجأة ، يقف بينى وبين

وصفة وغصبتة تحمل الى شيئا كاللغة ..

وقلت لوصيفة وصوتى يرتقش :

— اسمعى يا وصيفة .. اما لازم أزوح دنوكت ..

فقالت باستحجاب :

.. حايث من ديه .. دا انا اللي معنى احاف أكثر منك .. أهو انت اسمك راجل .. لكن هو فيه حد من اليد يقدر يطبخ البحر دلوقت .. السواقي بطانة والناس مشغولة في الفرج والدنيا كحل .. ماتحافتي ياغيي .. حتى الزاد صواني اللي داينا مفروس على الجسر يحرسون المطبخ طول الليل راحر متنتفح في الفرج .. ماتخافني أبدا ..

وسيطر على عياني رغبة حارة في ان احتضن وصيفة .. وان أقبها في صدرها المليء وجرها الساطع ، ودقها وشدتها المليتي ، وحدها المكور ذي الضفائر ..

ومدحت يدي اليها فامسكت بي ، ولعت ذراعها حولي ، وشسعت بشفه بدنها يبعد من جليابي ..

وسألتني عن فتيات مصر وما يصنعن وما أصبح بهن ! ..

ولم أقل لها شيئا فلم أكن أعرف ماذا تصي وصيفة ! .. فقصت تلاحقي بالأسئلة عن سماء المدينة كيف يليس .. كيف ياكس .. وكيف يصنعن مع لرجال ، هل تستخدم الواحدة مهن برجاعة عطر ؟ هل تملك كل واحدة مهن بكونا .. واين تضع نقودها .. هل تنفق .. بريرة ؟ في كل يوم ، ففي القرية لا يكاد شيخ البلد نفسه يملك .. بريرة .. ودرعت ذراعها عني وتظفرت مني جوايا عن هذا كله .. ولم أحب فمسا كت أعرف شيئا عن كل هذا .. وأنا اشمع في احوتي الكبار ان الدنيا كلها أزمة ، وابهم في امريك يرمون الدرة والسن في البحر وفي الصحن يمتنون من الجوع ..

وكنت اشمع من أبي ان الأزمة هزمت اساس .. فالعطر يساع بانساب والملاحون يستقون في ايدي المراكب ، والدين يملكون أرضا تحجر عليها الحكومة من ارض صربية اسمها المال .. والذين يبيعون القمح في الأجران المحجور عليها يسجون ولو أنهم باعوا القمح الذي يملكونه ..

وكنت أعرف من المدرسة ان كثيرا من التلاميذ يقلبون بأحذية مبرقة وكنت أرى زملائي في المدرسة انخذلة يداورون جواربهم المنقوبة في احشيتهم .. وكان بعضهم يسير بحدق حتى لا تلاحظ احد انهم في السطوانات وكان أبي في اول كل عام يصلح لي بذلة أحد اخوتي الكبار ، ولم يبد أحد في التلاميذ يعرف البذل الجديدة في اوائل الدراسة أو في الأعياد .. الا القليل ..

وحذت وصيفة عن بعض هذا وقلت لها ان اسير في شوارع مصر يسبون : رموسهم متخينة وعلى الوجوه وجوم ، حتى لقد حسبتهم

لا يصحكون .. اما النساء في القاهرة ملا يكاد أحد يرى وجوههم من تحت الحجاب ولكن السجور العارية والمساكين ترتفع الى ما فوق الركبة لكشف اول السيقان ..

وتهدب وصيفة قليلا ، ثم دست يدها في صدرها وتحسنت العقلة الغضبية وعادت عياني لستقيان على مسبت تهديها الراشعين .. وسكننا ..

وشدت انا بفكري في الطريقة التي احصل بها على نقود .. انسى اظن اصبح ساعات كمنة وامي ناقشني فيما أصبح بالبعد ما دمت أكل واشرب ، ويميلو البيت كله بالنفسيج لبعض الوقت ، وعجبت لنفسى لاسي بعد المحمود انشاق الذي بذلته لأحصل على هذه القروش العشرة تارزب عنها يسر واعطيتها لوصفة ، عر آني على الرغم من كل شيء شعرت براحة تيسر واعطيتها لوصفة ، عر آني على الرغم من كل شيء قديرة ما ربت استمتع بذكرى حلوة من شعاع هادي بوري التمع في عيشته ذات مرة وحي أطفال ليلا قلوب الجديدة اذ دالك ببهجة حب عجيب ..

وليت انظر في الفضة من حولي وأنا سعيد .. وابتسمت هن وصيفة قليلا وقرب من النور الذي كان يسري على صفحة البهر .. ووضعت لها اصوات رجال وساء يتحدثون في سمية كبيرة بشراع واقبلت وصيفة ووقعت بجواربي ونظرت الى السهر قليلا ..

ثم قالت :

.. المركب ذي وايحه مصر ..

وتعامت زفرتها في هدوء ..

وقلت لها اني انسى ان بحللى رزق الى مكان بعيد في هذا الليل .. فلم تقل شيئا .. ومرت لحظة صمت ورات وصيفة ترفع يدها وتلف جسدي بذراعها في قوة وتحصني وتضع خدها على رأسي ذلة ..

.. مش بنات مصر ييمولوا كنه ؟ ..

ولم أحب امام المفاجأة وأغلقت أفكر قيسا صحت قروشي بوصيفة .. وبدأ اليوم يزحف الي قلبي لاني اعطيت وصيفة نقودا وخيل لي اني اشتريت منها لحظيات سعيدة .. وكأنا انا واحد من الذين يقدسون الفتيات الفقيرات بالمال ..

واحد من الذين يتحدث عنهم القصص التي قرأتها .. وغاطني هذا التصور لمحيث وصيفة بعيدا وأوشكت ان اصبح في وجهها بما في نفسي ، فلو اني لم اعدها برحاحة عطر لما اقلت الي

جميرة في هذه الساعة هي الليل ولو لم أعطها الغروشي العشرة لاصبرت
مد حتى .

غير أن وصيفة لم تكن تشعر بأسي اشريرت منها شيئاً او حاولت
شراء شيء ، فعندما دفتها صحتك وفالت

– ما تحاشش ..

وعادت تعانقني .

ثم جدتني من يدي الى داخل المصلى فوقها معا على الأرض وهي
تحتضني بقوة ونهبت بصوت واضح بينما كانت صور البار والمأخضة
وشراء فتاة فقيرة تملأ مني اللعب ناليدم وترقق احساسي بالعار .

واخيراً وقمت وصيفة في صيقي ودفعت يدها في صدرى بقوة وهي
تقول بآلم :

– دا امت داين عليك لسه صغير قوي .. امال مطنصلي البحر ليه ..
يا خويأ بلا تيلة .

واستحييت أنا بلا كلمة الى خارج المصلى وأنا اعاني وحراً شديداً في
كل جسمي .

وشرحت لها ما كنت اعاني وحدتها من العار الذي يرهق احساسي
لأنني اشرى منها لحظات جميلة لهرت رأسها قائلة باستغفاف :

– والني ما أنا فاهية حاجة من الكلام الى أنت بتقوليه .. حاكم
أنا ما اعرفشي كلام المدارس والالبديات .

وتحركت بعيداً عن المصلى لأصعد الى الجسر فاستوقفتني لتقول في
خراعة :

– اسمع .. وحياة أبوك وحياة ربنا وحياة النبي وحياة ترب الميتين
تزوجك اوهي تقول لحد علي الي حصل ده .. اوهي وحياة أبوك وأمك
واخواتك .. اوعى تقول لأبها واحد .. هه .. خلي عيشك كده في
الس .. دا أنا عصى ما عملتنا .. وبمدين أولاد الحرام يطعموا فيه ..
آه يا غاييتي .. اوهي يا فسأى .. حاكم بلدنا دى بلد خيابة .

ثم قبيلتني في رأسي وهزت كفتي في جنو وثأني وهي ما تزال تقول
– اوهي والنبي وحياة غلاولى عندك .

وعصرت أنا بأني أريد أن اكفي اشدافاً على وصيفة وتمتيت لو أجد
نفس في تلك اللحظة وحلاً قويا يستطيع أن يعميها .

وأكدت لها أسي لن أقول لأحد وتابعت صبري وهي ورائي وغادرتنا
البحيرة وبنات خطانا تمفرس في تراب الجسر أمام حقل عبد الهادي ..
ولكسا فوقها معا واستندتا إلى الوراء دفعة واحدة وكانت ترتجف .

كان لأرغول هي ورائها قد أطلق بسمانه فبها وبعد قليل رأينا الصو
الشحاح في البحر بخادسا والسبعية تمضي ، صخيلة بالتمن .

ودلرنت وصيفة كأنها تخرج من ذكر مميت .
– بوه فطيمة .. دا أما افكرته عند الهادي .

وهرتني كلماتها ورجفتها .. ولكن أعوام الأرغول في الليل الصامت
امتلكتنا تماماً .. وجرت وصيفة عائدة الى الساقية وهي تقول :

– قمال .. قمال لقدد عني حرف البحر .. قمال ششدد عليه
المسخرة .

وحسريت وراها وجلست الى جوار المصلى عند منحدر الى البحر
يتوضأ منه المصلون ، وحاولت وصيفة أن ترفع صوتها لتنادي « يا ريس
البحر » فبهرتها ولكنها بقوة .

كنت اعرف نوع الكلمات التي يتبادلها الملاحون مع الجالسين على
البر باسم « عند المسخرة » كانوا يسبحون بكل شيء : بالآباء والأمهات
وكل العلاقات ويقولون العاطا مكشوفة .

وخجلت وصيفة فلم تحاول أن تشد المسخرة بعد وأصمت الى الأرغول
في صمت وانطلق من هلي السفينة صوت جاف مرتفع يضي :

غليون واسق جمالات على النيا الشرقية

أيا عاشق السمسات البيض تقتل ولا ليك دية

أيا عاشق البنات السم .. خسر بلا مية

وملائتي الفسوة .. وأحسست بطاقات هائلة وبالقدرة على أن أصنع
كل شيء وملت على وصيفة وقبيلتها في حدها .

فضحكت وهزت نفسها دون أن تلتفت الى ..

وانتعد الصوت قليلاً قليلاً .. حتى ذاب في صمت الليل .
ووجعت وصيفة وزحفت على نفسها المראה والأحلام فقالت بصوت
يشبه البكاء :

– لو كانت الوحدة للاقى الأكل والشرب قدانها ، وتقدم طول عمرها
كده تقى وترقص ولا تاحملشي هم حاجة في الدنيا ؟

وسكنت قليلاً ثم خلعت التمشيب من قدمها وغيرت من جلستها وملت
قدمها الى الماء وتركت قدميها تبتنان في الماء وسرت في الماء مررة جميلة
تحت قدميها واستمرت تقول :

– لو كنت أصبح الاقي في دارنا رلعة مليانة برايز .

ثم التفتت الى .. ومالت نخدها نحو فسي وقبيلتها مرة أخرى فضحكت
ورفعت قدميها من الماء وحففتها بطرف ثيابها ونهضت قائلة ان انا

يروى الشرائى فى حمله البعيد فى حوص التربة الكثيرة ويحب أن تذهب
اليه الآن بالعتاء .

وأيدت لها معادى من أن تذهب وحدها فانطريق بين التربة وحوص
التربة طويين محيف .

غير أنها قالت باستخفاف واعتراض .

— هوذا فيه حد فى البلد يندر بهوب حاجتى ؟ دانا ست وراجل كمن
ياجدع ، هو يعنى عششان محمد أبو سويلم ما أتروم من مشيخة النفر
تقوم الطير لأكل لحمه .. يا أخی لا ..

وتحركت فى طريق العودة .. وطلبت منى أن أسببها وابتعد عنها
حتى لا يراها أحد ..

وسألتها وان لمعى ان كنت تخاف من علوانى امدى يجلس الآن فى
حمله بلا ريب ، فعدت خاضية انها لا تذهب أبداً فى القرية كلها ولا يهبطها
أحد ، لقد عاشت فى البندر خمسة أعوام مع احتها فعدت هناك أشياء
كثيرة ، فعلوانى وشيخ البلد امدى يشعلها وحتى ابعدته نفسه لا يساوون
فى البندر شيئاً ، وقد حدها روح احبها انه رأى المأمور الذى يهر الدنيا
يرتعب أمام الحكمدار ورأى الحكمدار يرتعب أمام المدير ورأى المدير
يكاد يقل يد وزير كان فى زيارة مدرسة الزراعة بمعاينة الاقليم .

انها لا تخاف من علوانى ولا من سيده شيخ البلد ولا من المأمور وقد
رأت بنفسها طلبة مدرسة الزراعة يخرجون فى مظاهرات الى الشوارع
ويطربون المأمور الذى يهمل الرعشة الى قلب أكبر رجل فى المركز .

وسكنت لحظة ثم قالت انها ضربت علوانى فى الصبح بطشت
القميل عندما دخل دارها ووقف صامتا ينظر اليها ويقفها بينيه وهى
تصل ملابس اببها فشى بلا كلمة .

وقلت له ان علوانى يريد بها روجة .. وهنا ضحكك وصيغه وقالت
لى ان علوانى يصنع أجراً عند اببها يرمى له اسم ان اشترى شىء او
يحرس له بطيخاً ، وإذا كان علوانى يريد ان يتزوج فليبه ان يتزوج احدى
الفتيات اللواتى يستمنان فى الحمول بالآجرة لانه لا يمكن حملها
يستمنل فيه .

ثم تجسست صدرها ورأسها المصوب واستمرت تقول ان الذى
لا يملك فى القرية أرضاً لا يملك فيها شيئاً على الإطلاق حتى الشريف .
وهذا اسوع من الفتيات هو الذى شجع علوانى .

وسكنت قليلاً ثم عادت تقول وجد تعبت برة صوبها ، ان هؤلاء
الفتيات مسكينات يعشن على النعمة ، ويدهن فى التراحين الى الرادى





لم أستطع أن أنام في تلك الليلة بعد سهرة في مراهي
أفكر في وصيفة وتمنيت لو أنني أستطيع أن أجنب
واسعة الصبي .
لو كنت كبيراً بعض الشيء لتزوجتها ..
أنزوحها ؟ ..

أن فكرة كهذه تقلبني في الدنيا .. فأبى وأبى وأبى كلهم لا يمكن
أن يوافقوا على ذلك ، فإما لا أستطيع بعد أن أكون رجلاً ، فلا أرواح في
الغاية هشة .

وعندما أصبحت ، أحسست بشوق جارف إلى رؤية وصيفة وتمنيت
لو أنني لقيتها كل ليلة تحت الجميرة .. وأحدثت استعبد الكلمات التي
قديتها لها ، والكلمات التي قالتها لي .. وأسرت أذني في رأسى كلمات
كثيرة كان يجب أن أقولها وصممت على أن أفسده وأقول لها هذه
الكلمات ..

ولكنني لم ألقها وعندما كنت أفكر في أن أذهب إلى دارها ناداني أبي
وطلب مني أن أجلس هناك لأذهب معه إلى عاصمة الأقليم لأسعى في
عند طبيب العيون ..

كنت أعرف جيداً هذا العذاب الذي إلقاء في كل صيف عند طبيب
العيون ولكنني لم أستطع أن أرفضه ،

وكان دكتور العيون رجلاً يلبس المنظار الأسود ولا يتكلم وكان
صارماً حاد الصوت ، يتحدث إلى أبي كما ذهبا إليه عن المستور
والانتخابات والأرمة وما يصنع الانجليز .

وكان واضحاً لي أن أبي يحب بإحاديته ويوافق على كثير جداً من
آرائه .

وذهبت في ذلك الصباح إلى الدكتور مع أبي في العربة المحطورة إلى
عاصمة الأقليم وبعد أن فرغت من زيارة دكتور العيون طلبت من أبي بطاقة
سوداء عاشقها في وتركي على مقهى يملكه رجل أرمي وأحدث أكل
قطع البقالة وحدي وأكتب الصحف حتى عاد أبي ..
وجلسنا إلى جواره في العربة وأنا صامتة ..

وهناك يمضن يوماً بيوم ولا يبلغ ثمن الواحدة منهم هـد رجال مثل علواني
أكثر من كور أدرة يسرقه الرجل من حبل يحرسه .

ولم أفهم جيداً كل ما قانتة في وصيفه ولكنها كانت متائرة .. ومشيت
أما وسمعتها بمصمص شعيتها وهي تقول :

— عيسى عليك يا حفرة .. آهو أنتي مالمسويش في أي مولد أكثر
من كف حلاوة سمسية .

ومضيت في طريقى أمام وصيفة وسمعت رنة شيشية من بعيد
وهي ورأني يشق الظلمات بذهب الدرع مهيبة كاره يتحدى قوى السماء .



وحشيت وأنا جالس الى جوار أبي ان أفكر في وصيفة . . وطلبت
نحطه مضطرب التفكير ثم شرد فكري في المدرسة الثانوية وهي أحلامي
تاليدله المفتوحة ذات البساطون الطويلين وطلبت في أبي ابنة الجديدة .
واحتس أبي قليلا ، فقد كانت البتلة الجديدة تكلمه أكثر مما يطق ، كغيره
من الآباء في تلك الأيام . . وكان أنرجل منهم يداري عن أولاده انيباره
بما لي ويحاول جاهدا ان يقنع مطهره أمام الناس . . وهو لا يملك مودا
بضمها في جيبه لأيام طوا . وبعد قليل انبسم أبي وطلب مني ان انتظر
هنا ربما في أوائس الاجازة ، وربما يسهل قبل دخول المدارس .



وكنت العربية قد قطعت الطريق في عاصمة الاقليم على جسر النهر
الى قريتنا ولم يعد الا الطريق انصيق الذي يصل بين الجسر والقرية .
ودعشت العربية في هذا الطريق ، فسمحت من بعيد ثوبا ملونا مسح
ثلاثة جلايين سود . . انها هي وصيفة . .

كان اثر = مرهم المس ، ما يزال في عيني ، ورفعت مضطرب الاسود
الذي اشتراه لي أبي فطلب مني أبي ان البسه والا احلمه الا في الليل .
وحشلت واضطربت وحشيت ان يكون أبي قد لاحظ أبي حاولت
احلاس النظر الى وصيفة . .

وسارت بنا العربية المضطرب وتحت الفتيات في الطريق وادرن
رؤوسهن المحملة بالجرار المنيشة . . ولكن وصيفة لم تدر رأسها كما
فقد كانت ترشق نظراتها الى داخل العربية . . الى أنا ، وكانت تبتسم

وقلقت قلبي بين صوغى . . وكنت أنا أقهر من العربية وعندما وقفت
العربية أمام بيتنا التفت الى الوراء لوجدت وصيفة تقبل مع زميلاتها
وصعدت أبي الى البيت وابطأت أنا قليلا فقال لي :

– يتكلم كده ليه . . اطلع ربح عينيك من الشمس .

وطلعت أربع عيني من الشمس ، ومن شبالك الطابق الثاني وجدت
وصيفة أمام البيت في الطريق وهي تدبر وجهها قليلا الى الباب . . وتاكدت
انها تبحت عني وتبتسم لو أقهر إليها واقع أمامها تماما وأطلب منها موعدا
آخر عند الجميرة . . ولكنها مرت الى دارها ولم افارق الشباك مضطربا
ان تعود وصيفة فتخرج الى الجسر لتعلا مرة أخرى . . ولكنها لم تخرج
ولم تمر أمامي من الطريق .

وبعد المهر استطعت ان أنسدل . وأقب أمام باب البيت في انتظار
فدومها ، ولم تكذ تقبل حتى ناديتها أمام الفتيات . . وضحكت وابصمت
الفتيات ، وقلت لها هاهنا :

— قابليسي رى امبارج .. بعد الشما *

وخرجت بعد صلاة الشما مباشرة ابحت عنها عند الجيرة .. لم
اسفر بالخوف من الطريق هذه المرة ولم اشعر بالوحشة من حولي في
انصاف الساعات .. كنت افكر في وصيفة وفي اشتيا لم اعدنا ولم اصعبها
يجب ان نقولها واصفها *

وعمرت بعض البطيخ ادى يحرسه علوانى ، فلم اجد اثرا له ..
وانهيت الى الجيرة ولكنى لم اجد احدا *

واحدت ابحت عند لساقية وادخل المصلى .. ولكن بلا جدوى ..
وعدت مضمنا وانا اتمنت زرائى في كل حلوة ابحت عن وصيفة ..
وقصصت جيسر كنه ويدأت اجدد في الطريق اضيق الى انقريه وما
رلت املت وزائى .. قربنا رايت وصيفة ..
وسحت حبال امرأة تبس السواد ..

اجرا فهدد وصيفة بلا كلام .. ورجعت مسرها الى الجسر .. ولكنى
وجدت الخيال يدخل حبالا .. ثم يختمى في الظلام ..
كان هو قتل البطيخ الذى يحرسه علوانى .. وهرنى غيظ مغيب ..
ان وصيفة تسخر بى لاني ما رلت طملا *

وسيطرت على فكرة ان وصيفة لم تكن مخصصة اينما حين حدثتى من
عدوانى .. ربما كانت تدها خفية وترجوه هو ايضا الا يروى لاحد قصة
اللقاء ، ثامنا كما صنعت منى منذ ليلة واحدة *

ربما كان لها مع علوانى شقيق آخر ، فى السر وفى المصلى بايدات.
واضطربت بالحق ، ولم ادر كيف اصنع *

ولكنى مضيت فى الطريق حتى وصلت باب دارى ، وامام باب البيت
وجدت عبد الهادى *

وتلقانى مرحيا كانه كان يبحث عني وقال لى ان ابى قلب البسكه
بالسؤال على .. وحسن فى ادى ان ادخل ، وسيطوطع هو بالقول لابي
اننى كنت فى داره الحب وبصمنى الا اخرج مرة اخرى فى الليل ..
والج عني عبد الهادى ان ادخل الى البيت مسرعا لانه يريد ان يروح
الى الساقية ..

كنت اعرف انه يصعد الى الجسر عندما تدور ساقيته ، ليسهر
عندما طول الدبل يقطع الوقت بقاء حواويل الطويلة التى تروى قصصا
اسرها عن ابطال الحدة والحب ، بيسا الماء يجري فى قناه صغيرة تمر

من تحت الجسر الى حمله ، ثم تطوف بالحق كل ، تاركة الماء يسكب
مها عر فجوات عديدة شقتها الناس .. وكنت اجلس مع عبد الهادى على
ساقية احيانا فى النهار اسمع الحواويل والحكيائيات ، ثم يصحبني الى
بيتى فى مهبط الليل ويعود هو ليسبق الليل كنه وحيدا مع الناس والماء
والزرع وابطال الحواويل .. لكتم تسميت ان اسهر معه ، ولكن احدا من
اهلى لم يسمح لى بهذا ابدا ، حتى عبد الهادى نفسه ، كان يرى اسهر
على الساقية لا يتيق بى ، انا ادى اتعلم فى مصر ..

عنى ان ساقية عبد الهادى لم تكن تدور فى نلت ايلية انطلة نادرة
من الصيف ، ولم اكن حتى البسك لاسال عبد الهادى الى ابى يصعب ،
فاحفاء وصيفة امام احتفل الذى يحرسه علوانى كان ذهية كبيرة ...
وعده داهية اخرى تانى الى اسكنم فى الاولى ، فغدد اكتشف ابى ابنى
خرجت من البيت دون ادب منه بعد صلاة الشما ، وببسا كنت امسك
فى طريقة اتسلل بها الى المنزل لاصح بدلتى وكل ما لدى من ملابس تحت
حليبي فبلى ان القى ابى ، لاحف من جسمى وقع عصاه الرقيقة ان لم
تعلق شعاعه عبد الهادى فى تطليعى من انصرط هذه المرة .. وببسا
صورة لعصا تحتفظ امامى بشيح وصيفة ، اذ يجيد الهادى يسألنى :

— انت كنت مالبجر تحصل ايه دلوقت ..

م يكن عبد الهادى فلما قابليسي يحفل على وجهه اى تعبير .. فغير
ابه عندما سألنى شععت الايتسامة المكرة فى قسماته ، كاسا هو يعرف
جيذا مع من كنت ..

واحتدم فى نفسى الحق وقلت له وانا اكاد ابكى :

— انت متى غاور تقرا لافحة وصيفة ؟ طب اطلع البصر بقى شوهها
مع مبي ؟

واهترت العصا الطويلة فى يد عبد الهادى وقال مبهورا ا

— ايه ...

ثم املت مسرها فى الطريق الى الجسر ، وقد لسى شعاعته التى
وعدى بها عبد ابى ..

وهبطت السلام امام مرئى ، لاعدو معه ، ولكنه كان يضى مسرعا
والنعت الى قنلا :

— ارجع ..

ورجعت انا مثقل القلب ، وتسللت الى حيث وصعت كل ما لدى
من ملابس فوق حصى تحت الخلاب .. وقابلت ابى كاسى كرة ..
فاسسم اول الامر ، ولكنه احبى انتسامة .. ونام الى عصاه ..

وإندرمى إلا أخرج من البيت مرة أخرى بعد صلاة العشاء .
وبت لبنتى وأمامى وجه أبى فى عصاه ندى يتألمحه الانقسام ، وفكرى
هناك على الحصر .. حيث احتفى شبح وصيغته .

أكاس هي وصيغة بالتأكيد ؟ ..
ربما لم تكن هي .. ولكن لا بد أنها كانت هي ..
من يدرى ؟ ..

أبى علوانى وحده يعرف .. وسيعرف عبد الهادى كل شيء .. وأعرف
أبى فى الصباح عندما أقابل عبد الهادى ..
ورجعت إلى رأسى من جديد أحلام المدرسة الثانوية التى سادسها
أنها بعد شهر والبطون الطويل أبى سالبسه لأول مرة وأعود إلى
الغربة به ، ويصوت غليظ فأبهر وصيغته وأحجمها ..



أما عبد الهادى فقد ظل يدفع فى الطريق أبى الحصر
حتى غاب فى الليل تماماً ، وعصاه تفرع الأرض نصف
انتشيت الذى فى الصمت الحالت ، وغيبدا كحباب
الظلام .

وبع عبد الهادى حقل أبيطع الذى يحرسه علوانى عروب لحظة على
رأس الحقل ، وفتح عيشه ثم رز جففيه ، وحاول أن يهزق يطمسراته
احادة العاصبة طلمات الليل التى كانت تمتزج بسواد الأرض .

ولم يستطع عبد الهادى أن يرى شيئاً .. ولم يستطع حتى أن
يسمع صرنا أبعد من صوت أماسه التى بردت فى أمته نعوه ..

وأصمت بعصاه ، وهرف فى العشاء ، ثم أصمت بعصاه بدقيه ، وشعر
ساعديه ووضع أمصا على كتفيه ، وأسند أبىها مؤخرة رأسه ، وأرضى
عليها يديه ، ودخل حقل البطم .

ومشى عبد الهادى قليلاً فى تعفر ، ثم توقف عند مكان من الحقل
بعود أن يجلس فيه علوانى ، وينام .. ولم يجد عبد الهادى غير بقايا
بطيخة مفتوحة على الأرض ركبها بقدمه .. ثم وجد للة بها ماء بارد ،
مشرب بصوت مرتفع ، ومصمص بلسانه وشفتيه وأطلق نفساً ثقيلاً ثم
دفعها إلى جوار كوب غليظ لثنيان ، وبراد أسود .

ولح عبد الهادى الحرام أنصوف الذى يتخطى به علوانى من ندى
المعبر .

كان متكوماً .. فتباينت أنفاس عبد الهادى ، وأصططرم ، واضع
على الحرام بيد ، ويده الأخرى تحكم عسك العصا ، وزبح للحرام المتكوم
سرعة وتوتب .. ولم يجد تحته شيئاً غير الأرض السوداء فرماه بمنفذ
بغشاء الارتياح .

وعاد يضع عصاه على كتفه وراء قماه ، ويرخى عنى العصا ساعديه ،
وأحد يذرع حقل البطم من أوله إلى آخره وينظر فى الأرض ويركض
بعده الكبل السوداء ، ولكنه كان دائماً يركل الطمخ .

لم يستطع أبداً أن يسمع شيئاً غير أماسه الثانوية .
وصعد إلى الحصر ، وأحد ينظر فى العصا من حوله وهو ينادى من
حشر وتحد :

.. يا عبودي .. يا واد يا عرياني ..

ولكنه لم يظهر جواب .

وتذكر عبد الهادي فجأة أنه ترك عبودي عند الشيخ يوسف بقالة
القربة .. ذهب إليه بعد انصرافه من العرج .

فلوأي العربي اندي يعيش في القرية بلا اعمد ولا احوال وبلا
أرض ولا شيء على لإطلاق .. غير انبذية ، والمهارة في السحطيط ،
والأجرة أنتي يأخذها على الحراسة .. علواني هذا لا يجند شي بلا
وحده الا مجلس الشيخ يوسف .. فهو يهبط إلى القرية بعد كل مغرب
ليشترى الخبز والسكر والدخان ويسمر قليلا مع بعض فيان انصرية
أدم ذكاب انيقال ثم يعود إلى الحقل بعد أن تمام القرية .

وتذكر عبد الهادي أنه رأى علواني بعد المغرب يصطك مع حصرة
وهي يبيع يديها وراء ثور تنتظر ما يسقط منه لضمة فوق رأسها مع
ما جعته من روث البهائم .. انه يذكر الكلام الخارج اندي قالته حصرة
عن الثور ..

وحصرة فتنة ترقص في كل فرح ، وتحدث عن العلاقات الجنسية بلا
حرج وتبيع نفسها في امواله والأفراح ومواسم الدرة والتقصب والأعياد
والفص مملية من المين أو يكف من الحلاوة المسسية ، أو ربما بكيران
حصرة من الدرة وأعواد من القصب ..

وارتاح عبد الهادي قليلا .. وصمم لنفسه أن علواني يشبه حصرة
تماما .. وإن ما جمع بينهما ومن حق .. فهي أيضا تعيش في القرية
بلا أرض ولا أهل .. وأقربها قد تباركوا عنها منذ تركوها .. لنبيته
الأعرب ، صمم في ضميمته الصغيرة ذات ثلاثين فدانا .. وطورها
بمحمود بيه .. بعد أن حطمته مستحم .

كانت ذاك سمره نضرة راسخة المهدين .. وعادت إلى القرية
لتمش على عشا في الحقل ، أو لتفصل القمح في البيوت الثلاث التي
بخصي لسأؤها .

ومضى عبد الهادي بهمهم بأعسة حزينة ، واتجه إلى ساقيته مارا
بالمك الذي سلا منه النساء ، ويرمع منه صوب حصرة إلى الهمار
بالكنيمات الحارجة ، وحركات الدراع التي تثير حيل النساء من حولها ،
كلها رات محمد أسدي المدرس الإلزامي بحر لمشته أطروس ، وحلبانه
المجملط الإفريقي ، وششمه القمع ، وطنيته الطويلة البيضاء .

ومثل عبد الهادي ينش على الحصر ومر بساقيته وعاد في الاتجاه
الأخر .. وأحد يذرع الجسر .

وحفافة قطع الأوعية عندما وجد نفسه أمام مكان مهجور كان مأكليه
ملحن يمينها محمود بك ثم حترقت وسطلت ولم يعد يصلح لشيء إلا
ملاات حصرة وهي يدمع لها .

ودق قلبه نصف .. أتكون وصيفة هنا مع أحد .. مع محمد
أبدي !!

أتكوب حصرة قد جنت وصيفة هنا .

وحسيت رأسه ، وأمد يده كى ركي في المكان ، حتى الجحور التي
سكنها الثعابين .. ولم تثر بشيء ، ولم يسبح نفسها ..

وعاد ينش على الجسر ، وساح الهيمية بفائه الحزين حتى اقترب
من ساقبه وقد انتهت الأوعية الحزينة .

وحاحت نفسه في صمت وعلام ولغصاء .. وشعر بالحاجة إلى أن
يجت أحدا ..

أن هذه الأرض الواسعة أبي محمد أبي حواره تملؤها أحسا بالشباب
والرسوخ والشرف .. لم يكن يرى فيها شيئا في الليل ، ومع ذلك فقد
كان يعرفها .. يعرفها جيدا ، يعرف وجهها وقبوتها وكل مسلك فيها ..
ويعرف شكل أعواد الدرة العسة التي بدأت تبتق من الأرض على مهاد .

انه الآن ليقت إلى جور الأرض التي يملكها هو ، والتي ورثها من
أبيه ، وحمل العاس الصغير عنها وهو صبي .. أنها نفس المقررة التي
حملها أبوه عندما كان طفلا .. حتى إذا كبر عند الهادي ومات أبوه ،
كبرت العاس معه !

انه ليعرف قصة هذه الأرض كلها مثل كان يدق الودد للحاموسة ..
وهو في الثامنة من عمره لترعى أبيه سيم يحسب .. أنه مازال يذكر
قصة هذه الأرض .. ولما ساءل أبدا ، وسيجعلها عنه ولده من
صده .. لقد أدركها تحت الدرة والبرسيم وأعطى مع أول
الأشياء التي أدركها في الحياة .. وردها أبوه حذيفة ثم قلعا بعض
سنوات .. وررع فيها هو القداس فرست له لكثير .. وررع فيها
العصب فرمت له الكثير .. وررع فيها العلة ولعل فله يخبه أبدا ،
وردمت رأسه على الدوام .

اشتري لها أنواع السماد ، وطر برها وبرعها وبرعها ، ولم يطر
فيها يوما واحدا ولم تطرط هي قط .

فدنا ! مدان قطعة واحدة ..

أن هذا الدنان لسجل له مكانا حسانا في القرية .. وسمح له إذا

ذهب الى عاصمته الاقليم ان يجلس على معنى الحواشي الارسي اندي
يجلس عليه معه عمه ، وعمده ابلة والكبر هالك .
مدان ٥٠٩

كم من الناس في القرية يملك مدانا مثل ٩ ؟
ان العمدة نفسه لا يملك اكثر منه ، وقد اكمل له عائته رمان
الصودية بفقود صورية .

انه واحد من عشر رجال في القرية يملكون هذا بقدر او اكثر منه
.. ومع ذلك فلو ان احدهم انكب في مصر ترك به المدان الآخر !
ولكن لا بهم .. فليسعد اخوه وروحة اخيه وأولاد اخيه بديار
العدس .. فبعد يهدي هذا في القرية ، واعدته معروسة في ارضه ،
يشعر بهوا لا يعرفها اخوه المولف في مصر مدينة الحكومة !

وحس عبد الهادي فيسلا على ارض الحس أمام الحبيرة ، ولم
سيجارة .. والى هنية المشور بالناحية الى ان يحدث احدا .. وكفى
لو ان معه وصيفة .. روحة الى .. تجلس الى الساقية ادم نور كبير يدور
بالساقية ، وهو يروي ارضه من بعد : هي تلي على الساقية ، وهو
يعني هناك وسط الماء المذبح ..

وهو عبد الهادي راحة بجوى ، وتهدي ورمي مسيجارة .. وهذا
بهم :

يا ولدي .. يا ولدي .. ياسيدي .. ٥٢ ..
وشعر بصبه صعدت لكل شيء : توصيفة وعلواني وحصرة ولكم ما في
القرية .. ثم اطلق صوته خرسا هادئا :

سكين مختار ، مقصور الحجاب ، ولا طيار
حقل انجم يوم على ارض انجيب ولا طار ..
وارتفع صوته قليلا ، وتورد في انفسه الواسع الحان : واسم
دعي ..

كان لبيل الهادي ، يحمل ربي صوته الخاف انجربين مشتتيا برجع
ساعة تدور على انشغال : آخر .. وسمع من بعد صوتا يقول في طرف :
٥٢ .. جلاوت بعد الهادي ، اي : من قول موال احصر قول
.. باحصى .. بالو قسا احصر !

وقوبع عبد الهادي وصاح :

سلاحة .. اسبح اعرف

.. معنى من فوزه على احصر حتى باح جعل الطبخ ابي يعمره
.. وري دارا وسبح كركرة الشاي فوق النار .



١٠ - يا جدد دى الحكومة حكومهم والكلمة كسبهم دا الهاتى فى حرب
 مسحب الي ماسك لبر وحارقه بولمة ! الله ! حبر ايه يا عوامى متى
 سجد بك ؟

وعيسى عبد الهادى ساجرا :

- ليه رجب فى الحكومة ؟ هي ؟ دا الحكومة كاسرة رجلا داعم ..
 هو عوامى رأسه وعاد يعضش شفتيه فى حزن ، ثم استغرد
 يحكى يتحسر فى أيام خدمته العديدة فى عربة محمود بك ،
 كان عوامى يترعى غم « البية » وهناك كان يحل فى جيبه حافظة
 كبيرة لمقوق ، بعد كان يجده شيئا على الدوام ،
 وفى أيام السوق - مرة على الأقل فى كل شهر - تعود علوانى أنه
 يروح الى السوق بأخمس يبيع بها ليصرف « البية » .

وفى سوق كان علوانى يجد فرصته فألاش لا يخنو من عمره أو
 بجمه صغيرة يدمى عوامى أنها تاهت وماتت فى الطريق .. وأحييت
 يستطيع علوانى أن يهجر من لمن كل راس خضسة أو سبعة قروش ،
 ولكن البية تصب فى الفم ، دغم أنها كانت ترعى على هواها فى أى
 أرض بلا حساب أو اعتراض واحتاج هرة إلى مبلغ كبير بعد عودته من
 قامة طويلة فى مصر فباع كل الفم ولم يعد لعلوانى صند مكان ، ورجاه
 عوامى أن يبنى ليحرس له حديقة البرقال إذ جاء الشتاء ، وفى حديقة
 البرقال كان علوانى يجد فرعا أخرى .. فالتفتت والساء ما نصت
 البرقال كي يقبلن بلا انقطاع ليشترين السقط من البرقال وكان هو
 يكسب من هذه الصفقات مبالغ طيبة ، ولكن حصرة فضجته .. وكانت
 حدم إذ ذاك عند « البية » ولا يستطيع أحد الأعمار أن يفتح هينة فيها
 أو يرد بها طلبا .. وصبت يردا من علوانى برتقالة كبيرة من على
 شجرتها فرفض علوانى وأعطاهما برتقالة من السقط قائلا :

- جدى الحية دى .. بردقن السجور دا مايطلعش حتى ولا لبيه
 مدسه اسو حاططجوه حبة ورا حة ؟! أمال يبيع ايه .. الى يعى
 بشرى الحسة حايشتري ايه ؟

وقد حصره البرقالة فى وجه عوامى ، وقامت نفسها فطعت
 ، ما ه من على غصنها وهاج علوانى فهدمها بقطعة من طين الحديقية
 ، عسره وشمسه فصرها علوانى وذهبت مقصورة الرقية إلى « البية »
 ، عوامى ، فصبحت كل أسبابه وراقبه « البية » حبة دون أن
 ، عوامى ، فصبحت كل أسبابه وراقبه « البية » حبة دون أن
 ، عوامى ، فصبحت كل أسبابه وراقبه « البية » حبة دون أن
 ، عوامى ، فصبحت كل أسبابه وراقبه « البية » حبة دون أن
 ، عوامى ، فصبحت كل أسبابه وراقبه « البية » حبة دون أن

سوف الظلم يا عبد الهادى .

١١ - يا عوامى :وب الشاى لفسه وسكت ، وبعد أن رشعه هر وسه
 عوامى سجد قائلا

- والله يا عبد الهادى نوأ ب سجن .. الله يبعث لى الأكل .. لسان
 الواحد .. كل من اغيطان روى الدين ..

وقال عبد الهادى وهو ما يزال شارد الفكر :

- صبيها كتندب .. ريت يستر يا شيخ اعرب .. ربا يستر ..
 كان عبد الهادى يفكر فى وصيفة .. ربا كانت قد ذهبت الى
 « البية » الذى يتعادل فى ضيعة بجباية الكشمير الداخر وشعره الملامع
 معروف ..

ولكى ماذا تذهب الى لبيه ؟

ن محمود بك يخرج أحيانا فى نيل على ظهر حصانه انعاره اعوى
 الأبيض .. وكثيرا ما رأى عبد الهادى فى طريقه الى عاصمة الاقليم أو
 عادنا من هناك أو من عربة حاله الباشا بالقرب من عاصمة الاقليم .

ولا طريق له غير الجسر
 ربما كان قد قابل وصيفة لعاد بها الى العربية ، انه يفعل هذا أحيانا
 فى الليل عندما تروقه فتاة على الجسر والبلد كلها تعرف هذا جيدا .
 ولكن أيمكن أن يصنع شيئا كهذا مع وصيفة بنت محمد أبو سولم
 شيخ الحمار الصديق ..

ووصيفة نفسها أمن أيمكن أن نقل هى مثل هذا الشئ ؟!

ولم يحتمل عبد الهادى التفكير فى كل هذا ..
 وحس بالعلوانى يشرب الشاى ويذكر فى حياياته القصصة ، فاجاه
 عبد الهادى بالسؤال عن محمود بك ، هل من على الجسر ؟ فهز علوانى
 رأسه وفى لأمى بقطعة متكررة من لسانه .

وعاد عبد الهادى يسأل بضيق

- ماحدثت فات عليك من أصله ؟

هال علوانى بانتصاب وهو ساهم .

- أبدا من أصله ؟

واسمى الشاى ، ولم يجد عبد الهادى كلاما بقوله فنهض مستادا ،
 وعلوانى بلغ أن يبقى لندور انشأت فى الشاى وللسكى عبد الهادى كان
 دوما مورعا .. فقال علوانى متمسكا بلوحة لدوية :

- ومعدن نردوك ؟ حكم الله على كده ؟ أقدم أقدم ..
 فاقسم عبد الهادى ، بلا استعداد للضحك وبدا يتحرك ووقف علوانى
 وسار قليلا بعد عبد الهادى بدوذه فى صمت .

— لا واليبي يا جناب الباشمهندس ، وحياء مقامك وريقتك .. والله
حاجه من دي ابد يا حاضرة الهندية واحيا اصحاب قاعدتين هنا كده
يعنى .. اصل الحكاية يا حاضرة الحكومة ...

فدخله الرجل ذو الجلاب :

— امال ايه اديت ابني شهابا عالجس من قصة سبعة وحرب
تستحق في المصطفى .. انه دي .. مش باعتها بدور الساقيا ؟
فقال عذواني .

— بنت ١٠؟ وهيه الست حاتح الساقية .. طب ودين انهمسة ؟ هو
عدوك احب انت وهوه ؟!

فصاح فيه الامامي :

— احرس ..

وهمس عبد الهادي كانه يخرج من حلم :

— جت ١٠؟ شهابا فين .. هيه وين ؟ ..

ولم يهتم احد بما قال .. وعاد الامامي يقول :

— هو احب ما عديش شغل غيركم .. ايه دا ١٠؟ حاسسكم لكم طول
الميل عثمان نصيب السواقى دايرا ، يعنى تكسر لكم سواقى الجسر كلها
من بوقت ونخلص ١٠؟

فقال عبد الهادي محققا :

— ليه ؟! تكسروا سواقى الجسر ؟ ليه ١٠؟ وحتى ان لقيوها دايرة؟
دا لسه قدامنا خمسة ايام رى يا جديح .. خمسة ايام لياينهم برى فيهم
علي كيمنا وتدور سواقينا علي كيف كيمنا ولا حدش له كلمة عديدا ..
ولا وحشكو لويل ١٠

وناز الامامي عى عبد الهادي وانتمت الى الرجل ذي الجلاب يسأله
عن مسالة اريال ، فمس في اذنه ان اندي كان قبله كان ياخذ رايلا من
لعلاجى لمفضى العيني .. ولكن الحالة الآن تستحق حسيث قرشا عى
كل ساقية .

اصطرب الامامي وشتم العامل وتوعده عندما يعودان الى الهندسة .
فصاح عذواني بشانة وصاح :

— دهه .. دي الحكومة وقعت في بعضها ..

سما احد عبد الهادي يرقع ، ويحاول ان ياقش الامامي ورام
لا .. يحاول ان سبي المناقشة الي دخلها متافعا متقررا ثم صاح في
١٠ الهادي ان دورة الرى ليست تكمل سنة فقد اصبحت حسيه امام بدلا

من عسره وان العرب كان آخر موعد يحيى للسواقى فيه ان بدور وعسد
الامامي اشار بهذا الحسى مد ايام .

فصاح عبد الهادي :

— عمده ١٠؟ عمده ايه يا جديح صلي ع انسى .. انا حرس .. هه بعد
١٠ .. حيلة العمده شى النى في رجلي ١٠ عليه ييجي يحوشى واما
ارهونك في البير ١٠

وصح الامامي وعاد يصيح ان هذه هي اواخر الحكومة .

فقال عبد الهادي :

— حكومة ؟ سلامات يا حكومة .. ما احب ابرعه لنا رجل في الحكومة
١٠ .. حد عندك ١٠ .. احويه مصطفى مستخدم في مصر في اسماحة مايتشى
مول لنا كده ليه ؟ قال الحكومة قال ا عطشوا الارض وصوبوا
الحكومة ١٠

ونطق الرجل ذو الجلاب وقال لعبد الهادي .

— راجح .. دابا عاريت .. راجل طيب ونعمهم .. كلام الحكومه
احه كده .. دورة الرى في الرعام هذا تكون حسي ايام فقط لا هير ..
وبعد كده لا هير رى من البحر ولا من التربة ١٠ بلاش مكالفة بقى ١٠
لا كتره .

فقال عبد الهادي متحديا :

— لا يا شيخ ١٠ خمسة ١٠؟ خمسة ايام ١٠ يا جديح قول كلام هير
١٠ .. يعنى نعطش الدر .. يعنى تمولوه لنا من العطش .. طب دا فيها
حق لسه ما نعطش اشراقى .. بالية غرا يا حراتى .. هو جرى ايه
السنة دي ١٠؟

وهمس علواني محاولا ان يتدخل :

— يا عبد الهادي دا الحكومة بقول كده ١٠ خلاص بقى .

فصاح عبد الهادي باعلى صوته وهو يضرب الارض بعصاه :

— حكومة ايه دي يا وله ؟ حكومة ايه دي بس ما تفنقونيش يا حي ؟
ياحد سما بنس المية ازاى ؟ مين ذا اللي ياخذ سما خمسة ايام من العشرة
تنوعه ١٠ .. له ١٠ ونقية المية رابعة فين ؟ هه ١٠ بقى يطلوا السواقى
هنا وبعملوا اسرعة الكيرة هناك ١٠؟ ليه بقى ١٠ مين اللي فوقنا مياحد
المسه ١٠ المحروبة ارض الباشا الي اشترها جديد وماتسواش كلب
داكها ١٠ ياسلام ياسلام ١٠؟ ياسلام كده على الحكومة ١٠ وحياتى النسي
ابيه ماى محاشة سما اندا ١٠ تقفلوا التربة وتطلوا السواقى والنسي
لمحري دماها قبل مياها ١٠ وسع يا جديح ١٠

وضرب عبد الهادي الأرض بعصاه وقسم الطريق وحرك الإحدى
ورميته ، وعند يهدي يمشي مسرعاً إلى القرية وعصاه تشق صمت الظلام
وهو يردد :

— سلامات يا حكومة .. هيه دي بقي أوامر الحكومة .. سلامات
سلامات .. طب وإيمان السي لأدورها بعد نكره .. هي نكره .. هه ..
حلى حد ييجي يكسرها بقي وأنا أكسر رقبته وأدلسها في الطين *
وكان الرجل قد ركبا .. وأطلقا على الجسر في الطريق إلى المدينة
عاصمة الأقليم ..

وحرك لعاب اللؤلؤ على حافة البهر وبرزت منه فتاة تلبس السمود
.. وقالت لنفسها بهمس :

— جولي انهرت من جذور العاب .. قطعة يا أهل البندر .. مشوار
ايه الأخير ده التي كانت باعتاني فيه وصيفة لمتة ولد ما يخلصني طول
رجلها .. هو عشت ما يتعلم في مصر دي البندر .. طب ودا يجمع
في ايه ؟ آه لو كانت هي التي طلبت البينة دي كمان رى ما صدمت ليلة
امبارح ، وشموها رجالة البندر دول ..

ولم يشعر بها عموماً .. فقد كان ما يراد ينظر في ظهر الرجلين
وحين طمان إلى أنهما ابتعد تماماً .. بصق على الأرض قائلاً :

— هيه خلاص الحكومة عاصدهاش شغلانة غير يقدمنا .. مرة ترفع
ومرة تحبس وحايه الآخر تحوش عما الميسه .. يالا انحر سمك له
حكومة لخصه *

وشحكت المارة .. وأحس بها علواني .. فالتفت إليها مدققاً بينما
حرجت هي تنفصع وتقلد لغة الرجدين بسخرية

— إيه إيه كذا .. أنا .. إيتا .. قطعة يا أهل البندر وانتو لسانكو
ممسوج كده رى الخوازي .. رجالة ايه دول يا אחتي .. دول باين
عليهم ...

وقاطعها علواني :

— هس .. ايه اللي جابك دلوقتي يا حصرة ؟ طب تعالى بقي *

ثم قال مغارلاً :

— حاديني بطيخه يالني تبرغدي .. تعالى .. تعالى يالني تمحشي *

وحرت إليه خصرة فرحة وهي تقول :

— حانك يا شبح العرب أمه ..

وقمرت إلى حقله ، وهي تترافض وتهرئ لئيبها المترهبين ، وتمسح
بجبهها الخاف المقلد *

وبكن حصرة وقعت مكانها متباطئة ثم قالت مردهة :

— بس اوعي يا אחويا تمس فيه رى ما عيت في سهمك سم شعبي
إن حالي .. اوعي يدحك عني رى ما دحكك هينها ..

فقال علواني :

— مرده .. واهلها سهم دلوقتي ما يعرفولوا عليها بقت حاجة كبيرة في
مدر .. وانا كب دحكك عنيها باحصره ..

ثم سكت قليلاً قبل أن يقول

— وحياه السي كنت حاسرق لب كيله الدرلة لكن ما مكنشش .. تعالى
.. تعالى يا مقصورة الرقبة .. عيب الطليخ كده قدامك احتشاري على
مدحك ..

وسكت علواني قليلاً واحد يتحسني بقدمه انصافية الحجارة التي
معلي البندقية وأدار رأسه إلى حيث كان عبد الهادي يسير قائلاً

— والله من يوم شعبان ما متي والواحد ما عارف يسلك مامسورة
السلفية ..

والتفت خصرة إليه وزمت بصرها إلى حيث كان يسعى عبد الهادي
وغالت بزهو :

— يا سلام هيك يا عبد الهادي .. واحس يا لدنيا ..

فقال علواني بزهو :

— آيوه .. ذكر صحيح .. يضرب بلد لوحده ..

ثم شد يد خصرة وجلس وأمسها بجانبيه وهو يقول ضاحكاً :

— الأكادة انتي حلوة .. زى الحلاوة الطحينية يالني تنزغدي في
ذلك ..

وشد الحزام عليها ، فالتفت خصرة وهي تضره على صدره بكفها :

— مات الطليخة الاول ..

ولكرها علواني وهو يقول :

— لو كذا صحح لافني الغبط دا كنه بتاعتا *

وصحكت خصرة قائلة :

— ناريت .. آه ..

وشدت الحزام .. بينما كان عبد الهادي يدخل القرية راسح
الخطوات ، الثورة يعلو بها دمه ، وعصاه تحرك صمت الظلمات ،



عندما عاد عبد الهادي الى داره في تلك الليلة لم يعثر
في وصيفه بعد - بعد شغفه حديث ابرى - ورجل
الهندسة وما يصنعون وامر ان يحكموه .
واحد ينف اسناتري ويشغل سيجارة من سيجارة حتى
فرغت عبة الدخان .

كان يعكر في الساقية والترعة ودورة المياه اسي بعصت الى النصف
ويحول لتدير اُمر الدرة اصغيرة انفسه التي بدأت تظهر وتكسو
الارض بالحضرة الحلوة التي اسماها عبد الهادي دالما وتبرغ في طراوتها
من كل حلقا .. ابها اول ذرة خضراء تظهر في صخرة الشراقي ابواسمه
من حوض الحصر .

اتراها تدل وتوت لمحد ان الحكومة ارادت هذا ..

اترك عبد الهادي اذنيه المبكرة لتحكياب رجال الهندسة -
العلاج الشاطر ابدى لم تخب منه زرة من قبل ..

وصمم عبد الهادي على ان يحفظ على ورعه مهما كلفه الامر ..
لن يترك الدرة تنوب .. سيدبر اسبقية بعد عصر المد ليشرب زرهه
ويروي على مهل ..

وعندما اشرفت الشمس على القرية وبادت انسابهم ترحم الدروب في
طريقها الى انحفون كانت النساء الداهيات الى النهر يشدن عن كل ما
حري بين عبد الهادي ورجال الري .

واحد رجال القرية يتولون الحكيمة لمصصهم وهم يسوقون الحمير
والموالي ..

فلو اني قد ملا القرية بالثقة .. ورويتها حصرة ايضا دون ان تغور
لاحد لماذا كانت على الحصر في الليل ..

ومحمد ابو سويلم هو الآخر كى يحكى ما حدث له لكن من قاطله ..
اد فاجاه رجال الهندسة في حوض لترعة وامرهم ان يسد الترعة ،
وعندما انبرص هجوه بعقاب شديد ولحقوا بان المركز كله يعرف انه
حل مشايخ .. صد الحكومة ..

وسد محمد ابو سويلم الترعة بالعمل لتقصر النهر .. وترك نقبة
اربع الشراقي عطش في تحرق في الماء ..

ولكن محمد ابو سويلم عزم على ري الارض .

وحرج محمد بن سويلم داعين الى حوض الترعة قبل ان تسلب
شمس الفجر وتفتح البسك .

صنع منه رجال آخرون .

وحرج عسك الهادي الى الساقية عادارها .. ومضى يحرص في
حملة نقدامه العرية ويهوى على الارض بياسه ليصبح الطريق امام
الماء وبرك على الساقية ولدا صغيرا استأجره بقرش ليدور وراء البقرة
العملة ويدفعها بيده او بالداء كلما توقفت من الاعياء .

وظل عبد الهادي في حصه الى ما بعد العصر ومر رجال انري وراي
رجال الري ساقية عبد الهادي تدور فظلوا وكتبوا اسمه في ورقه
معهم كما كتبوا اسم محمد ابو سويلم من قبل .. وجري اولد الصير
الذي كان يحرص الساقية لايام مرتسا من انحف .. جرى الى اقربه
دون ان الحكومة كسرت كل السواني على الحصر .

وكان محمد ابو سويلم قد عد الى داره من الضحى وشاع في القرية
ان رجال الري كتبوا اسمه في ورقة .

والقرية تعرف بتجربتها ان الحكومة حين تكتب اسم رجل في
وردها .. فهو رجل لا سلامة له ابدا ..

ودهب رجال من القرية الى مم محمد ابو سويلم يسألونه ويحفون
به ..

وكانت انتنه وصيفة في وسط الدار تخلص اسم الرحي .. وتديرها
على حبات من الدرة وقامت وصيفة ورفعت الرحي على راسها ثم دحات
ها الى لقاعة وعادت تختلط بالناس .. وعاجت دار محمد ابو سويلم
ان يسألونه عما حدث له مع رجال الحكومة .

واردم وسط الدار بالنساء والفتيات وجلس الرجال على المصطبة
مارح الدار .

وامام المصطبة ثنى بعض الرجال ركبهم وجلسوا مستلدين في
الاهم ..

واقف الاولاد براحمون النساء والرجال .. ولبسون رؤوسهم
كالحا انظم حديث .. وكان بعض الرجال يهر الاولاد ويسعدهم لبعض
الاولاد .. ولكنهم يعوذون لتشمسوا كالتقطط ويصفون لما يقال بالهول
وال ..

وال احد الفتيات عمة محمد ابو سويلم من هؤلاء الرجال الذين
ا .. ا .. ا .. في ورقة .. احادوا يطالبونه مرة اخرى نان يرسل اسماء
ال .. ا .. ا .. ا .. اصواتهم في الانتخابات جديدة يعربها حرب الشعب .

ولم يناد محمد أبو سويلم بالرد عليه .. بل أسرع الشيخ يوسف
بذل العربة فغطب حاجبيه وصاح فيه :

— جاني ذاهية في راحة فمك .. احبا في ايه .. وانت في ايه
.. انت يا واد انت ابن مبي ٥٤

— ابن احب شعبان ..

— ولدت لحاله .. جاتكو شولة .. مرحتش معاه ليه مطرح ما
راج ٥٥ هي اليد دي مش حاتخلص في البلاوي .. اسمعي نهم
قوي في الحجاب .. باكتفي ساتين في طمعة البهار على سعر ورقه
الدفان .. اقول له بحسب كيزاب ذرة بقول لا ثلاثة .. طب باربعة ..
يقول لي بتلاثة .. نفى دي سد ؟؟ تقول هي بتوع الهندرة انهم بتوع
الانتخابات ؟ .. لا .. جايين يحدوا المال بدب اصراف .. هه
استبط ..

ولدخل محمد أبو سويلم وبدأ يشرح بصوت هادي عارفته الرهشة
التي سيطرت عليه عندما هاد من اشرة ..

وأحس شيخ الصحراء السابق بلون من الامتياز العائلي الذي مارسه
طويلا عندما اُخذ يؤكد للذين من حوله ان رجال هندسة أنرى يقبلون
من اجل الماء لا من اجل الانتخابات أو المال ..

على ان حكومة حزب الشعب التي أرسلت رجالا يصيبون العلاحين
على انتخاب رجالها .. هي نفسها التي تحرم أرض العلاحين من المياه
وترسل مستعظمين من اقارب العلاحين يبعثوا وامرأها على الوقاب ..
ولها من بعض التنازل أبو محمد أبو سويلم سيأمن البيلة في السجى
ما داموا قد كتبوا اسمه في اوراق الحكومة ..
واحتلظت شعبة الدس لبعض الوقت ..

كانوا يجلسون من اول الضحى .. منذ عاد محمد أبو سويلم من حوضي
الترعة ولم يبق منهم واحد الى بيته ليأكل .. ولم يأكل محمد أبو سويلم
نفسه .. وكان المغرب قد أوشك أن يهبط على القرية .. وهم ماروا
يتحدثون ويفكررون في طريقة ومحمد أبو سويلم يحق وهذا وسجد ..
وبسكت وهو دائما يهبط كما على كف ليتوكل في حيرة وغفط ..
— ياخذوا منا بعض دور اليه .. ياخذوا منا خمسة امام بزم ..

له .. ونزوي الأرض ازاي ؟ ..
وأقبل عبد الهادي متدقما قبل أن يهبط المغرب .. كان خافا تد
ترك مدامه وجلبابه عند الساقية وجاء بقميصه .. وقدماء مثقلان من
الحقل ..

وسلم عبد الهادي وقام له أحد القاعدن تجلس مكانه على المصطبة
امام الدار .. ونزال وسط الدار مع الناس ..

ومعهم انباء بسم عبد الباقى واربعه صوت حصره يمس
٥١ .. ما جرى بين عبد الهادي وزجال أنرى ..

فان حصره نرؤى وهي تنصنع وبعد لوجه الأمدى ..
ولم محمد أبو سويلم في عبد الهادي وهان :

— قل لي بقي يا عبد الهادي .. ايه الحبر وايه أسير .. ص
٥٢ .. ايه اني جابحدوها دي كلها حبيبوا بيه ايه .. حبيدعوها في
طهم لا اليه دي راسحه لمن قول بي ؟ يا بهار احس ياو لاد .. حدوا ص
٥٣ .. الحبر وسكتنا لهم .. وروا لك الشيخ حسونة في آخر الدنيا
و.. حباهم .. وحجروا على صن البلد وسكتنا بهم .. الله .. ويهروا
٥٤ .. الارسي من العنقش كمال .. هو احب حلاص كده شيئا هنيه .. هي
٥٥ .. لاس كده بنت كلها حريم .. يعيش رجله ؟

وسكت عبد الهادي وهضلات وحيد لهن في نور .. وعنه تومصان
الانز .. ودعت صدره انمازي المكسو بالشمع الكيف الاسود المتسرب
٥٦ .. وتردت الاعاس قوية في خياشيمه ..

وهس أحد الأولاد لجده :

— شوب شعرة الأسد التي في صدر عبد الهادي .. بيدك الشعرة
ان من الأسد ..

وأجاب زميله همسا :

٥٧ .. دا شراي خالصي .. بعض له بعض كدها يا بهار اسوح .. دا المعاريت
٥٨ .. ط عذامه .. دا بوع الله يا ابي يضرب الهندرة كلها .. يسوقهم
يا مصا ..

وسج الولد الأول بصوت مرفع :

— ياو لاد ..

وانسل أحد الرجال الجالس عصا صغيرة وهن بها على الأولاد
وهم يصرخ فيهم :

— روح يا واد عبد أمك .. روح انت وهوه ..

وارفع صوت الشيخ الشناوي طابا من الجالسين أن يصعلوا
٥٩ .. من النبي .. بينما كانت ههيفة في الدحل بفاتحتها المديدة .. ترفع
٦٠ .. راسها في تطلع .. وتختلس نظرات الى الوجوه الجالسين ..

لم تستطع أن ترى أحدا ..

٦١ .. ظهروهم جميعا الى إلحاف بدها الباب .. ولم يكن حد
٦٢ .. غير أولاد يتسللون الى الرجال بعد أن أمعدوا ..

وتردوت على الأقواء همسات الصلاة على النسي ..

وامسب الشيخ شباوى سحبه .. ورفع يديه باسبحه .. وفرها
من عيينه وطلب من موجودين ان يقرأوا عنده يس على من قصر مواعيد
انرى : ان يثتم انه يحنو چه اسى !

فانعج عبد الهادى يمارض الفكرة ويطلب من سيدنا ان يفكر فى
غير هذا .. او فليستك هو .. ويريد اصحاب الشئ يفكرون ..

فاحتن وجه الشيخ الشباوى وصاح فيه ،

.. به .. به .. انبا حاتجوس يا عبد الهادى .. ما عارفك صلالى
وماسر كهاش .. طب .. قوم بنا قوم .. قوم بنا الى المغرب قرب يوجت
.. قوم بنا الى الجامع .

فقال عبد الهادى :

.. صلاة المغرب قعدة يا سيدنا .. ما بحينا بس شوق تصريف
المصيبة اللى خطب عيسى دى .. وهى صلاة المغرب حاتروح فى ؟
لارم بعض نصيحتها حاض فى الجامع دبوكت .

وبهض الشيخ شباوى معصفا وهو يشتم

.. روح الله يلعبك .. يا اكعرك ..

ثم استدأر الى الرجال الجاسسين :

.. قوم فى يا واد انت وهو .. صلوا لكم ركعة .. ايدي ربنا يبارك
فى رزقكم ..

وقام بعض الفتيان الذين يعملون فى الحقول باخر .. وكسانوا
فى هذا الموسم من كل عام لا يحدون عملا مستطفا .. بعد انتهى حصاد
القمح ومازال القطن صغيرا فى الحقول .

وهمس أحدهم فى اذن زميله وهو يهض :

.. قوم يا خوية قوم .. اخيط لك ركعتين .. يمكن نلاقى شغلة
.. يمكن ربنا يطلع اعطى بفرى ويخرى فيه اندودة .. حينا نهض ..
ونهض كل العاديين الى الارض امام المصطبة .. وبعض النساء ين
على المصطبة ..

وصاح احد الرجال - وهو يصرف - فى النساء :

.. ياللا روحوا بقى يا تسوان ..

ونفى محمد ابو سويلم جالسا والى حواره الشيخ يوسف وعند
الهادى ومحمد افتنى الذى ظل طوال الوقت صامتا يفكر فى طريقه .

وتعرق النساء .. ولم يعد فى وسط الدار الا وصغره وامها ..

وامام الطلاخوة التى كانت تدل نيب محمد ابو سويلم حسنت

.. الى مسرات معين وبرقصن .



وشرد عبد الهادي قليلا ٥٥ بعد كانت وصيفة هي الأخرى نصي
وبرقص في هذا المكان بالذات ٥٥ ومن قبلها كان حبل آخر يصنع
نسي الشيء ٥٥ كانت أختها الكبيرة أنثى تزوجت في عاصمه الأسم
رسميات من بعد وصيفة حس جديد يسمى نسي الأعاني الحملة الحربة
٥٥ ويرقص يسمى الحركات السريعة ٥٥ ويدمع الدقات على طنب
معير مقلوب .

وحاول الشيخ يوسف أن نكاح ولكن صحة الصغيرات عبرت صوته
فرمق في البات :

— هو أنا سايب الدكان عشان اسمع فاشك ٥٥ عير ٥٥ فرى منك
لها ٥٥ هيه البلد دي يا حويه نقت بلد غوازي والا ٥٥ ؟

وتحرك الشيخ يوسف الى ناحية اهتمت لفامب فتدة صغيرة وحملت
الطشت وجرت ٥٥ وأسرع وراها الأخرىات ٥٥

وعدم عبد الهادي طالبا قلة ليشرب ٥٥
وفي وسط الدار رأى وصيفة فقال بها بصوب يرتفع ٥٥
— اسفيا ٥٥ هندكوش قلة ساقعة .
واخفض صوته وهو يقول مدعها ٥٥
فابت على حيكم عطشان سنايتوني

بالقة اشبوم ٥٥ وأنا الدلي شيكوتوني
وضحكت وصيفة في حذر ٥٥ فسألها هاسم ٥٥ لماذا صعدت الى
جسر البحر منل للة ٥٥ فاضطربت وصيفة وانكرت ٥٥

ولكنه عاد يسأل هاسم ٥٥ عن سر وحوذها على اسعر ربه محي .
رجال الزى لأول مرة .

فشهدت بازيجاح ٥٥ وقالت باعمال وأنى ان أنثى كانت هي الحمر
في تلك الليلة هي حضرة ٥٥

ثم ذهبت لتخبر القبة . وعبد بولته له قالت شحديه وم ٥٥
تأني :

— انت حانفعد تهمني في كلام فارغ ٥٥ اسمع يا عبد الهادي .
لما أقولك ٥٥ بى أنت لا أنت حوري ٥٥ ولا أنت أنوى ٥٥ منك ومالي
نقه ٥٥

وتضاق عبد الهادي من ارتقع صوتها ٥٥ وعاد الى الهسي :

— الله ٥٥ نس ٥٥ جد يسعك ٥٥ هو أنت ترصه معش تهمني
ما اللم تخشى في رقتك ٥٥ يسمى لو كده طلعت البحر بالنبل واحد من
سوع الهبرة أقرص لك — يسمى كده وبلاكله — مش برصه في وشها
كلها ٥٥

واهرب وصيفه وشعر بالدم لأنها اعطبت الفون لعبد الهادي
وفي اغريه يتحدثون في حشونه على الدوام ٥٥ وبصوب مرتفع
٥٥ حتى عندما يتحدثون منهم المواطن ٥٥ وهم يستمعون دائما كلمات
عامية فلم يتج لهم أبدا أن يعرفوا لبي الحياة الذي يسكب لبنا في
الطبع والمفاملة ٥٥ لم يتج بهم ان يكونوا راقا ٥٥ عذاب ٥٥

ورفعت وصيفه يدها نصرت به صدر عبد الهادي ٥٥ كعذار ٥٥
ولكن صوت محمد سويلم ارتفع من الخارج :

— ذهذي يا عبد الهادي ٥٥ أنت رجب زين ٥٥ ؟

فاجبه عبد الهادي باستنكار وحشوة :

— يسمى حاشيشي ٥٥ ؟ الله يايا محمد ٥٥ ؟

فقال ابو سويلم بصيق :

— ودا كله شرب ياخذع ٥٥ دأني كى يسمى غيط بعاة .

ورجع عبد الهادي الفلة من الأرض وأخرج منها بئر شففيه ثم هاد
بحس الى المصطبة ٥٥ وهو يصيح منه ٥٥ يبروم في رعا ٥٥ واستلمه
محمد أمدي بنظرة استنكار ٥٥ وهو رأسه وصرب الهواء بالمشمة
الحوص وقال :

— عطلتنا يا جذع ٥٥

وصاح عبد الهادي بضيق :

— عطلتكوا ٥٥ عطلتكوا ع ايه ٥٥ من قطر اسكه الحديد ؟ بلى من
ساعة انا مايجت وانت قاعد سالت ٥٥ أول ما تطبق تقول عطلتك ٥٥
معاكوا ع ايه بس ؟؟ هو يعيش تصرف عبد جد خيري ٥٥ مانشوس
انك تصرفه بيه يا محمد أمدي ٥٥ يابى معاك شهادة .

فقال محمد أمدي متحذرا بعدم اكتراث .

— هو انت أنى حانصرف لبأ أموريا ٥٥ هو انت عندك تصرف ٥٥
انك تصرف تصرف ؟؟ انت سيء التصرف .

فلمت عبد الهادي حوله وقال مصطفا الحنم :

— لا اله الا الله ٥٥ حري ايه يا محمد أمدي ٥٥

فوق محمد أمدي مصطربا ٥٥ وامسك المشية تحت ابطة ٥٥ ولوح
بأفلا قائلا :

— واد ؟؟ بتقولني يا واد ؟؟ لا ٥٥ انت ابني واد ٥٥ وواد ٥٥ وستمن
ولد آبان ٥٥ هه ٥٥

ووصح عبد الهادي بده على ركبته في عطف وبكبة وحف فحشا
ووقف الى محمد أمدي الذي كان يقف متاهلا مرتعدا في الحنق والمشمة

بحرص يجب انظره • ووقف بينهم الشيخ يوسف بجسده • وحرك
 محمد أبو سليم فيلا في محله وصاح
 - اعدت بي أنا وهو • احنا في ايه والوا في ايه • انه كلام
 كمال ده •
 ووقع الشيخ يوسف يده في صدر عبد الهادي ومحمد هادي
 وهو يقرب •
 - ايه • ايه • اصبروا بعض اصبروا • حاكم البلد فاحه قري
 • اصبروا بعض ولاش تتكلم •
 وصاح محمد أبو سليم يميني راسه صا •
 - حبسوا نفي • اعدت يا عبد الهادي • اعدت يا محمد هادي •
 وهدت •

واكمل الشيخ يوسف وهو يجلس محله اعدت
 - ياسيدي ما كل مولود ولد • است ويد عبد الهادي ولد •
 وايا ولد • وكل مولود ولد • ياسيدي حكت على ياسيدا اب وهو
 • يا احويا اعدت بقي •
 وجلس عبد الهادي • واشغل يده سيجارة بيما كان محمد هادي
 يقول وهو يهرق الدمعة
 - اي نعم • لكى هاتقوش يا ولد • محدش يقول لي يا ولد •
 واشعل هيد الهادي سيجارته • وتعل قلمة صغيرة في التبع وهو
 يقول بصوت هادي كاشما فيظه
 - طلب حكت على يا محمد الهادي • حكت على • ما تظوش في
 الكلام نفي •

وتنم محمد أبو سليم •
 - بس نفي يا عبد الهادي • لعقل رينة • ادي انت اديت
 وحلصنا • بس يا محمد هادي •
 وعاد الشيخ لشاوي من صلاة المغرب • ووراه بعض الرجال •
 واجدوا مكانه على مصطبة •
 وبدأت الأصوات تخبط وهم يبحثون عن طريقة • يدعوون بهما
 قصاه الحكومة لبارل بهم على غير ميعاد •
 واقتراح احد الرجال ان يذهبوا الى العمدة • فصاح الشيخ يوسف
 - دا وحى الجامع • هبط عليك الوحى بكده في الجامع • ايه
 - يا معات يا شيخ • عمدة انه نا راحل •؟ وحياة النبي دا ما بركب
 دسي كور دره • عمدة • عمدة قال • بعد اللي عملوا فيها ؟؟ نفي
 • له ؟؟

وماطه محمد أبو سليم قائلا :

- امينه •• ما في كى انصايب جايه من تحت راس البية •

وبدى كثير من الحلسين •• ودهشهم ان يحدث الشيخ يوسف
 ومحمد أبو سليم عن العمدة بهذا الأسلوب وهو الشيخ الشاوي رأسه
 مستمرا هذه الطهجة •• ولكنه لم يقترص صراحه •

وقال عبد الهادي يقطع الطهجة •

- احب متش الى بيكنا على عمدة •• عمدة ايه ؟؟

ولان عواوي قد اقبل يسأل عن الشيخ يوسف وقال على أذنه ••
 فصاح فيه الشيخ يوسف :

- الدكارة مغولة دلوقتي •• استنى بعد صلاة الفضا •• ساعينها
 اشوف راي وياك •• هو انت ها يتلحقني تلعب اشيا والسكى ••

وجلس عواوي على قدميه دون ان يمس جسده الأرض •• هي
 مواجة المصطبة وراحي يديه على ركبتيه الى جوار أقدام جلسوا عليه ••
 وقال متمتعا يستخط

- البفر مانا مافيشي الا لسان •• مافيش قسب ولا رحمة ولا
 حنيه ••؟ يميني مافيش رحمة ؟؟

وعاد محمد أبو سليم يؤكد للناس انه لن يستشير العمدة ولن
 يشركه مع رجال القرية •• هي أمر يهم القرية •• عهد العمدة يعرف
 ان الحكومة لامت يا بعض موعيد •• هي عشرة ايام •• خمسة ••
 ولكنه لم يقل احد في القرية •• رغم يطنى حادم الجامع طفيلة ••
 بيبة القرية •• كما تعود في مثل هذه الحالات •• ولم يخطر على
 الشيخ الشاوي •• ولكن هذا لكي نفاجا القرية - وهي تخالف أوامر
 الحكومة - فيحكم على رجال فيها بالمرمة •• رجال يمينهم هو ••
 واكمل الشيخ يوسف قائلا ان هذا العمدة هو الذي ساعد الحكومة
 في الانتعاشات بعد أن قاضتها الدنيا كلها •• وكان يكتب بضميمة
 الأسماء كما يريد •• وحده بعض الرجال وقال لهم بشقة ان دستور حكومة
 الشعب سيجلب معه البركات •• فاذا بالمستور الجديد يحرم القرية من
 ابيانة المسخرة •• ويحول أهمها يرهون الأرض من الفقر •• ويسمح
 بالحكومة بان تقصع يدها على أرض اغلاطين باسم الحبر من اجل انصايب
 امسخرة •• وأخيرا •• اذا بهذا الدستور يحرم القرية من ماء الري ••

ودخل عواوي متنفقا •• وصاح :

- يا سلام على كلامك اللي كده حكم يايا الشيخ يوسف ••

ونظب الشيخ يوسف محاولا أن يخفي اغتيابه ومهم •

- أم ••

وساد انصحت ..

وبعد قليل وصبح محمد أفندي المشه على حجره .. ورفع راحته
حالا انه وحده العكرة ،صانبة ..

وسبح قليلا وصمت على لأرض .. وهوت بصمحه الى حوار قدم
أحد المصلحين ثم أخرج مبدئيا أبيص حال لونه في الزهرة النضيفة ..
ومسح فمه .. وهو رأسه ..

واقترح محمد أفندي أن يكتب عريضة الى وزير الأشغال وقال ان
محمود ك يستطيع أن يحملها اليه فهو في معارفه .. وربما استطاع أن
يقابل بها رئيس الحكومة اسماعيل صدقي نفسه ..

واقترش محمد أبو سويلم على كتابة عريضة الى الحكومة .. وقال
ان الحرية صمتة ان الحكومة تعاف ولا تحشى ..

فحاول محمد أفندي أن يشرح فكرته من العريضة ولكن محمدا
أبو سويلم صاح مقاطعا :

— خلى الحكومة تقول يأجده .. خليفهم يقولوا .. متى نقصوا مواعيد
الرى .. حاصر .. خليفهم يقولوا يس .. واللى في القلب في التلب ..
خليفهم يتكلموا على كيفهم واحدا نروي على كيفنا ..

ورد محمد أفندي أنه لا مانع أن تروى القرية كما تشاء دون أن تحفل
بكلام الحكومة .. ولكن كتابة عريضة بهجة شديدة ملبد جدا لأنه يهز
الحكومة .. وربما عدلت ع رأيا الجديد في مواعيد الرى ..

واهترت الرؤوس لهذه العكرة .. وأبدى عبد الهادي طرية الشديد
.. وقال لمحمد أفندي متحمسا كأنه يسترضيه .. وقد فاضت نفسه
بالراحة والخصاس :

— قوم يا محمد أفندي اكتبها على طول .. قوم اكتبها وهاتها لنا
نصم وننصم عليها .. كده التشاريف ولا لا يأجده .. وحط فيها
كمتين من اللي يتقولونهم لبعض يا خوجات المدرسة .. قول فيها ..
لا سيما .. وعدنا .. وقبلنا .. هه .. وحط فيها حاجات من اللي
فرينها لنا مرة في جريدة الجهاد ..

ولكن عثواني وقف معترضا :

— طب وعم الشيخ يوسف ماله ؟ ماهو عارف الكلام انى يصحك ده
يا عبد الهادي وعارف أكثر منه كمان .. ما يكتبها .. اكتبها انت يا عم
الشيخ .. وثلم لك من دابر الناحية قيمة ريال ولا ثلاث براير .. اتمنأ
كتابة العريضة ..

واقترش عبد الهادي قائلا لعملاي صاحكا .. وقد فهم نوع الرشوة
نسى يريد فعديها بالشيخ يوسف :

— يا شيخ العرب .. يا جدرع .. اصنع ملدرة ، وحده لك قرفة ..
الشيخ يوسف مستعص .. يسى حلى عه انت .. أخو محمد أفندي
حايكتها حنمه للينه ..

ولكى محمد أبو سويلم قال بهمه ..

— والشيخ الضباوى هايكتهاش بيه ..؟ يحط لنا فيها آيتي
مستبرك بيههم .. يمكن يجيبوا دارع الحكومة ..
فاعترض عبد الهادي مازحا بيث :

— يه .. سيدنا دا بقى يحط لنا فيها البار والحساب والعماب ..
معد الحكومة وتوحش الميه كمان وكمان .. وبمول طب حطني الملايكة
بتوع سيدنا تترل لهم اميه من النساء ..

فاضطرب الشيخ الضباوى واهتر كرشه وصعداه .. ورفع عصاه
امنيطة القصية .. واهال على عبد الهادي يشتمه ويتهدده بسداد
اليم ..

وكان عبد الهادي وكل شباب القرية .. قد تعودوا أن يتموا على
رؤوسهم باسمي كل شقائق الشيخ ووعيده في بعض الأحيان ..

ووقف الشيخ الضباوى ومحمد أبو سويلم يجديبه .. وعبد الهادي
يصضح حلسة .. واستتم الشيخ يقول .

— ونشدك كمان .. يا ضلاني .. يا قبيلى امدين .. يا منجوس
.. بتتمسحر على الملايكة .. بقى لا يتصلى .. ولا حتى كلم لسانك عن
الملكوت الأعلى .. دا انت حتى بظلم الجمعة .. دانا بقالى ثلاث جميع
ماشعكش في الضلالة ..

فقال عبد الهادي وهو مايزال يصحك :

— ندرن على ياسيدنا والبر أمانة ان العريضة دي صممت ورجعوا
لنا المية ناي رى ما كانت لاعمل مولد لاهل الله يا شيخ .. مسوط بقى
.. والله لاقلب بك فيه جدى .. متى نتحب لحمة السلوب .. حتى أهل
الله ياكلوا وينسعلوا .. وانت كمان فاكل وتبسل ..

وهذا الشيخ قليلا وبذات الابتسامة تستدل أن وجهه المليء بالاشيب
.. فعال وهو يقفه :

— الله يحازيك ياشيخ .. طب اقلب لنا خروف ..

— خروالب .. هه .. زى بعضه .. يسى يرجعوا لنا اليه رى
ما كانت ..

— طلب العريضة على كنهه يا عبد الهادي قدام الرجالة ..
وقرأ عبد الهادي العريضة بين راحتيه .. وعنده انتهى منها مسح
وجهه براحتيه تماماً كما فعل سيدنا .. والآخرون ..

قال محمد أمدي بهلوه
— خلاص يني حاكك أب العريضة .. حاككها مفعلة .. نجح
بين الرجاء الهادي ولاستكر المسارح .. حاككها بأسلوب
المطلوي ..

وبعث الناس وهم يسبحونه .. كلهم حتى عبد الهادي .. وبهنا
في هذا المطلوي ، وهذا الأسلوب في يكون ١٩٠ وماذا يكون ..
ومحمد أمدي رجع هادي الصوت .. قصير .. سجل .. رقيق
الجسم .. طويل الرقبة .. يحن دمه بالظام ، ونصف شارب بهريه
لا يعطيه أحد غيره في القرية ..

وهو يقرأ اصحاح أحياناً .. ويقرأ لرجال القرية بعض المقالات التي
محببه بصوته الهادي العتيق ..
نه جالب بعينه على اندام ، محطط ، واضح خطوط .. وشبيه
الأصفر دمع اللون .. ولطافية المربعة البيضاء على رأسه تميل عرسيت
شعره الطويل المنسج هو اشهر الطويل الوحيد المسبق بين رجال
القرية ..

وكان محمد أمدي يملأ وجهه بالعطر .. ويهتم باختيار اروع
بذات في عاصمة الاقليم .. ويضع في جيبه زجاجة صغيرة محكمة
الاعلاق تاذة الرائحة ..

واحد محمد أمدي يشتمل وقع انكسار التي قالها في الوجوه المحلفة
المتجعبة ..
تم تسال ان كان يبدأ الآن بكتابة العريضة .. فوافق الجميع ..
وقام محمد أمدي الى بيته ليحضّر الورق ..
وقال عبد الهادي :

— قوم يني يا شيخ يوسف هات لنا الريشة والدواة ..
وعندما عاد محمد أمدي ولشيخ يوسف يادوات الكتابة .. كان
محمد أبو سويلم قد انتقل الى داخل الدار .. وأمسك بفسحة المبيسة
رقم عشرة .. انتهى لا يوقدها الا في المناسبات الكبرى ..

وقب محمد أبو سويلم بالمبيسة على رأس محمد أمدي الذي كان
جلس وحده على دكة خشبية فرشت بحضير مرزكش .. وبقية الرجال
هموم امامه .. وهو يقرأ كل كلمة بكتها .. وقد أسسها الورقة في
رأسه وحجرة يد أحد الرجال الواقفين امامه ..

وعندما انتهت العريضة قرأها محمد أمدي كنهه بعد ليله
وبوت مرهوا وهو يخطي بعض البعثات .. ونظر طويلا في وجوه
سامعية .. وشرح انكسار الذي عترض عليها بعض الرجال ابوابهم ..

وبعد طلب الشيخ الشبوي من اساس الدين لا يفهمون ان يسكنوا
.. وسكنوا حتى انتهى محمد أمدي في فورة العريضة كنهه ..
ثم لم أصبح بسوي وخرج من الدار .. واحد حقة من راب
الراس .. ووضعه على العريضة .. ابي مددها محمد أمدي على
ركبته بخص ..

وعندما نشعب اعداد بالراب .. وجف .. قال محمد أمدي ..
— خلاص يا زجاجة ..
وقال محمد أبو سويلم بغير
— خلاص العريضة يا جده ..

وأمسك محمد أمدي بهما .. وبدأ الشيخ يوسف يوقع في بعض
واحترام ، واستعاد الشيخ بشاري في الشبيبة ، ودعا بالبركة ..
وقال على ركبته محمد أمدي ووقع على العريضة وهو يكرر الدعاء ..

وأخرج لشيخ يوسف من جيبه عينة بها حبر جاف وفتحها بعناية ..
وطالب من الموجودين ان يحضروا الختام وأصابعهم .. وأخذ هو نفسه
يمسك كل أصبح او حبر ويضعه على العريضة في صرمة .. وسط
الصحيح الصالح ..

وعندما انتهى الناس من توقيع العريضة بعينها طلب الشيخ
الشبوي منهم ان يقرأوا العريضة للبركة قراوها ..
وأمسك محمد أمدي العريضة وطواها في عتبة .. ثم غفها بورقة
اخرى .. وهم بالانصراف وهو يقول انه سيدهب بها الى محمود بن في
الصباح الباكر .. ولكن يجب أولا ان يحدث الصدة قريب دهب معه ..

وعترض محمد أبو سويلم طويلا وناقشه الشيخ الشبوي وبعض
الرجال واحتلقت أصواتهم وصمم محمد أمدي على أن يذهب الى الصدة
بالعريضة ويعرضها عليه .. وأخيرا سكنت محمد أبو سويلم مدعا ..
وبحرر محمد أمدي الى الباب بالعريضة .. وكانت حصرة تلف مع
وصيفة وساء قليلات فرغدت حصرة وبدأت تضي :

مقي يمسكها
وسيوها دهب
واحيا السبوعة
وحيا السبوعة

وصاح محمد أبو سويلم فيها بدها فسكنت .. وسط معاول
الرجل بنجاح العريضة ..

ومضى محمد أمدى إلى باب أمدار وهو يقول بصوت مرفع انه الآن
داهب إلى العمدة وعدا من العصر .. سيكون عند محمود بك ..

فكان محمد أبو سويلم :

— بس إياك العبد ما يملش فيها منسوب ..

وسكت قليلا ثم أكم

— حاكم هو أبو الملاعب ..

فقال الشيخ يوسف :

— منسوب !؟ هاينكشي .. هاينكشي أبدا .. ودي تبني بلد ايه دي
بقي ..

وبدا الرجال يخرجون وراء محمد أمدى ..

ولاحظت حصرة أن وصيفة تابت محمد أمدى بظفرة أصحاب ..
وهستت في أدنها بكلمات .. أضربت في وجهها المار ..

وحرج عبد الهادي فاضطربت وصيفة .. وأمرى عليها التحية في
ظفرة سريعة مبيتة ..

وارداد اضطرابها ..

وعادت حصرة تهس في أدنها ..

ففاض نون وصيفة وابتمست ..

كانت هذه هي أول مرة تشعر فيها وصيفة بشيء مجهول يزحف إلى
عقبها ، ويكاد يعضه ..

وهستت لها حصرة وهي تتحسس قلبها متعذبة :

— عبد الهادي ! ..

فتهدب وصيفة وسكتت ، فقالت حصرة :

— يبقى سي محمد ، يبقى محمد أمدى .. عبد الهادي وللا محمد
أمدى .. متى تقوى ؟ ..

فانتبهت وصيفة على نفسها فجأة .. وضرم وجهها .. وبهرت
حصرة مدب .. وارتعش بدنها ورأسها في حيرة وملاحقت أعماقها
وكادت تصعقها الدموع ..



من أسبوع كامل على كتابة العريضة ، والقرية تنظر
.. وبعد صلاة الجمعة ، رجع الشيخ الشناوي من على
أرض المسجد كتابه المتيق الأصغر الذي يقرأ منه كل
حمة خطية ، ودسه في جيبه .. ووقف في مكانه من
المسجد عند القبلة وطرب من الناس أن ينتظروا ..

وسار في خطوات بطيئة .. وهو يسمح كرشه الصند ولحيتيه
الشيء تهتز على وقع تمتمات التسييح .. حتى بلغ الدكة التي يجلس
عليها مقرئ الجمعة في قلب المسجد ..

ووقف الشيخ الشناوي على دكته بقامته المديدة وجلبابه المظيف التي
لا يلبسها إلا كل جمعة ، وأمامه على الحصير المرق المتأكل جلس الفلاحون:
بعضهم يحدق القدم بالأظفار والآخر يمدون الرؤوس متطلعين ..

وقال الشيخ الشناوي إن الله يرسل من السماء ماء فيحيي به الأرض
بعد موتها ..

وسكت الفلاحون ..

إنهم منذ أيام ينتظرون هذا الماء بانتعدي .. ولم يحدث بعد شيء
على الإطلاق طمعي: الأرض المسكبة من العيش: لا أمر من الحكومة ، ولا
مجرة من السماء ..

واسفح الشيخ الشناوي يلوح بيديه ويتحدث عن حكمة الله وعن
عنته التي أنزلها على القرية لأنها تصعب فلا تصني .. كما أنزل عنة
على عاد وثمود ..

وفي كل مقطع قبل أن يستريح كان يذكر الملاحين بأن الله قادر على
أن يرسل من السماء ماء فيحيي به الأرض ..

ونحرك أحد الملاحين في صخر وسبائل آخر في همس .. ماذا
صبيهم الآن من عاد وثمود .. أن كل ما يصي القرية هو الماء وما تصعبه
حكومة حرب الشعب بالأرض ..

وسلم رجل في آخر الحامع ووقف قائلا :

— ده كلام ايه ده ياسيدنا ؟ يبقى يصي هو ربنا حاسرل الظفرة في

الضئيف غلغان خاطرك ؟! وهو ريبا يمسى كان هوہ الذي حاشى اليه ؟
هوہ خلاص مغيث حد صنداب غير بددا *

وهج سيدا ومد يده في الفراغ .. كانه يبحث عن عصاه .. ولم يكن معه عصاه بالطبع ، فامر الجالسين بان يخرجوا هذا الولد اسكافو لدى ركبته اينيس فوجوده في الجامع بجاسة ولم يحرك احد من الملاحين .. وقام الملاح الشاب وحده وهو يكتم ضحكة قائلا :

.. ياسيدي يركبة يا جامع .. اما كان حايوبسى يه من الوعد ده عى قطع انرق ؟ طب ذا انا مساحر من الجبهه قبعه ما هب الركتين وارجع على طول ..

وامرغ خارج الجامع وركض الى عربة محمود بك .
اما الشيوخ الشساوى فقد اشتد صمعه وصاح
- ياك تقهف بالمربة في جهنم ويثنى المصير .

ثم تقايست من فمه آيات العذاب والذمار واحاويت لا بهاية بها تصعب انجعيم وحكايات عن فرعون وموسى ، كان يروى الاحاديث بلسة اهل القرية ولا يمسى ابدا بان يقول الكلمات المصعبة التي اوردتها كتب الاحاديث . وكان مولدا بخصه موسى ومرعون وعاد ونمود يرويها كما لو انها كانت قبل وقعت في القرية تمام نفس اللغة ومضى الاشرار ، وتمثل عبد الهادي وهو يسمع .

واسمحب في هدوء فارداد غضب الشيخ وم يقل شيئا .. لم يكن عبد الهادي حالى البسال ولم يكن لديه وقت للصلاة اكثر مما راح في المسجد *

وعندما التقي بالشيخ الشساوى بعد صلاة العشاء على مصطبة محمد ابو سويلم كما تعود عاتبه سيدا لانه ترك الجامع قبل ان ينتهى الوعد . ولم يحبه عبد الهادي ولم يحاول استرضائه *

وعاد سيدا على المصطبة يكرر ما قاله في الجامع وما قاله على نفس المصطبة عند ايام :

- ان اللعة تحل على القرية لانها لا تصلى وتصى اوامر الله .

على ان عبد الهادي لم يحاول ان يناقشه .

لقد تعود ان يسمع نفس الحكايات والاحداث في كل ليلة وهو سامت ..

وعبد الهادي مشغول بمسأله الماء حقا .. ولكنه قد بدأ يشغل بشيء آخر .. لاحظ ان حصره الى تميش في القرية بلا ارض ولا امل لا سمحه والتي تستطيع ان تقول اى كلام وتصبح اى شيء .. حصرة

هذه المصائب قد بدأت تنود على منزل محمد ابو سويلم اكر مما يمسى ونهس في اذن وصبيه وطلق صمكات يسمعها الرجال الجالسون على المصطبة ..

وعبد الهادي يعرف ان محمد امضى يستعمل حصرة آجينا لتدبر به بقاء مع بعض الغنيات والنساء الخبيات *

وقد لاحظ عبد الهادي ايضا ان وصيفة يحرص على ان يحل الموهو سمسها الى الرجال حين يكون محمد امضى حاسبا معهم اما عندما لا يكون محمد امضى موجودا فهي ترسل حصره بصينية الموهو .. او تهرى على المصيبة بمجان فيقوم ابوها ويعود بالموهو ، ومع ذلك فبعد الهادي ليس فارغ القلب تماما برامد هذه الاشياء ويندع ما يمكن ان يقع بين وصيفة وحصرة ومحمد امضى .. ان مسألة انه انى قطعت الحكومة عن القرية تطارد فكره بالهار وبالبيل *

وكان عبد الهادي يسمع ما يفوه بالشيخ الشساوى ويصعب من الحق انه لم يحاول عى الاطلاع ان يناقشه ولكنه كى يعسكر دائما في كل ما يقوله سيدا *

ان الشيخ الشساوى هذا يتحدث بلا الحفظ عن اللعة التي حلت بالقرية لان اهلها لا يصلون ، والشيخ الشساوى احيانا يتحدث في الجلال عن امر الله الذي قضى بان يحرم القرية من الماء حيلة امام ليعمه به الناسا قريب محمود ، ثم جراه وادى لانه يؤذى الركبة والسرية بسح اركاة ..

ولكن اساسا لا يصلى تماما كاقرية .. ولش كان يخرج اركاة فبا ذلك الا لانه يملك الكثير ، اما القرية فكم من الرجال فيها يملك ما يدفعه لركاة ؟ انها ليست كدبرى البعيدة بسى سمع عنها عبد الهادي .. هذه القرى التي لا يملك اهلها من ارضها شيئا وما يشغلون اشرارا بحساب مالان لارض .. انى يملك احيانا ارضه عند قرى *

ومع ذلك فان اهل قرى عبد الهادي لا يمكنون ما يدفعونه لركاة .. وهى تلك القرى البعيدة التى سمع عنها لا يدفع صاحب الارض ركة ولا يؤدى صلاة .. ومع ذلك فانه يجري في ارضه ولحسوب تتكسب في محاربة وعصب الله لا يعرف طريقه اليه .. وهذا لرحل يسرق من الاعار وسرب الخمر في بهار رمضان .. وينصب القضاة ابنى معجده وينصب بعد كل هذا صند عن عصب الله .. ولا يحجر الحكومة على ارضه .. مدق عليه الماء ..

ظل عبد الهادي يفكر في كل هذا .. وعجب لهذا امضى

الشيخ الشساوى *

وبعد خمس عبد الهادي لمسه ذات ليلة قبل اليوم بأن الشيخ
 الشاوي ، وكان يملك أرضاً في القرية لما قال هذا الكلام ..
 لو أن لشيخ أرضاً يحتفل عرقه بترابها .. ولو أنه رآها تنشق
 من الجحش تحت عييه بعد أن شفى فيها .. وراى أدركه الصغيرة العسة
 نذوي كافضل يموتون .. لو عرف الشيخ الشاوي كل هذا .. لست ..
 لو كن سيدنا يمشي قراماً واحداً على الأرض .. ولو أنه عمل فيه
 الناس ، واحشي عليه وحمر له السموات .. لما اعتقد أن أمر الله هو الذي
 حرم الثرية من الماء ليعلم به الباشا وليرى أحاديث أخرى .. ولأن أن
 الحكومة - لا الله - هي التي تحرم أرض الملاحي من الماء وتميت أهوا
 أسرة العسة .. ولأنك أن الحكومة وحدها - لا الله - هي التي تصنع
 الناس ..

إن سيدنا هو الآخر كخضرة . لديه شيء يبعه لمدني يذكون المال
 والجاه والكلمة .. ولا يبعه إلا أن يبيع الشيء الذي يملكه .. ولتلك
 بعد هذا أرض القرية ..
 إن الذي يذكون أرضاً في القرية يضعون أيديهم في النار .. أما
 سيدنا فهو كخضرة يده في الماء .. ولهاذ فهو يقول كما يشاء ولو كان
 به الأرض لالتقى ؟

وهكذا كان عبد الهادي يفكر فبدأ بقوله الشيخ الشاوي والحث
 عليه أفكاره هذه عن الشيخ - وبوما بعد يوم - لم يعد يحتفل أن يسمع
 من الشيخ حديثاً عن الجنة والنار والصلاة واللغة والمقاب والركاة
 وإزنا وأخراب والحزاء والوفاء ..

كان كلما استعاد وحده كلام سيدنا تفاهت أمامه صور فاحشة من
 الأرض الملينة من العطش ولأدرة التي اصفرت ، ويرحف على صدره
 كابوس ثقيل .. وتعالى الأفكار الخسة وأسه وترهق منه الأعصاب ..

ومع ذلك بعد ظل عبد الهادي يجلس مع الشيخ الشاوي بعد كل
 عشاء على مصطبة محمد أبو سويلم ومهما محمد أبدي ، وكان عبد الهادي
 يحسن البطرات إلى وصيفة جيسا تقدم لهم القهوة .. بطرات فحشا
 لعين والحث عن الطماسة ، والحمد الواسع بأن يرزق أرضه في أمان
 وبذلك روحه وأولاداً ..

ودات ليلة قدمت وصيفة صبيحة الهوة إلى أبيها ليورع القهوة على
 الرجال فامر محمد أبدي في حقه رشعة وتناول منها الصبيبة وعطره
 مع أمام المصطبة ..

وانسم عبد الهادي .. وسأل محمد أبدي في صوت مرتفع واضح
 الصديق عن مصير العرصة ، وعيناه تلعبان في مكر ..

وسكت محمد أبدي قليلاً فس أن يقول أنه سمع من والده
 محبوب بك أن عندما قرأها وأبهم لها بقلة الهديب وعده البية أن يكتب
 حصة عرصة أخرى .. فطامه عبد الهادي بصوت أكثر ارتفاعاً
 - ما أصاب عارفي ده كله .. أنا بأسال عن امريله التي حيكسب
 محمود بك .. ما أصاب عارفي حكاية المريضة الأولى يسمى محمد ..
 وعارفي أن محمود بك قال أراي الملاحي يقولوا كلام ري ده ع الحكومة
 .. وهال كمان مين ابن الحمار التي كتب المريضة ؟ .. عارفي يا أحويا
 عارفين .. ورأسين قري على الدور كله ..

واعتق وجه محمد أبدي واحتجج ..
 كان صوت عبد الهادي يصل إلى داخل دار محمد أبو سويلم حين
 عادت وصيفة لجنس يثرون على قلب الطوب إلى جوار حجرة
 ونصفي إلى حسانها المتلاحقة العاشية ..
 وأحس عبد الهادي يصحج محمد أبدي فامتلاً بشوة فاحشة وهو
 يراه مرتبكا أمامه ..

محمد الهادي قد عطن أن أن محمد أبدي ربما كان قد أرسل حمره
 إلى وصيفة لتقودها إليه .. وفصل عبد الهادي أن لا يتكلم وظل برأب
 وصيفة وكل شيء من بعيد ..

لم يتج عبد الهادي لوصيفة أن تخرج من دارها في الليل .. وقد
 تعود أن يظل جالساً على المصطبة بعد أن يصرف الشيخ الشاوي وحتى
 بعد أن يصرف محمد أبدي إلى أن يفتق محمد أبو سويلم باب داره عامه
 هو وابنته وزوجته ..

وشعر عبد الهادي أن محمد أبدي يوشك أن يترايب من الجحش
 ، الصديق لفهم مزيجاً في ضعكة باردة ..

- معنى لسه مافرقش أن محمود بك قال طيب ابن الحمار .. والا
 مافرقش .. ده الصدة حكى الدنيا كلها .. وألت محكي لك كس
 .. إلا أنه .. يامحمد أبدي ده أنا فاهنت قري .. فاهنت قري يا حمره
 وفاهم الدور .. أنا فاهم الدور .. فاهم قري وحياة البس .. قري قري
 .. حاكم المسألة طيبته ..

واكمل عبد الهادي لنفسه هامساً :
 - دول ماكابوش أرضه جسه .. يقتصم كل شهر .. ونذوس منهم
 دار الدنيا .. أني أحمار ده كمان ..

وقبل أن يحيط محمد أبدي .. وقبل أن يسمي عبد الهادي من
 همسه لنفسه قدح الشاوي في الحديث ..

٠٠ يحسرتي ياوصيفة دي تنقي فتنة وانعثة حرام ٠٠ دي العنة أشد من القفل ٠٠

وطمايت وصيفة اني ما قاله حصرة ٠٠

وكانت حصرة تطلي نفسها حقاً لفتيان القرية بأى شئ يقدمونه حتى بخيارة طرية في يوم حار ، وكانت تقوم بخدمات كثيرة لمحمد أمسيدي ولعبد الهادي مع أحيويات ٠٠ ولكنها مع ذك كانت تعرف أن الفتنة أشد من انهن وبحرصن اني آخر حسد على أسرار الفتيات والنساء اللواتي تتوسط عندهن لمحمد أمسيدي أو لغيره من شباب القرية ٠٠

و في الحق أن عبد الهادي هو الذي غفل وحده الى شئ ما بين وصيفه ومحمد أمسيدي ٠٠ ربما لأنه أحسن تصرف وصيفه ٠٠ واحتسابها للمجاهد ومحمد أمسيدي ٠٠ هذا الإهتمام الذي كان يتحده مظهره دائماً في صانته بالقوة وخروجها بالصنيعة الى الرجال حين يكون معهم محمد أمسيدي ٠٠ واستطاع هيب الهادي أن يحمي كل ما حدث ٠٠

أدرك أن خضرة همت بإسارتها للنساء والرجال إن وصيفة معجبة بمحمد أمسيدي ٠ ويمكن أن يكون محمد أمسيدي حديثها هي وصيفة فكلمت هي وصيفة عنه لفتها وصيفة عن الخوض في حديث كهذا ٠٠ فسالت عليها خضرة وقالت لها كلمات مفصولة صريحة عن علاقات الرجال والنساء وسمعت في يسر كل الرغبة التي تمايلها وصيفة والاضطراب الذي تخلفه وراء ستار ثقيل من الحياء والخوف والحرع ٠ ربما حدث هذا فتعلمت وصيفة وخزنها بالمباغلة واضطربت وهي تجد روحها عارية تماماً أمام خضرة فطردت خضرة من دارها ٠٠ غير أن محمد أمسيدي كان قد وعده خضرة بخسبة قروش لو أنها لم تحب في تدبير خونة بيته وبين وصيفة وأعطاهما بأمن قرشين كمقدم أتعاب ٠ وعدت خضرة تتحالت على وصيفة ٠٠ وما زالت بها تحدثها وتقلب دماغها حتى تعترف لها وصيفة بأنها تريد محمد أمسيدي وتكني في الحلال ٠٠ وفي الحلال وعده ٠٠ حال عاز محمد أمسيدي الزواج منها فهي تحب أن تلقاه في خلوة ٠٠ ولكنها تخاف من عبد الهادي ومن أبيها ٠٠ وقالت حصرة كل هذا لحسد أمسيدي فسدا بشعر يفسق من عبد الهادي ونظره في طريقة مأمورة للقاء وصيفة دون أن تتورط في خطبتها من أنها ٠

كان عبد الهادي قد أدرك هذا كله من معرفته الخاصة لطريقة حصرة مع نساء أحرار من هو ٠٠ ومن مراقبته الجاثمة لمحمد أمسيدي وخضرة وصيفة ٠

وأدرك عبد الهادي مع كل هذا حق محمد أمسيدي به وحرجه كلما

يكلم إليه ولم يكن عبد الهادي على أية حال يعنى عن محمد أمسيدي بشئ انشاع ٠

غير أنه في تلك الأيام كانت ابقرية لا تستطيع أن تعكر طويلا في شئ عبر الله الذي منعته الحكومة ٠

وفي تلك الأيام بالذات كان أهل القرية جميعا قد عرفوا أن ميساء الأيام الحسنة أحدث منهم لتعطي لأرض الباشا القريبة من المركز عاصمة الإقليم ٠

ومع ذلك فقد كان العلاحون يحاولون أن يرووا أرضهم من البحر والصغير أو التربة الكبيرة بطريقة ما في ساعات الظهر التي لا يسر حلالها رجال ترى متعصبين أثناء هذه المحاولات لأهاليات شيخ البلد الذي أقسم لهم أنه بصفته ٠ نائب الحكومة ٠ سيوقعهم كفهم في عصبية ويكتب أسماهم في ورقة ويرسلها مباشرة لتلغرافية الى المركز ليحسبهم الحكام هناك ٠

وعلى الرغم من هذه التهديدات فقد كان العلاحون يذهبون بحسبون سحرين نائب الحكومة ويسأونته لماذا تأخذ الحكومة منهم ماء النيل لعطيه لباشا الذي يملك ماكينات تحلب الماء من بطن الأرض ٠

وفي تساؤل العلاحين من سر تصرف الحكومة معهم لم يصدقوا أبدا ما كان يقوله الشيخ السناري من العنة والجفاء الوهاك ٠٠

أهم يعرفون بتعاديهم وحدها أن الحكومات التي تعمل تعتمد في الانشادات على رجال المركز وأصوات المولى والعالمين وتقصص ععدة سر قرية وشيخ جعرا من أخرى وتقتل مدرسا من هنا وباطرا من هناك ٠٠ هذه الحكومات نفسها هي التي تصح الباشا دائما كل ما يريد ٠٠ ولقد أوشكت إحدى هذه الحكومات منذ أعوام فتلألأ أن تستزع الأرض من أيدي العلاحين في عشرين قرية لتشيء طريفا يمر بعزوة الباشا الغريب من المركز ويصل بين المركز وطريق القاهرة رغم أن الحصر هو الطريق الطبيعي القديم الذي تأتي منه هريات الحكام في أيام الانتحانات وحيما تقع الحرائم ولو أنهم أصلحوه لما نزعوا سبها واحدا من علاج ٠٠

العلاجوب يعرفون هذا كله ٠٠ ويعرفون أن الباشا قد سى لنفسه قصرا كبيرا على حدود أرضه على الطريق الذي كان يريد شقة ٠٠ ولكن تلك الحكومة سمعت فلم يفكر أحد في شئ هذا الطريق سره أخرى وعاد التفكير المدمر في إصلاح طريق الحصر وأنشأوا ولم يكمل بناء قصره ٠٠ ولم تعد له كلمة في القاهرة ٠٠ وأدرك قومه محمود ذلك هو الآخر ولم تعد له كلمة عند الحكام في المركز عاصمة الأقاليم

ويعرف الملاحون مع كل هذا أن الحكومة التي لم يكن لها نصيب
كلام مائة .. قد أجرت الانتخابات معتمدة عليهم هو الأجساد لا على
أصوات الموتى ورجال المركز .. ولكنها ذهبت لأن الإختيار أرادوا أن
يذهب .

الملاحون يعرفون هذا ويعرفون أن الحكومة الجديدة قد جاءت
مقسمة حرب أشنع وبدأ الصده بعد كثرة الانتخابات ويكتب أسماء
الأموات والمجنون في القرية ويحصد الرجال بالقوة وعلى الرغم من أن
القرية خاضت الانتخابات فقد أصبح لها نائب هو .. باشا .. وأصبح
من رجالها أعضاء في لجنة الثلاثين التي كانت تحارب السائب ورغم
البند كلها قاطعت الانتخابات ولم يذهبوا إلا لحرب الحكومة والمتعصبين
يه ، بالحكومة تقول أنها تمثل مصر وأن حزب يمثل الشعب .. والملاحون
يعرفون أن الشيخ يوسف كان من بين الأعضاء الثلاثين ومع هذا فقد
كان يسخط على الحكومة في المنار وأسير ويسخط في سره على أبيه
محمود وعلى الحكومة والنائب وحزب الشعب .. ولقد بدم على
اشترائه في الانتخابات وظل شهيرا طويلا يشعر بالخجل وعاد يقف مع
أقربه .. وعندما أمتح من دفع المال .. كما أمتح أهل مصرية ،
وحجرت الحكومة على بعض ما يظن .. أعلن سخطه وتعود أن يجلس
في دكانه ويشتم حزب الشعب والعمدة وأبائنا السائب والحكومة
جميعا .. وأحد يمدد المقالع والشامات التي ترتكبها الحكومة ..

وكان ملاحون يدركون أنه في غدار كل هذا فصل محمد أبو موسى
- الرجل النجم - من مسيحه انفراد .. وعلى الشيخ حسونه جان
محمد أيمدي وأصبح مدرسا في آخر الدنيا .. بعد أن كان السائر
المعترم في المدرسة الأولية بالقرية الحدود .. بينما أوقع حسوب
العمدة من جديد وعاد محمود بيه يزق ويخبط في أساس من يمين
وشمال ويصرب الملاحين بالكذب والرجس ويرسل من لا يروقه من أهل
أخرى المحاورة إلى المركز ليدوق العذاب ..

وما زالوا يدركون أن رجالا من قرى أخرى مروا عليه في هرسه
أصميرة وهم يركوب الحمير قاصين « دستور » ذون أن يربوا فلم يزل
لواحد منهم « دستورك مصف » كما هي العدة وإنما أرسلهم إلى المركز
وأقدم كل واحد منهم أماما في أنحس حيث شرب دول الدل إلى حد أن
حلوا له نصف شاربته وظل مصرب ومصرب .. ثم براح عند دار
مصرب .. حتى قال لهم كما صباوا منه أنه أمره ..

كان ملاحون يعرفون هذا .. ويعرفون أيضا أن الباشا قد شمر
يضم بناء قصره الكثير وبدأوا يوقعون سيد انضم هذا الباشا لحزب



جون جاك

الشعب ان يشق الطرق الزراعي الذي يريده وان يسرع لاجل هذا الطريق ما بنى لهم الأرض .. الأرض التي هي عندهم كل الأرض واليوم وكل العد ..

وكان الفلاحون حين يتذكرون كيف بدأ الأمر بحرماتهم من الماء من اجل الباشا يهرون الرؤوس وفي المسوس منهم تحتق الحشرات وقلوبهم تخفق بالوجل وبخوف حزين قلق من المخيأ في القليب ..



قال الشيخ يوسف في ذكره لا يرحه وكلما حاول بعض الغنيان ان ينفوا ماله بهرم الشيخ يوسف ، حتى الأولاد الذين كانوا يمشون أمامه أمام أنفاسهم في انحاء كان الشيخ يوسف يصيقي بهم ويبع آراءهم ويصرخهم ..

ولم بعد يحتل ان يجلس احدهم على جاذع اجميزة المفاة امام دكانه مستندة الى التراب المتراكم على مر السنوات .

كان الشيخ يوسف حجباً من نفسه فقد عرف ان محمود بهرم مرق اعريضة ..

وفي الحق انه مع خجته هذا كان مسروراً لأن محمود بك قال في كاتب اعريضة محمد امدي ابن احمبار - لقد كان هو يشعر في احمباريه بأنه اجدر من محمد امدي بكتابة الصريضة فقد درس في الاظهر يصنع نسبي بينما لم يذهب محمد امدي الى مصر ام الديكيا اكثر من مرة .. لأنه درس في عاصمة الاقليم وابوه - ابو محمد امدي - لم ير مصر على الاطلاق ،

وكان الشيخ يوسف يشعر بضيق هائل من محمد امدي فهو منذ حين يوح له بان يتزوج من ابنته ولكن محمد امدي لا يهتم بهيئاً الأمر .. ثم ان محمد امدي هذا قد اقرضه مرة عدة جنيهات ليواجه بها حاجات اسحار الكبار في عاصمة الاقليم .. ولم يشكاً محمد امدي ان يقرضه لله في الله كب كان يريد الشيخ يوسف وانما صمم على ان يرتن حراً من ارضه . وبالفعل ترك له الشيخ يوسف حياره الجزء الباقي من ارضه وركها محمد امدي بلا حياء ..

وسمع الشيخ يوسف رجلاً في القرية يهيمون بان محمد امدي ابو سولم كان في حين عندما تحوف من العمدة والاعيب العمدة .. وسمعهم يومومه هو ومحمد امدي والشيخ الشاوي لانهم سمعوا على ان يذهب العمدة بالبريضة الى محمود بك .. فمحمود بك لا يمكن ان يسمى في العام قرار لهدمسة الذي صدر لعائلة ارض الثالث مما مصلحته هو في العام هذا القرار ؟ ان كان من اجل ارضه انى



سـ واحداً بنى مشيخاً به ورا محمد ائدى ابن احماد ده ؟ باراجين
سينك من ذوات الأربع ذول .. ووا انهم من يوم ما حه صدفى سوا
ياخدوا اثنين جيهه معيش غيرهم .. أساسى أنا اتلى عارف .. سينك
من الاصلية .. كل المواطنين مهابتهم قسب .. التى كان يباحده ١٥ بعد
ما يطعش الكرتة من اسطلمه ويتخرج من اندارس الطليا بنى ياخذ ١٢
معيش غيرهم ..

وهو الشيخ يوسف راسه قليلا فى رعب عن الكلام ائدى قله لم
اسمى يقول .

سـ الا قوللى .. محمد ائدى حباب العهم ميسى .. من ابوه وار
يعنى حباب العهم من ابوه .. يا راجل والله ده ابوه قله اعطع من اكل
المش والعيش ائدرة لعد ما مات . وقال ايه حاي حصره يشتري من
عندى حلالة طحينة .. يا سلام يا اولاد .. والله يا شيخ ده أنا بو
كملت فى الأزهر لكتبت فعت عليه حاصلى يا جسدع .. كبت بقيت لك
معتش عليه .. والا باطل .. ده ان زملانى اتلى جاوروا معة وفجواكلهم
دلوقتى نظار ووعاظ ومعتشين ومدرسين فى الابتدائى المبرى .. قال
محمد ائدى .. قال .. يكتب هريضة واحيا مئى وراه .. ما احى
قول به يروح يدور على بنت صابغة لحدس عليها تفرش .

واختار عبد الهادى الى اعمامه وبذلك كل انشده اتلى احتسباس
خصرة وهي لستضحك مع وصيحه ..

ولم يقل عبد الهادى شيئا ..

ونظر طويلا ابنى انشيخ يوسف واحد يرفع عينه من صدر انشيخ
وراء بنك الدكان الى حمامته اصغيرة ذات الشال الأبيض المتشح ..
ورجيه المقتد السقيم المتفنى ائدى لا يتشم وكان عليه غبار مسمر
هويل ..

وعاد انشيخ يوسف يقول :

سـ حاكم احب الله حايه ..

وهو عبد الهادى راسه موايحه .. وشبهه الشيخ يوسف ان
عبد الهادى راسه عه وانه من اممكن ان يعود فيتحدث مع محمد
ابو سويلم ويسمع منه محمد ابو سويلم وعبد الهادى والاخرون
قطاب نعا .. واتسم ..

وتشاع فى وجهه اسجل الاسمر الملى بالمصوب سرور طارىء ومصح
نور الزمادى الذى يعطى شبهه انما انموسة فى استمرار دائم .
وانور عوارى المدرسة وشحمه اسماطة انشيخ يوسف فاعصر
بعد طول الصمت ليومول وهو يروح بدراعيه :

سـ يا سلام يا عم النيج يوسف .. كلامك حق .. كله حكم ..
بسى يا حارة .. يا ابا انشيخ يوسف لو كنت انت .. يعنى آه ..
يا ابا النشيخ .. بو بطل .. يعنى لو تحلى ..

وقاطعه انشيخ يوسف ضاحكا قائلا لعلوانى ان العلامه لا علاقة
لها بكلامه النحل ، هو ان يعطيه انشاي والسكر على كل حال ما لم يدفع
المناحر عليه .. والكلام برة .. واندمع برة ..

وصحبت عبد الهادى واحرج قريبا رماه على انبك البدى دان
الشيخ يوسف يدف امامه من داخل الدكان .. ثم ضرب عبد الهادى
كتب علوانى بيده مطمئا وقال للشيخ :

سـ ادى لشيخ العرب طلباته ..

ومضى الشيخ يوسف يفتح الادراج ليحضر لعلوانى انشاي والسكر
بيضا تهنى وجه علوانى وابسطت نفسه واحد يبرى كيف احده محدومه
شيخ البلد وامره ان يسحب معه البندقية المقرودة وممره على السواقى
اتى لدور حسيه . وبعد ان انتهى فشح الحبراء من اطراف على سواقى
اجسى امر اساس ان يوقوف وشتم هدد .. ثم مضى الى التربة الكبيرة
ينتش .. وفى الطريق قال لعلوانى انه يرى الناس معدومين ، وطلب منه
آخر الامر ان يذهب ووجهه ليطع القرعة التى اجرت هندسة الرى الماء
فيها لتسمى ارسى محمود ك وحده ، فتمز المياه المثقلة بالطين فى التربة
من ارض الغربة دون ان يسمح للقرية بالرى منها .

وهذا انخفض صوت علوانى ثم اوشك ان يهسى وهو يبرى كيف
انتفضى شيخ البلد حين طلبه منه ان يذهب دون ان يراه احد فيقطع
جسر التربة حتى اذا ازوت ارضه سدها كانها لم تسمع .

وهو انشيخ يوسف راسه ورفى وهو يسمح هذا الكلام ..

ولم يدل شيئا ببعض الوقت ونظر يدير نظره بين عبد الهادى
والغراع ..

ثم رفع صمته ذات انشال ينسج وحك انشعرا الرماوية
عصيرة فى معدنه راسه وهو يقول :

سـ سامع يا هند الهادى ؟ .. سامع .. شبيب شيخ البلد
يبيع ايه ..

وحاب عبد الهادى سحرا فى مرارة :

سـ والا انجمدة التى يبيع اشترعه عيسى عيبك .. حاكم الميسة دى
منه ابوه .. هو والسه وارثيها ..

وتم نعى الشيخ يوسف وانما وضع صمته ونظر بصوس الى رجل
نصف وراء عبد الهادى وقال له تعصب ودهشة وحوف :

— غير آيه يا وله .. لاسى رسمى كده وحاي هما تهب آيه !
آيه يا واد يا عد الصاطي ..

والتمت عبد الهادي وزاده فوجد احد انحرافا يليس طربوشه
الأسود الطويل وجليانه انماق ويدف مشدودا : اسديقيه على كعبه
وقدماه عازيان ..

وربح الحفير وجهه .. ومياه نظران في غير شيء وطب من الشيوخ
يوسف وعبد الهادي ان يكلموا حصرة العمده الامر هام ..

فعال عبد الهادي في استخفاف :

— طب غور يا عبد الصاطي .. غور ابت ..

ولكن عبد الصاطي لم يحركه وظل يلح في ثبات ورجاه ان يذهب
الى الدوار معه ليكلموا حصرة العمده ..
وتردد انشيوخ يوسف قبل ان يحد كلاما ..

ولكنه قبل الامر انه لا يستطيع ان يذهب اساعه ويترك
الدكال .. غير انه بعد ان يطلع سيدهب الى الدوار في انور ..

ثم تسأل عما يريد العمده .. فعال له التعبير عبد الصاطي ان
لا يعرف من الامر شيئا .. وعاد يلح عنيهما ان يذهبا الى الدوار ومع
كل واحد حتمه .. ووقف كأنه يسمر امام الدكال ..

فصاح انشيوخ يوسف مستكرا ..

— حتم ؟؟ حتم ؟؟ آيه يهد الصاطي !؟ ده اما قسارى في
الأهر أكثر من العمده بشارك .. بقي دي بند ؟؟ لم تقاي هاقولى
يا وله .. هوه حياه عابر الاحياء ليه .. رايح بعتم البلد على آيه ؟؟
وربك عبد الهادي دكال انشيوخ يوسف وعفى في صمت الى محمد
ابو سويلم ..

اما الشيوخ يوسف فقد ظل يصغي بيديه متعجب .. ويشسبتم
الحفير .. بينما انحمر يلح عليه في ان يذهب الى الدوار ..

وانصرف الحفير بعد قليل في عاوانى يسان انشيوخ يوسف عما
يريد العمده منه .. ويلمح له بحركات يمكن ان يؤديه ليربح الشيوخ
يوسف من العمده .. والشيخ يوسف صامت تربيع يده الى عمامته
فيصيحها الى امام لم الى خلف ورفعهما احيد ليحت راسه ثم يمسور
فصصب وهو صامت في انوار .. وفي انشيوخ ان انحمر عبد الصاطي
كال يعرف من الامر شيئا ولكنه لم نك يعرف الامر كله ..

فقد من رجال هندسه ترى في مستصف اللبنة انسرحه فوجدو
آثار مياه في القنواب الممتدة تحت بطي الحبر واكتدوا ان العمول

حديثه عهد بازي فعدادوا الى عاصمه الاقليم وانصلوا بسركر .. ثم
نكد يصبح الصباح حتى كان امركر يصبغ بالعمده في النيقون وسمع
انعمده كلاما قريبا من المصور بعد ان يسمع من ملاحظ — وليس
بعرضا صريحا نظراته وليوته وابيه وامه انص ..
وامتلا العمده بالحرق .. ولكنه حمد الله به وبين نفسه لان احد
لم يسمع ما قل به الملاحظ او المأمور ..

كان العمده رجلا اصغر صغير انجسد في دقيق اشكون .. حفسر
الصوت .. وكانت لحيته انصيرة بيضاء نظيفة .. تضام مهابه حصه
على ما حفره الشيوخه في وجهه .. وكنت الانشامة تشيع دانسا
على صعيه .. حتى عندما يهصب ..

واعمده هو احد الذين ذهوا الى الأهر قبل ان يذهب اليه
الشيخ يوسف بسرور طوان واقاموا في القاهرة حيا حتى اذا لحن
بهم حين آخر عادوا .. وتركوا احوالهم في القاهرة ابدية الفصحه
.. واقنوا — في هذه الغربة أو تلك — من حياة ليهما المطمع ولكن
لا احوال ..

ولم يكد العمده يستريح من حمد الله لأ احد لم يسمع شيئا من
كلام المأمور او الملاحظ وصعبه خدسه الملاحظ حتى وصته اشساره
لليقونية ليه تنبيه الى وجوب مراعاة لائحة الرى الجديدة والى انه
سيكون مسئولا من المحامه في المرة القادمة ما لم يقدم اسبعا الدس
حاليا .. وقام العمده من فور متحمسا ليلعب الى محمود بك في
مرتبه المحورة ليشاركه في ملاحظ الوئيس وليوسطه هذه الحكام في
المركز فلا يحولونه مسئولي محامه القرية للوائح ترى ..

ركب انعمده الى محمود بك وزاده عبد انطاي الحفير المفضل ..
وعندما عاد العمده كان يدس في جيبه ورقة وضع في قلبه رجح

كير ..

ان العمده رحى يعرف كيف يعيش في أي زمان .. وصل بين في
مكانه وهو يحس للحكام في المركز وللدن يملكون الكلمة هي هؤلاء
الحاكمين .. وسمع أي شيء وهو يتشم ..

وكان هم العمده كله هو ان يسلأ أوامر الحكومة مهت بك .. اما
ما يمكن ان يصيب القرية من هذه الأوامر فلم يكن يصبه على الاطلاق ..
فهو كما تعلم في الأهر طبع اولى الامر ويؤمن ان حسدا من اركان
اندس ..

ولئن طردوا منه ان يعلمهم اهل القرية جميعا لصرهم بالرسايس
لا تأخر لحظة .. ولقدمهم بنسائهم ورجالهم .. وشمير معظم الى
آه ارضي ربه .. ولا تظن من ربه بعد هذا ان برصيه ..

وهكذا دفع بكثير من العلاجي الى المركز ليعدهم علما عائلصوا
اسحاكات حكومة حرب الشعب واتصوا من دفع صرية الارض .

وهكذا تسبب في فصل محمد أبو سويم من منجحه انجفاء .
وكان العمدة في عهد الحكومات التي تستخدم رجال المركز واصوات
الوحي في الانتخابات .. كان يعتمد على محمود بك ..

وفي عهد الحكومات الأخرى كان يصح لحام كثير في عاصمه
الاقليم لتخذه الدائرة بانأ عنها عندما يذهب الملاحون الى اصاديق
احراراً لا يسوقهم المصاكي ولا يزيب ارادتهم أحد .

وفي عهد الحكومات التي لا يعرف بها العمدة بونا بعدد .. كان
يعتمد على آنية . وفي الحق أن العمدة حين وسنته أول اشتارة
لتحديد مواعيد الري لم يسكت وانما أرسل عبد العاطي ليطوف على
الذين يملكون ارضا ويستمع اوامر اهليدسة .. غير ان هذا اصحاب
لم يعمل الأمر وظل يقلبه بينه وبين نفسه وقال للمصدة كذب انه ادع
التاس .. بينما مضى يؤكد لنفسه ان العمدة شاخ وخرف .. وأصح
يقول كلاما غير محقول .. فقد اتعنت زوجه الثمينة السمنة
البيشاء ..

وحين رجع العمدة من عند محمود بك أمر الحفراء أن يلبسوا ابري
الرسمي وان يقفوا صف واحد في الفناء المتسع امام سبيلهم الدوار
واستند الحفراء بالعمل ووضوا الفوايس الكبيرة ورشوا ارضهم
الماء وانتظروا العمدة حتى اذا فرغ من عشائه خرج عليهم بالحسنة
وانعمطان والصال الشاهي والحذاء الاسود وكل هينته التي يماين بها
الحكام .. ووقف العمدة على سلم الدوار ووراءه عبد العاطي يسند يده
وامامه الحفراء بالطرايش السوداء الطويلة : المذنبية على الكتف
والاقدام الحادة تدب التراب الملل بماء الرض ..

وأخذ العمدة يشتم الحفراء لانهم لم يلبسوا اهل اعره اول اشارة
جددت مواعيد الري الجديدة .. ولاحظ ان عبد العاطي وراءه يكرر
كلامه وشتمائه فالتفت اليه ونهره قائلا بصوته الهادي وكلماته الطيبة
— هو انت الزكيل تناض .. انحر من راية .. حتى في نصف ..
هو ائنه العمدة والا أنا ..

وقفر عبد العاطي الى النصف وحشر نديه وسط انجفاء وقصد
سرت مبهم هجمة التعاض وانضطك المكتوم ..

واحتدم غضب العمدة وترايدت شتمائه وأخذ تنهم انجفمسراء
بانهم تركوا العلاجي يسرقون الماء ؟ فالري في غير مواعيده يعتبر عبد
الحكام سرقة للماء .. وسكت العمدة قليلا .. ثم عاد يقول في صوب

رهيب ان اللوائح والموايين وشئون الصبغ والربط تصر ابري في غير
المواعيد المحددة خريمة .. خريمة سرقة
ومعاب همهمه الصحت انكموم وانمحب .. فدعش العمدة قنالا
بسط وهو يسط الكلمات :

— طب ريوخو كلكم مريودين ..
وانضبط الضحكناك انكومة وقال أحدهم وهو يحاول أن يضحك
صحيحه

— ده ده .. طب ما احب روييا أرضك يا حصرة العمدة .. ذي
برسه اسمها سرقة عند الحكام وعند اللوائح والموايين التي يتصمون
عنها ؟ .. والا اليه لما تروح أرضك ما يعاش اسمها سرقة ؟ .. مدام
في أرض الحكام .

وقل أن يتكلم العمدة استطرد جعير آخر يقول سمعنا بلا صحتك .
— سرقة ايه وهاب ايه يا صديق .. اليه ما هي ماشية في البحر
والترعة .. يمشي خاتجص لا .. هو احنا ك نفس عنها حيطية ؟ ..
الا سرقة ذي يا صديق .. سرقة بيه .. ما هي مه رشا .. هي السرقة
في اليه كمان .. هي تلب حيطه ؟ ..

واضطرب صف الحفراء وبن العمدة سلام الدوار وصبروته
يرتفع صارحا :

— ده ده .. انه .. اياك تحطت هيكو حيطه .. يا كذا غصير ..
يا بند ماهاش شيخ خعر .. هيه بلد من غير عمدة يا واد انت وهو ..
كلام ده ايه ده بوحونه .. ياواد اليه ذي بغات الحكومة وانصكم
سي .. الحكومة تدى منها ري ما هي هاوره وتدئ التي هي هاوره كمان
.. مفهوم ؟ ..
ولم يكن هذا مفهومنا ..

ووضح ان من المستحيل أن يصبح هذا مفهوم .. فمسد وحم
انجفاء وانطمت صوبهم في اشواق الى هذا الذي يقوله العمدة .
وتلفوا الى بعضهم كاتب يتساردون ان كان هذا حقا .. وان كانت
حياتهم نفسها يمكن ان تصبح ملك للحكومة والحكام .. انهم يعرفون
أن الماء ملك للأرض وللررع الذي يأخذ منه .. وبه ان يأخذ منه كمان
ربد بلا حساب حتى يروى تماما ..

وأخذ العمدة يذب صوته في الوحرة وهو يبتك من تصفه .
وانسكتت قطرات العرق في فحرات انشجوحة من وجهه .. سببا
تقدم عبد العاطي .. يسأل ان كانت الشمس والهواء ايضا ملتصك
للحكومة ؟ .. وماذا في ماء المطر ؟ .. وانشق من الوجوم شححك

محجن .. واضطرب القلب واحد اجفراء في سخايتهم يعزبون الا من
الموجة سرخيه وتطاش منها اطنان واسعد انفسه قليلا كيلا يصيبه
رشايش من تحت اندام الجفراء .. وصح .. وظل يصرح حتى سعل
وبظلت امراته الشانه اسميه من الشاك ودفعت فعلا تنتم
وهزت راسها وتصبحت رجحها وهذلت يدها على ذنبها وحجورها
ومصردها واصرفت الى داخل اندوار .. وعندم هذاب الضحة قليلا
تقدم العمدة من اجفراء واستعد هدوء صوته وهو يقول في عده
وعيق :

== الله .. انه .. يا سي عبد العاطي .. طب عني راى انشاع ..
ومن اساء ان اناك ذيب ؟ .. هه هه .. قل لي يا عبد العاطي يا ربايه
محمد ابو سويلم عني نا واد بعد ما تركت في الغر وعمتكك حدام
حصومي وكشفكك على حرمي تبني تمشعر قدامي على الحكومه ؟ ..

فقال عبد العاطي نبات :

== ما انت كل حاجة يا حضرة العمدة سألنا مفهوم .. يعني
حاييني مفهوم من غير ما هو مفهوم .. فصدنا عرف .. عني ايه قول
الحكومه هي الشمس لئ تسوي اربع تسويه بالوانع رجحه والا ايه ..
يعني الشمس وصحتها ابي يراها سيدنا الشيخ السماوي ذي .. ذي
عني مش هي ابي تسوي الزرع ؟ ..

وعاد الضحك من حذو العمدة ان يتكلم ولكن صوب
عبد العاطي ارتفع قائلا :

== وكمان عني المطرة حكما انه ؟ .. اعطى عني الى يقول سيدنا
عبيد ان ربا هو ابي مرزبا عني .. عني ..

واحد العمدة يصيح فيه :

== انت يا واد شغفمي .. تتكلم وان ناكلم .. وعلى حسبك على
حسي .. الله .. الله .. يا سد ..

ولكن عبد العاطي ظن يتحدث .. وعندما هذاب صخرة انفسه
المتجذبة بتلعذات اجفراء سمعه العمدة يقول :

== واليه بتاعة البحر والترعة ذي .. بتاعة ابي حكومه .. مش
تعمل بتاعة الحكومه .. يعني بتاعة ابي حكومه تتحكم الر ان شادته
حتى تكون حكومه جواحذ .. والا بتاعة الحكومه ابي راحت وال
تتاعت الحكومه الحديدة ذي التي اسمها حزب الشغب ؟ .. يعني
الحكومه ذي عني كانت حات اليه من دارها ..

وصاح العمدة :

عس يا بعيم .. انت سمعرا ؟ ..

وشعر العمدة انه يهان اسع اهانة .. وكان يعلو وكل مدبه الحبل

يرتفع .. فتهدج صوته وهو يكذب يراى :

== الله .. الله .. انه يا بلد .. اريد يا ولد .. انجيسر هاب
العصايا من جوة ..

ودهب عبد العاطي الى داخل الدوار وعاد يصع من الخيران وقد
لعت عليها اسلاك محكمة ووصع عبد العاطي يندقته على السلم ثم
هبط ببطء وهو يرمز ومن حوله الصمت ووقف ينظر الى الارض
المبللة في احتجاج صامت ثم احضر قائلا :

== الارض هيا مبلولة .. بدلة الحكومه تنطمين .. والا اقلع له
نصحت الجفراء واحابه العمدة بشيق :

== اترقد مطرح ما ترقد .. اياك ترقد ما تقومش ..

ودهب عبد العاطي الى املي اسلم ورقه على البلاط ومشي اليه
العمدة ببطء ثم امسك العصا بحكم ورمعها وهو ينظر الى ضهر
عبد العاطي وانهل منه ناعسا وظل يصرب وعند العاطي يتلمس العصا
في سكون .. وشعر العمدة بيده ثقله ووقف الجفراء ينظفرون الى
عبد العاطي ناشعاف ونفوسهم تحيض بالانم .. ولم يصرح عبد العاطي
اندا .. وراى العمدة يرمى العصا بعيدا ويصيح :

== قوم بقى فور .. نازل بيت غرب وكانى بالذ لك سيجارة .. كاي
باهرش لك في حقه بتكلك .. جاتكو الم .. روحوا كلكم مروعدين ..

وابتسم عبد العاطي ثم قام ووقف مع زملائه متصفا ..

وهذات الضحكات تتردد في الخلق ذو ان تطلق ..

ومشي العمدة قليلا ليدخل اندوار ونهس جيبه واخرج بهرس
بالع ورقة مطوية .. كانت هي الورقة التي هاب بها من عبد محموديت
وكانما تذكر انه جمع الجفراء ليقول لهم شيئا من هذه الورقة مالتت
اليهم وناداهم بعقبا :

== تعالوا هيا .. روحوا لواء احتام البلد .. حتم .. حتم .. ختم .. ايند
تسبوا ختم .. وهاتولي الشيخ الشماوي .. يالا .. يالا .. انخرو
من قدامي .. اجعوا من وشي .. واياك تحبوا ولا ترجعوا من غير
اشيخ الشماوي .. وللا تسوا حتم .. وهاتولي عبد الهادي واشيخ
بوسف كمان .. واو سويلم .. وكل رجالة البلد .. مفهوم .. هاتوا
الاول شوية ذلك دخلهم الحوش .. مفهوم .. وغور مهابم يا واد
يا عبد العاطي ..

ودخل العمدة إلى الدوار .. وأخذ الحبراء يتعمقون ثم دهسوه متضاكين وأحدوا يحمون من الدور بعض الدك الحشبية وكل الاحتام .

حمل الحبراء دكة من منزل محمد أمدي ودكة أخرى من منزل الشيخ الشاري وثلاثة من دور أساحية البحرية .. ولم يعكر واحد منهم أن يطلب دكة من محمد أبو سويلم أو عبد الهادي أو الشيخ يوسف .

ولكن عبد العاطي وهو يجمع الأخنام ألح على الشيخ يوسف وعبد الهادي أن يذهب لثلاثة العمدة .

وانصرف عبد الهادي إلى محمد أبو سويلم وتركه علواني مع الشيخ يوسف وهاد الحبراء بالشيخ الشاري وبعض الذين يعرفون القراءة .

وقال العمدة شيخ الشاري أن محمود بث أعطاه هريضة جديدة وهي أحسن ألف مرة من الهريضة القديمة التي مرزها . ومحمود بك يطلب توقيعات أهل القرية على هذه الهريضة .. ثم ترسل بعد هذا إلى محمود بك ليجمع عليها توقيعات كل القرى التي يؤذيها ظلم الرى الحديد .

وبعد هذا يحملها محمود بك بنفسه إلى مصر ويقبل بها الحكام هناك .

وأضاف العمدة أن محمود بك يطلب أن تفرغ القرية الآن من التوقيع ووضع الاحتام لتصل إليه الهريضة في الفور ليستطيع تعديل المواهب من دور أرى أحد .

ووقع الشيخ الشاري على ورقة بيشاء دون أن يسأل .. ووقع وراءه بعض الذين يعرفون القراءة وأخذ انضاحون يحمون الاحتام تحت أفضه الشيخ الشاري .. والشيخ الشاري يستجملهم ويشتم من يطلب قراءة الهريضة .. وبعد أن جمعت هذه أختام على الهريضة قام الشيخ الشاري من عند العمدة وأطلق في القرية بجسمه المذموم المكرس وسبحته بهمهم باندعوات وزرع في كل من يقبضه أن يسمع حتمه إلى دوار العمدة للتوقيع على الهريضة الحديدية .

ومن منزل محمد أبو سويلم ظم بعد أحداً على المصطبة ولم يلحق نورا من شباك المدرة ، ووقف على الباب نصف المطلق يقول :

— يا ساتر .. يا أهل الله .. يا ساتر .. يا أهل الله ..

وصر الباب عندما دقعه الشيخ الشاري وبهمم إلى ظلمات وسط الدار وهو ينادي على محمد أبو سويلم .

ومن باب في ركن الدار خرجت وصيعة وهي تحمل في رأسها لمة الصبح الصغيرة بلها الهريل الأصغر اندى يتراقص مرسلاً مع الشماغ الباحت حيطاً من الدخان وطب من سيدنا أن يتمصل باندحون إلى المدرة لتعمل به انهوه ولكنه سألها ففهم من أبيها فمبالت له وصيعة أن عبد الهادي أيضاً مات يسأل منه .. يمكن أن يقرنا معا في دار عبد الهادي أو دكان الشيخ يوسف .

فقال سيدنا ينقذ أن الدكان معلق ، ودار عبد الهادي بيده وهي على كل حال مظلمة ، فاطرقت وصيعة لحظه وأسدت بيدها لمسبب الصفيح على رأسها واقتربت إليه أن يتمصل بالحلوس في المدرة لتذهب هي تبادي أباهما من حزن عبد الهادي ..

وتردد سيدنا قليلاً ولكن وصيعة سبقت إلى المدرة فأوتدده المصاح الكبير وأحكمت عليه وضع الرجاجة .

وجلس سيدنا وهو يقول :

— دي ليلة بحق وحقيق .. ليته ما ينعن معي إلا ربنا .. دوري عليهم يا نسي وهاتيم .. والله أنا ما أنا قدر أبقى .

وخرجت وصيعة من المدرة وهيمت لأهملها بكلمات ثم ركب الدار . وعندما خرجت إلى اسكة سمعت الشيخ الشاري يقول أنه لا يطبق المدرة في أسحر والهواء على المصطبة أحسن ..

وقعد خارج الدار في انتظارهم وهو بهمهم :

— دي ليلة بحق وحقيق ..

وانشدت وصيعة ومصباح أنصليح من رأسها يسكب على وجهها وكل يديها شمعاً هادئاً يصلطه ظلال الدخان ..

كان قلبها يذوق بحرف غامض وهي تسمع كلمات الشيخ (دي ليته بحق وحقيق) ..

في ألحى أنها كاتب ليله ..





سارت وصيغة تفرع أرض العربية بشئنها وترسل
رباته الخالية الرتبة في الليل أنصاب ، ورأسها
يرتفع فوق نديها المتصب محملا في جدر بانسجة
الصفيح ..

وكانت الأنسام هادئة فائرة والطريق بين البيوت الملمعة لا يعمره
غير نساج الكلاب .. لم يكن في الطريق أحد من أنعماء ،
ومن حين إلى آخر لاحظت وصيغة دون أن تحول رأسها مرور
بعض الغتبان ..
وكانوا يتهايمسون عندما صادفوها وهم عائدون من دوار التعمدة
إلى دورهم بعد أن وضعوا الإختام ..
وتنصمها بعضهم بنظراله وهمس أنها تمص إلى دار حد الهسادي
وربما كانت قد خطت له بالفعل ، بينما قال رجل ثان أنها ذاهبة لتقابل
محمد ألسدي عند المقابر القديمة الخيمية ،
فقال آخرون إن هذا لا يمكن ..

وأنهى الطريق الضيق الذي كانت تمشي فيه وصيغة بلا انعكس
.. بين الدور الواطئة الداكنة الممتدة الأبواب ،
وانصمح أمامها الطريق ومال ..
وبدا يمشي في صف واحد من البيوت وعن يسارها الحقول ..
وتبهلت وصيغة وهي تستقبل هواء الحقول بالمصباح على رأسها
وهبت سمات طلقة فأطاعت المصباح ..

وموجئت وصيغة قليلا ولكنها التفتت حولها فوجدت العمر يمسر
المكان يشوه قوى باهر وسفرت من نفسها في عشقة مكتومة لأنها
حيث المصباح ..

وسمعت همهمة تأتي من ناحية دار حد الهادي فلم تمل إلى الحزن
وواصلت سيرها إلى بيت حد الهادي الذي تتراعى أمامه حقول حوصي
الترعة المؤدية إلى المقابر القديمة والمقابر الجديدة ..

وعلى كوم مستو من التراب وجدت حد الهادي ، على حصى
ومعه أبوها محمد أبو سويلم والشمس ..
نضيق :

— دهدي .. كل حبة تعول لي كل لعة .. جاك رقبه .. ماس
لك اطعم انت بانها والشمس ..

وسمعت وصيغة صحكات حد الهادي تحلط بصوت البمله التي
يمصها ورغيف أدرة الجاب يتكر في يده ..
واقربت وصيغة حشمت رائحة المش وأحن القديم ..

إن أم عبد الهادي بارعه في صسعة الجين القديم ولحسها ربح قوى
بشر الشبهة ..
لو كانت أم عبد الهادي توح لها بسر أنصعة !!

وأحد محمد أبو سويلم ينظر إلى الحقول الممتدة أمامه في فسوء
الظفر .. كانت تتراعى وراء السجبل تحت أضواء الأرقق الدائني وفي
وسطها تقوم القصور السوداء ..

وهو محمد أبو سويلم رأسه وهو ينظر إلى الأديم الواسع العريض
الذي يحقق بيمان صيرة من الدرة وأعطن ،
وقال في حزب :

— يبقى هايزين يغطشوا لما العيدان دي ؟ دي لسه صغار ومحتاجه
للمية !

ولكن محمد أبو سويلم قطع التاملاب ، واستأناب حديثا كال
قد بداه من الهريضة الحديدية التي سمع أن العملة عاد بها من عند
محمود بئ ، وأحد يجمع بها الإختام والتوقيعات ..

وبلعت وصيغة باب بيت حد الهادي ووقفت على حافة الكوم تقول
في حياء :
— ساجر ،

واهتز حد الهادي ، والتعت الشيخ يوسف ومحمد أبو سويلم
على المافقة ،
فلم يكن أحد قد شعر بها وهي معلقة ..

وحين سألتها أبوها عما جده بها في هذا الوقت التأخر بعد هيلاة
النشأة ، قالت له أنها خرجت من لحظة ليتبث فيه ، هالشيخ الشبوي
ينظره في الدار ..

ورقع حد الهادي يده من الطعام ، وحرك صروسه نطء وهجر
يعصر ، لبحفى ارتفاع صوت البحر العذب ويسمع كل كلمة تقسوبا
وصيغة ..

ورآه وساحة الوجه ، وضبيئة ، لدنة المود ،
وأحد حد الهادي ينظر إليها ، وقلبه يدق ، وفي أعماقه نسل
العم ..

كانت تقف امامهم بعامتها المديدة، وشعرها الاسود الدخيل،
ومحياها الصاصع تشيع فيه الحياة . . ومن ورائها ظلال الحبيس
والشجر الداكن ضد الافق ، والشمع الهاديء الاروق يسكب في
هدوء حزين !

وجاءت نفس عبد الهادي وارتمت نضائه وتسمى لو دخلت وصيفة
الى داره ولم تخرج منها ابدا .
ليتها تعيش معه الى آخر الزمان !
وقال في صوت حنون :
- انفضي يا وصيفة ، انفضي العشا ،
فقالت بحياء :
- بالهنا لك .

واشرقت نفس عبد الهادي من العود ناشية هدية ، ودهت به
الرعية التي لا تقاوم بان يعيش سعيدا يملك ارضه بلا قلق ، وبذلك في
داره امرأة حانية كوصيفة . . وصيفة . . لاية امرأة اخرى !
واوشك ان يقوم فيقوم جسدها البديع ، ويضعها في الامساف
من صدره او يلتقيها في داخل داره لتظل فيه ولا تخرج من هذه .
وقام محمد ابو سويم مستائدا ليلحق بالشيوخ الشاوي ، ولكن
عبد الهادي اعترض في شقيق وطلب من وصيفة ان تدخل الى داره
لستريح ، ويروح هو ليحضر الشيخ الشكاوي . . وتردد محمد
ابو سويم قليلا لم طلب من وصيفة ان تدخل لتسام على عبد الهادي،
ولعود .

ودخل وصيفة الى دار عبد الهادي ، فترقرت امامه الاحلام من
حديث ، وشعر في دمه بشل لديد ، واخذ وجهه بصورة من السمادة .
وتحرك عبد الهادي ليحضر الشيخ الشاوي ولكن محمد ابو سويم
اقترح ان يذهب هو فقد تاحر الوقت . والى عبد الهادي همه في البقاء
فصمم محمد ابو سويم ان يرجع الى داره بعد ان تسلم وصيفة على ام
عبد الهادي .
وقطع الشيخ يوسف المائقة بسؤال لا مناسبة له عن محمد امدى
اين اجمعي الليلة ؟

وبعث عبد الهادي وتسمر في مكانه ا
ولكن محمد ابو سويم قال بساطة ان محمد امدى في اندوار بلاشك .
وقال الشيخ يوسف انه ليس في الدوار ، والحجرا كانوا يسألون
عنه في كل ناحية .
واحقى وجه عبد الهادي .

وحرحت وصيفة من عند امه فلما يامل في كل بدنها ووجهها .
ايكن ان تكون مقلة من عبد محمد امدى ؟ ايكن ليده التقيبه اسامعه
ان تكون قد عثت بفسدها هذا الى الشريف ؟
وتسمى عبد الهادي بـ ان كل لسة من يد رجس لبني امرأة تنسك
في مكانها حمرة شائبة واضحه كيلا يجدها بها رجال آخرون يمسد ؟
او يتعذب قلب عاشق طيب من انظون !
لماذا لا يصيح الله شيئا كهذا . . بدلا من ان يسمح بحرمان العلاجي
من الماء ؟ !

ووقفت وصيفة امام الرجال لتظن ان يقوم ابوها . . وتحرك محمد
ابو سويم ليمس ، ومن وراء وصيفة ينسكب نور العمر باسكية على
الحقول ، ولقى من وجه وصيفة هدوءا ثيبلا رائعا يبر الغيوب .
وسامها عبد الهادي مسجرا عن محمد امدى .
ورومت هي من لهجته التي تحمل اتهاما مخفيا ، فاجابت بعصب
واستنكار انها لا تعرف ولا يعلم ان تعرف ! .
وشعر بها عبد الهادي تكاد تترايل ، واحست هي بما يمزو .
فعاد يسأل ان كان محمد امدى لم يبر على ايها بالدار .
اصحح انها هي كانت في الدار ؟ ! .
فلم تجب . .

ورد محمد ابو سويم في فطنة ان ابنته قالت مرة انها كنت في الدار
علا داعي للكلام الكثير . .
رمعى ، ومن ورائه وصيفة .

ولم يستطع عبد الهادي ان يجلس في مكانه ، واحس الشيخ يوسف
بقلقه ، فطلب منه ان يقوم معه الى دار محمد ابو سويم ليقابل الشيخ
الشاوي وعرف ما حصل في « العريضة » الجديدة .
ولكن عبد الهادي كان مثقل النفس فعاد باسترخاء :
- يعني حاجصين ايه ؟! على كل حال انا مش ماضي في العريضة ،
واهو الصالح رباح بقى ! .

وفي الصباح كانت العريضة ما زالت في دوار العمدة يجمع عليها
ما بقي من الاحكام والوقيعات .
وكان عبد الهادي ينشئ في الطريق من حقله الى القرية ، فحائل
بعض اعتنا ، وسمع منهم ان اعمدة ثائر يتمثل بقية الاخام ليذهب
والعريضة الى محمود بك . . فقد اوصاه محمود بك ان تنتهي التوقيعات

وادحيهما الدار . والقي نظرة ثابتة على وصيعة وهي ترمي كل ثقلها على يد الرحي ، وتديرها طاحنة بين شقيها حبات من الأذرة ، وكان طين الرحي يملأ أذنيه ، يمتلئ بميلاد صدره من طين . .

وكذا يصرخ بأعلى صوت ليسألها أن كانت أمي قد خرجت من بيها بعد انشاء لثني محمد أمدي ، وأن كنت من موعد معه هذا الصباح . ولكن عبد الهادي وقف محمدا في صمت وظل واقفا في الباب خارج الدار .

ونفخت وصيعة من أمام الرحي ثم اختفت من عين عبد الهادي في ركن من أدار وعند الهادي واقف الى جوار المصطبة !

وطلب محمد أبو سويلم من عبد الهادي أن يطلى فلم يسمع كلامه ، وقال وهو ما يزال واقفا يحملن داخل الدار :

— يمكن خصرة تعرف .

فرعى فيه محمد أبو سويلم :

— الله ! ما تفتقد . مالك مش على بعضك كده . . . طيب روح انت شوب ايه التي في العريضة !

ورد عليه عبد الهادي بفيظ :

— أصلك ما انتش هارف بيا محمد .
ثم مضى في أنطريق مسرعا دون أن ينتظر كلمة من محمد أبو سويلم .

وأمام دكان الشيخ يوسف ، رأى عوالي يستند على بنك الدكان والشيخ يوسف ينهر بت صغيرة ويؤكد لها أنه أعطاه زهرة فصيل بعد ما عاون خمس بيشات لا ثلاث . .

وانصرفت الفت مستسلمة ، وأرفع صوت الشيخ يوسف بسادي عبد الهادي وهو يقول أمام الدكان مبدئا في طريقه .

وقد عبد الهادي ، واتجه الى الدكان فدفده الشيخ يوسف قائلا :

— الله ما خلاص كلها حتمت هالعرضة ! والجمدة استفتني عن احتماشا وامضال وبمت العريضة لمحمود بيه ! العريضة راحت ولا حد يعرف انه اتلى فيها ! عحي عليك يا بند !

وقد أن يحيب عبد الهادي قبل علواني متحمسا في عتاب :

— يعني يا عبد الهادي لو كنتو سمعتو شورتني من الأول وحلتيوا هم الشيخ يوسف كب العريضة ، مش كان أحسن ! ايه كانه محمد أمدي ما بدني على اله ! شوتو في ! واهه العريضة طلبت من إنياد ولأحد عارف انه اتلى فيها . . ده عم الشيخ يوسف محور قوي !

واحيلا لوت رأسها وسدات تسير في الطريق .

وصاح عبد الهادي يستوقفها وهو يقول في حنى

— خسر ايه بابا محمد يا أبو سويلم ! بهنار ارقق يا جدمش ! تعب وصيعة لمحمد أمدي ! ذي الشا قربت قدس ! ذي دهولت ايه ذي الى انت تتدهولها ، وديروا ايه ده الى انت تترويه ! يا سنة سودة !

ودهش محمد أبو سويلم لامعش عبد الهادي المعاشي ، وقال متحمسا :

— عشا ! عشا ايه ! سلامتك ! ايه يا عبد الهادي ! أنت حصل عندك نطق ! ! انت . . .

كان الضحى يملأ العربة . . . ولكن الكلمات انعجرت من فم عبد الهادي بلا حساب . وقتل أن يعرغ محمد أبو سويلم من كلامه ، قال عبد الهادي بصوت أقل ارتفاعا :

— خليكي أنت مرزبه يا وصيعة . لما أروح أنا اشوف البحر ايه وعادت وصيعة الى دارها ، وهي ما تزال مضطربة وتشد امتزج لى بعسا سرور حنى بخيبة أمل غامضة .

وقد عبد الهادي ومضى قليلا وهو يتلمت وراءه . .

كان أمامه في الطريق من بعيد ولد يركب حمارا ويجري به ، ونداه عبد الهادي مسم يسمع الولد . .

ورأى عبد الهادي خيعة ولما آخر يسوق حمارا محملا بالنسيج

فأمسك بالحمار وجره الى جوار الحائط وطلب من الولد أن يذهب الى الدوار لسادي محمد أمدي من هناك . وجرى الصبي مسرعا ، وعاد عبد الهادي يجلس في مكانه على المصطبة صامتا لا ينظر الى أحد . وبعد

قليل كان الصبي أمامه يلهث قائلا أن محمد أمدي ليس في الدوار ، والمعدة يسأل عنه أيضا ، والحمراء لم يصدوه لا في العيظ ولا في البيت .

وصاح عبد الهادي وعيناه تقفتمان مدخل دار محمد أبو سويلم وتستقر على كيان وصيعة :

— أمال راح فين مي محمد أمدي دلوقت ! راح فين ياناس !
واحد بصر عني استانه . .

وشحب وجه وصيعة وازداد اضطرابه .

وخرجت بطة سمجية تنهادي على عتبة الدار ، ومى ورانها أورة . .

ويهرب قدم محمد أبو سويلم . وترم ودعها بغدعه وطلب من وصيعة أن تاتى بتأخذ الطه والأورة . وقام عبد الهادي بهش البطة والأورة

والله يا هم الشيخ يوسف ما حد عارف معاك ومعدارك في السك دي
غيري أنا !

فقال الشيخ يوسف غاضبا :

— بس ياواد انت ياغرابوي ! احرس ! حالك جبره في بطت ماعوم .
مقامي ايه يا ولد ؟ يا واد دا البلد كلها صرعاني وعارفة مفداني . وانا
معلوم ومعلوم في الصب ده كله . يا واد دا التي قروا معايه في الازهر ..
ثم سكت قليلا ، وبع ريقه ، وارتفع صوته ليكمل :

— التي قروا معايه في الازهر ، واللي اب قريت اكثر منهم ، بنوا
دلو قنقن كلهم قصاة ومغشيش ومدرسين واحبب واحد فيهم بقى عمدة !
وحاول علواني ان يعتدل وان يوضح وجهه نظره ، ويؤكد احترامه له
ولكن الشيخ يوسف لم يلتفت اليه ، وانجه الى عبد الهادي يساله :
— لفين ياخويا محمد افندي ؟ الواد دياب اخوه فات من قيمة شوية
يسال عليه هنا ، والعمر قاربين الدنيا فيه .

فقال عبد الهادي بعيف :

— اهوه انخفي ! اياك امين ينعمي من ابلد قس مايضطرب عليها !
وغضبك الشيخ يوسف طويلا ، فمطر صوايا بدعشة وورب وضحك
هو الآخر ..

والشيخ يوسف رحل لا يكذب يضحك ، وان كان يقول كلاما تضحك له
العورة في بعض الأحيان .
وعلى أية حال فقد هره غضب عبد الهادي على محمد امدي ..

ومحمد افندي هو في القرية اترجل الوحيد الذي يقبض اربعة
جيبهات في الشمر ، ومع ذلك فلا يتفق معها شيئا .. فهو يذهب الى
الحقل مع اخيه دياب ابدي يشاركه في معاش واحد ويعملان معا ويأكلان
مع معا يتنحه الأرض ويندخر محمد امدي بعد هذا مرتبه كمالا : الحصة
على الجنية ، حتى أصبح مشهورا في القرية بأنه ينكح مالا !

وقد تعود محمد امدي ان يقرض الملايين عندما تلج عليهم الحاجة ،
او يشتد الصراف في طلب المال ، ولكنه يرتهن الأرض في مقابل الدين
وبركها ، حتى اذا حصر مدينه من السداد اشترى الأرض المروية .
وهكذا اقتنى باسمه واسم اخيه عددا وعشرين قيراط غير القرايط
الحمسة عشر التي ورثها من أبيه هو واخوه .

ومازال محمد افندي يرتهن تحت يده نصف الأرض التي يستسكها
الشيخ يوسف .

والشيخ يوسف يضمع اقترش على القرش من ارضه انقلبه
لاستحلام ارضه من تحت يد محمد افندي بعد ان حاص من ارضه
حره كبير اخذته الحكومة لعدم دفعه شربة المال .

وهي انحن ان قلته اسلا فالمرارة منذ احدث منه الحكومة هذه الارض
ولكنه يملئ بالكبرياء ، فقد هر الحكومة حما حين اشبع - كالاو
غيره عن الملايين - عن دفع صربية المال للحكومة تصنع الأمانة للبصريين
وتضعهم في السجون وتضع انجوع لتعاون مع الاجير ..

اب من الأرض التي اخذها محمد امدي منشيخ معه شأن آخر ،
وهو يحلم بأن يستعيد ذات يوم حيازة ما اخذه منه محمد امدي ،
ولكن محمد امدي محجوب بهذه العظمة ، وهو يعلق الأمل عليها وبلغ
كل يوم على الشيخ يوسف ان يبعه هذه القطعة !

ولم يشك اشيع يوسف لاحد أبدا ، وان كان ليحتفظ في اصنامه
بحق هائل على محمد امدي واخيه دياب .. ومن أجل ذلك فلم يكد
عبد الهادي يتحدث بعيف وصراحة عن محمد افندي حتى شعر الشيخ
يوسف بأنه يرسل - على الضحكات - ذرات متراكمة من كابوس قليل .
وقال الشيخ يوسف من خلال ضحكة :

— آه يا أخى ! ده بارد برود ! ابوه ماب من اكل المش والعيش الكدر
وهوا قال داير ياكل مبن ويشترى ارض ا لو كان امل يحني من البلد
حاصل قبل مايضطرب عليها على راك ا بقي ي ناس يتلوا خاله الشيخ
حسونة في آخر الدنيا ، الشيخ حسونة الرجل المائل للأمير يتنقل ،
والمعنى ده بقعد لآ ؟ صحيح ما بقعد ما الرابط غير شر القرا ! اعارف
برود ايه ده يا اخواني ؟ نصايب ايه دي ؟ !

ثم قطع ضحكاته قليلا وزر يشبه همس :

— ده يا عبد الهادي هدز يسرقى سرقة ا سوي يحطمي خطف !
واط يا احوي هابز ياحد بتي خاشان يركب على الأرض كلها ا داوشني
كل يوم ، قال مدر يتحوزها من بكره ! هابز بورلى ابن الحمار !
وكان الشيخ يوسف يعرف انه يكذب !

محمد افندي لم يمانعه أبدا في ازواج من ابنته .. وعلى العكس
كان اشيع يوسف دائما ينفك حول الموضوع ويدور ويعري به محمد
امدي ، ولكنه لم يكن يبيحه الا بانئسابه لحمل كل الجيلاء والزهو
الاعتدال !

على أن اشيع يوسف صاب قال هذا الكلام لمح الراحة تسع في
وجه عبد الهادي ، وانسلطت نفسه لأن عبد الهادي صدق كلامه عن
محاولات محمد امدي للزواج من ابنته !

وقال عبد الهادي وهو ينسم :

— حكم ...

مدخل عوايى ، ومال على الشيخ يوسف قائلا بعد طول الصمت ،
كده وجد الحل :

— تحب اصره بك يا عم انشيخ يوسف ؟

وانرجع الشيخ يوسف من الفكرة .. وباعته دوع كبير ان يصكر
عوايى — أو واحد من أمثاله اصنامين — فى صرب رجل لمقام كمدم
الشيخ يوسف ، وله فى ابرة ارضى ، وكلمة ! فصاح فى علوانى
مشترًا :

— اخرس يا هرباوى يا خطاب يا بتاع السكك ! هيه ياواد كلابها
سنت على ذباها ؟ .. تضربه اراي ؟ اعوذ بالله من الشيطان ! ..
ياواد سبيت بلى من شغل العرب ده يا واد !

ودهم انشيخ يوسف استكف مفاجيء لانه ترك علوانى يقف معه ،
ومال الى عبد الهادى يطلب منه ان يدخل الدكان ليجلس قليلا فتمس
الضحي احدث تهمي ..

ولكن عبد الهادى اعتمر لانه مصعب انا الفيطان ، فاتج الشيخ
يوسف .. وقطع عوايى حديث الشيخ لاعتذر مما قاله من محمد
اعمدى ، واح على عبد الهادى ان يدخل دكان الشيخ يوسف .

وسكت انشيخ يوسف ووقف يتأمل علوانى ..

ولاحظ عبد الهادى حيرة علوانى وحججه وضعفه امام الشيخ يوسف
فياضه ضاحك وهو يعلم اليه سيجارة ملوولة :

— خذ ا خذ محروقة ياشيخ العرب ا حد مقر الهابة دى ..

وتناول علوانى السيجارة وهو يطلب من عبد الهادى فى بائر ان
يؤكد لشيخ يوسف انه شيخ حرب حقًا وليس خطافا وانه من نسيمل
الامام هى ..

وخط انشيخ يوسف كفا بكف ، وصاح فى علوانى :

— ته ؟ اته ؟ انت من نسل الامامو على ؟ ابقى انت من الاشراف
يعنى ؟ يا احمى ايدك تشرم فى قلت ا

وشحك عبد الهادى مايتسم علوانى وقال لشيخ يوسف متعلما :

— والسبى يا عم الشيخ يوسف دا انا هابر اخذكم ويس .. ده كل
مقصودى .. انا احب الى تحه واعادى الى تعاديه بس ا طلب هات
سيجارة .. هاب عنه دخان عشرين حاطر عبد الهادى وحياة السبى ده
انا لسا اللمة انفلطت مامش حامل هم حد فى البلد قد هيك اته ..
هات امال ! ده انا الى رحت رويت ارضك ومهميش .. ماتحبيب ورقه

الدخان امال ! .. ربا يرود لك انفراطين اللى عضوا لك ويحلبهم لك
عدائين .. متحبيب الدخان ببقى ..

وابتسم الشيخ يوسف واعطاء عليه الدخان ، واحد يكتب فى دفتر
الحسابات الطويل وهو يقول :

— ايوه يا واد اندحيب ! اندحيب رى التعب !

وصحك علوانى برضا ، وهو يضع عليه الدخان فى جيبه ..

وعاد عبد الهادى يحول ان يصرف ، ولكن الشيخ يوسف
استبهاه ، فقد كان يريد ان يكلم معه فى الحالة اننى اصحت لا تطاق ،
وحده طويلا عن الفطن الذى بدأت لورانه تترنح على الاعواد القصيرة
العضة .

واخذ الشيخ يوسف يبدى محدوده من ان تعطش حقول القطن هلى
الترعة كما عطشت حقول ابدرة على البهر الصعبر فان حدث هذا فهو
الحراب !

ثم هز راسه واكمل :

— والبلد مش نفعه خراب ا انطقن ماراح ياواد ! ده التراب ببقى
اعلى منه يا عبد الهادى ! ومن يومها وسوق البنسات وقف . البنات
حابتور ، والأرض دخره حابتور ا يا دى السنة انا زى بعضها
يا احوالى !

واحمى علوانى بان الحديث لا يعنيه ولا يحتمله — وكان يقف شاردا
فى صمت — فتحرك دون ان يشعر به أحد ، وانصرف الى حقول البطنخ
الذى يحرسه .

وشعر عبد الهادى بقلق غريب يلفعه ، ولم يجد كلاما يرد به على
الشيخ يوسف .

وكان كل ماخاله الشيخ يوسف صحيحا : فالقطن كاتراب بلا قيمة،
ولو ظلت موايد الزى كما حددتها الحكومة فمن الممكن ان تنور الارض
وتنور البنات !

وسيطرت عليه السكاة العامضة ولث فى مكانه بمص الوقت بلا
كلام ، ثم تحرك لينصرف فلم يقل الشيخ يوسف شيئا .. وكان هو
الآخر جالسا داخل الدكان ينظر فى دفتر الحسابات بشروء .

ومضى عبد الهادى ، ووجد نفسه يتجه الى دار محمد ابو سولم ..
وفى الطريق حاجاته فكرة ازعجته ، فلربما كان محمد ابو سولم
مد ارسل اشته وصفة لتبحث عن محمد افندى ..

واحفظ عند الهادي عن المصطفى بن محمد ابو سويلم ومحمد امدي
وسيد ، وامامه مع الشارع يرتفع صيد النهار
وفجاء ارفع صوته حفا غيظا :

— كب في يا محمد امدي من يله اسرح ؟ تمطس فين كده ؟ ..
لا اسرح ناسل ولا الهزده من صباحية ربنا حد شاك واذا كلها
سدر عليك !

ولم يحب محمد امدي ..
وارتعد بده وهو يسمح صدره بحركة تحاول ان تكون مطمئة ..
وتواتل اندام في صدر عبد الهادي حتى حبل الله ان محمد
امدي التحلى ابي جواره يكذب يسمها ديه بعد دقة ..

واوشك عبد الهادي ان يصيح في وجه محمد ابو سويلم ليسانه ان
كان قد ارس وصيحه فعاتت بمحمد امدي ..

ولكن محمد ابو سويلم كان يثرب قهره في هدوء ، دور ان
تلعب ابي عبد الهادي .. وسكت محمد ابو سويلم لحظة ثم قال :

— تعرف يا عبد الهادي هتربا فيه اراي ؟ في دكانة المزين ا البيت
خضرة حت هما من قبعة ساعة قتت لها انجري دوري لما على محمد
امدي ، عطست شوية وقتت به .. يا اخي المت دي زى العفاريت
الرزق ..

ولتمت عند الهادي :

— حشرة ؟ !

وسكت عبد الهادي ، والفت يهده الى محمد امدي فوحده يحك
دقه المعطرة بحركة شقيقة ..

وهل عبد الهادي راسه ، وبدأت الظنون تشله : ان معرفة خضرة
مكان محمد امدي ، وطور وصيفة على الباب لتصب بنفسها له القهوة
.. كل هذا حمل عبد الهادي يذكر في اشياء مرعبة ..

ثم خروج وصيفه في ليلة البارحة بحجة انها تنادي اباه ..
1- هذا ؟

الم يكن سها وبين محمد امدي موعد دبرته خضرة — وخاتت ان
يعود ابوها الى داره فجاء فلا يحدثها — فقامت حكاية الكلف على اسها لبق ،
له في اسها انها غابت عن الدار لانها كانت تمشي عنه ؟ !

وفكر عبد الهادي ان يترك الدنيا وما فيها ، وتقوم الى عاصمة
قلم فيروز أخت وصيفة ، وسكرها ، وتكاه مع روحها في الموضع .
وتحرك في مكانه بالفعل .. ولكنه عاد فشر بنفسه مقبدا ..

وعلى الرغم من أنه يصدق ان محمد امدي تكلم في رواج اينة الشح
يوسم ، بعد رجف الحق في دمه .. وكانت الشمس تمنع قفاه ،
واحس بضيق واضطراب .. وتواتل دقات قلبه واسرع في مشيه ..
وعنى مصطفى محمد ابو سويلم وجد الرجل جلوسا ومعه محمد
امدي ووصيفة تصب القهوة .

ودهن عبد الهادي :

كان يلاحظ منذ زمن ان وصيفة حبيبا تصدم العموة ابي الرجال ،
لا تظهر امامهم ، وانما تمل يدنها من اسباب بالصبية ، وكل جسدتها داخل
ادار .. ولكنها هيا نفسها ! بكل جسدتها تصدم العموة ، وتصيبها
انصبا !

وكنت هذه أول مرة يرى فيها وصيفة تصب العموة على المصطفى
مرحل غير ابها ، ومن الواضح انها تصنع هذا بمجرد ان محمد امدي
موجود ..

وسلم عبد الهادي بشدة والى السلام ياقتصاب ..

واهترت وصيفة فندب رآته امامها فجاء ، ومال منها المصجان ،
فتركته يمع على جنباب محمد امدي ، واسرعت الى داخل اذار تهرق
من وجه عبد الهادي ..

وشححت محمد امدي بتؤدة وهو يدع يده انحناب المنسكب قائلا:
— خيرا ! طلب والتسفتي ليه ؟ ده مضاه انت حبيكي ان شاء الله !

وشعر عبد الهادي يثن يهبط عن قلبه ، ولاح له محمد امدي
مرها الى آخر حد ونظر في وجهه بضيق ، وكأنه اكتشف انه ثعلب
الظل مدبب .

ونفى ان يطرده !

ولم يكن عبد الهادي قد جلس بعد ، بعد ظل واقف في الشمس
امام المصطفى العمورة وحدها بالظل بينما اشعة الشمس تتوقد في كل
مكان . وطلب محمد ابو سويلم من عبد الهادي الا يقف في الشمس ،
وافسح له مكان بينه وبين محمد امدي ، وابتمس محمد امدي وهو
يعول متطلعا لعبد الهادي انه يقف في الشمس لانه يمكن ان يكون عليه
دب !

ولم يتسم عبد الهادي ونظرت نظراته وجه محمد امدي ،
كان معطرا حلف وشعره يلعب تحت طاقيته النساء الماحرة الى
الوراء عن مسك الشعر .

انه لا يستطيع ان حرك اللب وما فيها هذه الأيام ، والشغل كثير ، وأعواد
الطين والأدرة مهددة بالهف .

وقرر أن يدخل الآن دار محمد أبو سولم فيمسك ببسده وصمعه
ويسألها عن سر حصرة ، ويظل يفرها بالسكف على صدقها ، ويأثر حل
في بطنها حتى تنوب وسعدن حاله المائل !

تنوب ؟ ! .. تنوب عن ماذا ؟ ..

انه لا يعرف بالضبط ان كانت حصرة قد سمعتها الى محمد أمبدي ،
أم ان محمد أمبدي كان مع بنت أخرى أمس !

وعلى كل حال فاشيخ يوسف يقول ان محمد أمبدي يعطيه
ابنته .. فهل يعطيه محمد أمبدي من هناك ومن هنا ؟ *

ومد عبد الهادي رجله على المصطبة وهو يقول في زفرة قوية
- هيه .. دول .. دول .. دول يا سيدي دول ! لألام دول ..

ويظن اليه محمد أبو سولم ليقول له ان محمد أمبدي وادق على
السفر الى مصر مع محمود بك حين يذهب بالبرقعة الى مصر ،
ولم يحب عبد الهادي *

ومات الحديث شيئا فشيئا على شعاع الرجال الثلاثة ..
وتحرك عبد الهادي فجاء ليقول بصوت مرتفع ،

- حاجات !! أنا غريب يا سي محمد أمبدي ! فاهم حاجات كثير قوى ،
الباس التي يخطئوا هنا وهناك ويشتموا البنات هنا وهناك ! حاجات
باردة *

ودهش محمد أمبدي ومحمد أبو سولم ، وتساءلا عن العكبة ،
ولكن عبد الهادي لم يقل شيئا ..

واحبس بدمه كبير لأنه لا يستطيع أن يقول شيئا *

وقال له محمد أبو سولم متمججا

- خير ايه يا عبد الهادي ؟ انت حري لك ايه الأيام دي ! زى ما تكون
حالتك لطف يا قول لك محمد أمبدي مسافر مصر مع البية غلشان
البرقعة ، بعد انبلاد الي حويلها ما بعنم عندها .. يا قول لك كم يوم
تحوالى سات وهانات ؟! .. قطعها تعطي السات وجاعة السات باشم !
والبح الدم على صدر عبد الهادي ،

وازتراح محمد أمبدي بعض الشيء حتى يسمع هذا الكلام من محمد أبو
سولم *

ولكن عبد الهادي وقف وهو صطبع الانسمام وقال متجدبا شامسا



- يكن محمد أبدي حيا يسافر اذى مع انه ٠ حسنه معه اذى
بعد ما قال عندك اني احمد ايسى محمد ؟
وانتمش محمد أبدي في الفيد ومجاهد ووقف يصرح في صوت
يانسى حرج .
- اسمع نفى يا عبد الهادي ؟ انت داير تملى شبعه دللكم دى
من زمان يسى عرضك ايه معنى ؟ فوللى كده عرضك ايه ؟ عرضك بحسبى
مسحه ؟ أم نرود

- انت ابني عاص بسلك مسحه وداير ورا حضرة
- سامع الكلام يا محمد ؟ غطس انا في حبه دلوقى ؟
- سامع بسى ؟ نفى دى مرجحة دى والا دى مصعرة ومله حيسا
كبار !

ورعى محمد ابو سويلم في ضيق ، وهو يعف بيتهما يامرهما ان
تفعا عن هذا الكلام الفارغ ،
وبدا يؤيب عبد الهادي على طريقته في كلام مع محمد أبدي ،
وهريما واحسبهم وهو يقول ؟
- خير انه ؟ ماكنو مع بعض كده زى اندبولك ! هو فيه تاريبه ؟ ..

- هوه ايسى عامل ديت ! ! هو ابلى عامل في البلد ديك .. على راي
اه .. عرضته اميلة الى كنها ! العريضة التي قال اليه على ايسى كنها
ان

ورد محمد أبدي الى هياحه فشخط محمد ابو سويلم في حبه
اه وذلك منه ان يلقى نفسه من ناحية محمد أبدي ،
وام ففعل ذلك عبد الهادي شوق ..

ومال عبد الهادي انه لاجل شيد لمحمد أبدي وليكنه لايرضى هي
..

و كد محمد ابو سويلم لصدا الهادي ايه يسط في حق محمد أبدي
كثرا وطلب منه ان يعامله كاح .

ومال على محمد أبدي وطلب منه ان يصلى ما في نفسه وأكد
محمد أبدي ان يعبه صافه وانه يحب هذا الهادي ويعبر به ، ولكن
عبد الهادي هو الذي يتعمد اهاتنه من حين الى حين .

وقال محمد ابو سويلم لصدا الهادي :

- طب قوم يا عبد الهادي حب على راسه قوم .. جاتكو العلم ..

دانو احوات 1

وقدم عبد الهادي متثافلا ..

وظل محمد ابو سويلم يكرر :

- العذرة بسطه .. دانو احوات !

ورد كلام محمد ابو سويلم وسراته الحنية المعمة في اعماق عبد
الهادي .. ووقف بعض اوقات جائرا لايعرف ماذا يصنع ، وتقدم منه
محمد أبدي ، وعينه تفيض شجاع حزين .. ومال عبد الهادي على
راس محمد أبدي ففعلها معتذرا ..

وقال محمد أبدي في طيبة وهذود :

- استمعر الله ! انت الى حدث عيه ؟ انا اللي مخوق لك ..
وانتصني احسسان وتعتافا ،

واد كذا يرتماي على بعضهما في اعتذار متبادل ، شعر عبد الهادي
بحب معجىء لمحمد أبدي بعمره ، واحس محمد أبدي كان قلبه لم
يعض لصدا الهادي غير الحب ابدا ،

وكادت شمس الظهر قد غمرت المصطبة ، والصهد يتوهج في كل
مكان ..

فاستاذن محمد أبدي قائلا انه سيذهب الى العمدة الآن وبعده الى
محمود بك من فجر اليوم التالي ليعرف موعد السفر ..

وقال عبد الهادي بصوت رقيق مشحون بالمطف والامل :

- تروح وتجي بالسلامة يا محمد يا حويا ..

وانصرف محمد أبدي ووراء عبد الهادي ..

ودخل محمد ابو سويلم الى داره ، وبسعه تفيض بشعور حنون ..
وعبدوا يتنهد الرجس الثلاثة عن بعضهم كان في اعماق كل واحد
منهم احساس كبير بان قلبه عامر بدفء خارق يصحه القوة والكرامة
والامن ، والسطان ، والمقدرة !



في الصباح .. لم تكد الشمس تشرق ، حتى كان
عبد أمدي يسير الى محمود بك في عرصة المجاورة .
لم يأخذ طريق الجسر الأنطوي الذي تسلكه البحير
عادة وإنما مشى على رصيفه في طريق ضيق ، حصل
الحقول المحصورة بين حوص أنجرس وحوص الترمه ..

وعلى جنبى الطريق الضيق كانت بفرة هائلة أو لور أعجف يجر
المحراث متشابها ببطء فيهبى المحراث بسكبه اكثير على الأرض السوداء
وبعلبها .. ومن وراء المحراث امرأة أو رجل ينثر الحبوب ، وإلى القلب
دعاء وأمل يحالجه أخوف من المجهول !

وتفكر محمد أمدي بأسف أن هذه الحبوب يمكن أن تموت في
الأرض أن لم تعدن الحكومة مواعيد الري !
تموت هذه الحبوب قبل أن تتمدد في الأرض ، وتخرج منها
الأعواد أنجيلية الحفراء الممعة بالكيزان والحير !

ولكن العريضة التي يحملها معه ربما سمحت، لهذه الأعواد بأن ترى
اشمس وتنمو وتزدهر وتمتلئ بالكيزان الجديدة .
إن حياة القرية وحياته هو نفسه الآن هي يد محمود بك ..

أيمكن أن تكون حياة أساس وأنزوع كلها في يد رجل واحد ؟
هكذا ؟ .. حكم !

وهر محمد أمدي رأسه وقب يدیه وحطوانه يخطى على الأرض ،
وبشه يذكر صده أنه يحب أن يكون صد محمود بك قبل أن يقوم أنك
من بومه ..

وأسرع محمد أمدي .. وكاد يصد في أنطريق الضيق بين الحقول
وأوشيك عدة مرات أن تقع قدمه في الأرض المبلورة فتعاسك حتى
لا يعسد بؤله من قدمه ، مستقيل عدة حبات ستصبح فيها بعد أعوادا
تحمّل الكيزان ..

ولم يكد محمد أمدي يصل إلى العربة حتى استقله محمود بك ..
وقبل أن يسأله محمد أمدي من موعد السفر قال محمود بك أنه
جمع عددا طيبا من التوقيعات طوان نهار أمس ، ومن الممكن أن يسافر
أيوم في قطار الظهر لتعديم العريضة إلى رئيس الوزراء في مصر ..

وأهبر محمد أمدي وهو يتحيل نفسه ذاهبا مع محمود بك لغاية
رئيس الوزراء ؟ واستهال الأمر ، عماد يسأل محمود بك أن كان سيغفل
رئيس الوزراء حقا ! فرد عليه محمود بك بصفاء مؤكدا أن العريضة مدممه
لرئيس الوزراء .

وسك محمود بك قتيلا قبل أن يقطب من محمد أمدي أن يدبر له آخر
السفر والاعباب ، مما دام سبب سفره هو قضاء مصلحة لعنة بلاد ،
فعلى كل بلد أن تدفع شيئا وعلى بلد محمد أمدي أن يتحمل عشرة
حيباب من مصاريف الرحلة ..

وتردد محمد أمدي قبلا قبل أن يقول شيئا .

وظل يفكر ومحمود بك يكلمه بتردد تعظمه الجسونة ولهجه الأمر
في بعض الأحيان ..

وبعد قليل نهض محمد أمدي من صد محمود بك ، بعد أن اتفق
على العدة في محطه السكة الحديدية بإقامة الأقليم في موعد قديم تقاظر
أنظره .

وأسرع محمد أمدي بالعودة إلى قريته وأحمد يجري هذه المرة
ناصع ، مادا تعب استراح على المشى أربع . ومر على أخيه ذياب
وهو يعرف العطن في الحن بعوض الترمه ، وصاح فيه بعطلة :
« هات الركوبة يا واد والحنى عالدار .

وتابع محمد أمدي سيره إلى القرية مستمخلا ، وأمام عينيه تتحدي
صور غريبة مبهمه عن أدهرة التي لم يرها منذ سنين ، ومن رئيس
أنوزراء الشيخ الذي يصب الموت على الآلاف وهو جالس في مكتبه يندوه
بكل « الساندوش » ، لفرط ما لديه من أعمال .

أب ذياب بعد ترك قاسيه ، وهروا إلى رأس الجعل ، ودخل الروبية
التي يبسب عن ظهرها يخبرس أنهارا في أنصيفها ، فملك رباط الجحشة
الصغيرة أنصفا يطرز وأهتام ، وأمسكها من رقبته في رفق ،
وأخرجها من الحظيرة .

وذياب يدرك تماما إلى أي حد يهيم أخوه محمد أمدي بهذه
الححشة ..

فمحمد أمدي يشري لها الفول من البندر ، وقدم أنبها أعلف
نفسه - وهو حينما يصع في معها قطف صمغ من رأس أنسكر ؟ ومحمد
أمدي يحذاها نفسه كل أسبوع فيسبل ظهرها في أنهر نالناصور .

ومارال ذياب يذكر نفسه - تحلل - أنه منذ سنوات حاول أن
يشيء بيته وبين هذه الححشة علاقه من هذا النوع أندي يشأ في القرية

أحيانا بين بعض المراهقين وأطفيرو وأحيوانات الصغيرة .. وغسطة
محمد أمدي مع الحشنة فضره بالكف وأرجح وصاح به أن الحشنة
ليست كحميز السباح !

وعنى إليه حال فلم يعد دياب يحاو لشيف كهذا الآن .. بعد كسر
ووقرت عليه حصرة كثيرا من هذا الماء ! ولم يعد يد حبب حصرة
معه أن روية يتكر في أنطورو أو الحيوانات الصغيرة .

ساق دياب أمامه أبجسته البيضاء ، فعزت في حركات وشيعة
وركضت ، وهو وراها يركض .

لم يحاول أبدا أن يركبها .. فقد كان يعرف أنها ليست كحميز
أبج ..

وكان يعرف أن مشيتها الجميلة ربما خسرت أو تعدد على ظهرها
الركبون بعد رباها أخوه وهي طعنة على مشية تريجه ودرجت فيها ..

ولم يكن دياب يصل إلى أذنان حتى وجد محمد أمدي يسوق على
بعض باب الحجرة أنى بهاها فوق سطح الدار ، منذ اشتمع مدرج ،
بعيدا عن أن روية التي نلم اليهائم في لين أشتاء ومن القاعة التي تعيش
فيها أمه ودياب .. وكانت أمه تسمى هذه الحجرة « معبد الأمدي » .

ويأدي دياب على محمد أمدي فثابت له أمه .

ب أطلع يا واد أحوك فوق في معنده . أطلع له المعبد .

ولكن محمد أمدي ناداه من وراء أساب أميق قائلا :

ب شيد حاكوكية يواو يدياب وروح نادى أبو محمد أبو سوسم
قول به أنا مسافر مصر مع البية دالوقتي .. قل به السفر الهارده ..
دوقت أمه ..

ووضع دياب قطعة من اسد على ظهر الحشنة وحط عليها بردهة
من أنطويه ، وأدخ في معها اسحاق ، وثبت طرفه أنطوي الأبق في
خلعه دقيقة من اسكن على رأس البردعة ، وشيد خطا من أشيل المدون
في أرجح الحشنة وربطه قائلا به بصوب حفيض وهو يصرف :

ب حليكي واعدة هيا يا مدونة اسي ، أوعي تسعلي ولا ترمعي بعي
كده ولا كده !

ثم صاح وهو يجرح من الباب :

ب حلي نالث من الحشنة يا أمه .

ومشي يهر طوله الأعف أي محمد أبو سوسم ، تارك أمه تحاول أن
تسلك أديك البلدى لتندحه .

وفوق السطح كن محمد أمدي قد فرغ من ارتداء ملابسه ، وأخرج



زجاجة المطر من أول درج في « البورية » وسكب من الزجاجاة على رأسه ويديه ، وأخذ يدمك دقه وكل رأسه ووجهه ..

وتناول محمد أمدي طربوشه ووضع على رأسه في عناية بميل قليل على الجبهة .

وانتبه إلى دلوام حشني صغير غائي في الاحتظ وتبعه ورفع كومه من الأوراق البيضاء ، ثم طامية من الصوف ، ورفع من تحتها كتابا كبيرا ، ودس يده في داخل الدلوام ، فأخرج كيسا كبيرا من الجند وأخرج منه ورقة منية .

وتوقف وهو يعون لمسه :

« كفاية الجبهة ده ..

وفكر قليلا ثم سحب ورقة منية أخرى ،

— برضه أنا واحد يزره نفسه في مصر شوية ؛

ثم أخرج ورقة كبيرة ذات عشرة جيبيات ، وأمامها طويلا .. ثم دس قميمه الأيمن ، وحشر الورقة المائية في جيب الصلديري البليدي المخطط ، وأحكم الخلاق زراير القميم ثم زراير الجكتة ، وهو يقول بزهو :

— ادّي يا سيدي فلوسي محمود بك يس أياك تعرف نحصليها من ابلد !

ودس الجيبين في محفظته ووضعها في جيب الجانكسه الداخلي وهو يكمل :

« وآدّي يا سيدي فلوسك انت .. يابلا بر بفسك !

وبعد أن أعاد كل شيء إلى مكانه بالدلوام أمله بالمتاح ، وانتحبه جيذا ، ثم وضع متدحه في جيب أبطلون ، وشنى مطمئا .

وقبل أن يعاد حبرته ، لتسبي صدره وتلدته وحبرونه وطربوشه برضا ، ولغس بصوت مرتفع ، واتجه إلى باب الحجرة فاقمها بالمتاح وخرج ..

وهبط السلم المصنوع من الطين ورأى أمه تديح الديك فقال لها — وهو يقف على إحدى الدرجات الضيقة المتوية — أن الوقت تأخر ومحمود بك ينتظره ليقابل معه الحكام في مصر ويتحدث معهم في ماء الزى .

ثم هبط الدرجات الباقية ووقف إلى جوار أمه ..

وأبواب أمه وسألته أن كان يستطيع أن ينتظر ليحمل معه إلى حابه ..
« .. م حسود هذا الديك وبعض تعاطن والزأر الممر ..

فصحك محمد أمدي وكرر لها أن الوقت راح ومحمود بك ينتظره في المخطلة على قطار انظر ..

وعمل يد امه .

وقالت له وهي تعمل يده :

— روح يا بني مع السلامة ردا يبحح مفاصلك ! ردا يبحل لك الهبة والميل بالوية يا محمد يا ابن نطى ..

وفك محمد أمدي قيد جحشته وأمسك بلبامها وخرج بها من الدار ، ووقف على اساب ينتظر عودة أخيه ، وأمه تسأله أن يذهب إلى حالة الشيخ حسونة في شبرا ليميت مده .

ولمحت له أمه أن يطلب من حذله أن يروجه أخدي نثاله ، وقيل أن يحبسها محمد أمدي مرت به أخدي جارائه وهو وأفع على باب الدار بالبدله والحضنة في يده .. فسأته جارتها أن يشتري لها شيئا أن كان كان ذهب إلى المركز .. فدل لها باقتصاب وصيق :

— أنا رابع مصر ..

وأبدت جارتها دهشتها لسفره هذا المجاريه ، وظلمت منه أن ينتظر حتى تحضر رواده لابنها أدبي يحمل في مصر على عربة حطور ..

وبدأت تعالبه لأنه لم يقل لها قبل السفر بوقت كاف .

وتذكر محمد أمدي أن كثيرين يمكن أن يسموه أشباه أولاد البلد الذين يعمون في مصر ، وصور نفسه يدرع القاهرة من بولاق إلى شبرا إلى الناصرية إلى الجيزة بأحماله هذه وملأه الأرتباك وهو يفكر في ألفة محمود بك وسرعة غضبه .

كيف يسافر معه ويركب إلى جانبه وهو يحمل الخناطف وأسمع ؟ وكيف يستطيع أن يدبر وقته ليلقائه في معبده المفضل بالمعربة الخضراء ومعه كل هذه الأحمال ؟

ولجأة صرخ في جارتها :

— يا وليه هو أنا رابع أزور السيدة زينبا ؟ ده أنا رابع أقابل الحكام !

وبوقعت جارتها وقالت في ضحكات متكررة :

— شيء لا يست ! ات رابع لزور الحكام ؟ الحكم اللى في مصر ؟ طب ومابه تأخذ معاك زوادة . أن شاء الله تصبح من الحكام يا محمد يا ابن قطايف .

وقالت أمه في ضراعة وتوسل :

— أن شاء الله يا أحنى من حنك لك السما .

— عجب! نفی من عجب! نفی آ پسر عیبها... هو حقیر به
فکر ای اما ارضی احقره به! واللہ دی نو کمل حتی ۴۵ سبہ
من غیر حوار ما ارضی ادبها له!

وكان أندري يعقوب أمام الذكاء ، يعرفون على الرغم من كلامه الكثير .
انه يحسن أن يضح ويهسي فيحدث محمد أهدى روحا لاسه انشاحه
الحياه العود التي تحمل سمم وجهه اسجل العباس . .

غير ان احدا من الواقفين لم يقل شيئا .
واستمر اسحق يوسف يقول كالهامس

— ذى بنت متريسة على العالى يا جلدتان ! ده أنا مجسها
من ١٢ .. ذى متريسة على العالى روى واقه ! دا انا مجسها ايام
ما كنت باكل ثلاث ارجال لحمة فى ايسوم ! ايام الف الاولانى ! فى
الحصة بتاعة الرمان الاولى !

كان الواقفون أمام الدكاك يعرفون ان نساء بيت الشيخ يوسف لا يخرجن الى الطريق كالفرويات بل يخرجن في الليل والحداب على

وقال أحد الوالدين :

— اه ! . . . دی ست اصول با هم الشیخ یوسف ،
واریح الشیخ یوسف لهذا الکلام فاکمله :

— اُمال؟ مَشْ ثَقُولی اُحوزها لَی محمد اُفندی تَعاکم !

ومسح وجهه المجهل براحتيه ، ثم هر رأسه وعيناه تلعبان نظرات
ساحرة على الطريق أمام الدكان :

— ججشة ممتدة ، وردمة قطعية ، وردة ملوكي ! والله عال !
 من انت يا واد يا محمد اسدي يا ابن الحمار واضح تقابل الحكام في
 مصر ؟ حكام ايه يا احوالي ؟ حكام ؟ يشايل مين يا به ؟ بقى انت الى
 تاترجع الى ليه ؟ ، طب يا نشوب آخره العروضة دي يا بلد ا . هوه
 مد عارف العروضة انها ايه ؟ حد عارف محتمين البلد على ايه ؟ بيكن
 بختينيينا على كسبانية ؟ .. حد كان قرأ العروضة ؟ ما يمكن تكون مغزو
 النعمل في البلد ا ؟ يا بلد ! ..

ولقد اتفقوا على باب الذكالي نصيبه في رعب ماضي ،
بدأت تساورهم الشكوك الخيفة الضامسة ، والكلمات تدجر
بعاقهم تحمل كل الحيرة والإضطراب : من عرف ؟ من ؟ .

هل يستطيع محمد أن يقاتل الحكام في مصر ؟
هل يعرف أحد ما في القضية ؟

إن أحداً في القرية لم يقرأ العربية ، وحتى الشيخ الشساوي
أندى كان يجمع الناس والاحتام بحماس بالغ .. لم يقرأ هو نفسه
كلمة واحدة من العربية .

إنه يعتقد فقط أنها طلب إلى الحكومة لتحدد مواعيد الري .

ولكن الشيخ الشساوي هذا جمع الناس ذات يوم من الحصول
ليعطوا أصواتهم لهذه الحكومة ، وقال لهم إن بيدها الخير ، وإن قدومه،
قدوم سعد !!

وكانت الحكومة نفسها على القرية :

فصارت محمد أبو سولم من مشيخه الحمراء وبعت حسوبة أترجل
العاصم وسحبت بعض الرجال وحجرت في أرض البكتيرين بطير
الضرائب ، وأخيراً حرمت مياه الري على الفلاحين ! وفي قتل الفلاحين
من أعطاه أصواتهم لها وساموا كلام الشيخ حسوبة ومحمد
أبو سولم وحسبوا أنها ستسحق .. ولكنها بقيت مع هذا على قلوب
الناس كالحمل الكره ! أترأها ستظل باقية تحرم الفلاحين من ماء
الري ، وتميت الأعواد الخضراء التي ستحمل الكبرياء والطعام ذات يوم
إلى الدور !!

على أية حال سيدين كل شيء بعد عودة محمد أفندي من مصر ..
لقد أوشك دور المياه الجديد أن يقبل وستعرب القرية إلى أي حد
أرادت العربية : أظفل خمسة أيام كما تشاء الحكومة تمطش نصف
الأرض ؟ أو يعود - كما كان من قبل - عشرة أيام .

ولكن لم تعد العربية فعادوا يستطيعون هم أن يصنعوا ؟
إنهم أن يتروكوا الحكومة تأمر كما تشاء ، وبيني ما في القلب في
العاب كما قال لهم محمد أبو سولم يوم كتابة العربية ؟
ولكن .. لو أنهم رويوا الأرض على الرغم من أوامر الحكومة فعادوا
يكون ؟ أم إنهم أن تلم الحكومة وحال القرية وترسيهم في السجن !

ومدا بعد ؟ لا أحد يعرف !

مادا يصنعون إذن ؟

لا الشيخ يوسف ، ولا عبد الهادي ، ولا محمد أبو سولم ، ولا أحد
على الإطلاق يعرف ماذا يجب أن تصنع القرية !
أترلك لورات القطي تدل أمامها بالأمال ، وأعواد الإدارة المصفاة
تصف وتوت هودا بعد عود ؟ .

أترلك تسبها وعاصها وعرقها كله يحف على الأرض العطش ؟
أم تراها ترائع الميؤوس على الرغم من كل شيء ، وتقطع أشعره
وتدير السواقي على الجسر ، وتضرب رجال الحكومة حين يلقون ؟! .

إن الحكومة تستطيع دائماً أن ترسل رجالاً آخرين ! تستطيع .
ترسل رجالاً يلبسون نظاراتهم وأنزل الصفراء أحييه ومكثون
الباقي !

ومارات أفوية تذكر ما صنعته الحكومة في أيام الإحتجاجات على
رفعته القرية أن تحتجب حزب الشعب .

وحيث كان الشيخ يوسف والرجال يتحدثون في كل ذلك كان محمد
أمدى قد سح آخى القرية وأول الطريق الضيق إلى الحسرة ... وقف على
حجر مرتفع في الطريق ووثب على ظهر الحشيشة ، وأخوه يحسبون أن
يسمعه وإن يضع حداً في ركاب الردعة ..

واطلقت الحشيشة محمد أمدى تركض متوترة وهمب الرشيق
الملاء ينشئ في اللعاب ، وس وراءها يهرى ذباب .

والثفت محمد أمدى وراءه فوجد القرية متوترة وبيرتها الصغيرة
السوداء لمعد منه في بطنه ، فرفع عليه احساس بالحشيشة وبدأ يسبح
حقاً أنه سيتركب !

وهو رامسبه ، وحرك قدميه ، كأنما يريد أن يهرب من زحف
مشارفه . وأسرعته الحشيشة تحرى .

وعاد محمد أفندي ينظر إلى الوراء ، فرأى أحاد ذباب يهرى في
سرعة شديدة حافى القدمين فشد محمد أمدى إليه لحام أنحذسة
لتنطى . وبدأ ذباب يعجب من سرعة العذر .

وقابل محمد أفندي فتاة تحمل حرة فارغة في طريقها إلى النهر ،
فاستدارت الفتاة ، وتحت في الطريق ، ودخنت أحد الحمول ،
وروضت حرتها على الأرض ، وأحت راسها إلى الحرة ، وظهرها إلى
الطريق ..

وافتنط محمد أفندي لما صممه أفتاة ، وتعامل خيراً بينه وبين
نفسه . ثم سأل أحاد من الفتاة فقال له ذباب أنها أمة الشيخ الشساوي .

فاستطرد محمد أفندي يمدح أربة أفتاة : فقد حانت أن يذلل
محمد أفندي في الطريق حرة فارغة ، فتكون الحرة العاصرة دليلاً
شؤم وهو ذاهب يسمى في حاجة له وليس ..

وانتم ذباب راضيا .

كان ذباب - كبره من أهل القرية - سيشعر محسوف كثر -
عاصفة من المحمول ، وسبام ونعاف من أشياء عديدة لانهما .

وقال ذباب أنها أمة سببها الشيخ الشساوي - تحسن العوم -
وتدرك أسرار الأشياء ، كأنها !

ويم يحب محمد أمدي ، وأحدهم قدماه مستعدان عن جانبي
الحجشة ثم ستمعان بهما ..

وقد عرفت به الحجشة وهي تصعد أي أحضر مسرعه ثم استعانت
في الطريق الواسع إلى عاصمة الأقليم .. وأسرفت الحجشة في
جريها إلى أحضر ، ومحمد أمدي ينتعت عن يمينه وشماله ليلقى
السلام على كل من يلقيه .

وقال دياب لنفسه وهو ينظر إلى الحفول وراءه :

— أحنأ خلاص طبع من البلد .

كانت هذه حقيقة واضحة ، والحجشة قد حاورت زمام العبرية ،
ونقى أمامها خيبة قري حتى تصل إلى عاصمة الأقليم .

وأرتفعت أشمس قليلا — وقد دياب تعوضان في تراب الطريق —
وبدا يهت وهو يتابع الحجشة في ركضها المتوالب . الذي يثير على
عينه حبات أنهار .

ولم يعد دياب يقول شيئا ولم يكن محمد أمدي هو الآخر يكلمه .
نظر محمد أمدي إلى النهر الصغير : يستدفع فيه الماء على
موجات هذبة مثرقة بالطمس .

وقال محمد أمدي لنفسه وهو ينظر إلى المساء الذي كاد يبلغ
البحر :

— الفيض جامد !

فرد دياب :

— أمال حاشين منا اسمه ليه ؟ أياك نحدثي روحهم .

وسكت محمد أمدي وسكت دياب ..

واحد دياب ينظر أمامه على الحائنين .

وكان يشعر بالارتياح كلما رأى شجرة في الطريق ، فالسحونة
قد بدأت تسري في التراب وتلمع قدميه ، والصفاء يشوي كل بدنه
ووجهه .

وكان يتمهل كلما ظلمته شجرة ويمتد قدميه بلمس التراب النارد
الرفيق .

وسرح دياب يفكر في أمر طريق البحر هذا ، أنه يشوي الأقدام
لكثرة ارتباب الدقيق فيه ! أو أن الحكومة أصحبه ، وأهتمت بهذا :
لأنه سوج بدلا من اهتمامها المبالغ بأحد ماء الري من الحقول العطشانة !
وهو ذاب رأسه وهو صامت .

وكان أخوه سامتا .

وأشمس ليلته الطريق ، ودباب مشغول بالتفكير في هذا الطريق
إلى المركز .. أنه صعب كالركن نفسه !

انه يشعر بسحونة توليه في هذا الطريق ، هو الذي لا يكاد يشعر
بالسحونة في أرض قريته السخية بالتراب اللين .

ولم يكن محمد أمدي منتعنا إليه .. كان لديه راحة من الأفكار !
وهو منتصف الطريق فال محمد أمدي :

— جوركشي بيت سيدنا يا واد يا دباب بعد ما سبيع العطر
ويطلى !

سكت دياب قليلا ثم قال بعدا :

— قطن ؟ وان ما نضاي العطن .. يمي مفيش حوار ؟ هسه فيه
فوس ؟

ولم يحب محمد أمدي .

وعاد دياب إلى مسنته ، ثم أسرع في حربه وراءه أحجسته حتى
صبح إلى حوارها وهو يقول :

— ويبي أنا يا آجي حوار مالايش غير بيت سيدنا ؟ هيه حبيب
اللي ؟ دهدي ! .. ماتحور واحد مفي رى أبوها !

فالتفت إليه محمد أمدي قائلا :

— يمي جاسورك بنت أسنطاس باحي ؟ حاشك أعم في كـ ..
سكت .. ومالها بنت سيدنا ؟

وسكت دياب .

وتنحى محمد أمدي قبل أن يقول مستمعا :

— ولا يعني ما ينفعني معاك الا حصرة ! نحورك خضرة ؟ !

وزم دياب شفته في احتجاج ولوى رأسه قائلا :

— دهدي !

وسكت دياب من حديث .

وظلت الحجشة تحري ، والمراكب المحملة بالمال والبلاليم
والأحجار والتين تعطر على صفحة النهر من حين إلى حين .

كان الصبب الألهة يخيم على كل شيء .. وأحجسون تمتد تحب
حرارة الشمس إلى حوار البحر ، وعلى رأس الحقول تتناثر أشجار
حجرتها المعانير .

وبعد أن حاورت الحجشة ثلاثة بلاد بدأت الحياة تدب على الحبر .
فالتفتي تدرج ، والأصوات المختلفة ترتفع ، والرجال يعملون

وأحد محمد أمدي سقى عليهم السلام وهم يمشون إلى باب للماء
فيسبل بالراحة من النهر إلى الحقول .

وقال دباب متعجبا في حق :

— الله ! يعنى السواقي دايرة ها أهه بىروى أرضى نبات ؟ يعنى
أرضيه اجد هي التي كعرب ؟ يعنى الله عاكسه ودول حتى بيرووا
بالراجه من غير سواقي ' اسمعى عا ؟

ولم يحب محمد أمدى وهو رأسه ، وبحسن حيوة ، وهو
قدمه على جانبى الجحشة ، وظل الجحشة بحرى وبحرى .
وعندما اقتربت الجحشة من مدخل المركز كبت أشمس تكاد
توسط السهم وترسب وهجا يقع الفحول وأجساد الناس وأبدان
الخر تشوى أعضاه .

وأجس دياب بتراب الحبر كابه وماد بار ما زالت تشعل ، وناعد
قدميه من الأرض وهو يثب من الأرض ، وأربع سوته فحاة :

— ومحمد أبو سويلم ماله يامى محمد أمدى .

فقال محمد أمدى دور أن يمتد أبى دياب :

— ماله ؟

وهرى دياب حتى أصبح إلى حوار الجحشة — وحاول أن يسمع
يده على ذيله ، واستمر يقول في صوب منفع :

— يعنى ماله محمد أبو سويلم يعنى ؟ يعنى مش بسه أحسن من
سيدنا ؟ يعنى ما بسبسه بيجرى أيه ؟ ما أحيد بسه ! دى بس بالمعى

صحيح ! حنوه ودى لهنه بصفه ' ماحدلى وسفله من دولتى
وأن لبسه حيا استسى القفل ؟ ده ان دافع بديه أجهادية عاصوب ؟

الواحد كى وما لوش يستنى كده من غير حوائى ؟ ما تقرا لى فاهه
وصيلة يامى محمد أمدى وأهى أرضى الشبح يوسف أبى أجا

راكيبها حسب أرضى أبو سويلم سوا ! وسير أرضى أسبج يوسف تقى
تعبسا والواحد يعنى يقى بحرت بالظون والاعرض .

وشحك دياب وهو تشكم واشرق وجهه على أحلامه ، أما محمد
أمدى فقد فوجئ بكل ما قوله أخوه دياب .

ونظر إلى دياب يسأله متهملا باستنكار حتى واستنكار :
— عاود تحبور وصفا ؟ .

فقال دياب ببساطة ووجهه فى الأرض :
— أى نعم . . قشقه . . دى أسى . . دى مرد أبى أعباده !

وبع ريقه ورم شعته ولم يعل شئنا نعد .
فصكت محمد أمدى هو الآخر وهو رأسه . .
وتقدمت الجحشة . . وبدأت أرجلها تخرج أرضا بده . .

أد محمد أمدى فرعاب حوار حشته على أرضى أمدية وأجس بالخرى ،
والسكينة

ولم يبعد دياب يحسن لمعاب الطريق على قدميه العاريتين .
كان الطريق مسودا بالأسمنت ، وأصبحت الحافى يرتفع منه كانه
فرد محبى . .

ولم يكم دياب صحره وأحد يطر فى الطريق الأسود الموهبه
والعرق يسير من جهته ووجهه وكل جنده ، واللبسات برهو
قدميه وضاح

— دى أسكة بقى وبعه ! فطبعة تقطع المركز على أعضاهه ، أب
عارف أساس يمشوا أراى عا لولة دى .

بم همس لنفسه :
— يا ريشى جيت اللعة !

وأحدثت الجحشة تضطرب فى سيرها والعربات تراجمها . وأدبكت
أوراق أسناراب وأجراس الحافى ورقمة أسياط ، وأجطت عدة
مرات وأوشكت أن تقذف بمحمد أمدى من الأرض .

وأضطربت نظرات دياب بين مسعوف أسبوت وأدبكتين على
الجانين ، وأمتلات حياشيبه برابعة الطمعية ، فانشى . وأجسه
سظر أرغة القمع المعروضة أمام واجهة الدكاكين .

وظل يلمع حوله وأوشكت رأسه أن تدور من أزدحام المناظر .
وقطع محمد أمدى أمتلات دياب فعال وهو يمشى فى مساعة يسه
منظمه . .

— بسه فاصل ساعة على ميعاد محمود بك . حد الجحشة بقى انت
وارجع يا دياب وأنا حاكمن على رجلية .

ومال إلى أحد جانبى الطريق وعطى من على ظهر الجحشة وهو يوصى
أجاد بها وبصهرته الخاصة فوق السطح .

وعندما سمع عنه عاد محمد أمدى يقول :
— ابنى اركب الجحشة وانت راجع . . وما أوصيكشى تانى عنيها وعما

أبعد . جلته مسكوك على طول وحد بانك من الشغل يا دياب . انت سست
عشرين سنة ، يعنى مامتش صعل ، أنا راجع بصد حسنة يومى ثلاثه

سلم على أهل البلد وأحد واحد . سلم على عبد الهادى وأبولك محمد أبو
سلم . . وأحد ثالث من أمك ندياب . أوع تزعتها إلا تتحالفق وناعا وأنا

بهر . أوع تماكها وأنا غايبه .
ومرة أخرى سلم محمد أمدى على دياب ، وقبل دياب يده .

ومتى محمد أمدى يتحس نلله وحويه . .

وثى دباب لجام الحششة ، وسحبها حتى خرج تماما من المدينة وهو يمشي على حذر .

وعندما وجد العقول امامه ، وقف على ظهر الحششة ، وشمر بحسده برتاح على البردة القطعة السخنة .
وانخلت الحششة تطلق على الطريق الواسع .

وأدار ظهره الى المدينة ، فبلائه الرعدة . . وحاول أن يشين أخاه في شوارع المدينة ولكنه لم يستطع أن يرى شيئا غير البيوت المائليّة ذات الطواقي والعربات والزحام . .

ووجد نفسه وحيدا والمدينة تبعد عنه فصاح لفاعا كأنما تذكر شيئا مهما !

— الله !! يعني ما خدتش منك عقدا باسم يا محمد أفنتي ؟ الله يعني نازي محوشلى وصيفة والا ؟ عاوز برقا كاتحة وصعبة يا اخا .
وتخايل على الحششة في كبرياء ، وعساه تمثلان بصورة وصيفة ، وحسبها الأنيق الطويل الزراري كالقنطرة ، ووجهها الرائق كالفل ، وفكره يسرح في أرض الشمين يوسف التي تجاور أرض أبيها . وأمامه بمقد الطريق الواسع الى القرية .

وظلت الحششة تمرد وتمرد على طول الجسر . . نفس العصر الذي كان دباب يحري حافيا على تراه المتهب منذ لحظات .

وكان دباب يمشي لساعته في مشاعر سميكة وإحساس فائق بالاعتبار وهو فوق ظهر الحششة الفارغة المظلمة التي تشبه الحصان العربي الأصيل .

ولكنه لم يكد يبعد قليلا عن مدينة المركز ، حيث ترك أخاه محبسه أمدى حتى دمه شعور مبالغ بالحدة والفراغ .

وأجذب أروحه الذاكرة تلح عليه ، وهو يحرب في صغره الهمار ذي الضمهد .

وتسى لو أنه استطاع أن يسمع أحده من السفر .
ومع ذلك بعد ظل نهر قدمه الحافيتين ، ويهيم بطن الحششة كعنه الجاف ، متعري الحششة وتحرى .

كانت الشمس تتوسط السماء المبرغة من الخيوسم ، وفي وهجها يدوب كل شيء حتى الظلال !

ومر دباب يرحال على مصافح متباعدة يتربحون نحو أشجار على الجسر ، فحاهم واحدا بعد واحد وكانوا يرددون التحية بعتور . . لم يشطروا لرد عليه كما فعلوا مع محمد أمدى . . .

وهي ملك الساعة من النهار لا ينصح الجسر بحركة على الإطلاق ، ولا يستطيع الماير العربي أن يتلقى حلالة الأصوات تحييه وترحب به في اعتناء ، مؤكدة — في حشوتها وصديقه — أن الإنسان على الرغم من كل شيء ، ليس وحيدا في عالم التحول !

وظلت الحششة تمرد يدياب من أرض قرية الى أرض قرية أخرى . وما رأت الكأبة تحفة .

وتذكر انه في هذه الساعة الهامدة المتوجهة من سكوت النهار ، يظهر الجس الاحمر الذي صنع عه طويلا وهو طلع .

وحاول أن يصغر دما من موال حرين ولكن هساته لم تتعلق ، وفاصت في نفسه سكية الموت ، وابحشة تقترب به من أرض قرينه .

وعندما بلغ من الجسر أول الطريق البصيق الذي يقص الى دور قرينه شد لجام الحششة بإحكام ، فتوقفت به قليلا ، وأنى نظرة سريعة على صفحة النهر التي تسطح في يريق حاف تحت قرص الشمس ، ومعبت عيناه من سطوع الضوء الحافط على الماء ، فأرسي لجام الحششة ثم انعد الى طريق القرية وهو يكر في أخيه محمد أمدى وفي وصيفة التي يستطيع أن يتزوجها على الفور لو أن أخاه قال لأبيها كنة واحدة . ولح دياب من بعد فناة تمحدر على الطريق البصيق . . لم تكن مجرد فناة من القرية تمرد من على الجسر بجرتها الممودة .

كانت تتمايل وتلر حصرها على غير هذه بساء القرية . .
وكانت على غير همد بالقرويات أيضا : تليس جلبابا مونا ، وتسد جرتها المائلة بيد مكشوفة بضة تمتع ليها أساور من زجاج أحمر .
وحقق قلبه ، ورايته وحشة لبعض الوقت ، وهمس لبسه بفرح .
— وصيفة !! يا وعدى !

وشد جسده بخيلاء على الجششة ، وفتح صدره بفروسية ، ولكن بطن الحششة بكسه في قوة ، ومد يده تحت البردة ففرص ظهرها .

وثبتت الحششة صاعة ، ورمعت رأسها ، وهدت ، وأحدث تجسري كما لم تجر من قبل ، وتثير العباد الكئيب .

وشمرت العنات بضجة الجششة ، فاستدارت — بحركة بارعة حادقة لتلقى بعض الماء من فوّهة البقرة في دلال ، وعندرة .

ورفعت عينيها مبتسمة .

وأت دياب على ظهر الحششة المظلمة ، اطلعت صحنكات موائية . ثم قالت بصوت من تلح ، وهي ما تزال تضحك :

— هوه انت يا دياب ؟ وجاني ترمع ورايا وتروهن كده ليه يا ميل ؟
يمس دياب ابن عام يا حي ؟ وللا يمسي هاكوي السميرة عريرة جاني
كده بانهرجة وريحه ؟ *

وقرحي دياب بصوتها وهو يقترب منها فبادل بعباف وحبيبة أمل :
— امه ! حسر ايه يبت يا حصرة ! ايه الجلابيه دي ! حبيبي
داهيح تحبك ؟ *

واستمرت حصرة تطلق قهقهات جشنة بديول حبيبة وامسك بالجم
الحجشة واوقعتها ، لتقول لدياب انها اودت ان تفصل جلابيها اليوم ،
وحاولت ان تقتصر جلابيا تخرج به بتملا جرة روجة شيخ البلد فعم تجد
فتاة أو امرأة في انمرية ترضي بعاذنها الجلاب ، الا وصيفة ! *

وسكنت قليلا وحاول دياب ان يحس يدها عن اللجام للحجشة فتمسكت
به ، وسألت دياب وهي ما تزال تهضح ،

— جيت لي حاجة هي الممد ؟ ما جيتش رغيص قبيح والا طعمية ؟
ماجيتش حاجة ؟ *

فهر قدميه على بطن الحجشة لتفطن ، وقال وهو يمسح يدها عن
اللجام :

— حاجة ايه ، ياك ترحوي *

ثم صحت ، وتوقفت حصرة عن الضحك دفقة ، وتركت اللجام بهدم
وتراجعت يدها الى جانبها ودفعها الكدر وعشيت وجهها صغرة واستغض
صوتها وقالت بمرارة :

— ليه كده يا دياب احسن عنيك ! ما كفاية حوجة *

وسهت ، ولاحظ دياب تغيرها فأراد ان يصانها وقال ببرود :

— تبني انصبر عبد الربيعة فاحدي لك روين حيار ؟ *

فعدل بصماد وما زالت امرأة في حلقها :

— يمسي غاير مي الشئ الغلاي ؟ *

واضطرب دياب امامها ، ودارى اضطرابه في قهقهة متكبسة جامعة بلا
ردي ، وهر اللجام سطلق جه الحجشة *

وعندما تحركت الحجشة أمسكت حصرة جرتها بيد ثم تقدمت من
دياب مسرعة ومالت على ظهره بقبضة يدها الأخرى فصرخته صاحكة ثم
ركنته يمسح *

وسارت به الحجشة وحصرة نشيحه بكلمات حادة أحجته *

وعادت حصرة تصحك في استسلام وطلب منه ان يحصر لها الدمار
وندى انهاء ، وانصت حشيتها نهر عودها الحفاف وبهر منه صدرها
المجلت الصمير اشترش ، وانصعكات تشيع بلا مضي في وجهها الانصر
الندل *

وظل دياب يسمح كلماتها انحارحة وانحجشة مدخل به ، بمرية *

لم يجد في الطريق احدا على الاطلاق الا وهج انيس والنداح
لا ظل ، ولا ناس ! *

وراي في وراء ابواب المدور المفتوحة بعض المحائر يستلقي عني
لأرض تحت العنبات يتأدد ويمشي في شعور ساء احرايب وندلي
الصغيرات *

وكان ذلك الشيوخ يوسف مقدما والمصابيح على طول الطريق فتوقد
فوقها الشمس *

وهكذا ظل دياب راكبا حتى وصل الى داره فمرل امام الصة وسحب
الحجشة *

وقامت اليه امه تسأله في لهفه ان كان محمد امدى حد ركب الفطار ،
فأجابها في صوت خشن هادي :

— آه وكب ! *

وزرع البردقة عن الحجشة ، واحد يمسح العرق من على ظهرها بيده
دوب ان ينظر الى امه ،

وقامت امه تسأله من جديد ان كان اخوه قد ركب انظار حغا امام
عينيه ، فعدل دون ان يلتفت اليها :

— ما قمت لك ركب ! هدي ؟ *

فعدلت امه في سكية :

— طيب يا ابي رسا يكيكو شر المخي في الغيب *

واصر دياب امام كلمات امه وأحس بالثبوت الى أخيه يبع عنه *

روصع امام الحجشة كمية كبيرة من اعول والتيس أكثر من اصناد ،
ووصح امامها طشتا فيه ماء نظيف ، ثم ردت على ظهرها في عطف ،
وتركها *

وزرع ديل حليابه ومسح به عرق وجهه ، وطلب من امه ان تحضر
له اعداء *

وحلس عني المصطبة الكبيرة في مدخل الدار فاكل في صمت *



جلس دياب بعد العصر على رأس حبلته في حوض
الترعة ، وانظر .
واحد يأكل الطريق الصغير ، وفي يده الحيسار
واللثام .

وقسم حيازة وحبله . ان حصره لي ناتي الان ، واليهام اوشكت
ان تعود من السحول الى القرية ، وحصة تعبر هذه الساعات فحسبها
للمكسب ، فهي تقسي وراء اليهام وبراعم الاحريات وتلطفها
اليهام من دوت لتصبح مع افراسا كبيره تجذب في شمس وبوقه بها
الافران . . وساعده هذه تكتفي حاجتها من الطعام ،
وانتظر دياب حتى بدأت الشمس تميل بحرمي انجبار واليهام ، واغلق
الزريبة على اليهام ، وعاد الى افرجه ببيت مع امه .

بعد فرح من عرف الفط ، ولكن ابره يسرع كل ما بين الاعواد من
شجيرات انجبار واللثام ؟ لقد شاح الحيار الان ، وبهلايه الاخضر يسوق
طعام اعداد العطن انني بدأت برقع بالبور الصغير ، ايسر هذه اللباب
من الارض ؟ انه لا يعرف ،

بعد سى ان يسأل محمد اصدى قبل ان يسافر :
ومحمد اصدى وحده هو اندي يعرف كل شي ، وهو الذي يحسب سى
نعرف الارض ومتى تخرج ، وهو الذي يحسب سى يروي ارض انجسر ،
وحوض الترعة ،
هو وحده . . .

ولم يحدث من قبل ان وجد دياب نفسه مضطرا ان تدبر الامر او
التعكير فيه .

ومحمد اصدى يصنع اكثر من هذه ، فهو احبها يخرج جلبابه السطيف
وحدها ، ويضع القوافل ييسل له في الارض بالهدى تدح .
كل زراعة ، وكل في يده مبرال المياه .

وفكر دياب في ان يسأل عبد الهادي عما يصنع بحمن الفط .
ونكه حجل .

ولم يكن يصل الى داره ، حتى طليت منه امه ان يعود الى داره .
ليبيت مع اليهام . . اما هي فلي تحاف من الميت وحدها في الليل

ثم يرتفع صوال الأكل غير صوت اربعة امدرة التي تنكسر ، وصوت
بصل عندما يعض . . وبعد ان اكل دياب مسح فمه بيده ، وتكرج ،
وساق امامه انجشحة الى الحبل .

لم يكن دياب فعلا صغيرا بعد ، ومع ذلك فقد ظل في الحقل وحده .
يعاني انجواء ابرهيب اندي يمدب صفوه الصسمار ، عندما يهيب عهم
فجأة اب او اح كبير يقوده في كل طريق ، ويسرفون من حلال نظرايه
المشجحه العانية كثيرا من اسرار انجيه . !

وفي الحق ان دياب لم يكن يصنع شيئا غير ما يأمره به اخوه الاكبر
محمد اصدى .

محمد اصدى هو الذي يفكر دائما ، وهو اندي يهدي الى حلول تبهر
دياب عندما لا يستطيع فهم شيء . . حتى في سوق امدية التي بالوامرة
والخاورة ، يشري هو اليهام ، ويبيع بسهولة وبلا اكتراف ، وهو الذي
يعتج عن دياب ان يزرع القول بدلا من البرسيم بدلا من
القمح ، وهو الذي يشتري السماد ويعرف انواعه ومرايا كل نوع منه .

هو الذي يعرف كل كبيرة وصغيرة في الحقل والدار . .
وفي اجل ذلك فقد بدأ دياب يشعر بخوف ، عندما وجد نفسه وحده
في الببيت ، والغيط ، والقرية .

كان محمد اصدى هو الحقيقة الكبرى في حياة دياب : هو الذي يبر
الارض ويشترى عليها الفيد ، ويعرف مراح كل قطعة ويرضيها .
ولو لم تكن محمد اصدى هذه القدرة ، ما استطاع دياب ان يتج
شيئا ، ولما كانت زراعته هي اجود زراعة في القرية . . اجود من زراعة
عبد الهادي نفسه في بعض الاحيان .

لكن تالم دياب عندما احس حياة دياب احبه . .
ان محمد اصدى هذه دياب هو كل شيء .

هو الكبيراه ، والقدرة التي يصنعها امثاله امان ، واجده الذي توفره
المعرفة .

هو المستقبل ، وهو كل ما يثير الرهو في نفس انسان .

ثان الشيخ يوسف ما دلل يوجب لآ الصعدة أعاد اعريضه الى
«البية» دون توفيقه هو وعبد الهادي ومحمد أبو سوييم
وكان ما يراد يصرح :

« يعي فيه في انديا كلها يند محرم على عريضه من غير ما تعرف آيه
اسي فيها لا هي دي كانت تحري لا حبل صين ايسا علبش الميه لا آه
يا يند »

وكان انواعون يبدون مو فتمهم وحاسهم لما يفعله الشيخ يوسف
وأقسم أجدهم انه لم يكن موافقاً على ارسال حمله الى دوار الصعدة
ويكن البست امرائه هي التي جعلته يصرح :

واكد آخر آيه لم يذهب بعينه الا لآ الشيخ الشماوي طلب منه
الحجم على حيب البني :

وقال ثلثت ان اجبن الأذرق كان لا يمكن ان يأخذ منه الختم ، ولكمه
حالب وارسله ، فكان ما كان :

سمح دياب كل هذا ، فاسترعه ايكلام من أفكاره المستعجلة - وفتش
عنه ليعرف شيئاً ، ولكن عبد الهادي أجبل بفشاط قائلا :

« السلام عليكم يا رجالة -

وصاح كلام دياب وسط عبارات الترحيب بعبد الهادي :

ونظر عبد الهادي الى دياب طويلا ولم يقل شيئاً ، ولم يشعر دياب
بمحطات عبد الهادي :

وكان عبد الهادي مضطربا بعض الشيء ، فكهر الوجه :

وسمح دياب رجلا يمسس بأن الشر يائس في عيسى عبد الهادي الليلة،
فعمد دياب الى عبد الهادي يسأله مانه ، فعم يوجب عبد الهادي ، ولكنه
استنك يند دياب فجأة ، وسار به بعيدا ليقول له ان محمد أبو سوييم
سمح حفرة الان سرح مع وصيفة بكنمات قبيحة مضبوحة واسم دياب
«رودد على صحكاهما ، فمام هي عوره وصرب ابنته وحط حفرة بالذك
وطردها من داره ، وهدمها بأن يقطع رجلاها ان مدتها الى داره مرة أخرى»

ولم يوجب دياب ، وظهر حبه ارتباك واضح وأحد يطلع ريقه :

فتركه عبد الهادي وعاد الى الدكان يسأل الشيخ يوسف بسرعة ان
كانت دورة أخرى الصعدة تحمل بعد ثلاثة أيام .

فقال الشيخ يوسف بيأس انه قد بقي يومان لا ثلاثة ، وتبدأ الدورة
بأيامها الخمسة المشنومة :

وصرخ دياب من بعيد ،

« يومين ؟؟ يومين إس !! ومحمد أقبدي يلحق يروح ويرجع في
اليومين دول ؟ »

واقبل مسرعا يمس في وسط الرجال انه انذاك
ورقق عبد الهادي

« الحكمة راجحة تعدل المواعد في يومين » جالحن نغرا الم بعد
وسعد التي فيها في يومين ؟
فقال أحد الرجال الواقفين :

« حكومة انه باع !! داحا لازم يعرف شعلا احنا . ان ما كس »

شوف لنا تصرف لري الأرض من ورا الحكومة بقي ان شت الله عيب
ما روسا ، على رأى التي يقول ، حلي الحكومة تتحكم وتلي في العلب
في العلب !! حاميها ورا الحكومة والشرط ؟

وحمل الشيخ يوسف عصاه ذات الشبل الانضى المتسخ المسح بلون
رهرة المسيل ، وأخذ يصيح من الصامة وينسوق زرها الأزرق لثباته
ويشتك بأظفاره طربوشا المغربي ، وهو يقول أنه من المستحيل ان
يستطيع محمود بك ومحمد أميني تقديم الرخصة في يومين ولئن أمكن
هذا فالحكومة في مصر لن تصحح لأمر قبل شهر على الأقل :

وشرد دياب قليلا ثم ارتفع صوته يسأل عن مصر هذه وما تكون ،
وكيف لا يستطيع محمد أفندي أن يقابل حكومتها في يومين كاملين :

اليست الحكومة هائلة في دوار كدوار الصعدة ؟

وقبل ان يجيب الشيخ يوسف اقترح عبد الهادي حين جعل هو عبد
دور الذي ان تدور كل السواق من الحسرة ، وان تطلع احسرة ليشدة
الاء وروى الجوض كنه في خمسة أيام :

وأضاف أحد الرجال الواقفين ان القرعة انصا يجب ان تقطع في أكثر
من مكان ليتمكن رى حوض القرعة هو الآخر في الأيام الخمسة المقررة :

« وضع الشيخ يوسف عصاه على رأسه ونظر الى دياب بمسح
قائلا :

« سألتني عن مصر ؟ »

ثم هز رأسه واستنك يقول ان مصر الآن لم تعد بطق .. لقد كانت
مصر هي مصر بحق في الايام الحصلة الماضية عندما كان الشيخ يوسف
مضيق فيها يتعلم بالأمر .. كان لا يذهب اليها اذ ذاك الا لتكاد أما الآن
قد هانت .. وأصبح أي انسان يملك حديقها أو حديقته يستطيع ان يسافر
اليها ويقعد فيها !

واسم عبد الهادي ونعل عيبه بين دباب الذي به يفهم ويؤمن شمس
يوسف الذي استطرد في ردة ساحرة :

« وعلى كل حال يا سيدي انه على رأى الشاعر »

ولا كل من ليس المصانة يريها
ولا كل من ركب الحصان حيال
ولا كل من قال يا ملائكة أنا صاحبك

فأكبل عبد الهادي صاحبك .
- أي والله يا شيخ يوسف .
واسم بصحتك والديك منيا !

وحدود عيواني أن تحدث متعلما الشيخ يوسف فقال بطرب :
- يا أخوتي عارف كل حاجة . عارف شعر العرب كمان . عارف
كل حاجة وادهم زي القرد !
فصعب الشيخ يوسف ورعق في عيواني :

- فرد لما يبططك حطاف من ساسان حطافين ، أمشي ابعد من هنا
وأوعي تهوب ناحية الدكان تبي ! أيه الملائكة دي ؟ فرد ؟ بنت سمرد . .
وبهت عيواني ووقف يعتذر ، ويجادل أن يشرح وجهة نظره غير أن
الشيخ يوسف قطب وجهه ولم يفرجه تلك الليلة .
واتعد عيواني أسما فجلس وحده على المنصة الملاءة في العشاء
امم الدكان . وأراد دياب أن يغير الحديث . . وفي الحق أنه أراد أن
يرجع نفسه فساءل الشيخ يوسف : أن كان من الممكن أن يتسلم في العبد
خطابا من محمد أفندي ، فقال الشيخ يوسف بضيق أن هذا مستحيل ،
فالحطاب يصل من مصر إلى القاهرة بعد ثلاثة أيام بل قبل !
فاعتصر من دياب عن هذا ، وقر الشيخ يوسف رأسه وأحد يفسر
به الأمر في مصيبة وصيق .

ولكن دياب عاد يصيح في الشيخ يوسف أن محمد أفندي يحب
أن يرسل إليه خطابا بسرعة ويحب عليه أن يتسلم هذا الخطاب قبل
بداة دورة الأري ليحرف رأسه من رجليه ، وبهم أن كان يسأله في رى
أرض الحسار أو حوض التربة .

ولم يحب الشيخ يوسف وتعامل بصوت مرتفع . .
واشتهر علواني المصانة بعد أن مكانه أمام الدكان واعتصر على دياب
قائلا :
- يا أخي أفهم الكلام الحلواني سقوله أبوك الشيخ يوسف ! يا أخي
اسمع الكلام !

وسكت الشيخ يوسف ، ونظر علواني بحيرة . .
أما دياب فلم يسمع الكلام ، ولم يصدق ، ولم يرد أن يناقش فيه .
وفي اليوم التالي لم يكد الصبح يبيض من على الحقل يدي الصباح ،

حتى كان دياب يعف عبد صدوق البريد أنكر المثل في سب
دوار المعلة .

وبعد ساعة من الإسطر ، أتبعها حاسبا عن الأرض يعف «أسبح»
مع عبد اعطاي . . رأى سامي البريد معسلا من بعيد .

وتحرك عبد اعطاي . . وهو الحفري المكاف بالسلام البريد . ووقف
إلى حوال الصدوق تاركا حطوطه السبعة على الأرض ، وقطع انطوب
البحراء التي اختارها لفسه لائته في أمالكها وقام دياب من لفسه
السبعة وهو يرمي آخر نظرة على قطع انطوب السوداء التي احبها
نفسه ، فمتعنا بتقدم سامي البريد في هذه اللحظة للدلت ، لأن كلاب
عبد اعطاي اسبحاء ، كانت قد أكلت معظم كلابه السوداء ، وأوشكت
عبد اعطاي أن يطلع دورا يسقط مكانه في لفة السبعة بين الرجال .
وقد انصهار الذين كانوا يشاهدون السبعة بدهام . فلبسوا
حرب الصدوق كب تعودوا أن يصعدوا كل يوم .

وتقدم الحمر الجور الأزرق بسعي البريد : مطايء الفراس ويرن
أزرجل يبدته الصفراء الفرية ، وحفيتها الكثيرة الملهلة ، وظروشه
المتشح المائل الحواف يستقر فوق مدرج كبير محطوط يعطي معه
وجهته .

وطوى الرجل شمسيتها المرقعة السوداء وأعطاه عبد اعطاي وهر
في حفتيه المتترحة قدس فيها بدو ، وبدأ يتحسس الأوراق في يده وأد
.. وسأله دياب قبل أن يخرج يده بالحروف :

- ما معك من حوات من محمد أفندي ؟
ورفع سامي البريد رأسه ، ونظر إلى دياب في عيظ .
ثم تشهد وأخبر رأسه في العقبة واحد بخرج منها بريد انه . .
كان لسامى البريد وجه مغير من بالنعوص ، وكانت شمساه
تتمرد من لعب شارب رمادي علف ، وأتبع أفضس متكور مسدد
الانتخاب بالشمع الكلف ، وكان كل هذا يرمس مع عيبيه المتكرب
.. ومنه المعلة ، صورة ربح بتالم ، وسكن بلا دموع .

وكان شكله أشعاب انعاس ، ومقدمه كن يوم من المركز ، نعم . .
وبن الفلاحين حائل كره من الزينة والزهر والحدو .
وتقدم منه دياب في وجل سألته مرة أخرى :

- حضرت بصي بالسدنا اللندني . . حبات بالحصرة الدوسدي
ما معك من حوات من محمد أفندي ؟
وأخانه سامي البريد يتحقق مكنوم وهو يرمسه وغر .
أسابه

— والله له محطاش نفسا حوا الجواب كما ؟
فيستسم دياب دنلا بهدوء وبساطة
— طلب .

واحد سعى أنريد يفرأ المساوين المكتوبة على الظروف .
وتسسم أنصيل انواقفوي بعض الظروف وأحضر يتم عليهم ودمع
ساعي أنيريد يباقي الظروف الى أحضر عبد العاطي ليورهما بمعرفته .
ثم أخذ منه الشمسية ، وأتجه الى حمارة المحور دي الراس المظلمة ،
وركب .
وتصانق دياب .

ورأي الرجل يتحرك بحمارة دون أن يقول له كلاما صريحا ، ولم يبق
أن يعطيه خطابا من محمد أمدي بهذه السهولة ، فدفعه الى سائر
الريد وأمسك بحمارة وصاح فيه ببساطة :

— يعني ما قلش فيه جوابات من محمد أمدي دنلا ؟ لا ؟
جواب محمد أمدي ؟ . اقرأ الظروف التي في أنشطة دي كويس .
مكتوب بالظرف يصل ويسم لاجونا دياب .

فصرخ فيه ساعي الريد أنه سلم البوسطة كلها وانه لا يوجد ظرف
دسم دياب ولا يمكن له أن يعرف أن كان محمد أمدي قد كتب خطا ،
أو لم يكتب ، فالحظادات دخل ظروف مضقة ، وهو يعمل ساعيا ليريد
لا منها . .

ثم لكر حمارة بمثل وهو يكاد يعوي :
— رينا يتوب علينا من الشفلة الهسه دي !! بقي لنا فيها ثلاثين سنة
لا مرنا توفى قورش ولا توفى عيل ولا . .
ونشابت كلماته وهو يتعمد في صياحات دياب :

— دهدي ؟ طلب ماتر هتش قوى كده ؟ أنت خلقى كده ليه ؟ يعني
ما فيش جوابات ولا هبات ؟؟ طلب ماتقول كده من الصباح ! جاتسك
الهم ما تروح التندر من كبر نفسك وما تشكو ! .

وفي مساء ذلك اليوم كانت القرية كلها تروي قصة ساعي الريد
ودياب . .
وعندما ذهب دياب الى دكان الشيخ يوسف — قبل صلاة العشاء ،
قال له أحد الواقفين قساحكا :

وبعت له حوانات . . ولا جواب حالي

حب المروول درحات

وضحك الشيخ يوسف طويلا .
وأضحك الناس على دياب .

وعصب دياب وبحرك لبسرف قائلا :

— دهدي يا عم الشيخ يوسف ؟؟ يعني طول عمرك مصب واسم .
عرائك راص دلوته ؟ لا ياسيدي . . أنا يقول لك انه . . ما تشفى
عنه المجرة بعد كده وتحليني ذكته في البلد ، يعني أنت تقدر ممكن
كده ومحمد أمدي هان ؟

كان يقول هذا الكلام وهو يتعمد والشيخ يوسف سببه ناشتدم
وبالسحرة منه ومن محمد أمدي . .

ولم يباي دياب من وصول خطاب من محمد أمدي . . وذهب في
الصبح اتلى فلبس السبحة وانتظر ساعي أنريد . . وسأله عن
السؤال فثار في وجهه الرجز وشتمه ، ورفع عليه اسميه فالعرف
دياب حائرا ، وهو يقول :

— دهدي ؟ هو كل واحد يشتم فيه من بديح ؟ جاتكو شوطه في
الجوابات وسين الجوابات .

وهكذا سحر منه الشيخ يوسف مرة أخرى في مساء ذلك اليوم ،
صاح دياب فيه :

— جرى آيه يا شيخ يوسف ؟ مولع من أنا وأحوبا من محمد أمدي
!! أبلد كلها مولعة مما ليه ؟ يا بند قياره ! يا بند شهري وسك وسا
حواليها غير الكلام العاض ! أنا هترك مغلق من انه ؟ ما تشفى يا شيخ
يوسف ري ما تشفى ! أنت فاكز إن الرراعه الجادة دي حابه بالساهل
. . هيه أوشنا بترمي أحسن من أحسنها أرضي ليه ؟ هه . . عارب ليه !
دا شقنا يا حجع . دي خدمة عالعالى يا حجع !! يعرف معروف في الأرض
ونديها حقا ! يا راجل والحنة تباغتت اللي أحنا واكتسبها كاتب خاتون
في أيدك لولا لعفاها منك . . أبش هترك أنت بالعلاحة . وحياء السي
دا أنا نازرهما برحلي . قالع لي بس تولع من الطلق وتشمسهم منها . .
؟ يا بند قياره يا بند سو .

كان دياب سفير ولا يكاد تترك له فرصة للشيخ يوسف وقد أحاد
نوح بديه حتى أوشكت أمدي بده أن يدخل في عين الشيخ يوسف
ولم يحتمل الشيخ يوسف ما يقوله دياب .

وأصفر لونه ، واكتسفت قفوس وجهه وتباينت أنفاسه ، ووجد
الذين يقفون أمام دكانه .

ورفع الشيخ يوسف كفه المعروفة النجيلة فعوي بها على صدع
دياب .

ورئت الصغرة ، التي أذن الشيخ يوسف ، تقهوي بكفه على الصدع

الأخر

وتحسن دياب وجهه وذهل لبعض الوقت ، وساد أصبحت تماما

وتوترت اعصاب الواقفين .

ودارت بظلمات دياب بينهم .

ورحمت على حنطة عصفه فعال يدالب نفسه بصوت جعيف :

— نصرني على حنطتي يا ابا الشيخ يوسف ؟ ونشعر انك تب
مرب في الأثر ؟ تصرني على حنطه رب ؟ ممشي يا ابا الشيخ يوسف ..
انت برغبه راحن كثير وري أبويا ..

وصبت قسلا .. ثم قان

— الله يسامحك .

ودارل الشيخ يوسف وانقلب فيه اعصابه ..

واهتز كل بدنه على حرف مباحي من كلمه « انه يسامحك » وصاح
في انبيار :

— غور من قدامي !! ايه اللي حايث هه ؟؟ حدوه من قدامي ياداي
.. رب يسامحي ؟! انت بتدعي عييه يا وله ؟ انت بتدعي عليه ..

وحلب الواقفون دياب وانعدوه في ذكاب اشيوخ يوسف ، واحدوا
بهذون من غضب الشيخ يوسف .

ولكنه أطلق الذكان على انور ، ومضى وهو يمشي وترنم والجمه
الى دار محمد ابو سويلم . فوحده يجلس في مضطنه مع عبد الهادي
وضوء القمر بملأ الكاس بالهدوه والسكينه .

كان عبد الهادي على طرف المضطه يجلس الى حوارالباب ، يتسمع
ان حركة ويصطع اية مناسبة ليلفت بحث بعينه في داح المارمن
وصفة .

كان يربذ ان يراها ..

و دن نصرى انصاح أم خفي كلما تذكر ان وصيعة لم تعد تحمل القهوة
الهم سيد سافر محمد اميني ..
أبكون محمد اميني وحده هو الذي يستحق منها ان تعمل انهموه
وتعلمها نفسها .. ونسها ايضا ؟!

وتتم عبد الهادي وهو يهر اني السماء اسساسة الرائحة في
سوء القمر .

صاحبت صاحب واناري صاحبي مصاحب

وصاحب اتين ماشيت على صاحب

واتنم محمد أبو سويلم قائلا :

— آي والله يا هذ الهادي بدلت ما ولدي ..

وصاحب اتين ما يشت على صاحب



وأصبح الشيخ يوسف انه يوم الخميس مع عبد الهادي ليروا أرضهم
مادامت دورة المياه لم تفعل ،

وقال محمد أبو سليمان أن حوص الترمه لا يحتاج الي أنرى ثل
خمسة دهم ، وبعد خمسة أيام تكون الدورة قد انتهت ،

وسعد عبد الهادي قائلا :

— تفعل !

ورفع الشيخ أشماوي يسم علي عبد الهادي قائلا :

— تفعل أباي يا عبد الهادي ؟ من غير صلاة ؟ انفي حودعي أنجام
في العشر احطط لك ركعتي حالي رسا يشاركك في الأرض ،

فصرخ عبد الهادي وهو يقول متسما :

— يا سيدنا دانا عي ما احطط ركعتي واحدة تكون اليه انعطت ..
لما سقى نروي الأرض الأول والصلاه اهي ملحوقه ،

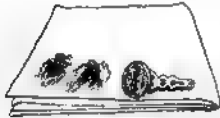
وانصرفوا جميعا وهم يضحكون والشيخ الشماوي يقول ،

— واسه انوار عبد الهادي ده عمره ما هو وارد على حمة ، لا يوصل
ولا لانه يبطأ ،

واعين محمد أبو سليمان ناب بيته وهو يقول صاحكا :

— يا خير يا سيدنا ؟! ذات حيت وافعته فبره ! بهي يعني دار في
اليد وبار في الإخرة كمان ؟!

ودخل ليلىم وهو يعلم بلجنة جنة الدنيا ! ..



ياهتري اليه حايث من صحوبه البلد ولا صحوبه الحكومه ،
وكان عبد الهادي شاردا عه فاكل تمسمه :

والصاحب اللي سبب دلي محاصمي ..

فماطه محمد أبو سليمان صاحكا ،

— دهدي ؟ .. انت قستة موال احصر .. دا انت هنت احصر هوي

.. خلاص يعني حكك يا عبد الهادي .. عدلنا مواعيد أنرى وروب

ورروب وخمينا ما مضيت غير المواوين احصر ؟

وضحك عبد الهادي ، ونظر الي الشيخ يوسف مستخدريا بعينيه
ضحكات منه .

ولكن الشيخ يوسف لم يبسم ..

وسأله عبد الهادي عما نه ؟ مضى يروي لعبد الهادي عن دياب
وقله ادب دياب وما قاله به دياب في وجهه .

وعندما وصل في الحكاية الي انه ضرب دياب كهي على صدره ،

صحت عبد الهادي ، وشر براحة صغيرة لعمره .

ولكنه شرد قليلا ، ونظر في السماء وتهد وقطب وأحسن بهن جديد
واشفاق فاكمل :

— نس الواد ده غبان ! محه دق وغسان وسكر ! واليه دا فشان
، شيخ !

واضح الشيخ يوسف بوجهه في رفض ، وتذمذم بكلمات لم يسمعها

أحد ..

وسد السكون لعفته .

وبعد قليل انفل الشيخ الشماوي يسفه صوب المسجحه وتمتمه
.. هج ..

والأ رأى عبد الهادي عابيه مصعب لانه لم يمس انشاء التينة ،
واصطاح لياما عن المسجحه مع انه يحوار داره ،

فقال عبد الهادي صاحكا :

— يعني يعني هو الحامد ذا معمول مشني لوجدي يا سيدنا ؟ كل ما
يحط وشني بي حامي نولي الحامد ؟ الله ! ما عيلك أهو الشيخ

يوسف ، وهم محمد أبو سليمان .

فضحت الشيخ الشماوي متحرجا وقال ،

— بقي انت يعني دائما محصر الجواب كده ؟! الأكلة انك لمي !
وصحت الجميع ..

وعام عبد الهادي من مكانه قائلا انه راجع الي داره لييام حتى يقوم
فل اصغر قدس السابعة ، مدورة المياه تبدأ من أمد



في العصر كانت الشمس مازالت محمية وراء الأفق
الترقي وسبازها نملأ انعام بالور .
وارفع صوب أشبح بشادي من عنى مثدنه لمسحه ،
مهذح حزبا متشكبا .

وفي الحقول .. كانت الأعواد الصغيرة الخضراء تمايل منفسه
بهبات الندى والأسماء الرطبة تسرى حفيفه لييه معمه يعطر أنحوف .
كن الغضاء ساكنا نديا ، والسما والهر والأشجار وكل شيء يبدو
كأنما هو جديد تراء اعين لأول مرة .

وقيل ان ترسل الشمس أول شعاع في اليوم اوليد كان عند الهادي
يعوس بدميه العذبتين في ماء ألغه انصميرة انش تحذر من تح
الحسر ، وينوي بآسه على قاع القضاة ، ثم يبيع طيها بيديه بيمهسد
الطريق للماء خلال حفل الأذرة .

كانت بقرته تدور في الساقية والى جوارها غلام صمير يدعش
صميه .

وعبر بعيد منه كان فلاح آخر يهوى بدسه على الأرض بيمسبح
لرما للماء ، وكان دياب يقطع بيديه مروي بحفه .

وهنا وهناك في حوض الحبر ثنائى الغلاهور ، انصاف عراه .
الغمام مسحه على الماء ، ولائدي تدفع به في حصاص أنى انجفول
العطشيه .

اما غرابى ادى كان يحرس حتى انطرح الوحيد في حوض الحبر
فعد بدا بياض ندى ان سهر ألبين كله يخرس ..

ووجد هيد الهادي ماءه يجرى ملكنا في نصة .. ولاحظ انه نفس
لا يكاد يكفى حاجة حقله ، ورفع رأسه وحسده مبرال مسحبيا .

فوجد الساقية تدور على الحسر بلا توقف ..
ونصب طوله ، وفتح صدره ، ووضع يديه نطس في حصرة ونظر

الى السماء ..
ثم يعد في السماء ظلال من الليل بعد ، وقد اطمئت انصامير
من على الأشجار ترقق وتتصاح ، والظهور البيضاء الرشيعة ذات

المدير أطويه تطلق الآن في مواكب ، وتحتضن من الأرض فتعش في
في الماء ، وتسر وتلتقط اشياء ثم تطير وتعود في أمن .

ومعنى عيد الهادي أنى الساقية ليتبين السر في قه الماء ..
ومر في طريقه فلاح يجاوره فعال عيد الهادي .

— شد حيلت ذا انشمس طلعت ودلوقى الدنيا تولع .
فعال الرجل :

— اللعية شحيحة قوى اللية دى ياجدع ..

فعال عيد الهادي وهو يمشي :

— ما أنا رايح أشوف الحسن ايه ..

واظن عيد الهادي الى انجر وهو بهمهم لنفسه :

فاسى انعام فوق جبل عالى ينادي

يعول يامين معارف حنايه ، قلت آدوينى

وكان صوته قد ارتفع منه دور ان يدرى ، ورتت معماره في صمت
الحقول .. فعال له رجل من بعيد :

— أيوه يا عيد الهادي أيوه ! سلامت من الفراق يا حويه ا .

واستمر عند الهادي في سيره حتى بلغ الحسر ، والشخص تفض
حيات ادى انفضيه من اوراق الشجر والهر يجرى هادنا بلا صوت
ومركب صمير تجرى على صفحته التي تعكس كل ألوان السماء وشباك
الصيداين من بلاد بعيدة تفرع حوايت البحر من على شاطئيه .

وكان صباب الصباح قد بدا يلوب في حرارة النهار الجديد .
وفي انصمت احدث أصوات مختلفة بشريرتها الشط ، فيحتلج
ملايين ادى يرسله السواقي خلال دوراتها الرقيب .

وهكذا وقف عند الهادي أمام الساقية ، رأى على البسد رجلا
يجلس على حافة الناء التي تحتل من الترة ، وقد غاص حتى ركبته
في الماء ، وأنسى على الطصور ، واحد يميل الى امام ووراهوهر يمسك
يد الطصور العديدي وصوته يرتفع نفاذ حزير :

هديه .. يا هادي !..

وادرك عند الهادي ان الماء جرى في الترة ، مادام الطصور يدور ،
مهر رأسه بارتياح فائلا :

— هال !..

ومال الى الساقية .

وتقص عند الهادي الساقية حيدا ..

نظر في أثر وفي العواديس التي تهوى الى اثر عارعه وترجع
مشدودة الى مصها ممثلة الماء الدمس : قادوسا بعد قادوس .

ونظر الى النهر .. ومشي قليلا الى الجسر لينال الماء التي تسفل
إليه المكعب من قواديس الساقية ، فوجد الماء يصب بقوة من الساقية .
الى القناة الصغيرة ، لم يتدفق تحده خضرة في موجة مدفعة .

وتبع القناة في سيرها تحت بطن الجسر في محاذاة حفنات جيرانه
حتى تصل الى حقله فوجد موجتها العوية مازالت تدفع .. وفجأة ..
يعلو الماء في حربه ويهبط .. ويتشع لم يتسنى قليلا قليلا يسكن الى
حقله وحمل الحار الذي يليه .

ونحس القناة حيدا بوجودها مقطوعة في أكثر من موضع والماء يتسرب
مها ليتجمع في خيوط تسيل الى بعيد .. الى الحقل الذي تهوى
عليه قاس دياب .

وتضايق عبد الهادي لأن دياب يصعب معه هكذا . أنه يسرق منه
الماء ليجرد انه يملك حقل يمر به ماء الساقية قل ان يمر بحقل عبد
الهادي .

أريد دياب ان يصنع معه كما فعل الباشا مع القرية ؟
والنهر الصغير والترعة بمران بأرض الباشا ايضا قل ان يمر
بالقرية . ومن أجل هذا أنح نفسه ان يأخذ نصف الماء الذي يحق للقرية
ان تأخذها .

ولكن هذا الباشا .. بائس !
الباشا .. بائس ، ووراءه وحوله في عاصمة الإقليم رجال يحكمون
بالسجن ، ويضربون الناس في حسن المركز ليشربوا بون الحيل ..
ولو فكر أحد في ضرب هذا الباشا لضربه وأهل بلده ولم يتركهم
حي سبوا جميعا من العرب ؟
ولكن دياب هذا ؟
لماذا يسرق الماء بلا أدب .. كالناسا ؟
لأنه من ماله من الري وطرده الى القرية أدبا له ؟

ووصل عبد الهادي الى الحقل الذي يملكه دياب تحت حوص أنجسر
.. فسأله عبد الهادي بصوت ينادي يسرق منه الماء على الريق ؟
لماذا يعكر له دمه على الصباح ؟
لماذا يروي هذا الحقل أن يوم .. ولم يحدث من قبل أن يروي
حقله هذا الا في آخر دورة الري ؟

ولماذا لا يروي الأرض البعيدة في حوصي اشترعة كما تعود حتى اذا
انتهى عبد الهادي من ري أرضه في حوصي الحصر أمكن لدياب ان يدير
الساقية بحافسوته هو ويأخذ من الماء كما يشاء ؟
وربع دياب رأسه ، ويدها على فأسه وقال لعطلة .

— يا فتاح يا عيسى .. أعود على يا عبد الهادي ..

ويجس على أعين .. يضرب به الأرض وقدمه في الماء .
وصاح عبد الهادي في دياب ان يذهب بنفسه ليسد الفم أنتي
قطمها وسرق منها الماء ثم يعود الى القرية ويترك الحقل لحقلهم .
ولكن دياب رمى نفسه ووقع يوح يسديه ويرقى في وجه
عبد الهادي ..

وعاد دياب يتحدث مع عبد الهادي كما تحدث مع أشيخ يوسف
عن العيرة والباد التي تاكل قلوب الناس في القرية غبطة ومن أحبه
محمد أملي ..

وأصغرت من بين شعتي عبد الهادي شتائم عديدة لدياب ولاحيه
محمد أملي .

ثم أسرع عبد الهادي بنفسه الى الجسر وأمسك بيده قطعة من بطيخ
وسد الفم الذي يسيل منه الماء الى حقل دياب .
وبعد هذا عاد الى حقله مطمئا وأنهى على الأرض يدير نفسه
ويديه في الماء .

وانقضت حيوط الماء التي كانت تسيل الى حقل دياب وإلى جدره
الذي كان يدفع حاري الصدر والقديمين حتى الفحل .
وأحس الرجل به جاز دياب — بالماء يشع بين يديه .. فلوى رأسه
الى دياب وأخذ يروم .

— أم .. ذا أياه يا حويا ده ؟ أياه الامترا بشاع عبد الهادي ده ؟ هو ده
أياه أصله ؟ هو عبد الهادي حيمص رى الحكومة ؟ عيسى حيمصري لى
الحكومة ؟ ذا ناقص يكسر السواقي ؟ ذا أياه التسلل ده ؟ يعوش عينا
الليه ؟

وانتصب دياب وشد جسمه ، ووضع الفأس على كتفه واقسم
بصوت مرتفع ان يقطع ماء المدة بالفأس وعلى من لا يطيعه هذا العمل
ان يشرب من البحر أو من البرك !

وجرى دياب لا تفكر الى الحصر ، وبلا كلمة هوى دياب بفأسه
على حافة القناة فقطع منها خروا كبيرا طوح بطيحه الى بعيد ، فتدلق
الماء كله الى حقل دياب وجنزه .

ووقف دياب يرقق قسلا ان يتحرك من مكانه وفي صوته معانه
سرم .

— صبح يا عبد الهادي لما أقول لك !! أنت فاكرو أياه عيسى ؟ أنا ليه
في الساقية يوم وحاري مسعود أبو قاسم يوم !! أخذ منه على كعبر !
آه ! آه ! يا قولاك أياه ! اعرف كده عيسى ! ولا علشان ما اسمها ساقيتنة
ساقيت قال ! احنا لدينا يوم .. ومحمد أبو سويلم له يوم ، مسعود

أبو قاسم وأصحابه الشرقيين يومين . وأبى قاسم عشرة أيام ! أما جاهد
يوسا في الساقية الشهادة . . يابلا حتى يهبط وأهى مرات مسعود
أبو قاسم جابه أهى ومصادف أسهية !

هكذا كان الملاحون قد ورعوا ماء سائيه عند الهادى .

وهكذا كانوا يورعون ماء السواحي الطيبة على البحر . كل به من
لايام على قدر ما ساهم في تكليف مياه الساقية التى صعبها بجهد
مشهور في أسر الثاني من أسر .

ولكن هذا كله حدث عندما كتب يوم الرى عشرة .

ولم يتوقع أحد أن تقل أيام الرى أبدا من عشرة .

أما الآن فهم ينكر أحد من القرية في تقسيم أيام الساقية من حدود
على أيام الرى الخمسة أنى لم تسمح الحكومة بمعرف .

يوم يكذب دياب يتسرع من زعيمة على البحر ، حتى كان أمراء
مسعود أبو قاسم مقبلة تسحب جاموسه . .

وكذا تمت ورائها أحيان لتسبب أو ترد على شينائم ملاحين
آخرين من أساحية الشرقية سحبوا جاموسه وبغرة وجادوا إلى البحر
ليأخذوا يومين كملين في أول الدور . .

ورأهم دياب مملين ، فمادى عليهم كالمستعيت بيروا شعل عند
الهادى الذى يريد أن يحد وحده ماء الساقية .

وبدأت أصوات الاحتجاج ترتفع . .

وصعد عبد الهادى إلى البحر ومادال دياب يرقع ، وعند الهادى
يتسبب متناظما ومصب على نفسه ويكتم غيظه .

وبلغ عبد الهادى مكان دياب ، فغضب أبى يصلى به على أنسى ، ويصغر
أسره ، ويرجع إلى القرية . . أو يروح أبى حوض الزرع بيروى أرضه
هناك كما تعود بدلا من وقوفه هنا يسرق الماء ويجلب الكد ويسكب
دم الناس !

وأحتج دياب على عبد الهادى قائلا أنه لا يسرق الماء ولا غيره ولكن
عبد الهادى هو المتعري . . دائما !

وتدخل في المناقشة رجال الساقية الشرقية . وسأوها . بعد
سحبوا الجاموسة وأبهره ليدبروا الساقية اليوم . . وهم أهل ناحية
يحالها من القرية . . ويجب أن يأخذوا صبيهم من أيام أسدقيه في أول
أيام الرى . .

وحاول عبد الهادى أن يعز عزمهم ، عند كان لهم يومين مسعدما
كانت لهم ترى عشرة . أما الآن فلو أنهم تمسكوا بيومين من سحبا
بعية أشركه في الساقية ماكنفى لرى الأرض أعطفانة !

وبدأ مناقشته أخرى بين أهل الناحية الشرقية وبعضهم من
أندى يربى أرضه أولا بعد أن قبت الحكومة الحال وحملت أيام الرى
خمسة ؟

وعاد عبد الهادى يقول أن الناحية الشرقية كان لها يومين من عشرة
وأيام الرى الآن خمسة لها يوم واحد .

واحتضت أصوات الرجال والنساء في رفض له يقول عبد الهادى .

وارتفع رعب دياب في مناقشة ثانية مع عبد الهادى . . وكان
دياب كلب زعق دور مسوته ، وجهد نفسه بقتحس

الكلمات بلا خوف ويرمى بها ، وقته تتواني ذقائه وأحاساس جسديه
بالشجاعة يسيطر عليه .

وارفعت الشمس قليلا والمناقشة تهمي بين أهل الناحية الشرقية
وبعضهم ، وبينهم وبين عبد الهادى ، وبين عبد الهادى ودياب .

وأحسن كل واحد من الواقفين كما الآخر يريد أن يسبه أسياء
نصب !

ولذلك عبد الهادى عدة أن ساقيه تدور وتصب الماء في حصه
ولا أحد يحكم لوربع الماء على الأرض .

وحتى أن يفصل الماء بفرق الحفل يصرخ في الدس أن يتركوه
لرى ما حصل للماء .

ولكن امرأة قالت له في صوت حاد ساخر أن الساقية لا تدور من
وقت ما جدوا هم !

والثقت عبد الهادى إلى الساقية فوجدها معطلة ، وبقرته تدال
راسها في الجميزة ، بينما وفقت امرأة وصبي وعدة رجال يتناقشون

في مدار الساقية وبينهم جاموسة على رأسها نعام ! .

وأطلق عبد الهادى صيحة غضب واستنكار . . فنفقه دياب يشما . .
وقال ساخرا !

— عامل ذكر ونصح قوى ! أهى مرة وقعت لك الساقية !

ودون أن يشعر عبد الهادى ، هوى بكفه على وجه دياب ، ورب
النسفة ، حامية تلقى الشر !

وارتجف دياب وترج . . وأهت العاس في يده لحظة ثم هوى بها
مخاة على رأس عبد الهادى .

وتلقى عبد الهادى بيد ثابتة عصا العاس الهوطة عليه قبل أن يداق
رأسه بخدحا الصلب اللامع .

وفي سرعة خاطفة معاقبة ارتفعت المصى ، وصرخت النساء

وآخرى عبد الهادي الى انفيه فانسرح منها العمود الخشبي
احتفظ الذي تربط اليه الهائم في مدار الساقية ..

وعند عبد الهادي يحمل العمود المربع الثميل بيديه . ويحفظ به
الرغوس دون ان يرى ما امامه ودون ان يدري ماذا يفعل .
وفي تلك اللحظات لم يكن احد يدري ما يفعل !

كاتب طققات هائلة من انصبي سمح من كل نصي ؛ وتعرب كل من
يتعرض بحرمي الأرض من الماء .

وناسم ابدفاع من حياة الأرض - من الحياة نفسها - معنى كل ملاح
يضرب ويضرب بلا توقف كل من يريد ان يداش حق الأرض في الماء !

كان الرجال يضربون بعضهم بلا حساب وبلا مراعاة .. كأنهم لم يعرفوا
معضم انما ، ولم يحسوا بمعظم من قبل .

وكذا قد اصبح من المستحيل ان يتحدوا الى معضم مرة اخرى .
كان من الممكن ان يصنع كل واحد بحسد اخيه أي شيء ؛ ان يقتل

به الى اعمق الماء .. ان يقطع منه .. وحتى ان يأكله !
والنساء ايضا كن يعمل نفس الاشياء ، ويحدمن بنفس العسوة

في الحركة !
وشجعت النساء رغوس بعض الرجال بالحجارة وسبل ادم ..

واحتفظ على الأجساد ، وسبل في مرق كل واحد دم من مرق
اخي !

وسقط رجل لا امرأة ، ثم سقط ذياب ورجل آخر ، وامراتان ،
ثم رجل ثالث ، وراعي ، وخامس ..

وانصبي مازالت تدور ، والنساء يصرخن ، ويقذفن في الفضاء بكل
صوت ينس رهيبة ،

ولاح على انصر اطفال ورجال ونساء آخرون اقبلوا في انصراح .
وظلت النساء تدل من بعيد يرددن انصراخ دون ان يعرفن السبب !

ولاح بين الغامضي شيخ اسد يهرول مقامته الحنية ويتعشى في جنبابه
انطويل .

واستيقظ عموالي من حقل الطبخ في صراح النساء وزهيق الرجال
فامل بحري مروعا ..

ووقف علواني بالقرب من الرجال ، وحاول ان يقتحمهم ان يكونا ايديهم
من معضم ، فلم يجعل به احد ! ودخل وسط الرجال ليمنع الحركة

ولكن بلا جدوى .. فالتفت عصا .. واخذ يضرب على المعص ، ثم يشب ،

وبعد شهرها عصاه على رأس عبد الهادي ليحميها من يداون ..
في الحلف .

وعندم وحس شيخ البد لم يستطع ان يقترب من المعص والعؤوس
التي تشبك فوق الأجساد .

فحدد يماذي على الرخا من بعيد ، ويتشمهم ويهددهم .. ولكن
انصبي ظلت تحط ، وصوت النساء يطبق هادا حريص مسند ..

ولم يستطع شيخ البد ان يمس احد من الحركة غير علواني فامره
ان يجري يتحصر انصراف .

وآخرى عموالي الى القرية من بين انصوب ليختصر الطريق .
ووصل الشيخ النساوي يلهث من التعب واخذ يمسح عرقه بيده

وكرسه بهر وهو يمس كمر رجال وامراتهم ولحور النساء ! وامست
عصاه القصيرة العظيمة التي تعود ان يضرب بها .. وتقدم اني المتعاري

يصرهم على الاكثاف لم سعد وعينه على المعص الطويلة المشاككة ..
لم يعود في جدر صبر الاكثاف بسرعة وهو يسل برأسه بعيدا من

مواقع المعص ، ومارال يصيح في الجميع بهم يركوب الحرام . فدم
المسم حرام على المسم ، ولكن انصبي طبت تهوي والنساء يصرخن .

واخيرا اقبل الشيخ يوسف وكنت الأيدي قد تمت وب برج الرجا
تتدعظ .. ودخل الشيخ يوسف معصه الحبرار اربعة بين الرجال

وهو لمن البلد وأهل البلد ويهدد بان يرحي من هذه البلد ويترك اهله
ياكلون بمصم كالخوخوش .

وهذات الاصموات بعض الشيء ومازالت انصبي والعؤوس تهوي
وتخبط ومزال الرجال يتساقطون في الأرض .

وتألقب اصوات استعانة من ناحية اساقية .
اصوات مروعة رهبة ، كانها في اعجاز رأس ..

كانت مدوية هريصة وكنت هادة الامة حاطمة كالانهار !
والثقت الشيخ يوسف وهو لمن هذه انصرخات اني تعرب الجن

عنه وتقدم الى الساقية فيلما ثم صاح هو نفسه :
- دى الداهية السوداء يا رجاله .. الحوا الحاموسة .. الحاموسة

وقمت في مير السمة " .
ونصه تراجع الأيدي انصبي المشاككة على الحسر . وسقط

العؤوس واشمارع على الأرض واتجه الرجال والنساء كلهم الى بشر
الساكية ، وهم يلهثون .

واحتفظ انصاح بالاسعانة وحدون شيخ البد ان سدم اني حده

الجسر حبيب وقعب الحاموسة ويرعى . ولكن الصرحات غمرت فحججه
وربر الشيخ الشبوى بعلمته المديدة المتكرسة وهو يصيح :

— حاسب يا واد ! حاسبك ملك له .. أوعدا تقربوها لأحسن
معرفة .. أقروا العاتحة أن رب يسع الحاموسة .. العاتحة لها
يا أولاد .

— وحاول الشيخ الشبوى أن يروي حكمة لشجعه فاستطرد قائلا

— ذا مرة برة سيدنا موسى ..

ولم يكن قد اندفع مسعود أبو قاسم مع الشيخ بعيدا ،
ووثق أن يوقعه في الشئ ، ويصيح :

— يا قعور بني يا سيد ، يا شيخ نور . عاتحة انه وقرة سيد
موسى انه .. اهرأ يا حذمان .. ازلوا ، ارحانه .. جوشوا يا أولاد ..
يا خراب بيتك يا مسعود يا أبو قاسم .. يا حش وسطى يانه .. يا قبياع
شق الصخر كله .. يا كسرى يانه ..

واحد بطم خذيه في جزع هائل .. وتحدثت دموعه وأختلطت بعرقه
المصيب ، وصوته المتهلج يرسل أنبا عاجزا ..

وقعد مسعود أبو قاسم على الأرض لا يقوى على الحركة وأخذ يضرب
أسباب يديه في حيرة محزنة ، ولم يستطع أن يقف كأنه أكثر حقا ..

عبر أن عبد الهادي قرر إلى البئر لاهنا وأسند رجليه إلى الفواويس
ووضع يده تحت عطن الحاموسة وهو يسند قدميه إلى نور في البئر ..

ورحب الرجال الذين كانوا يرددون على الجسر صراخهم مسند
لحظاتهم .. ووقف بعضهم أمام البئر .. وحاول دياب أن يزل إلى البئر
فمرق فيه عبد الهادي بخائف كبير :

— حيك أنت يا دياب .. أت ذك لك سايح .

وهب من ناحية عبد الهادي رجل ثالث .. وأوشك أن يسقط في
البئر ، وأسبده عبد الهادي ورجاه أن يصعد هو ويستريح بعيدا ..
كان عبد الهادي منذ لحظات يضرب هذا الرجل .. وكان من الممكن أن
يعدده في هذا الشئ نفسه .. كان على الأذن مستعدا لهذا .. وكان
الرجل هو الآخر مستعدا لأن يصعد بعيد الهادي أكثر من هذا . ولكم
الآن أمام صياح حاموسة مسعود أبو قاسم يحسون فحاة أنه عندما انزل
الكذابة رجل أو امرأة فكأنما نزلت بهم جميعا .. وبحب عليهم جميعا
أن يدفعوا الكارثة متسدين ! وكل واحد منهم يطلب الآخرين بأن
يصعوا معه ويساعدوه حين يقع له شيء كهذا الذي يقع لمسعود !

وهبط إلى البئر رجال آخرون ووقعوا كلهم يسعدون وأرجلهم إلى
الفواويس أو إلى نور في البئر ، وكانوا كلهم يسعدون بعضهم حين يرقى
الأرجل .. وكانوا كلهم يشعرون بمصهم وأيديهم جميعا تنب على
الحاموسة يعاونون دفعها بكل ما يمكن في اجتادهم من قوة لدفع
الكارثة . كانوا كلهم يعاونون في وقت واحد لحظاظ حاملة من نفس
أنياس الجحف . وتمح بهم معا ومضات بهيجه من نفس الأمل . كانوا
سحبون ويعرقون وتعدج صيولهم وتنبع أنفاسهم داخل البئر ، وحاجرو
الشئ على مدار استوائية يتدافع الرجال والنساء . وشيح البلد يرقى
بأوامر لا يصح أنما أحد .. والشيخ الشبوى يستعد بقوة الله ..
أب مسعود أبو قاسم فكانت عيابه على عبد الهادي وبداه تصرب الأرض
ونظم . وهو قاعد يدبر رأسه إلى الرجال في داخل البئر وبني أمراته
التي جنت أمامه صفراء كدولت ، بلا حيلة ولا قوة على شيء حتى الحرج
والصراخ .. ورأى مسعود أبو قاسم حاموسته ترتفع قبلا من مكانه
في البئر ولكنها هادت فسقطت والرجل مازالوا يتصايحون ويتسعدون
من داخل البئر والأيدي كلها تحت عطن الحاموسة تعاون أن ترتفع بلا
تعكير في الفضل ، وعاد مسعود يصيح وهو ينظر بين أمراته وعبد الهادي
والسماء :

— ضامت الحاموسة ! انقسم وسطى ! ضيعتها يا مرة ! يا ريت
أنت التي وقعتي في البئر ، أعوص الحاموسة أراي يا أهواي آ أحمد
ب عبد الهادي ! احمدوا يا رجاله ..

ورقق الشيخ الشبوى :

— احمد أنت يا واد وقل يا رب .. احمد الله يصك .. قل يا رب .

وارجال يسعدون في داخل البئر وفي كل لحظة يصعد رجل يليهم
بهمط رجل جديد .

وعاد امرأة مسعود بطن على الحاموسة وروحها من حلمه لوشت
أن تطلع .

وأخيرا دفعت الحاموسة على أيدي الرجال .. ورجع عن عيبتها
العناء ، عدت رجلها إلى المذار وسحبها الواقفون .. ومدت رجلها
الطلسي وبحركة تم مشت عن مدار الساعه والواقفون يسحبون
ونحسبون .

وردت الروح على امرأة مسعود ومرتدت .

ووقف مسعود فحاة .. وانفس كأنه صاب في عروقه دماء حياه
جديدة فية بكل الدماء والأمل .

وارتفع زغاريد النساء .. فصرح شيخ البلد ليستك أساء .

وارتمى مسمود على جاموسته فتجسسها ووجهه يفيض بدمع لم
انفتحت الى عبد الهادي فخلده بين ذراعيه وعاقبه طويلا ، ثم التفت الى
سيدنا فعلى يده واعتذر .

وكان عبد الهادي يلهث .. عثى في صميت حتى فقد تحت الجميزة
على أنحسر ، ومصبح عرقه بيديه . ودعك وجهه .. واخذ يهرز رأسه
في حزن ..

وارتفع صوت شيخ البلد يأمر النساء ان ينتهين من الزغاريد والكلام
الفاغ ، فهو رجل جد لا يفعله الحال المائل .. ولوح بصمائه لم هزها
ومضى الى الحضر .

ولم تستك النساء ..

وقف شيخ البلد على الجسر واستند الى عصاه وبده في وسطه
وسيطرت عليه فكرة انه الآن كأحد حكام المركز .. واخذ يقول - يهدوه ،
وفي يده - وهو يحاول ان يكون بليغا كرجال البندر :

- يرجع لمرحوا ينى .. نقى ينى مايش لا حيا ولا كسوف ..
فى ينى يابله .. مالكيش لا كاسر ولا كسار ؟! ينى تضربوا بعضي قدامى
كده عيسى عيس !! دانا نايب الحكومة .. اتوا مش هارفين ان شيخ
البلد ده ينى ربب الحكومة ؟ ينى الحكومة !! معنى .. يعنى كانبكوا
صربوا بعضي قدام الحكومة .

وكالما سرت على الوجوه نسمة طيبة .

فمرت ابتسامة ساحرة بكل الشذو .. نفس الابتسامة ونفس
السحرة .

واحسن الرجال الذين وقفوا على الحضر وتحت الجميزة والذين
قعدوا من أهياهم .. أحسوا جميعا ان شيئا عجيب يعلمهم الآن أكثر
قربا لبعض .. شيئا آخر غير اختلاط عرقهم ودمائهم وهم يرفعون
الحاموسة .

كانت سحريتهم الصامتة المشتركة من شيخ البلد قد أضادت فجاء
حاجبا آخر من كل نفس ، واكتشف كل واحد منهم ان أخاه قريب اليه
أكثر مما ظن .

لقد اكتشفوا هذه الحقيقة دون ان يعرفوا شيئا وهم يرفعون الحاموسة
وايديها لهم مجاذلة شيخ البلد ان يحكم ويحكم .

وتذكر أحد الناعدين ما كان يقوله شيخ البلد وهم يحدلون ربح
الجاموسة همس سحرية مقلدا شيخ البلد :

- تعال هنا .. انزل انت في البئر من الناحية دى وانت من الناحية
دى ! ايوة كده ! ! شيل بقى !
واستطرد رجل آخر :

- واهو حصرة شيخ البلد لا فاهم حاجة ولا محتاجة .. ولو جد
سمع كلامه ماكانتش الجاموسة خالعة في سنتها .. وبو كان هو هوب
بى ناحية البئر كان انسلط رى الجاموسة .

وتعالت ضحكة ، قطعها رقيق شيخ البلد .. غير ان صوت الشيخ
يوسف غمر زعيمته ورئت كلماته في دوى حاد وهو يقول :

- نتدحكوا كمان ؟ نتدحكوا على ايه ؟ على حيثكو ؟! يا بلد ..
تى دى عمله كمعمل .. حتمولوا بعضي عشاش الميه .. طب امال
نتطروا على الحكومة ..
واحتج شيخ البلد قائلا :

- انت بتورهم على الحكومة ؟ يعنى كانك بقى بتورهم عيه انا
ولم يفعل الشيخ يوسف بعراض شيخ البلد .. واستمر يصيح
بصعب صادق :

- انحروا ، انحروا انت وهو اغسلوا دمكم الى سيحتوه هالفاى ..
وكان بعض الرجال يتنزهون هيب وهشاك في طريقهم الى القنابة
يمسكون الدم من على وجوههم والرؤوس .. وجر دياب نفسه قائلا :

- كده يا عبد الهادي .. كده .. هلشان ما انا وحدنا ؟! ينى
تسترد بى بعد محمد اندى ما سافر ا ماكانش اعظم يا عبد الهادي!
كانت كلمات دياب جريئة مضربة .. وكانت نفحات صوته ملهنة ..
وشعر عبد الهادي بطسوفان حزن هائض يرتفع من افواه بعضه ،
ويزهف .. حتى ليملأ حلقه بالمرارة والدم والدموع .
ولمهد ، ثم هوت رأسه بين يديه في بكاء كالعويل .

وذهل الجميع ، وأسرع دياب فبعد الى جانب عبد الهادي وحاول
ان يسكنه . واحدا يقبل رأسه ، ولكن الشيخ الثناوي صاح فيه
صوت بارد :

- تصبط على ايه بقى .. ابالك يعيطوا عيك من بندقى ؟ ينى تقبل
القنيل وتمشي في جنازه ، قال يضرب البلد بزيها وتهدد يعيط صبيها .

جاءت العم وأب عامينك ماحرشي . يكوئش راكمه مغريب .. ذا اموى
من مغربون .

وصحك بعض الرجال ، والشيخ الشناوى .

وشعر عبد الهادى كأل ربيعا قطعة تهب على قلبه . فانشم .

ورأى شيخ البلد أنه يجب أن يقول شيئا وكان ما يزال

متكئا على عصاه بيده ويده الأخرى في وسطه .

وتصبح شيخ البلد قليلا ثم طلب من الرجال الذين جرحوا أن

يجثوا جروحهم بالتراب ، فانترب شعاه .

واعترض الشيخ يوسف محتج :

— ترات ؟ يا جدد خبيهم بخطو بس ... وفيها إيه يعنى لما كل واحد

يشترى بكورس ولا سبعة ويند الجرح بشوية البن .. ألا التراب ..

نراب قال ؟ حرى انه دشيخ البلد .. حمر ايه يا بلد ..

وصحك بعض الرجال واقترح احدهم ساخرا :

— دهنى .. طب مبروح للمستشفى فى المركز ..

فقال آخر وهو يضحك :

— لا ولا لندكتور ..

فرد ثالث وهو يكتف فحكة :

— ولا نهيىب الداكتور هنا ؟

فوقف رابع يقول وهو يثقل الجمل : حمة ورا جملة هي رنة

شبكة ساخرة :

— يمكن حصاب الناشب ؟ ولا يمكن ولاد البنسدر ؟ ولا يمكن

بواحش مهر ؟

وافجعت الضحكات ..

وقطع الشيخ يوسف اسباب الضحكات بقوله وهو مقطب ، أن من

يرد أن يخاف جرحه سريعا ، فسيه أن يشترى السن ليضعه فى الجرح .

وبعد قليل استنرد الشيخ يوسف قائلا فى ثأيب أن عليهم الآن أن

يتفقوا على توزيع المساء فى الأيام الخمسة ..

واقترح هو طريقة ، ولكنه قل أن يكمل شرحها عدل عها ، وعاد

مترج خلا آخر ، ولكنه لم يكمله ..

ولحاة تذكر اقتراح عبد الهادى أن يقطعوا الجسر .

وهو عبد الهادى رأسه مؤبدا أن يقطعوا الجسر ، وبرووا الأرض

كلها بالراحة ولا حاجة الى السوائى وتوزيع الماء ووجع الدماغ ..

وقال دياب بصوت مسوح :

— دى احسها حاجة ، على رأى عبد الهادى يدل ماحرل من بعض .

واعترض الشيخ الشناوى على قطع الجسر ..

فقال عبد الهادى للشيخ الشناوى معاكسا أنه لايعهم فى هذا

الموضوع ، فهو ليس بموضوع جة ودر وهو على كل حال لا يردع ولا

طلع ولا شأن له بالأرض .

وسخط أنشيخ الشناوى على عبد الهادى واحد يرميه بطول الفسان

وقلة الأمانة ، وأكد لشيخ أن قطع الجسر آخرته سوداء ، وعلى كل

سيأتى الحراء ويسمون أملاحين من قطعه .

فقال عبد الهادى باستعفاف :

— الفعرا ؟ وطب وابه يعنى ؟ مايعوا ؟ يتعصوا ياسيدينا يشيروا

قوسوة .

وتدخل أنشيخ يوسف عدل متحمسا :

— اسمع ياسيدينا .. اسمعوا ياوواد .. مادام قطع الجسر مش

حرام يبقى خلاص نبقى يا شيخ شنوى مابكش كلام صلب .. ماحدش

له كلام عسدا .. وماحدش له دعوة بلعمرا ؟ غفرة إيه يا أخوي ؟ ! هم

انفغرا عارفين برووا .. هو حد مسهم عارف يروى أرضه ، ولا حتى

لاقى باكل .. ماهى الحكاية من بعضها .. والا إيه ياشيخ البلد ؟

ثم اكمل مبيضا :

— ماتمى سلك ماشخ البلد وانت واقف مركون على العصا كده

وايدك فى وسطك ولا مدير المديرية .

واقتتل شيخ البلد ، وأصعبه بفكرة قطع الجسر يحر ضيقه من

لهجة أنشيخ يوسف .. ولتم وهو يتسحب :

— اسمعوا الى لعموه فى بعيد عى .. ابعثوا هى واقطعوا الجسر

رى ماصحكم انش الله يعلوا البحر كله بالعيطان .. انا الى عليه ..

أى أحوش الفخر عكم ؟

وصاح الشيخ يوسف فى النساء اللواتى يقفن عند أساقية أن يعلن

مايهما .

ومضى شيخ البلد هائدا الى القرية ومن ورائه النساء وانهايم بيما

كثت الفؤوس تعرب أرض الحسر فى قوة وتلباط .. ولشقت قباه كثيرة

فى عرس الحسر بين البحر والجوول .. وتدفق المساء فى القضاة الكثيره

الحديثة الى الماء الطويلة فى بطن الحسر مارا بكل الحفول ، وهمل

أنفلاحوهم وهم يرون المساء يتدفق فى موجات صغيرة سريعة متعدة

ناظمى .

وانصرف الشيخ الشاوي مع الشيخ يوسف وبنيته النساء والأولاد
والهائم .

وبعد قليل كان كل ملاح يروي حقله بالراحة .
وقال عبد الهادي وهو يترك حقله بعد أن يرواه :

— خليم يكسروا السواني على كيعهم نبي .. أميه اليه راجبة
وأبرك من عشر سواني .
وأخاه مسعود أبو فاسم :

— بس هو دا حايديم .. احنا حقيمه بعد روي اميه يوم بيوم ..
وانصهر عبد الهادي على النجر .. والي جواره دياب الذي انتهى
هو الآخر من روي أرضه .

وقال عبد الهادي لذياب في حساب كبير :

— اوصي تنسي يا دياب تحط شوية بن على الحرج .

بهر دياب رأسه ، وظل على طول الطريق إلى القرية يقول :

— بس اوصي تكون انت لسه زعلان .. أهى كنت نفسي وراحم ..
ذي المصارين في البطن يتتخاقي مع بعضها .. ذاحت عزوة بعض يا عبد
الهادي .. والدم مش فيه يا جلع ..

— ذي البلد كلها من دم واحد برضه . والدم مش فيه على حشد
قولك .

وفي الطريق الضيق بين الحجر والقرية كان محمد أبو سويلم يقل
مضطربا وهو يسأل عبد الهادي من بعيد عن الشيخ يوسف .
كان محمد أبو سويلم يبدو متزعجاً ، وقد بدت عليه شيخوخة مبكرة
وكألة ، وكان من الواضح أنه يظلي في أمعائه .

وحسب عبد الهادي أن محمد أبو سويلم غاضب من أجل المعركة على
الحجر فيأدره بقوله :

— ما احنا خلاص اتصالنا يا انا محمد .. ما هو احنا خلاص يعني ..
واكمل دياب مستفزاً :

— ما هو الضفر ما يخرش من اللحم يا ابا محمد .

ولكن محمد أبو سويلم قال في انفعال :

— بلا لبص صغار .. بلا قفر بلا كلام قاضي .. اتصالحو
ايه ؟ وكان ذا وقته .. روح باشيخ روح .. روح ياواد يادياق انده
لحمد اتندي من الدار ، أخرى بلاش أمور صغار .

ولجس دياب حراجه لم قفز ، وحري متنها ليلقي اخاه الذي
عاد لساعته من السفر .

واستدار محمد أبو سويلم ، لعود إلى القرية مع عبد الهادي ..
وسك قليلا وهو يحط كما تكف ويغيب يديه في عصب .

ثم وقف مرة واحدة ، وأمسك بذراع عبد الهادي يقفه .
يقول له في حيرة وخيرة أن العريضة التي سافر بها محمد اهدي مع
محمود بك لم تكن هي عريضة مد الرى . وإنما كانت عريضة سرماية .
فانمدة صحك على القرية باتفاق مع محمود بك وجميع أختها وأختام
القرى المحورة ، ووضع كل هذه الأختام هي عريضة حاد فيها أن الأهل
الموقعين يحتاجون إلى شق سكة رراعية .. تمر في أرض الذي وقعوا
على العريضة ، ولعزها ، وتصل بين عاصمة الانبيم وطريق القاهرة
مارة بحدود أرض الباشا ، حيث يكمل بناء قصره الكبير .

وفتح عبد الهادي فمه ، وانسمت فيهاء ولم يعرف ماذا يقول ..
وانطلق محمد أبو سويلم يؤكد لعبد الهادي أن هذا الذي يسمعه
صحيح كله .. وأنه علم لا حسم .

واتممت هنا عبد الهادي وقال كالذي يفيق من كابوس :

— محمود بيه !!

فقال محمد أبو سويلم صغرا :

— ماقلت لكم ! فشتوا بتي ملوب انعمدة والبيه والحكومة ؟ ..
للاقيهم متممين بالمملوب ده ، يبي اسم الرراعية جابه بولنة البلاد مش
محصين من حيايب عينيها ، هراونا وسكتنا لهم وورعدونا من مشيخة المعر
وسكتناهم .. كسروا لنا السواني وقطعوا اليه وسكتناهم .. ولسه
يا عبد الهادي بانما حاشوف طول ما احنا ساكتين .

وسان عبد الهادي وقد اختبعت لبرسات صوته كأنه خارج من حلم
محبب على واقع بشع :

— طيب وابيه العمل يا ابا محمد !!

ووجه محمد أبو سويلم .. وأخى بحيرة مياغنة 1

انه هو بعنه لم يكن قد نكر في هذا من قبل ..

ولم يكن يعرف ما العمل !! 1



أحدث العربية كلها تتحدث بأصعاب عن كل ما حدث على
جسر البحر .. كيف قامت المعركة وكيف انتهت ..
وكيف وقعت الحاموسة في أسر .. وأحدثت تحدثت
من بطوة الرجال، الذين رفعوا الحاموسة بأيديهم ..
وبسالة الذين شقوا الجسر ، أب الأطفال الصغار فعد ملاحم الكبرياء ..
وهم يستمدون ذكر ماضيه عبد الهادي : بعد حرب وحده كل رجال
الساحية الشرقية ، وعندما سقطت في البحر حاموسة من أهل هذه
الساحية رفعها وحده من أنبثر .

ووقف طفل يصيح فرحا صغيرا جدا من أنوث ، ويحاول أن
يديره براءة وسط زملائه كما كان عبد الهادي يصيح على الجسر ، وكما
تعود أن يصيح وهو يصب العصب في الأفراس .
ومست الفتيات يتهايمن بزوه عن عبد الهادي الذي رفع رأسه
وقطع جسر الحكومة ، وترك الماء يتدفق بالراحة من البحر إلى العمل ،
متحديا سلطان الحكومة ، ورجلها الذين يعيشون في المركز بلطابيش
الشاهقة والبدل الصغراء .

ولمعت عينا وصيفة وأشرق محيطها وهي تسمح من هب ومن هناك
فصع عبد الهادي مع رجال الساحية الشرقية والجسر والحاموسة ، ولكنها
حين سمعت ما حدث للدياب أزدردت وبثها وأخلطت وقبعتها المليئة
أنبياء وهمت لسعها في رثاء وغضب :

س كده بعدد الهادي ، طيب ودياب ماله ؟ هو دياب ذبه أيه ؟ ..
مى أن عبد الهادي لم يكذب يعود من عى أنبثر ، وبابل محمد
أبو سويلم حتى ذهب معه إلى داره .

كانت الشمس تملأ بوجهها مصطبة محمد أبو سويلم مدخل إلى
المدرة ، وتعه عبد الهادي .

وكذب المدرة في بيت محمد أبو سويلم لا تفتح إلا لضرورة أو
بصوب الكار ، ومع ذلك بعد دخل الرجل إلى مدبرته مسرعا دون
أن يفكر ، سمع نكي في وسعه على أيه حال أن يجلس في الشمس فوق
لهب المصطبة .

وكادت وصيفه ، قد فرغت لساعتها من كس حصر المدرة ، وسوب
قطع اللاد فوق الدكة الخشبية ، وأعطت البعده الوحيدة ، وشعر
عبد الهادي بظراوة الحر في المدرة .. متنهذ بالزجاج وهو يسمح وجهه
بيديه .

وإدى محمد أبو سويلم ابنه وصيفة وطلب منها قله ماء ، فأضاف
عبد الهادي متطلعا أنه يريد قهوة من يديها .

وخلع محمد أبو سويلم مدامه .. ورفع قدمه ووضعها على الدكة
الخشبية ، ومضى يقول لعبد الهادي أن محمد أعدي من عليه بعد لحظه
معتلا من القاهرة في أول قطار يماردها إلى عاصمة الإقليم .

ولمع عبد الهادي حيايل وصيفة ..

كانت للذهب وتعه وسط انداز بقلة ماره .. وتلبسكا أمام باب
المدرة لتسمح كل مايقوله أبوها من محمد أفندي بصوته المرتفع العريض .
وأحس عبد الهادي بضييق غامض فقل متطلعا :

— ما أنا عارف هو مستعمل على رجوع البلد ليه .

وأزاد صوت محمد أبو سويلم ارتعاشا وهو يقول لعبد الهادي أن
البلد خربت .. وأنحكمة ستقتل الأرض لتشق أنسكة الزراعية التي
يريدوها الباشا من عاصمة الإقليم إلى طريق أندرة مرة بفصره الذي
سيه على حدود هرتة .

ورفع عبد الهادي حاجبه ونصمت خطوط جبهته دون أن يقول
شيئا ، شعر برأسه تدور وريقه يصف .

ودخنت وصيفة تحمل القه إلى أيها ، كانت القلة في يديها تلسع
والماء معمم برائحة الزهر .

وأخذ محمد أبو سويلم القلة من يد ابنه وكرع منها ، وأماهاها إليها ،
بعد عبد الهادي يده إلى وصيفة وحياها .. وتساؤل منها القلة وهي ترد
تعبته بانقسام ، وعياهاا لتقيان عليه نظرات ثابتة .

وحطف عبد الهادي نظرة إلى قامتها المديدة المليئة البصة وشعر
بالسكسة تعيس على قلبه .

وشرب ببطء وعياها تندرجحان إليها في نظرات أصعاب .. ثم رفع
القلة بسرعة كأنما تذكر شيئا وتساؤل لماذا لم يحضر محمد أعدي ليعرفوا
معه الحر .

وعاد القلة إلى فيه ..

فقال محمد أبو سويلم في ضيق :

— مايت له دياب .. روى يا بت يا وصيعة شوي الحر ايه ..
الواد دياب اتلوا ليه كده . . .

وربع عيد الهادي القلة من ممة بعتة .. وسال على خذيه خيط الماء
البراق اندي كان يسكب في كركمة من فوهة الفلحة الي شعتيه . واوشت
ان يشرق بالمساء . وسمن قليلا وهو يعطى القلة لوصيعة قائلا :

— استنى .. استنى ..

كان عيد الهادي طول الوقت ينظر الى وصيعة ولسكها لم تحتج ايدا .
طلت ساكنة بقاتها المديدة ووجهها يشرق بالابتناسم الهادي في
الحجرة المصقفة ذات الظلال الطرية .

وعاقت الانسامة من وجه وصيعة واستدارت وهي تحمل القصة
وخرجت وهبت الهادي يعيد عليها طلب العموة .
ولم يقل محمد ابو سويلم شيئا .

وبعد قليل سألته عيد الهادي ان كانت الحكومة ستزوع بالقوة ملكية
الأرض في حوض النقرة .

فرد محمد ابو سويلم ان الحكومة تعمل كل شيء بالقوة .. وعلى كل
حال فالقرية تستاهل كل ما يحصل لها .. فهي تعرف ان الصعدة يعمل
لها في كل سنة ملحوبا جديدا ومع ذلك أرسلت اليه الاختام ليضعها على
كلام لم يقرأه أحد .

وحين هادت وصيعة بالقهوة ، صبتها بسرعة وخرجت ، دون ان
يشعر بها أحد .. حتى عيد الهادي نفسه ..

وتناول عيد الهادي فنجان القهوة وأخذ يرشف منه كالخوذ وهاد
يسأل محمد ابو سويلم عما تستطيع الحكومة ان تصنع بالقرية لو ان
القرية كلها وقعت امام الحكومة بالحق والعزوس .

ولم يحب محمد ابو سويلم وانما غمره شعور بالدفء والقوة ..
وشاقت في نفسه طمانينة مهمة لا يعرف من اين انعمت ، وانعمت
عيباه ، وهز رأسه ، وهو صامت لا يتكلم .

وتلفت عيد الهادي حوله وسأل في ضيق من سرناش محمد امدي .
واجابه محمد ابو سويلم بشتائم عديدة لذياب الذي لم يرد عليه
لأن ..

على ان محمد امدي كان اذ ذاك في داره ينتظر احاء دياب في قلق
وهو يصمى لآله تروى له كل ما سمعته من ابناء الجسر .
وفي الحق ان دياب قد تأخر مصطرا عن محمد امدي على الرغم من
انه كان يحرق على طول الطريق في لهعة ليستقل اخاه ..



ذلك انه وجد حفرة تعف في مدخل إحدى الدور مع بعض انبياء
بردى لهم ما حدث على الجسر ، وتضمن بلا تخرج اشارات فيجده من يديه
وايعطاه لأصغله الفتيان .

وكانت انبياء يتفحصون على استحياء وهي يحفرون وجوههم في
طهور بعضهم .. وواحدة من تجرى الى ها أو هناك .. ثم تعود مقنطة
والصحت يديها تنمى حفرة ، وتطلب منها أن تكف عن كلامها وإشراكها
ونكى حفرة تحجب بشارة أو كلمة أكثر صراحة ، فتصيحك أعتاة وتحمي
وحدها في طهر إحدى الفتيان .

وعندما كان دياب يركض في الطريق الى داره ليستقبل أخاه محمد
أمدى من بحفرة والفتيان ، فمادته حفرة يستهزأ يعاطله الإشتاق .
وثوبت دياب مصعاً وشتم حفرة وتابع سيره ، غير أنها قالت له
سحرة بعد أن تشتمه :

— كنت أعال أشطر كده على جرس يا سيد أرجاء ،
وأحس دياب يخرج هائل ، فمد إليها ، وأنفض عليها يديه ، ثم
دعها يرجله في بطنها ، ووثقت حفرة على الأرض تسوى وأطقت
صرجه :

ودعيت أعتيان من حولها .

ببعض أفاق دياب من خبطه ، وتذكر أخاه محمد أمدى ، وداهمت
الحيرة وشعر بدم معجده لانه يتشبط الآن على امرأة ضالعة بلا أهل
ولا قوة ولا عروة ، وهي بعد امرأة اتصق بدنه بجسدها واحتلقت سبها
أخرى أكثر من مرة .

وماز عليها دياب يسأله قلما :

— ماكن يا بنت ؟ ماكن ؟ ..

كان صوته مضطرباً ، يشع في جفاته الحوب وأنحاس الصادق .
ورفعت حفرة رأسها وقالت بدياب بنفى لهجتها المريرة السحرة
أبني تمطى صوتها حشونة خاصة :

— كده يا دياب ؟ تعمل كده في حفرة الشريعة ؟ ..

واسترد دياب أعفاه ليصيح ، وضحكك أعتيان من حوله
والطماينة تعود الى أعلوب .

وقال دياب منظر وهو يهر رأسه :

— شى الله يا سيد يا مدوى .

ثم همست حفرة لمن حولها وهي تكلم اضحك .. أب دياب حاول
أن يحبسها .

وحزن الفتاة بعيداً عنها في حقل واضطراب وفات لها واحدة
— عطيمه ! كل حاجة عندك صحت كده .

وصاحت حفرة بأعتيان تشتمهن لأبن تصع الحجب ببسما هي
يعرف فيهن أبنى الرأفة .

وحاولت حفرة أب تعف ، وعياها على دياب . كان الدم من حواجه
قد بدأ يتجمد على رأسه . فطلت حفرة من أعتيان أن يحسن يعيل من
الماء والبن . وأخذت تسم دياب لأنه لا يحفى حراج رأسه بالبن ويترك
الجرح للشمس تطعنه .

وضحك وهي تشتمه وتمد يدها لتضربه على كتفه ..

وقامت حفرة ووقعت لتعجن كور الماء .

وأبعت فتاة تحمل كورا من الصفيح فيه ماء وتناولته حفرة
فصت منه على يد دياب ، وأخذ هو يسيل رأسه ويدعك وجهه والدم
التعجن يتساقط ..

وعادت الفتاة بالكور فبلاها وأحدث حفرة تصب على رأس دياب
وهي تقول :

— دعك سايح ليه كده بوله ؟! أمال أبه فائدة أكل اللحم والعيش
الصح ؟! أمال بقى أس ما بيدوقش اللحمه الا من أهيد ليعيد جرحهم
هامل أبه ؟ كل لحمه كثير حلى الحرح يلم ..

وأخيراً جمعت دياب وجهه بطرف قميصه العويل الزدهم يبقع الطين
وتناولت حفرة بين أصابعها المعيطه الحديدة بعض البن وحشت جرح
دياب .

وقدت فتاة من وراء حفرة :

— يا ترى محمد أمدى حايقول أبه ؟ .

والفتيت إليها حفرة وهي تملأ الحرج بالبن وقالت ببساطة :

— عيشك من محمد أمدى ليه يا ..

وقبل أن تكمل حفرة حرب الدم صاكنه محمره الوجه وهي تدعو
على حفرة مطع اللسان .

ومضى دياب .

ظل يحرق ويده على رأسه فوق البن حتى بلغ داره . فوجد أمه
فرحت حفرة بطفه على المصطبة الكبيرة في مدخل الدار وعليها محمد
أمدى أبى كان مازال يلى أسدله والجدها والطربوش ببسما قدعد
هى على الأرض قدماه . وبحت فمها أورة تلمظها حات أمدى

و قبل دياب عن اخيه محمد اميدى سرعة ودركك فشده يده وقبلها .
 ووقف محمد اميدى بصر الى جراح دياب في أم صاعته ، واصطرب
 الانعماط في صدر دياب ، فطرق اخاه بتراعيه واحتضنه ، وشعر بدن
 اخيه بملأ صدره فيصطط عليه وقنه ثم ابعده قليلا وعاد فاحتضنه
 بحرارة وصعب وشوق .. ونكى !
 وحس محمد اميدى واحس الى حوار اخيه .

ومصيب نفس محمد اميدى بالحصى ، وشعر برغبة حارقه في ان
 يغفل دائما الى حوار اخيه دياب يحببه من قوى الجفاء .
 وقال دياب وهو يحس :

ـ الهى ما يصفدنى اندا يا شيخ .. انى يا راجل يجعل يومى
 قبل يومك .. يا نهار اسود .. ذا الواحد من غيرك في انكده ميساويش
 مود خطب .

واحتلج محمد اميدى واهترت امه قائلة :
 ـ الهى يجعل لك العمر الطويل يا اولادى .
 وسأل دياب اخاه محمد اميدى لماذا لم يرسل له لينتظره بالجعشة
 على محطة المركز .

فاجابه محمد اميدى بانه لم يجد وقت ، وهى اية حال فقد استأجر
 حمازا من المركز وحده به من الطريق انيق على شط الترمه بعيدا من
 حصر نهر لآ صاحب الخمار طلب هذا !!

ومضى محمد اميدى ـ وهو يضمك متحمسا ـ بروى لأمه ولدياب
 حركية رحل من المركز يتكلم بلغة اهل البندر وبهم كما يفهمون هناك .
 ويؤخر حماده في الساعة بترشين ، ولا يعرف طريق يعزى الواقعة على
 حصر النهر الا هذا الطريق الضيق الضيق على شط الترمه !!

وصحكت امه . وصحكت دياب طويلا ، وصر بركته بيده وهو يماطع
 اخاه محمد اميدى من حين الى حين ليقول له ،
 . سلاما كده ..

وفجأة . البغتت الام الى دياب وسألته عما حدث على الجسر .
 كان في لهجتها محاولة لحصار دياب وتضييق خفى ..
 فاجاب دياب في عصبه تدارى حجه ان ما حصل خير .. ولا داعى
 بكلام فيما حصل لانه تصاح هو وعد الهادى .
 فقال محمد اميدى لدياب انه علم بكل شيء .
 واحد يصعد لانه تجرش بعد الهادى .

ومزع من كلامه فانلا ان دياب ساعل ما حدث له لانه غلط داء .
 مع انسان .

ولكن الام اعجبت نفس دياب .. وتذكره بان احدا من القرية لم يحررو
 اندا عن صرب امه ، لا اباه كان يعرف كيف يكسب احترام الناس .
 ولقد حاول احد الفلاحين ان يحرش به يوما ورعى عليه كلاما غائطا .
 فلم يعصب واتما ذهب الى الممنده وشك له المعتدى فحبسه المعتدة يومين
 في حجرة التليومون .

وتضايق دياب من حديث امه ، وادرك انه لن يحصى منها طوي
 الهام . فغرق فيها لتسكت .

وتدخل محمد اميدى قائلا :
 ـ صلو بسا على امى ، بس يا دياب احرس .. ما تزعش في
 امك كده يا وله .
 وسكت دياب ..

وبهس محمد اميدى الى حجرة التي يتكون منها وحده ابطاني
 النسي . فجمع ملابسه وارادى جلبانه الافرنس والشيشب والاقعة
 المخططة العالية .

وهبط فوجد امه تمسك بصدية صغيرة من الحشب الابيض ولعل
 لذنا :

ـ حد افتح حلاوة مصر يا دياب .. وشسوف حد يحمى القرن
 عشتا اصل لك فطيرين تاكلوا سم الحلاوة الطحينة .

وفكر دياب من فوره في ان يذهب فيستدعي خضره ، ولكنه
 قل ان يشرح لذلك ان يقول لمحمد اميدى ان محمد ابو سويله سطره
 في داره ومعه عند الهادى منذ وقت طويل .

وتحرك محمد اميدى ليبحث بهما وهو يلوم دياب عن نسيه كلاما
 كهذا .

وحرج دياب من الدار عكس الزاى ووراه محمد اميدى لكن
 ما استترفته فانه .

ـ اعد شوية يا محمد اميدى داسى مع امك . ذات واحشى
 قوى .. واسنى بك وحشه حامده قوى .. نفى حناك الشيش حشوبه
 فاناك في مصر ؟ وحاشى البد امتى ؟ هو حلاص نفى . والله وحش .
 حصره اساطير ، وهو مشى عارف مرلته عصب .

وعندما قبله اسائب صدقه من الطريق ، حذره أنشح حسونه من ريادة قرية الى فيها أرضه ، وهدده ان هو رارها بن يقطع العناجر رسه بالعزوس .

وشيعم القرية المحاورة اسائب انرائر ماطوب وصراح النساء . فلم يكن يعود الى عاصمه الاقليم حتى طلب بعمل الشيخ حسونه الى مكان بعيد . . او مفضله ان أمكن .

فعل انى بلد بعد حدا من قرية ليعمل مئرسا بحوار الصطخر الحريه حيث لا يستطيع ان يصل الى المدرسه الا في « وأور البحر » وطالب الشيخ حسونه أهل قرته وأقرية المحورة بان يتوروا كما صنعوا عندما من الانصير ومهاهم . . ولكن احد رجال القرية المحورة قال لبعسه سافرا !

— يعنى سمع زبول ياحى ؟ لا ولا يعنى وليم مكرم ؟

وعلى أية حال منى القريتين لم يتحرك احد . . ولم يتجمع اهلهم فى الطرقات. ليعملوا يجب العدل كم كان يحدث فى تلك الأيام المحيده الباهرة .

وامتلا الشيخ حسونه ضيقا باقرية انى كان فيها ، وبقرية انى هو منها ، فأمر أرضه لرحل من اميب قرية محورة . وانسم الا يعود الى قرته اندا . .

واحد معه زوجة واولاده الخمسة ، واستأجر لهم بيتا من بهه فى شبرا البلد ، وأقام هو فى حجرة بالمدرسة ، ورتب نفسه على ان يعود الى اهله فى شبرا كل ليلة جمعة وفى أيام الاجازات .

وعلى الرغم من ان الشيخ حسونه قد نقل مدرسا ، فقد ظلت قرته والقرى المحاورة تسميه « حضرة الفاطر » . . وحتى المدرسون فى مدرسته الجديدة كانوا يطلقون عليه « حضرة الفاطر » فى نوع من الاحراء ، والمقاومة للذين نعلوه مدرسا .

وقد استطاع محمد ائدى حين وصل الى القاهرة مع محمود بك ان يثر على عنوان خاله من بعض اهل القرية المقسمين فى شبرا .

وعندما اتى محمد ائدى بحاله الشيخ حسونه ، روى به حكاية ماء الرى والعريضة ، وقال له أيضا ان محمود بك أحد المرفضة ، وضعها فى حبه ، وأعطاه عدة موايد فى مقهى بالمتة الخضراء ، وفى كل مرة كان يقبل متأخرا عن الموعد ، ثم ينصرف على عجل ، ويحدد موعدا آخر . . وهكذا عاش يومين فى القاهرة دون ان يستظم الكلام مع محمود بك ، وأخيرا جلس محمود بك معه على المنفى ، ولا حظ محمد

وقال لهما محمد ائدى وهو واقف ، انه أثار عن محمد ايو سوبيم وعبد الهدى . ثم أعف ان خاله الشيخ حسونه فى طريقه بعد ايام الى عاصمة الاقليم ليحدد حلا هناك لموضوع الرعايه الجديدة. فعرودها فى حوض التربة يشرق أرضه التى تقع كلها فى حوض التربة . والشيخ حسونه رحل فى الخميس من عمره اشرف على تعيم محمد ائدى ، وعند كن واد محمد ائدى حيا كان الشيخ حسونه شتم عليه بكل ما يصح ، ولم يصب محمد ائدى لأحد حسوبا كالشيخ حسونه .

كن يحافه أكثر مما يحدث من ابيه . وفى الحق انه كبير وذخيل مدرسة المعلمين ولم يعد يحاف اياه . . . ولم يكن ينس يده وانسا كان يعمل بد الشيخ حسونه . وبقى بانه اى كل ما يقوله من كلام .

وعندما كان محمد ائدى يتعم بمدرسة المعلمين فى عاصمة الاقليم كان الشيخ حسونه يروده فجأة . ويصف على اسائب العارضى للحجرة التى يسكنها ليتسنت ويرى ماذا يصنع محمد ائدى ويحاسبه . وكان يسأله دائما فيما يدرس . ولا يتردد من غربه بلا شفقة ان وحده فى سيرته ما لا يسر . أو ان وحده متشبه من دروسه .

ولم يكن الشيخ حسونه مع هذا شقيق امة وانما كان ابن عمهما وكبير فائتها . وقد ترك الأهرام منذ زمن طويل . واشتمل مدرسا بالسميد ، وعاش فى بلاد لم تكن انقرة تسمع بها من قب . ودم هناك على سرير من حديد النحل تزحف من تحته أعذار . وهو منذ زمن بعيد يعمل نظرا للمدرسة الأولية فى احد القرى المحورة ، وقد ظل يعمل بهذه القرية ويحظى باحترام اهلبا واحترام أهل انقرة ، ثم جدد حكومة حزب الشعب ، وهدوما ، وأعلنت حكومة حزب الشعب انها ستجرى الانتخابات ، ودعيت وحدها الانتخابات بعد ان قاطعتها كل الأحزاب وفاضتها الناس .

وطلب الشيخ حسونه من أهل القرية ان يعاطوا الانتخابات ، واد للمدرسين ان يتركوا المدرسة ليشجعوا على مقاطعة الانتخابات . ومع ذلك فقد اخرجت الانتخابات ووصعت أوراق فى الصناديق تصم أسماء المرشحين لم يدهو ليتبحوا . وراى نائب حزب الشعب انقرة التى يعمل بها الشيخ حسونه ، فرفض الشيخ حسونه ان يستقنه فى المدرسة ، وصرف الاملاء واغى الأبواب وانصرف هو بعنه .

أمدى أن محمود بك شخصية معروفة : « الجرسور » يحبه بترحاب ،
وماسح الإحدى يهيم في أدبه وهو ينفذ بإحاطة . . . ولقد استطاع
محمد أفندي أن يلتقط من همسات ماسح الإحدى كلمة بنت تركية
صغيرة . . ومرة أخرى التقط كلمة جميلة ومرة كلمة « لونسايو » و
« سات أفريج » و « ست انجليزية » ! .

وكان محمود بك يصرف من محمد أفندي تلمذاً أني همسك
ماسح الإحدى ، ولكن محمد أفندي سأل مرة بتسرد ووجل أن
يخلصه ، ليؤد إلى مله ! .

وأخرج محمود بك عليه سجاره ، وتناول سيجارة وأشعلها ونفخ
دخانها بسرعة في وجه محمد أفندي وسأله عما يريد منه !
وماد إلى محمد أفندي وجهه فطلب من محمود بك أن يقرأ له
المرضية لأن أهل بده استملوه أن يقرأه قبل أن تقدم إلى الحكومة ،
وقرأ محمود بك المرضية بهمال ولبات .
فوجدوا محمد أفندي التماساً بشق طريق لرامي . .

بهت محمد أفندي واحد بمسح عرقه وأبعه ، ويظهر في هربات
الترام التي كانت تسير أمامه من خطوط متقاطعة ، تراجم الناس -
في ميدان القبة الخضراء - تحت وهج شمس الظفر . .
وعندما حاول أن يناقش في الموضوع لار محمود بك وأهانه وقال له :
- أنت غارب الحكمة كويس ؟ جاي تستعيط هيا ؟ همدتك قال لي
أنت فاهم ! . . أمال ديمت فلوس على إبه ؟! هو لعب عيال ؟ .

ثم انصرف محمود بك دون أن يدفع لمن القوة وهو يستمتع بالعاط
حرحت محمد أفندي حقاً .
ولقد روى محمد أفندي كل هذا لخاله ، عندما أراه بعد العصر في
بيته يشرب البن .
وسأله خاله أن كان حقا يعرف مكيده المرضية، فأكد محمد أفندي
لحالته أنه لم يكن يعرف شيئاً .

وماد الشيخ حسونة يسأل يهدوه لماذا أعطى محمود بك نقوداً ؟ وك
من التود ؟ .
فارتك محمد أفندي . وأقسم لخاله أنه لم يدفع مليماً .
وشاق الشيخ حسونة ، واتهم محمد أفندي بالكذب ، وصاح فيه
أن دبل الكلب لا يمدل أبداً ! . .

وسلب الشيخ حسونة ظلالاً . وهو ينظر إلى محمد أفندي فيده
في ارتداد على الكرسي أسفل يانطليه الحمراء البهته وبعيداً مقبوحاً
بلى صور معلقة في انحره أنى يسحب حبه «أوده السافرن»
بما كاهل مصر .

وحقق محمد أفندي رسبه . وسها عندما لاحظ نظرات حابه ترسل
أسبه الشر .

وخلف الشيخ حسونة كما بكف وهو يقول :
- هيه ذي تحراً ؟ . هوه فيه حد يأس لمحمود أني ابنه هدم ؟! وإيه
قال . . عطفوه بيه وخيتوه ريس عيكو ! طيب شو فوا بلى . . ذوقوا بلى
بما كتم فاصبي ! بكرة يديكو دن الكلب في الطاحونة . . دا أن كان هوه
ولا عمدنكم . لو واحد من الحوز دول هال ييمكو بفرض مش حاساخر !
ويم يستمع محمد أفندي أن يعنى على كلام حاله . . وعلى أية حال
لعم شعر براحه لأن خاله لا يحبه بالكلام اللادع .

فإن محمد أفندي لم يسترح طويلاً ، فقد وحده حاله بقوله :
- وايت ماشي أراي في أسند ؟ ذاتي تشرب شاي هيا وهيا ولا عفات
ونهيت تحترم نفسك وتعرف قيمتك كعالم .
وغمر العبه وجه محمد أفندي فقال :
- الحمد لله يا خال ! . .

وساد بينهما صمت قطعته أشبج حسونة بقوله أن الحكومة لا تستطيع
أن تشق الزراعية غسبا عن أصحاب الأرض . ولئن شقتها الحكومة ،
لهو الحراب يدخل بوفرة والفري المعاورة من أهل ترف الساسا عصب
حرب الشبب ! . .

ثم هر الشيخ حسونة رأسه ، وعنى شفنه السبع وهو يشتم في
حسرة : بو أغربة والفري المعاورة تغف في وجه الحكومة من يستطيع
أحد أن برع منها أرض حوص الترة . . ولو أن القوة والفري الأخرى
المعاورة وقفت في وجه الحكومة عندما نشته هو التي معيد لها طمعت
الحكومة إلى هذا أحسد . . ولكن الناس سيكتوا للحكومة قدحت
بحمارها ! . .

وعاد الشيخ حسونة إلى صمته .
واحد يقبب كفه طويلاً قبل أن يقول أن معظم الذين يملكون أرضهم
في حوص الترة ، يصحون بلا أرض ، أو نعلت الحكومة مشروع الرامية
كما يريد الناس ! . .

واخيرا .. وقت ، وصبح لحمد امدى ان يسافر من هذه ليقول هذا البصر الاسود لاهل البلد .. اما هو فلاحق به بعد ايام .

وتحرك الشيخ حسونة الى الباب يودع محمد امدى ، طالبا منه ان ينام حيث ينام في الايام السابقة ، لان ساليه اصبح كيراب ، وهو لا يسمح لاحد غير المحرم بان يسير في بيته .

وعلى الباب الحارثي ساليه الشيخ حسونة ان كان يملك اخر مدق ، ثم دس يده في جيبه ليخرج حافظة النقود ، غير ان محمد امدى شكره بخجل ، واكد له انه يملك مالا ..

وهكذا عاد محمد امدى الى القرية مثقل الصدر من حكاية العريضة ومحمود بك وحاله حفرة الناظر الشيخ حسونة .

ولقد روى كل هذا لأمه باختصار وهو يتحرك ليرجع الى محمد ابو سويم وعند الهادي في دار محمد ابو سويم .

وعندما حكى لها كل ما دار بينه وبين حاله قالت بلروح :
- هم الثبات كبروا ؟ اي والله ! اذا بقي لهم متشربين فوق من ستين .. الت مابقوا هرايس .

ثم اخذت تحسب على اصنامها قبلا متهامة .. وفاجأت محمد امدى بقولها :

- ريب انزلت سة ما سيب السانبة .. وفاطمة فوق رأسها على طول .. هيه البكرة ! وباح بيها وبين زيب سقط .. تقى فاطمة صدها كام سة تقى ؟

وسكت محمد امدى قليلا ثم قال :

- اربعتاش سة يا امه ،

واستطرد مشيرا الى اقية سمعها من فونوغراف في مقهى بالقاهرة :

- الت سنت اربعتاش والوجه بندر اربعتاش ..

وهيس لنفسه :

- يا سلام يا مصر .. عمار يا مصر !

فعلت له متحسمة :

- آي والى طول عمرها من صغرها قبر اربعتاش .. الت دلوقت

ما حطط حراط الساب واخواب خلاوة مصر ، ونبت مصرية حاض ..
لو كبت تحورها .. دا بلاقي ريب حرة بفت عروسة .
فقال حسرة :

- وهو حالي برضى .. دا دايميا يقول عليه واد حسرا .

فقال له امه مصعب وفحار

- حسرا ؟ دا انت تمعد على انبساط وتختار سبب اسباب لا طب
ابوى انت بس وانا عيبه ابوى .. طبيب والى ان رجع انبندى رى ما قل
ت لاخطها لك منه خلاوة رجوعه البلد بعد ما طلع منها رعلان مبروم .

وضحك محمد امدى ، وخرج الى منزل محمد ابو سويم .

ومى الطريق كان يفكر في حانه ، وفي الجيبات التي دفعها من ماله لمحمود بك ليمد مواعيد الزى .. انه لا يستطيع الا ان يتحدث
بفخر كما كان يتباهى ، لو ان ما دفعه اهاد ما يرى الى حقون اللد آ .

ولم يكد محمد امدى يصل الى دار محمد ابو سويم ويصف على الباب قائلا « يا سائر » حتى ارتفع من الداخل صوت عبد الهادي محبطا بصوت محمد ابو سويم :

- انفص ! احنا مستظروك من انصبح .. الله لكك دا -
ما دباب .

ودخل محمد امدى فوقعت عيده من وسعة ..

كس قد غلبت وجها عشرين مرة ، مردهرة رينة .. يتهلل محباها
وترقص فيه المعازات .

وقال لها محمد امدى وهو يمد يده اليها :

- اركت كده يا وصيفة !

فوضعت يدها الدسمة في يده المعروعة قائلة بصوت دافى :

- الحمد لله ه السلامة يا محمد امدى .

وانفجر عد اهادى من داخل المبدرة يصيح بجفاف :

- دهدي ؟ ماتدحل على طول ! يعال هما يا محمد امدى .. تمنانه .

وفوجئ محمد امدى ، فاسرع الى المبدرة .

واستقله عبد الهادي مرحب سرود .

ولم يكد يخس حتى نادوه عبد اهادى بالاعذار عما كان يسه
د

وأمرع محمد أبو سويلم يتعدى المائثة امتطرة فعال ساعده
وسرعه .

— نصارة بسيطة يا حديد .. حاميها في الملوخ أبو حديد .
علق محمد أمدي سؤدة وقائر :

— عبي كل حال حصل خير .. بس ما كاشي القشم يا عبد الهادي !
انت برصه أسبك كبير وعاص من دياب .. ما كاشي ظلي تسعود بالواد
وتهدل كده وتهيبه الأمانة ذي كله ! ..

وشعر عبد الهادي بحزن .. وفات عيبه .. واحتلظ في أعماه
الضيق بالدم ، وصبر على أسنانه ، وتنايمت أعافسه ،
وأوشك على أن يخلص نفسه بالأعرج في الرعي .

عبر أن محمد أبو سويلم ، فعز المكان بفحركاته وهو يقول في محاوله
للمعبر أخو :

— ألا الحمد بناع السبر ده أبي جانك على الحجار من ورا الفيطان ،
وحاكم عبيك تمشي على شط الترفة في وسط الشراقي ! .

واستمرسل محمد أبو سويلم يروي لعبد الهادي حكاية صاحب
الحمار الذي استأجره محمد أمدي من محطة عصمة الأنيم

وصحك عبد الهادي من أمثان أولاد البندر ، وراق :

ومن خلال الضحكات ، أرتفع صوت محمد أبو سويلم :

— تشربوا قهوة ؟ قهوة يا وصيفة .

ولاحظ عبد الهادي أن وصيفه أقلت إلى الباب وقالت :

— حاضر ..

وليست هذه هي عادتها عندما يطلب منها أيها أنعموة الضيوف ،
فهي عادة لا تحضر ، ولا تجيب ، إنما تعد القهوة في صمت .
وبومنت صحكات عبد الهادي الزائفة ، وتهد قليل .

ونصب محمد أمدي من وصيفة بالحاج ألا تعمل قهوة .. ثم سكب
كسلا ليمول بصوت مرتفع يشطط موجه حديثه أبي محمد أبو سويلم
عسرة الناطر تسلم عليك .

يا أمي .. ومحمد أبو سويلم مرعجه م حقة .

.. أن محمد أمدي أن كان عد فان حصره الناطر خف في مصر
، أنه م .. أنه الزراعة .

وأكد محمد أمدي أن حانه فادم إلى الغريه بعد أيام ، فسبح
أبو سويلم محسبا .

— يا سلام يا حديد !! هو ذا الراحل اللي يسمع ذلوقت صحيح ! .
جاي في وقت عورة تمام ! .. دا اح يا ما شفع مع بعض أيام سلكه !

ورافق نظراته ثم تابع في تلال ابرغاف من الحجره . كأنه يسترجع
أياما حمله لم تذهب بما في أسنان .

وقال عبد الهادي سرة لرغبتها الذكريات المحييه :

— السطة ! ! .

فاستطرد محمد أبو سويلم :

— أبوه السطة ! كونا اتو أياها لسه عيال .. كانوا يبيعوا الحنق
من السوي ! .. وهو ابوا شفتوا أيه من المني شفاه اح يا عبد الهادي !
اتوا يا دوت شفتوا المساكين يباحدوا الرحله والجسمان وأنحسرو
وانبهايم .. لكن احنا شفتنا الويل يا عبد الهادي ! كن معايا أياها الشيخ
جسونه وكان لسه مدرس ، خدونا مع بعض وحطوا الحديد في أيدينا
ولسونا عسائر ، وقالوا علينا متطوعين ! لكن هو وقف بهم قاموا خطوه
في انحس .. ويعتقوا احنا هي أشام .. رحمت أيا في بلاد الشام ..
وفي بر أشام شفع الويل بعبي ذي نع مرة .. رحضا على الحج ..
نعرف أنتج ! كانت الأرض كلها راج في يوم .. واحسا سرحف في بطنا
ونطق بارود .. زحضا في الطين .. وكما نستريح وسحب لمعش
نسال بعض : احنا هيا بتمول أيه يا ولاد ؟ احنا صلب ، ومال ذا كله ؟ ..
ما حدش يعرف برز .. بحدرب مين ؟ ! بحدارب ليه .. ليه الحرايه
ذي ؟ ! ما حدش عارف .. يقولوا انعدو .. عدو مين ؟ وعدو ليه ؟ ولاحد
صا عارف .. كن الرصاص بعوف من حسب ومن فوق دمنا .. والآقي
اللي بيأسنا وقع ميت بارصعي من غير ما يعط ميطن ؟ .. يا سلام
يا اخواني في ذي أيام .. الله لإعاد يهودها ، ولا يكسب أبي لونا ورمونا
هناك .. ما حدش رجع من أسواحي ذي غيري ! وسنه هناك التحت
مرميه عالحال ، اللي مات في أشام ، واللي مات في بلاد معرفش أسمها
أيه ، واللي رحله أعططت .. والآي عنه عيب ! .. أيام .. أيام لا رحبها
ب شح ! أما لو رحله وحطوهم في سلاسل وقاوا عسهم مطوعين ..
أفنه لا عاد يهودها يا أولاد ! .

وسك عبد الهادي ومحمد أمدي وسسطر عن العلوب شعور
رهب

كان صوب محمد أبو سويلم يرتضى سيرات غريبة يصل إلى خيال
محمد أمدي وعبد الهادي ذكريات مشتركة مرعبة من تلك الأيام : عندما
احتضنت « السلطة » رجال الغربة وسط الصراخ والعيول .
وانته محمد أبو سويلم كأنه يقيق من كبوس ، ودعت جيبه ووجهه
بندبه .

ونظر إلى محمد أمدي قائلا ،

هي كده ؟ لا هي خصرة (سافر حاي ؟) سلامات دشيخ حسونة !

م اسمع نغور وهو يظفر في طلائ الحجرة !

سايلا وقاعد في مصر على طول لبه ، تعالي شوف ابني بيحري
بغال شوف ! .

وشينا فشيئا ذاب الحديث .

وانصرف محمد أمدي ليشرح ، وهو ينفث رواده أي وحيقة . .
وعندما غادر حنة البيت ، كان وهو مصفح يسطع في حباله صاحك
بين تموجات كثيرة من وحوه حصرية باكية . . وحوه من تلك الأيام
السوداء . . أيام السلطة .



من يومان والغربة تستطر أن يعود حصرة الناظر الشيخ
حسونة . وكل رحن فيها يبحث عما يحب أن يعمل .
لم يكن من السهل على رجال الغربة أن يصدقوا أن
الحكومة تستطيع أن ترفع من أيديهم الأرض لتدسق
فيها طريقا رزاقيا لمرء أن البشا يريد ذلك .

كانوا كلهم يعرفون أن الجسر هو الطريق الذي يجب أن تنقسم به
الحكومة . . وما بينها إلا أن تصنعها فيصنع واسعا كطرقات المركز ،
ولا حاجة بعد إلى انتزاع الأرض من أيدي الذين يعيشون عليها ! لقد
عرفوا بالتحجرة أن كل حكومة حاولت أن تشق السكة الرزاقية وسط
حقولهم ، لم تمع لتكمل المشروع ! .

ولكنهم يعرفون - بالتحجرة أيضا - أن الحكومات التي تفكر في إصلاح
الجسر ليصبح طريقا رزاقيا ، لم تكن تعيش . . فقد كانت البولواك
الإنجليزية تقبل من البحر فإذا بهذه الحكومات تعال من الحكم ! .

في أن الأمر يشو حظيرا هذه المرة . . فالباش لا يشرع في أنعام
قصره إلا إذا كان على يقين من أن الحكومة التي ستشق الطريق ، باقية ! .
وقد أوشب قصره أن يتم ، والسادون يعملون فيه بشباط عجيب .
ومدام السادون يشطون في بناء قصر الباشا ، فحكومة حرب
انشعب باقية ! .

وحكومة حزب الشعب تعيش منذ هاهنا ، على الرغم أن العمال
والخنة يطاهرون صدها في القاهرة ويضربون بالرصاصة ! .

والغربة تتلوى من حين إلى آخر وأحدا أو اثنين من أبنائها الذين
شتمعروا عمال في مصر ، وهم يروون كيف تطردهم المصانع ، وكيف
يتمعون من العمل ، ويهتجون بسقوط الحكومة فتسلط عليهم الحكومة
أنيب لتمام الساحة . وهم يتحدثون عن جرع حكومة حزب الشعب من
أساءة أظلمة دامعيل والباشا في شوارع القاهرة ، فتصدر العوائق
الحكومية باسم حجابة الصحة العامة وتنتهي مكتب المعس ، لتعلق بعض
المصانع بحجة انها ملغلة للراحة وتعلق بعيدا من ألدبه وعن الغري .
حتى تفصل العمال عن أهل القرى مسافات واسعة من الأرض الحرام . .

ويعصلهم عن أهل المدينه عديد من انكارى اسي تستطيع الحكومه ان
تفتحها في وجه الصمال المنظرين متى شئت ! .

وكان بعضهم يقول انه لا قائدة : فحكومة حزب انشعب ستبقى على
انعاس مصر الى آخر الزمن ! .

وكان آخرون يقولون ان الصمال لو ظلوا متمنعين عن العمل والطلبه
في الشوارع فالحكومة لن تعيش بعد هذا شهرا واحدا !

اما الشيخ يوسف بعال القرية فقد كان يقول دائما ان هذا كله كلام
هارج ، وان الحكومة لا تسقط الا اذا هاج المواطنون قذره وقدم الفلاحون
كما قاموا ضد الانجليز ! .

وقد حكى له الصحافي عما صيغ الفلاحون العمراء بالانجليز ايام
مرابي ، وهو نفسه يذكر عندما كان طالبا في الازهر سنة ١٩١٩ ، ان
الموظفين في القاهرة احسوا البلاء وان الفلاحين في هذه القرية وبى
غيرها من القرى استطاعوا دائما ان يلحقوا الانجليز .

ولكن الشيخ يوسف يقطع كلامه دائما ليمول انه عندما كان طالبا
كان الطلبة طلبة بحق ، وكانوا يوجهون ضربا لانهما ضد اعداء البلاد ، اما
الآن بعد حصر الزمن ! .

وكانت يوم وقت ينشأ في فتى - وكان يعمل عندما بالقاهرة وبعد
منها - يطلب منه العتي ان يتشطر ابيوم ويعمل شيئا بدلا من ان يوم
الطلبة الذين يموتون بالورصاص في مصر .

مهاج الشيخ يوسف وضع العتي وطرده من ادم الدكان .

ومن على القرية يوم ثالث . . ولم يقتل الشيوخ حسونة .

وبعد صلاة الفشاء جلس الشيخ يوسف على ذكة امام ذكاه ، وجلس
الى حواره محمد ابو سويلم .

واستمع الفتيان الذين تعودوا ان يبعوا ادم الدكان ، واقتل هوانى
طلب من الشيخ يوسف حصة انيل في الشاي واسكر وكان الله سبحانه
يوسف لا يريد ان يتحرك حتى ولو دفع هوانى مورا . . كان الشيخ
يوسف يريد فقط ان يتكلم طويلا مع محمد ابو سويلم . .

ووقف علوانى امامهما قبيلا ، ثم جلس على الارض .

ومال الشيخ يوسف على محمد ابو سويلم يسأله رايه في ان يكتب
هو عريضة من اشائه . . وهو وحده يعرف كيف يكتب للحكام بطريقه
تعمهم ! .

ولم يكذب ينتهي من اقتراحه ، وقتل ان يسم محمد ابو سويلم بالرد
عنه ، صاح هوانى وهو بعض متحمسا :



— آى كده ! مايجينا الا رحبنا .. وانما انسى عريضة من
لنهر الحكومة هر يا ابا الشيخ يوسف .

ومارس الشيخ يوسف احساسا بالامسيار .. ومصح صدره وطمع
كفحه ، وهو يرم شتمته :

— هم .. امال ايه يا واد ؟! ولا كل من كتب !

فمر ان محمد ابو سويلم قال يستخف

— ما كفانة عرايظ بقى .. ادى احدا حرباها .. عايرين بشوف
لما سكه تانية .

وقال علوانى متحمسا ان عريضة من الشيخ يوسف ليست ككل
العرائس .. فهو يستطيع ان يكتب كلاما باردا يفيظ الحكومة ، ولا احد
يحدريه فى الكلام النارد !

واعترض الشيخ يوسف محتجا على عنوانى ، وشتمه ، وطرده ..
فانقسم محمد ابو سويلم ، نيسا فوجى عنوانى ويدا يقتدر ويشرح
قصده .

ولكن الشيخ يوسف طلب من عنوانى ان يحرس ، ويسراخ بعيدا
منه ، ثم انشئت الى محمد ابو سويلم ، واستطرد قائلا ان هناك الطريق
الاخر الذى سمعت منه محمد ابو سويلم فاحد العائدين من مصر به كان
يشغل فى شبرا الخيمة وعرف من هناك ان الشيخ حسونة يسمى
عبد الحكام فى مصر ليدلوا من شق الزراعية .

فهمس محمد ابو سويلم لنفسه ان الحكام فى مصر لن يدبوا من
انفسهم من شق الزراعية ، ولما يصموا شيئا مفيدا لنلد !

بحسب ان يعرف الشيخ حسونة هذا ! .. وبدأ يريد الشيخ حسونه
ان يحصل ليتأكد من هذا بعد ان يمل هو مديرا ، وفصل محمد ابو سويلم
من مشيخة العفراء ، وقطعت الحكومة ماء الزى لتمطيه للشاب !

وحين انتهى محمد ابو سويلم من همساته هذه اقبل دياب .. فلم
ينس ان احد .

واستمع الشيخ يوسف باهتمام .

ودس دياب يده فى يد محمد ابو سويلم مسلما .. وسام على
ال لم يمل علوانى ، ووقع الى حوار علوانى صامت
... .. حالى .

... .. ان جوان اراد ان يعرفه من له اهميته ،
... ..

— حالى جه ! ..

وتحرك محمد ابو سويلم فرحا ، وهو يقول فى ذهنه .

— حضرة الباس ؟! .. هوه مين ؟! فى داركم ؟! وساكب له
سه باونه

فقال دياب صدىرا :

— لا .. حدى بقى .. رمنة حدى من مصر ذلوقت .

وبادره الشيخ يوسف بقوله :

— بقى طول صبرك حمار كده ! طلب ما احبا عاروهن انه حاي ..
يبقى اسمه جه .

وحضك علوانى وقال للشيخ يوسف :

— انت فاهم ان كل اساس عندهم فهم ديت يا اب الشيخ يوسف ؟ ..

وللا يعرفوا يتكلموا ديت ؟! اصل احبا بقى زى ما انت راسى .. بقى
لا قربنا ولا حد رغبى بقربنا !

ثم التفت علوانى الى دياب فودعه بيشم ، كان الامر لا يقصه .

وهر محمد ابو سويلم يديه متعجب من غياد دياب .. ثم لمح صاه
مهره فى اسوار ممسه من ناحية داره ؟ ورأها تدجن مسرعة الى دار
الشيخ يوسف فصاح فيها :

— بت .. يا بت خضرة .. انت كت صدد .. ايه اللي جات هه ؟
ان مشى قلت لك تخبيكي فى ناحيتكم واهى تحبلى الباحية دى ؟

ولم تعجب الفتاة وغابت وراء باب دار الشيخ يوسف .

فقد دياب بحرارة انها ليست خضرة ، ولا احدا يستطيع ان
يخصم من اثر خضرة فى هذه الساعة بعد صلاة العشاء ، بقى دائما
مشغوبة مع هذا العنى او ذاك من فتيات مصر اللابن عاذوا مطرودس
من امثالهم ومعهم بقية من مال مصر ، يستهوى فتيات كخضرة ، وهم
يقبضون فى القرية بلا عمل الا مقارلة النساء ، ولا يستطيعون بعد هذا ،
ان يمسكوا قاسا ، ولا حتى ان يعموا حجارة سباح .

وانقسم محمد ابو سويلم وهو يحب لفظ دياب ، ويتناسا
ضاحكا ان كان هؤلاء الفتيات قد احدثوا منه شيئا عزيزا ..

ثم مال على الشيخ يوسف ، ونضح الا يسمح لحضرة يدخل
بيته ، وقال انه هو نفسه متعجب من دخول داره ، وطردها لينة البارج
وصربها عند رآها فى وسط الدار تسال من انتنه وصيفه .

وهر الشيخ يوسف رائه باقتناع ، ورأى دياب يقرب منها
وجهه لسترى الحديث فزعق فيه ان صبر بعدا .

وطالب محمد أبو سوسم من دياب أن يحضر محمد الهادي ولو من تحت الأرض ، وأوصاه ألا يعيب .
وأنصرف دياب يهيم لنفسه ،

— يو مكانش الشيخ يوسف ذا حتى ؟! طب وان عارب محمد الهادي من دوقتي .. أحسه ميين يسي ؟!
ولم يكد يسير قليلا في تباطؤ حتى عان هذه الهادي .

وكان عبد الهادي حريبا مضطربا .. واستوقف دياب ليسأله من محمد الهادي ، فقال دياب وهو يواصل المشي : انه ذاهب الآن ليبحث عنه .

واقبل عبد الهادي يهيم من محمد أبو سوسم والشيخ يوسف دورا أن ينفي السلام . وكان واضح الاضطراب والقلق والحرب .
ولم يسأله أحد عن سبب اضطرابه .

ربما كان يفكر كالأحرار في ماء الرى الذي لا يفسين إلا إذا قطع الحرس .

ربما يفكر في اسكة الرماية الجديدة التي سستأخذ الأرض من حوض التربة ،

وعاد صوامي يطلب من الشيخ يوسف أن يتعصب عنه بقيل من اشائ والسكر . وقد أن يحجب الشيخ يوسف التفت إلى عبد الهادي في رحة ليسأله عبد الشيخ يوسف .. فغضب عبد الهادي من الشيخ يوسف أن يقوم ليحضر طلوأني ما يريد لأنه يود أن يقول كلام من محمد أبو سوسم .

ويطر إليه علواني باستبان .

وقام الشيخ يوسف متشوقا . وصلى إلى الدكان يسفنه طلوأني ،
وهنا عبد الهادي على محمد أبو سوسم يسأله عن محمد الهادي ..
فقال محمد أبو سوسم بسعادة :هم أرسلوا دياب ليبحث عنه .. ولما سأل أن كان هذا هو السر ؟ .

ووقف عبد الهادي واستأذن محمد أبو سوسم في أن يقوم معه سجدة على مصطبه .

وهيمن محمد أبو سوسم وحيا الشيخ يوسف وأنصرف ، وإلى جواره عبد الهادي سبوت وبنى في ضمت الطرير السكان بطرات رة .

وقال محمد أبو سوسم :

— حبر ايه ؟ سر انه ؟! مالك ؟ .

سكت عبد الهادي وتابع سيره .

وعندما وصل إلى مصطبه محمد أبو سوسم قعد . وقعد أبي حنانه محمد أبو سوسم .

وقال عبد الهادي سحجه بدل على الحظر :

— وصعة راحت ميين ؟ .

بغال محمد أبو سوسم بسعادة :

— أهى متفحة حوه .

ثم استطرذ :

— لكن سؤالك ذا لارمته ايه ؟ نومه انه يعمى .. هو ذا اسر ؟ .

فجأ عبد الهادي يهيم السراب التي تحمل الحظر .

— لا ! .. اسمع لما أقول لك يا عبد الهادي .

والبتت إليه محمد أبو سوسم ليسمع ما يقول .

وهي كلمة مشحونة كالحظاظ الانعصاف ، طلب عبد الهادي الزواج من وصيفة قائلا انه يتكلم في هذا الموضوع لأخر مرة !

فأجاب محمد أبو سوسم بهدوء وصبر :

— وذا وقتك يهيم الهادي لا يا حتى عون بابت شوية ،! حد عارب ايه ،! حتى حاجري .. بغي حبيبي من هناك ، وتقول لي سر .. علشان تكلم في كده ؟! .

ثم توقف محمد أبو سوسم قليلا بهش من يستعد لمناقشة الحديث .
واحد قلب عبد الهادي يهيم وانتظر ما يمكن أن يفوله محمد أبو سوسم .

ولكن محمد أبو سوسم لم يقل شيئا آخر ..

فانصب إليه عبد الهادي بصرة دعد وهو يقول :

— قلت انه يني يا أبا محمد ؟ .

فقال محمد أبو سوسم نفس هدوته :

طب يا سيدتي بس أحسا في ايه وانت في انه ؟! بس يعمى ..

ولم يقل عبد الهادي كلمة في انتظار نية كلام محمد أبو سوسم .

ولكن محمد أبو سوسم عاد إلى تروعه عن الكلام ..

لم قال .

— تتعدل يا عبد الهادي .. بكرة تتعدل ! .

ولكن عبد الهادي بوج يديه قائلا :

— دهدي !! اب عابر عماد مابع .. ايه التي كل ما اكلمك ر

تتعديل ؟ وتقول كلمة وتأكل عشرة ؟ .

واتنسم محمد أبو سويم وهو يقول لعبد الهادي بطيبة وهدوء :

— بس طول بالك .

ولم يمس عبد الهادي شيئاً .. وظل ينتظر إلى محمد أبو سويم

في انتظار كلام منه ، وليس في يده طول !! .

عبر أن الشيخ الشساوي أقبل مروعا .

كان كرشه بهتر ، وحالت مسبحته ترتطم ببعضها ، وصوته يخنج

بههمة بينهما من حين إلى آخر كلمة :

— باسم الله الحفيظ .. أعوذ بالله !

واستقبله عبد الهادي بصيغ ، وسأله عن سبب اضطرابه . فلقى

السلام وحس قائلا أن خطرة البصصة وجدت الآن مفتولة : ووجهها مدفون

في طين اعمدة لصميرة التي تروى الحقول بجوار الجسر ! .

واستمر الشيخ يقول ن حيانها طين وآخرتها طين .

فعال عبد الهادي يضيق أن الناس كهم من طين .. حصرة كالتشيخ

الشاوي تيمنا ! .

ولكن الشيخ الشساوي كان مروعا إلى حد أنه لم يعطن لما قاله

عبد الهادي . واستمر يقول أن علواني هو الذي قتها ..

واحترض عبد الهادي مستكبرا :

— علواني ؟ ! علواني كان معاد دلوقت ! وعلواني يقتلها ليه ؟

فعال الشيخ الشساوي .

— حاكم هو كافر وقبيل الدين وقبيل قتلا .. ذا عبره ماركها .

عراوي يد سبدي .. « قاتت الإعراب أما قل لم تؤمروا .. » ورسا

فان كده ! .

واستطرد قائلا :

— الناس لقوها حسب القبط إلى بيهرسه علواني .. حد عارف ايه

بكجاية .. والله ما حد غيره يصلها .. ما حدش عبر الواد العراوي يعمل

العملة نفسا دي .. لا اله لا اله باسم الله الحفيظ . كانت طبانة صحيح

لكي يا ناس القمل حرام . وكبس الكبانر عند الله .. دي ولد ايه دي

اعود بانة من الشخصا .. قتل ؟ كده ؟ تتعمل قتل .

وسمبل محمد أبو سويم

— يا ناس جري ايه بس ؟ احنا عي ايه ولا هي ايه ؟ ! ماهي عارت

معي مطرح ما راحت ! .

ولكن الشيخ الشساوي ظل في اضطرابه ، يرسل كلمات متناثرة عن

اللعنة والاشتم وسوء التصير ! وعندما هذا ، تسأله أين يمكن أن تدفن

حصرة هده .. فاقترح محمد أبو سويم أن تدفن على العود قبل انلاخ

المركز بان في الأمر جنابة قتل .

فعال عبد الهادي متعجبا أن احدا لا يعرف أن كانت هناك جنابة قتل،

وربما كبت حصرة قد ماتت وحدهم حدة : التكمات على وجهها في الطين وهي

تحاول أن تشرب من الماء القليل الذي تبقى في القضاة .. وهي أحيانا

بعض أشياء كهده ! .

ولم يعنى الشيخ الشساوي على هذا ، عند كان مشغولا بما قاله محمد

أبو سويم على انلاخ المركز .

واكد الشيخ الشساوي أنه عندما كان عند اعمدة ، علم أن العمدة لم

يبلغ المركز بمساة حصرة .. وابه على أية حال لم يحاول أن يعرف من

العاقل .. وقد أمر اعمدة بأن تبلى الصحة بجاذنة وفاتها كانما هي أمر

طبيعي ، وب تدفن بعد هذا في صباح ليوم الثاني ، بعد أن يأتي تصريح

العمدة = بأسيفرون = كاعتاد .

وسكت الشيخ الشساوي قليلا ، وقد استعاد هدوءه من كثرة ما تكلم

ومضغص ! .

وهاد يتساءل أين يمكن أن تدفن حصرة ..

واقترح عبد الهادي باستخدام أن تدفن في مقابر الشيخ الشساوي ،

لأنه أقرب اسكان لها يملك مقبرة ؟ .

ولم يكن الشيخ الشساوي يملك في كل ارضي القرية غير المقبرة ..

ونار الشيخ الشساوي على عبد الهادي ، وقال أنه يحس كحصرة .

واتنسم الشيخ انه لن يلوث عظام الموتى بجثة حصرة التي عاشت

وماتت في معصية الله ، ولن يسمح لها بأن تدفن في مقابر المسلمين .

وسكت قليلا .. وعبد الهادي يدبب مسجحه .. لم عاد يصرح في

عبد الهادي وبشتمه ويقسم أنه ليس قريبا لحصرة .

وقال عبد الهادي يهدوه أن خضرة لنس لها اقارب في القرية الآن

ولا ابن عبيد الذي يتبعن صاحباً عنه محمود بك .. وهذا الطبايع هو - من الوقت نفسه - ابن عم من بعيد للشيخ الشافعي *

وقبل أن يسمح عبد الهادي للشيخ الشافعي بمقاطعة أسرار من يقول أن شيطان قريبها لأخر من يعد أحد يعرف عنه شيئاً من هاجر من القرية ، أما أختها ربوة فهي تشفع في مصر وبمك حاضرة وراء حديقته الأرنكية ، وقد أصبح اسمها الآن احسان هاشم ، كما يعرف الشيخ الشافعي ! وهي لم تعد إلى القرية منذ غادرها إلا مرة واحدة منذ خمسة أعوام ! أميتت بعد أن أصبحت امرأة سنيطة تصنع الأحمر على نحو الذهب على الدراع والرقبة والأذنين ، وعني وجهها لون حديد نحاسي ! *

جاءت إذ ذلك في غربة حطوط من المراكب ، فأقامت بيته لله واشترت عسلاً وورعته على المعراء ، وأقامت مولداً للشيء ، واعتدت للشيخ الشافعي حينئذ يقرأ الفاتحة على أرواح موتاه ، ودعا الله بها أن يوسع أياها في الزرق . وورقها من الحداثة كما يعرف الجميع ! *

ولم يكن عبد الهادي يعرف من حديثه هذا ، حتى صاح فيه الشيخ الشافعي أن احسان هاشم ليست كحضره ، وقد هجر الله لها لأنها تصدقت وأقامت ليلة لأهل الله مولداً للشيء ، وتبرعت للجامع .. وهم الشيخ الشافعي أن يرى حديثاً عن امرأة مثلها دخلت الجنة .. غير أن عبد الهادي قاطعه وهو يصيح :

— لاهم ! ما دم عبدها ذهب وساغ ويتعمد مولد ويبدل للدها ، وأجمع .. ذي طبع يعني لها في الجنة سراية وجنية كمان ! وما فيش ما ع تبني قريشك .. يعني لو حصرة راحت مصر وعمت ربي أختها ، ودارت مع رجالة مصر ، كانت تبقى من التليسات الصالحات ! ويا هلم كانت تبقى أية كمان ! لكن ما دام قدمت في بلدنا بقت نجسة ! *

وقبل أن يحبه الشيخ الشافعي استمر يقول مستكراً وهو ينظر إلى وجه الشيخ

— يا شيخ ؟ ناسبدا .. بقي دا كلام ؟ من التي حصة في الآخرين ؟ التي يتشقى عيشاً اسمه والا أي دائرة وفاتحة حصرة غشاش تلسي ذهب ؟! بقي نلدا مكتوب عليها الشعا في كله كده ؟!

وجاز الشيخ الشافعي أمام كلام عبد الهادي فلم يجد غير عساه حاول أن يرفها ويهوى بها على عبد الهادي .. ولكن عبد الهادي لم يكن في حالة تمكن من المراح .. فتلقى الصبا فيه ، وصاحباً مفضلة قائلاً : — استمت يا سيدنا والسبي ألفتنا من عطفك الحبيب .. أبة راك في.

الزراعة التي جالس أرباباً عشر الشافعي وشرفه وعني السحرة ودام سرانته سائكة على المركز وعني مصر ؟! ذي كمان صفة جابده من كسر صلاحه ..! .. هه .. متى كده ؟

وصرب الشيخ الشافعي كك بك وبطر في محمد أبو سويلم وهو ينادي عجره وحججه في الضحك قائلاً :

— الولد عبد الهادي ده كرهه ما وردش ! روح يا شيخ .. الله بعثك في كل كذب ! *

ونظر محمد أبو سويلم في عبد الهادي وقطع المباشرة .. طابا منه أن بحث عن حمار المهور ليرمي بجة حصرة في أية مقبرة عندما يأتي أدن الصلحة باندس في طعة انهار *

وقبل أن يتحرك عبد الهادي ، سأل نفروخ هاشم عن سر غيابه محمد اسدي .

ولم يجبه محمد أبو سويلم *

وعال عبد الهادي وهو ينصرف ، انهم يريدون دليله أن يعيشوا في مساهة اسكة لزراعية قبل أن تشعه الحكومة ، وتهد الدنيا *

ومضى عبد الهادي يصنع حطوط، ولكنه لاحظ قدوم مركب من البحراء إلى دار محمد أبو سويلم .. وتقدم عبد الهادي يستوصح الأمر .. ولكن صوت الشيخ الشافعي ارتفع — من ورائه — موعوا يسأل الخفراء :

— خير انه ؟ خير انه يا أولاد ؟.

ونقدم الخفراء وطلب أحدهم من عبد الهادي أن ينتظر قليلاً .. وحبل لشد الهادي أن الصلحة سينتبهه بقتل حضره *

وبعض محمد أبو سويلم مر على الصلحة صانعا :

— خير ايه يا واد يا عبد العاطي .. جايي كلكم تيلوا ايه ؟ هوا الر حل 'سجس بتاعكم عامل مغلوب جديد ؟ .. هه ؟ ورق له واد صانع يقتل حصرة وبادي يتهمه في واحد صا ؟ انه ناوذا ما هاد العاطي ايه ؟ قول له حايين هاد له ؟ وشرف الذي لو حصلت لكده لأقطع رقبته .. أنا واب والرمي طولن يا عبدة *

غير أن عبد العاطي قال لمحمد أبو سويلم باحرام أن حصرة ماتت بوحدها ، وم يقتلها أحد .. فقد كانت عاتدة من على الجسر ، ومالب على النامة تسلس وجهها من نفاذ الماء عداخت ، كما كان يحصل لهادا ، وكما حدث لسات وأولاد كثيرين في البلد .. وحس دا حصرة .. في حرة ..

المناء ، انكفا وجهي على الماء .. هاهرس في طين المناء ، وكف نفسي ،
ومنت على العور ..

فسمم عبد الهادي لنفسه .

— يعني ما حدثت رقها ؟ يعني ما حدثت خط رأسها في الطين ؟ !
طلب الحمد لله .. مالكش في دي ملاعب بعمده !

وتقدم حفي من عبد الهادي فقال له بردد ان العمدة يريدك ، هو
ومحمد أبو سويلم .

وصرخ محمد أبو سويلم في الحفير يسأله عما يريد العمدة منه فبع
عبد العاطي ريقه ، وقال ان رجالا مروا بسينة على الجسر بعد المغرب .
فوجدوه مقطوعا من عنده جهت .. فارتسموا اشارة الى العمدة يشعرون
ويهدونه بلحراء .. وكله المأمور بالتدقيق وطلب منه ان يعطيه ..
من قطعوا الجسر ، فألقى أسماء الذين يسكنون حقلوا على الجسر .. واسم
محمد أبو سويلم أيضا مع ان أرضه كلها في حوض التربة !!

وكان الحفير عبد العاطي ، يمشي في كلثانه من فرط الجحش .

ولم يكذب يده حتى رعى محمد أبو سويلم .

.. خط أسبى في المني قطعوا لجسر ؟ الذي قطع رقتكيا عمدة ..
طلب دائما أرضي كلها في حوض التربة بأولاد .. يعني برور عنده ؟ .. طلب
والله لأنت قلبه انه برور وحطه بي الحديق .. آه يا عمدة .. حسن
.. اما وانت وازنم طويل .

وبم يسترح عبد الهادي لكلام محمد ، أبو سويلم ..

هو يعرف ان الحكومة لا يمكن ان تصنع العمدة في الجحش من أجل
محمد أبو سويلم .. ونكها سجن محمد أبو سويلم ورجال الحكومة
كهم من أجل للعمدة الذي خدمها في الانتخابات وورث لها أصوات الأحماء
والأموات في القرية .. وجمع المال باسم الاشتراك الانتخابي في جريدة
حرب الشعب ؟

ولم يشأ عبد الهادي ان يناقش محمد أبو سويلم .. فعد هادي
بذره هو الآخر ان العمدة والحكومة وكل رجال المركز يدبرون إيم أمرا
ليروهم في داهية !

ودتم أحد الخفراء فقال ان المأمور أمر بأنقص على كل من ملئ
العمدة أسنانه ..

وتحرك الخفراء إلى الدوار وهم يقولون .



.. مملش يانا محمد .. مملش يا عبد الهادي ، حكم الرمي
كده ..

فقال عبد الهادي صاحكا متعبا التظاهر بالاستحفاف :

.. دا حكم العمة ..

ومشى محمد أبو سويلم وعبد الهادي مع لفرء الى الدوار .

وهناك وجدوا ذيب ورجالا كثيرين ..

وأمام باب الدوار أحد المكان يردحم بالسلماس ويبتلي بالصخب
والصخب ، ومحمد أبو سويلم وعبد الهادي بدلان أندبسا بالشتائم ،
ويوجهان الى العمة كلمات قاسية شجعت الآخرين على امرئ ..

وبعد قليل ، وقد أوغل الليل كدوا جميعا ومن وراءهم الفرء - مدحرجين
بالسلاح - يسبسون في طريقهم الى المأمور في عاصمة الاقليم تحت طلعات
الليل اندحى !

وحين انصرف الرجال ، تعالت صراحات النساء ..

ركان الشيخ يوسف قد انصرف الى دارة منه تركه محمد أبو سويلم
مع عبد الهادي .. ولتح الشيخ يوسف باب دارة في هدح وسال النساء
عن الخبر ..

وعرف القصة كاملة فوقف على باب دارة يقول في حسرة :

.. والله ياما حابجري وياما حاشوف .. آه يا باند !

ومى تلك الليلة باتت القرية مروعة !

وحاول محمد اغتدى ان يقابل العمة .. ولكنه رفض ان يقابل كل

الناس حتى الشيخ الشساوي *

واحد بعض النساء يذهبن الى الدوار ، فيصرحن ، ثم يمتن الى الدور
والدموع على الحدود ، ليحدثن انصغار يتكون وحيويهم مفتوحة بلا مهم في
رعب مشمخ من المجهول ! ..



هدح الشخب يوسف ذكاه في الصباح الباكر .. وجلس

في داحده ، وبينه مشمة طويلة من الخوص يطوح بها ..

انداب *

كانت القرية قد استيعطت ، وما زالت في عيسها

الدموع .

لعد قبض بالامس على كثير من الرجال ، ومع ذلك معد ذهب الآخرون

الى الدقور ، لأن الارض لا تستطيع أن تنتظر الدين ذهبوا ..

واقبل على ذكان الشيخ يوسف صبي يبكى وهو يقول

.. أمى يتقول لك الحكومة حدث أبوى .. روح شوف حدوده ليه ؟

وحا يرجع امضى ؟

وأحسن اشميج يوسف بوخرات تعذب قلبه ، على بكاء هذا الصغير

من الناحية الشرقية ..

ان الشيخ يوسف يعرف العمة كامئة .. ويعرف أن الحكومة

أحدث من هذا الصغير - غير أبيه - عبه وخاله ورجالا عديدين هم أيضا

آناه ، والعمام ، وأحوال ، وأحوه وأبناء !

ولكن الشيخ يوسف لم يكن يعرف على التحقيق ما يصنع هو

نفسه !

لو انه ذهب الى عاصمة الاقليم ملن يستقبله أحد هناك ، فلا أحده

هناك يعرفه !

وشن عرفوه وعرفوا من اية قرية هو .. غربا قصوا عيه !

هكذا كانوا يصنعون أيام قاطعت القرية الانتخابات .. وهكذا

مصنوعون دائما كلشأ شعروا بأن القرية تريد أن تملك الراى أو البصبات

أو الكلمة أو .. الأرض !

ودرجت على ضلوع الشيخ يوسف مشاعر مهمة .. وأحد تحق

أمامه في الطريق الذى يضطرب من حين الى حين بمرأة ناكبه أو علام

مكس الرأس ..

لقد امتلا أمامه هذا بطريق ذات يوم بالرجال *

كان ذلك منذ أربعة عشر عاماً .. عندما أعلن الأهر في سنة ١٩١٩ .
وعند هو إلى الغربية في مركب شراعى من طريق النيل - بعد أن قطعت
السكة الحديد بين القاهرة وعاصمة الاقليم .

كتاب الحياة اد ذلك اكثر بهجة ، وأسمى أكثر فتوه .. وكنت روجته
في الأخرى أكثر صبياً !

وفي طرقات اميرية المردحة بالناس والفقوس والغباء والهنات ،
كان صديقه الشيخ حسونة يلوح بيده ويصرخ :

وبالاستملال أبشر
رغم آف الاجلير

وايته الشيخ يوسف فجأة على عيب امرأة تقول من حلال وجهها
الميل المتشجع :

- والسى يدعم انشيع يوسف ، تعال أقرالى عديده يس على الحكومة
الى خطمت منى الواد اسي امبارح بالليل ..

ويطر اليها الشيخ يوسف كدهول ، ولم يقل شيئاً ..
وطن يخلق في الطريق أمام ذكائه دون أن يفتح وجهه بأى

معبر ..

لكنه يطر الى عالم آخر ..

انهم في تلك الأيام الرأمة من سنة ١٩١٩ لم يقرأوا ابداً « عديده
يس » من الانجليز ، كانوا يعملون بلا لولف ..

ومن لحظات العمل المضطرب ، لا يجد الإنسان وقت لتفكير في عديده
يس ..

وكانوا اذ ذاك يملأون اغرية بالهتاف ولعمل .. ويهرون صمت
الحياة بسواهم ..

وأوشك أن ينفجر في المرأة ويشتمها ، ولكن صوته لم ينطلق من بين
شعبه ..

كان حرباً .. شعر بالوحدة والصعب ، والفراغ ، وقليل من
اصياع ..

وكان مهروماً ..

وقال لها بصوت كسير :

ربما يبدى .. روى ربك عدلها يا ولية .. روى ا

واكن امرأة لم روح ، وطلب سكى امامه وبمسح انهما وعينها
أفها الواسع الأسود .. وقال له انها لم تجد الشيخ الشساوى لى

عديده يس على ، الحكومة ، وانها كسبت تراب صريح سيدى رمضان ،
ودفع الله - ويداعا على عبيها - أن يستقم لها من الحكومة ، ومن كان
السبب في رمي اسها للحكومة ..

واصابع وهي ما تزال تنكى ، انها لا تمك مالا تشتري به الشمع
لصريح « سيدى رمضان » فيترقى بها الشيخ يوسف ويقرأ لها عديده
يس بلا مدبل ، أو فليترها من ذكائه بعض الشموع حتى تحضر له النيص
الذى يضمه دججها هذا المساء ..

ولم يستطيع السبح يوسف ان يعالبي ضيفه بعد فانهجر :

- روى بى .. روى يا شيخه روى ..

ولكنه عاد فريد ، وهو يسمح صوته يدوى في اديبه ، كما ترون
لحظات النقلة الغربية في بيت خرب مهجور ..

وهو رأسه وهو يصع شمعيه ، وتمتم :

- عديده يس ؟ صريح سيدى رمضان ؟ انشيع الشساوى ؟

بعد كان انشيع انشوى نفسه في تلك الأيام الماسية من سنة ١٩١٩
يعب الى جاسه في طرقات اميرية ، ويهز يديه هو الآخر ويقول « يحيا
انوط » .. كانت له نفس اللحية الشبيهة والوجه الأبيض الملى ..
وكان يروى نفس الأحاديث والحكايات عن الأبياء .. ولكنه في تلك
الأيام كان يروى مع الأحاديث ، حكايات أخرى سمعها عن ائيل الكبير وكفر
الدوار ، ومبارك عن بي صيد الاجلير وحتى ضد الخديوي من أجل الدستور
الذى كان اسمه اللانحة !

وعلى أية حال قدم يفكر احد في أيام سنة ١٩١٩ في ان يطلب من
الشيخ الشساوى قراءة عديده يس ، ولم يكن احد اذ ذاك يفكر في سيدى
رمضان ، ولا في الشموع ..

ولم يفكر احد في سيدى رمضان غير محمد أبو سويلم ..

كان عائد من الحرب صرحاً من الجندية .. فاقترح أن تدعى القرية
كل ما تمك من سلاح في صريح سيدى رمضان ..

كان هذا كل ما اتجه به فكره الى الصريح ..

ولكن أين أبو سويلم الآن ؟ أين ؟

وترابيل الشيخ يوسف في أغوار نفسه على هذه الذكريات ..

وحادثت برأسه صور بشمة عن أرغفه التي ستموت من العطش في
حوض الحبر ، والأرض انى اصطر تحت ضغط الآزمه والحاجة الى

هنا نحب يد محمد أمدي ، والأرض التي يمكن أن سترعها الحكومه
معيماً عليها السكة الزراعية ..

وهو بعد لا يعرف كيف يرد هذا كله !

ولا أحد في القرية يعرف على الإطلاق ..

وهمهم الشيخ يوسف بصوت ضعيف محتشئ يروده اليكاء ..

ـ ربما يظلم ..

وسرت في صوته الحاف ربة حريصة ، وأحس حفاة أله يحب كل
رجل وامرأة وعلام في القرية .. حتى الدين عادوا من مصر بلا عمل ،
وتموتوا أن يضايقوه بتكالمهم أثناء وقوعهم أمام الدكان ..

وشعر بالحاجة إلى رؤية علواني ..

ونادى صمياً كأن يسير في الطريق مطأطأ الرأس ، ولكنه تذكر أن
علواني ينام في مثل هذه الساعة من الصباح بعد سهر الليل كله ..
وعرف الصمى ..

واتخذ الصمى .. ولم يعد في الطريق أحد .. !

وعاد الشيخ يوسف ينظر أمامه في الطريق الخاوي ، والوحدة الهائلة
تلق عليه ..

ثم رمى أسيطة في شقيق ، وهبط واقفا كأنه يفضض عن نفسه حملاً ،
وفتح صدره .. لم دس يده تحت صدره ، وأخرج كتاباً كبيراً من
أوراق الأصفر الداكن .. وأحد يقلب صفحاته وهو يهر رأسه ..

كانت قصة « هتر » .. حشرة البطي الأسود الصلد الذي هزم كل
أسادة في مصر والنشام وبلاد العرب !

وظل الشيخ يوسف يقرأ لنفسه بصوت مرتفع كيف كان هتر
يدافع عن الديار ..

وعادت الحياة تهبط في صوته وهو يتلو شعر هتر الذي كان يحذو
به الفصاء ، ولمة أبعادى والسلاطين ..

وأحدث الوحشة تمازق نفس الشيخ يوسف شيئاً فشيئاً وبدأ
صوته يتهدج بالحماص ..

ورن في أذنيه صوت يقول :

ـ صباح الخير ياشيخ يوسف ..

ولم يرفع الشيخ يوسف عينيه عن الكتاب ، واستمر يقرأ ..

وأشار بيده لصاحب الصوت أن ينتظر ..

ـ حمزه في السهرة المعرة في وجه الشيخ يوسف وبدأ كياه
له يصنع باليد ..

وعاد الصوت يقول :

ـ باقول لك صباح الخير ياشيخ يوسف ..

ورفع الشيخ يوسف عينيه وأبتسم ثم أغلق الكتاب ووجهه يشرق ..

وقام من مكانه مرحباً بصوت مطمئن عازفته الربة الحريصة

ـ صباح انور يا محمد أمدي .. يسعد صباحك يا سيدي أهلاً
وسهلاً ..

كان الشيخ يوسف في تلك اللحظة يشعر بالسكينة تفسر كل أرحامه
نصه .. وبأمل غاضض يخفق منه في الأعناق ..

رفاض عذبة بحب معاصيه لحمد أمدي ، واحتش فيه اشفاق على
دياب ..

وتسائل الشيخ يوسف

ـ لا يسى أنطربوش وأركته وأربع على فيه ؟

فأجابته محمد أمدي أنه فكر في أن يذهب إلى عاصمة الأقليم ليرى
ما حدث لدياب ورجال القرية .. ولكنه عاد ففكر أنهم في المركز لن
يسمحوا لأحد من القرية بأن يتكلم ، وربما قبضوا على من يذهب ليظن
على الآخرين .. ومن أجل هذا فهو يرى أن يورور محمود بك ويحدثه في
امر دياب ومحمد أبو سويلم وعبد الهادي وبقيّة الرجال ..

وقاطعه الشيخ يوسف في نصيح صادق :

ـ بقى يا سي محمد عش كتابة اللي جرا من محمود بيه ؟ !

فقال له محمد أمدي ببأس

ـ وسيلينا أيه بعمله يعني ؟ طلب عمل أيه ؟ أيه الحيلة ؟ وهيسه
سكة غيردي ؟ وعلى كل حال حينما وزا الكذاب لحد باب الدار ..

فقال الشيخ يوسف باستكراً وقد عاد إلى وجهه الحاف حموده
المكتشب :

ـ دار أيه .. وهباب أيه ؟ كلام انه إلى تصوله ده يا خدع ..
ما خربوا الدار .. ماخودهم من الدار لدار ..

ولكن محمد أمدي مال على الشيخ يوسف ليقول له في همس أنه
أعطى محمود بك عشرة جنيهات عندما كان في القاهرة ليسعى في
موضوع الري ولم يعمل محمود بك للقرية شيئاً بهذه الجبهات ..

وهو الآن يحمل عشرة جيئات أخرى يعطيها لمحمود بك يطفى مراح
أهل القرية وسيمطيه الآن خمسة جيئات ونبأقي بعد الأراج عن
الرجال ..

وإنسم محمد أمدي بلذكه وهو يعرف ، ولم يجب الشيخ يوسف
.. وأما سحب الكتاب بسرعة ووضع رأسه بين الصفحات ، وعاد يقرأ
قصة كجاج حتى يصوب شخص مرتعش كان يثبت ويرتفع ، وتسرى فيه
الحرارة صفحة بعد صفحة ..

أطلق محمد الفتدي بالطربوش والجاكيت فوق جلابيه الأبيض النظيف،
وهو يسحب حشيشته انعراجه المظلمة ..

وهو يبيت محمد أبو سويلم ، فوجد الباب مغلقا ..

نقد كانت وصيفة لينة البارحة تكيي آخر يكة ..

ذهبت اليه في بيته تبحث عنه بعد أن أرسلوا أباه إلى المركز ..
ثم ألقت رأسها على كتف أمه .. وغاص صوتها واحتلج بدنها كله .. وهي
تدرب أندموج ..

وأما أيضا ظلت تكيي من أجل دياب ..

وهو نفسه !

أما لم يثق اليوم طول الليل .. وعندما عادت « وصيفة » إلى دارها
ظلت ترافق أمام عينية أطراف عديدة لجلساته على المصطبة مع محمد
أبو سويلم وعبد الهادي .. وأحس بأغواء الرهيب بعد غيابها .. وأدرك
أنه يحب عبد الهادي أكثر مما كان يظن ، وكأنه لم ينسب منه أبدا ..

ثم انخفضت في ذهنه قصة حياة دياب دفعة واحدة .. كان دياب
قد مات .. وألقى محمد الفتدي وجهه على الوسادة وتكتم البكاء ..

كان يعرف أنهم في المركز لن يحكموا بالطبع على رجال القسرية
بالإعدام لمجرد أنهم قطعوا الحسم ورووا الأرض !

ولكنه مع ذلك لم يستطع أن يمس نفسه من البكاء .. وقد ظل
يتشجج في أبيه حزين ، وهو يرى نفسه عاجزا عن استرداد أخيه من
يد الرجال في المركز .. ومن يدري ؟
ربما كانوا يعتنون الولد الصغير ، والرجال الكبار ..

ربما كانوا يضطرونه إلى أن يشرب من بول الخيل ..

فهكذا كتب حكومة حرب الشعب تصنع بالسلاحين ، ملد رحس
الملاحون أن يسيروا وراءها ، وللملاحون يرفصون السير وراءها على
الرمح من كل شيء ..

وتابع محمد أمدي سيره في الطريق إلى أنصفون مارا بأبواب الدور
المعلقة .. باب محمد أبو سويلم ، باب مسعود ، باب عبد الهادي وستهم .
كل الأبواب مغلقة في الصباح لأول مرة .. فانعزبه لا تصق أبواب
دورها إلا في الليل .. ولكن الحال تغير ، وأغلقت الأبواب يوم ذهب
الرجال ..

ومن وراء الأبواب المصمتة يعيش الرعب والعتق ، وتضرم لمبة والخوف
في المصير ، كل قلب النساء والأطفال !

وحل محمد الفتدي يميني وهو يسحب حشيشته حتى جاور الدور،
ووجد أمامه الحفول تمتد بأعواد الليرة الصغيرة الخضراء .. وأعواد البطل ..

ووكب على ظهر حشيشته .. وأطلقت الحشيشة تتمش به في طريق
مختلق متعرج بين الحقول والثرعة ..

ومن حوله حبات الذي بهتر وتتمتع فوق أطراف أبروع ، والأشبه
أحذية ترسلها في انفضاء العريض شمس اليوم الجديد وأخيرا بلغ
ضيقه محمود بك ..

وفي خرفة على الترتعة بعيدة عن سراي محمود بك لث محمد الفتدي
طويلا يستطر ، وندمت له القوة فشرها بعد تردد ، وظل يستطر ، وهو يركب
في رأسه الكلام الذي يجب أن يقوله وشعر بشعسه تهيب معانة « البية »
وسألت أنه عدة مرات وهو يمسحها في عناية بمديل كبير ، ويتشجع
ويراجع في عقده الكلمات التي يحسن أن يبدأ بها الحديث مع « البية »
ولها أن ان أمتس من حذائه فأعاد مسحها باثقان في منديه وتحمسها
بشعنه الملها وأصابه ..

وطال انتظاره ..

وأخيرا أقبل محمود بك عري الرأس معوش الشعر .. في حجاب
واسع أبيض ..

وكان يتثاقب ، ويدعث عيسه وقال في غلطة ،

« آيه 19 جاي لي من العجر ليه ؟ »

فأجاب محمد أمدي وهو يخطب نظره إلى ساعة يده :

« دي الساعة بقت عشرة يا سعادة البية .. وأياها من ستة

وسى ..

وعاد محمود بك يسأله بملحه عما يريد ، فروي له قصة الغضب على
أبيه ورجال من القرية . وكان محمود بك يسمح له بأعمال ، وهو
سليم . ويرى رجال سمحازته الأمريكية

واسرى محمد أمدي نظره إلى باب القرية . ثم سحب بسرعة من
حيه خمسة حبيبات وأعطاه محمود بك ولم يقل شيئا . وقد سى كل
الكلام أمدي كان قد أعده في محله !

وشهد محمود بك ولم يقل شيئا . ثم طلب من محمد أمدي أن
يستقر أياها . ولكن محمد أمدي أعطاه وربة أخرى خمسة حبيبات
وذكره بالبلغ الذي أحده منه من أهل ماء الرى ولم تستمد القرية شيئا
.. ثم قال أن الاعتماد على الله وعليه وحده لإخراج أرجال . والقرية
دائما مستعدة بطبياته ..

وبينما كان محمد أمدي يرتب في وجهه كلاما آخر يشهد حمة
محمود بك إلى العمل ، وقف محمود بك . وباتت به بالمداء على أحمد
العلاجي ليعد الفرس ..

ثم التفت إلى محمد أمدي وقال بثقة :

— روح استنهم في البلد .. مبروك !

وقام محمد أمدي من عوره وهو يكاد يطير من العرج . وركض
بالجحشة في الطريق المحتق بين الحقول والقرية . ثم يال بتعثرها
في حجر الطريق ..

كأن الضحية يصل أديب .. والحجارة قد بدأت تفلح الحقول .

لم يكذ يقرب من دار محمد أبو سويلم حتى وجد الباب مغرعا ..
وحقق قلبه حمة .. ورل عن ظهر حششته بسرعة .. وصمغ
يرسح .

وبرب « وصيعة » في وسط الدار .

كانت بشرتها المساء محتمة ، وعيبها الواضعتان الصاعيتان
بهنهما الحمة ، وفي حشيتها الدبول أمدي يحلعه البكاء ..

وحين رأت محمد أمدي قالت بصوت منهبل :

— تعضل ..

ثم خدمت منه في أهل ..

دست ما تر آل رمانة عسى الرعم من كل شيء .

ولمدم محمد أمدي داخل الدار ..

أه الأبر وحدها لوجمع وصيعة . وهي على الرغم من كل ماحدث
تيسم له ..

وكانت كل ما حدث لأبيها وأبيه .. وحتى لعبد الهادي قد حمل
قنبها يمنع لاستقبال قلبه ، وجعل يديها بشهي في حاجة إلى بدن آخر
شعق بسعة الداء والسعادة ، ويسهل عليه الحماة والأمن ..

والسمعت عينا محمد أمدي وتوالت لهضاته ، وتناهت أفعاسه ، وشعر
بحد لديد يتشقق في كل جسده ..

وتقدم من وصيعة حتى بدأ يشعر بأعاسها ..

وسألها إلى كابت وحدها في الدار ، وأين ذهبت أمها ..

وكان يهيس وفي صوته بحة ، ومن عينية ييشق ومضى غريب .

وبراجعت وصيعة إلى الزواء خطوة .. دون أن تدعه يفهم أنها إدركت
ما يريد ! وأحانته على سؤاله ألعاس اللاهت تصوب مرتفع مضمين ..
فأنته أن أمها رامة وسألته عما صنع لأبيها وأبيه ولمد الهادي وكل
الدين رمتهم الحكومة في المركز .

وعامت نفس محمد أمدي قليلا ..

وشعر بالحمل وبرخات تلدغ رأسه وأذنيه وقفاه .

وحك شعره وقفاه وذلك ، وقال ببرود أنهم سيخرجون اليوم وشبهت
وصيعة من العرج .. وقفرت ، ورفعت يديها وصفتت ..

ورأى محمد أمدي وهما يتأقن والعساوات تتراقص فيه ، وأمل
بهديها يحتجدا وهي تذب وتنفد منه ، ووجهها كله يشع بالبور وسألته :

— صحيح ؟ صحيح ؟ واليسى ؟

وأطلق محمد أمدي ضحكات متكررة وتقدم إلى وصيعة بلا كلمة وقد
أحمر وجهه وظفراته الهمة تستلقي على صدرها المليء .

وحزت وصيعة بأحية الباب . وهي تفهم تماما ما يريد محمد أمدي
وصاحت عليه ببساطة وهي تقف بالباب الخارجي للدار :

— الحق الجحشة يا محمد أمدي ، الحق جحشتك حريت ..

ونظر محمد أمدي ورامه في صيق ، فوجد الجحشة التي تركها واقفة
في الطريق أمام الباب ، تتحرك بلا حرج وتضي في طريقها إلى الحقول ..

وأخرج محمد أمدي مسرعا مرتبكا .. وإذا حاور عتة باب محمد
أبو سويلم قالت له وصيعة وهي تسير وراءه خطوة خطوة .

— حالك حه ياسي محمد، حه في هربة حظور .. وجود عينا حه؟

راض عليه القيمة صحيح ..

تم ارفع صربها ، وصعقت على الكلمات وهي تقول :

- راجل عنيه لعينة ويعرف لأصول ويسر الحريم في غياب الرجاله .. أما عمري ما شفته من صغري لكن بعينه راجل صحيح .. معاوية طاهر ..

وأدرك محمد أبدي أن وصيحه تعرض له ، وشعر بتكلمها العالمة كما بو كانت الضرب بالكويجاج !
ولم يلعب اليها ولم يقل شيئا .. وأما معنى وراء أنجشسته يتمش في حبله ..
وتدبسه وصيحه قائلة :

- ذا رجل قوى لما عرف أنك رحمت لثيبه محمود .. خايف برصه قال يا أن أبوي صانع الهازدة .. طالع صانع عصبي هي اليه محمود وعصبي عن الحكومة التي في المركز كمان !
ومعادت وصيحه الي دارها وسحبت الباب قليلا .. وتركته يصعب مضيق ..

أما محمد المسمى فقد أدرك الحقيقة الهازة وسحبها ، وعاد بها الى الدار . ولم يحاول أن يلتفت الى باب محمد أبو سويام . فقد سيطر عليه صيق مفاجئ احتلط بتخلله وارتيهاكه . وتقدم الى باب داره وهو يحسب أنف حساب لزيارة خاله الشيخ حسونة ..

والشيخ حسونة في القرية منذ الصباح .
وصل إليها عندما كان محمد أفندي يجلس وحده في عربة محمود بك ، يرتب الكلام ، ويسمع أمه في انتظار البية !
ولم يقبل لشيخ حسونة من القاهرة مباشرة .. فقد تحبب ليلة في عاصمة الاقليم .

وصل في قطار مصر . فاتجه الى الصيدلية الكبرى التي يتخذها الموظفون والأعيان بدوة لهم .
وعلى رصيف الصيدلية ، جلس الشيخ حسونة مع بعض اصداقائه المدماء فوق كرسي الخيزران البالية .

كانوا كلهم في الغالب من قرى مجاورة .. وكانوا جميعا مشغولين بأمر الزراعة الحديثة التي تحببت جسر النهر ، وهو الطريق الأنطقي لنخوض في الجهول وتحطم الملكيات الصغيرة . وكان لكل واحد منهم أب أو أخ أو عم أو خال سيحده نفسه بلا أرض بعد أن يغد مشروع الزراعة .



.. هم يقدرنا ؟ كان غيرهم اشتر .. قول من نوابهم يشترطوا على جدد حايب يأخذوا منه قرشين .. ولله غسانه يأخذوا منها سبت بيص ؟ لكن يبيعوا البلد ؟ .. هيه شروء .. حلاص نقى !

وظل الشيخ حسونة يتحدث مع المجلس أمام الصيدلية .. حتى أقتل النساء .. وفي الليل سهر في بادي الموظفين حيث التقى القاضي الشرعي وموظفي آخرين من القرى المجاورة يعملون في عاصمة الإقليم ..

وفي إحدى حجرات النادي كان بعض الأطباء ورجال السبابة والوليس والري والمعلمين يلعبون الورق .. والكؤوس تدلج ملأى وتخرج مازعة ، وكان القاضي الشرعي يطر بأمتعاض الى خضم النادي وهم يدخلون ويخرجون .. ويقول في صوت راسخ وحرارة يخالجها الحدود الواضح :

— هؤلاء يا سيدي هم كراؤنا ، لسنة الله عليهم ، خسر ويسر ومن يدرى ايه كمان .. والله لقد رنت نسلاهم يا شيخ .. رنت نسلاهم والله .. أنا غلشان كده لا أحب النادي ولا أحب كبراء النادي !

واقترح القاضي الشرعي على الشيخ حسونة والآخرين أن يجلسوا بعيدا عن هذه الحجرة ويبعدوا عن الصلاة التي تعجز بقرعات حجارة الطاونة وحلوسا في حجرة بعيدة متواضعة الأثاث ليست كباقي الحجرات ..

واقترح عليهم موظف بالمديرية أن يكتبوا بريقة الى الصحف التي تعارض الحكومة وأبشروا في الرقبة موضوع الرقابة ..

واضاف الشيخ حسونة أن ترسل برفقيات أخرى الى النادي السعدى فوافق الجميع ..

وتحدث القاضي الشرعي عن أهمية ارسال برفقيات أخرى الى كتاب المقالات في الصحف .. فلم يمتزج أحد ..

وكتب القاضي الشرعي الرققيات .. وجلس الشيخ حسونة مالا من الموظفين الحاليين معه في الحجرة. ثم وقعوا الرققيات باسمه أقاربهم العلائق في القرى التي تتأثر من شق الرقابة ..

وحاول أحد الموظفين في استبسال أن يوقع باسمه وهو يذكر الآخرين بموقف الموظفين سنة ١٩١٩، ولكن القاضي الشرعي قال له أن الحرس من حسن المعلن، وحكومة حزب الشعب كالعمل الهائج مع الموظفين، وهي تتمسك بتمسك القانون الذي يسمح للموظفين من الاشتغال بالسياسة فلا داعي لتعريض

وقال القاضي الشرعي .. وكان رميلا لشيخ حسونة في الأمر .. ان أباشا عضو حزب الشعب نصح في جعل الرقابة الجديدة مدور كاشعاب .. بينقادي برع منكبه سهم واحد من أرضه أو من أرض موبيه محمود بك أو من أرض أي مائك كبير عني طول الطريق من لندرة الى عاصمة الإقليم ، وهكذا تم الرقابة بانصط آدم حدود الأرض أنتى يملكها هؤلاء جميعا !

وتدخل في الحديث موظف شاب في المساحة في بلدة باشا مهر رأسه توكيفا لهذا الكلام .. ثم هبس بأن الرقابة مستكشف الدولة عشر أصناف تكايف اصلاح جسر انهر ..

ثم دارت عينا الموظف على الرصيف والى داخل الصيدلية كأنها هه يخشى انصافا مفاجئا .. وكان الشيخ حسونة قد أسلم حذاده المسبح الأحذية ، ومسبح الأحذية يسمح الحديث صمما ..

ورحق مساح الأحذية فجأة عددا على حزب الشعب بانغراب المستعمل قبل أن يعرب الدنيا ..

وابتسم اشيع حسونة في رصا .. وصعدت الآحرون .. وتوجه القاضي الشرعي بوجهه الى مساح الأحذية يسأله عما يضاهيه هو الآخر من حزب الشعب ..

عامل مساح الأحذية على النور : — هلا انديا كلها سبق ربا يصيها عليهم دنيا وآخر ..

ومرت بائنة سمنية يهواه تحمل فوق رأسها قميص النبي أبرشومي وهي تترافق وتصر يهيهها لموظف شاب في الحكومة ، وسادي عني لتين بكيمات مكشوفة .. وأحس بها الموظف الشاب ، فتخرج قليلا ثم وضع رأسه في صحيفة .. وبهره مساح الأحذية .. ييسا صاح موظف الحكومة فجأة وهو يلوح بالصحيفة :

— دول حلاص باعوا البلد للأجنبي ، فقال القاضي الشرعي بهمال :

— دول شمعوا بيع .. ولكن أحد الحاليين قال بأصوات :

.. لا .. لا .. لا .. دا بدمم .. باعوا ايه ! دا! كان يومى عني لله هيه ملاخرات ..

المنس لحظر الفصل أو التثريد في بلاد بعيدة .. وأصاب القاصي الشرعي أن هذا حرص توجبه مصححة العيال ..
وسبكت المولف وأغيا عن نفسه ، وهو يتسول - بعبية - نظرات الإكثار !

وقام هو بنفسه الى المحطة لارسال البرقيات .

وبقى الآخرون يتحدثون عن اضطهاد المصريين لحساب الانحيسر واضطهاد العلّاجين في القرى المحاورة لحساب أنساب .

وعرف الشيخ حسونة بلاد انصرية منذ لانسعه الزى الجديدة ، وهرته أبناء اعتداه العلّاجين على جسر النهر والترعة . وقال وهو يصفي بزوه :
- بند شهامة طول عمرها .. الله ! .. دي ميتهم يا احواء دا فقههم ياحدوه بأى طريقة ما دام الحكومة بتسرقه منهم وتعتيلهم للباشا .
ولم يفسد زهو الشيخ حسونة ما سمعه من أبناء القبض وهمس لنفسه ان هذا لا يمس شيئاً ، فالرجاء انفسهم قبض عليهم . ودعوا في ماطلة وسبشل . والكثيرون يوتون الآن بالراضين في شوارع القاهرة والإسكندرية وسطا والمصورة وبني سويف وأسيوط !

لم يزل صوته قائلاً انه يرسل برقية للباشا بعام يشكو فيها رجال المركز لانهم قبضوا على الرجال من قريته .

فأجاب موظف بالنيابة قائلاً انه لا مائدة من هذا بالنيابة الآن في يد الحكومة . والحكومة تنفض على الناس بلا حساب ، وبعد القبض تبحث النيابة في القانون عن مادة تطمئنا ، وتدافع بها عن اجراءات القبض ، ولكن الشيخ حسونة لم يقتنع بهذا الكلام .

وعندما انصرف آخر النهار قائل احد اصدقاء ملاحظ البوليس لرجاه ان يعد طريقاً للأفراج من رجال القرية ، ورجاه بصفة خاصة ان يتوسط كيلاً بامر بتهدئتهم - كما هو الشائع - حتى يتم الافراج عنهم !

وفناد الشيخ حسونة صدقه المتواضع في الصباح الباكر ، واتجه الى المحطة بحوار الصدق ، وأرسل باسم أهالي القرية برقية الى النائب العام ووزير الجناينة مطالباً بالتحقيق في أمر القبض على رجال من القرية ، وأرسل صورة الرقية الى المصحف المعرّضة .

ثم ركب عربة حطوط من المحطة ، ومضى بها على الحسر الى قريته . وبعد ظل على طول طريق الحسر ، بنظر الى النهر وإلى العنقول ومعجب لؤلؤة اللبن يتركزون الحسر الجميل المستقيم ، ويتيمون بدلا منه سكة رابعة حددة ملتوية لتصر امام قصر انباشا ، وتضحي للدولة في هذا

السبيل بكثير من الماء ، وكثير جدا من الأبراف ، وكان الممرود هو حراف العلّاجين ؟ !

وهسي لنفسه ماذا لو احسار انباشا مكابا على انجسر لى على قصرا ؟ !

ولكن الحظ السيء جعل أرضه كلها بعيدة عن الجسر !
مع ذلك .. فهذه الدولة لا تسالي بشيء . هي دولة حزب الشعب !!
لقد فكر سائق العربة بعنه في الأمر .. والنصف يسأل الشيخ حسونة لماذا تشق الحكومة رابية جديدة والجسر موجود : على طول الشجر والغل ، وبحواره النهر والنسمة الحلوة ؟ !

وحين أجهل الشيخ حسونة بأن انباشا سي قصره بعيدا عن النهر ، من السائق شفتيه وطوح بالسوط في الهواء وهو يقول :

- عارف .. يا سيدي ما انا عارف ! يا سلام على الأفرا يا ناس !!
وبلغ الشيخ حسونة القرية المظنور ، ظل راكب حتى بلغ دار محمد أفندي ليقيم بها فدار الشيخ حسونة مهجورة منذ نقل .

وتحسرت النساء من وراء الأبواب يتأملن في عجب وفلق ، مقدم حطوط الى القرية .

وسيطر الرعب من جديد على القلوب !

فربما كان طرادا جديدا من طوارق الحكومة يدهم القرية .. ولكن كل عين كانت تترصد من داخل المظنور ، كمة ، لايه لم ترى اللابص الصفراء والطربوش الأحمر ، والسندقية .. وكل ما يمثل المباشنة والكارنة والقصاص .

وعندما بلغ الشيخ حسونة دار محمد أمدي كانت مؤخرة المظنور قد ازدحمت بالولاد ، الذين لم يفلح السائق في هشمهم عنها ، بكرواحه وشتمها العارجة !

وهاد السائق بمرسته وهو يشكر للشيخ حسونة الأجر السخي . ودخل الشيخ حسونة دار محمد أمدي فاستقبلته ابنة عمه : أم محمد أمدي وقد حيرتها المفاجأة ..

وفطى هو يده في كمه ومدها الى ابنة عمه وانقضت على يده ثقلها . وتقل كتفه ، وأخلت تسمح يدها في جلبانها ثم تربت كتب الشيخ حسونة ونفسها تحسب وعينها تخران بالدموع .

وسأله الشيخ حسونة عن ابنها محمد أفندي أين ذهب في هذه الساعة من الصباح ؟ .

فقال له انه اخذ حششته وركب الى محمود بك يرحوه ان يذهب الى المركز للأفراج من ذباب والرجال .

وإذ ذاك ناز الشيخ حسونه . وصرب كفا بكف واحد يعني هب
محمد إندى . . فما شأنه هو بمحمود بك . وما شأن محمود بك هذا
بالأفراج عن الرجال ؟ !

وأرسل يقول إن محمود بك هذا لا يمكن أن يصح للعريه شيئا ،
وهو يستعبد من ارتباطه بالحكومة لا بالعريه وكل همه هو أن يسلط
العريه ويهيئها . ولن يتأخر عن بيعها بنسائها ورجالها وأولادها وبناتها
بصفة جيهاة !

ولم نعم أم محمد إندى شيئا وأصرحت تحصر حصيرة نظيفة
فرشتها على المصطبة في مدخل أندار ، وأحدث نروح ونحوه في الأندار
وتنادى عبي حارثها ، لم أمسكت بالأورة التي ظلت تحتها حيات البلدة
وذبحتها احتفالا بمقدم أبي عنها العالِم حضرة الشافعي .

وعندما أوقد النار لتسخن الماء جلست أمام الكاون وظللت تنظر
في الدخان المتوجع وتحلم بأن يعود أبها دياب ليأكل هذه الأورة مع خاله
الشيخ حسونه .

وتذكرت حس القمح . . لقد بعد مند يومين ، وليس لديها دقيق ،
وهي لا تملك في القاعة إلا خبز اللدة . . ولم يترك لها ولدها دياب ،
بجمل القمح إلى أطاحونة !

وأستدعت فتاة من حارثها وهمسست في أذنها بكلمات . ذهبت الفتاة
إلى وصيفة وسألت أم وصيفة أن كانت تملك ثلاثة أرغفة من القمح أو
أربعة .

وعادبت الفتاة من عند وصيفه فارغة ، فأسرستها أم محمد إندى
مرة أخرى إلى امرأة شيخ البلد ، وعادت من هناك تحمل قطعة من قماش
طيف قد لمت على العرض المطلوب ، على ثلاثة أرغفة نساء طرية من
القمح .

في أن الشيخ حسونه لم يعد طويلا عند أبة عمه . وقد تركها
ليرود الدور الذي قصص على رجالها .

وذهب أول الأمر إلى دار محمد أبو سولم ، وقلبت وصيفة يده ،
وسابت دموعها على ظهر كفه . واهتر الشيخ حسونه وقتل رأس وصيفة
ودمعاها استه ، وأكد لها أنه هنا كاتبها تماما ، ونادى أمها وشجعها وطلب
مها أن تهتم بوصيفة وهرض عليها مالا ففكرته أم وصيفة ، وقاضت
دموعها ، ولم تأخذ منه شيئا ، وقامت لتعد له القهوة . ولكنه اضطر
وطل واقفا حتى أنصرف من دار محمد أبو سولم وهو يؤكسد لانبته
ودروحه أن دخل البيت عائد إلى العرة على الفور . وحذثته وصيفة وهو

على الباب عن مسعى محمد إندى عند محمود بك ، فأعس أسكارة
لهذا المسعى بسط على محمد إندى ، وعند يؤك أن الرجال صاندون
إلى القرية لأنهم لم يتركوا حريمه لا لأن محمود بك نسى لهم .

ومال على بيت عبد الهادي فتشجع أهله ، ودار الشيخ حسونه
بعد هذا بعض الدور في أساحية الشرقيه غوانى أمها وحمل أنيهم
أطبايبه وطلب منهم أن يتشجعوا ويحملوا . وأصراف من موره . بعد
أن قتل الأولاد والنساء يده ومن ورائه ذمعا حذر بالنسب وأهية وطول
العمر .

ثم أتبعه إلى ذكأن الشيخ يوسف .

كان الشيخ يوسف في هذه البسة من أول الضحى يستمع إلى
حديث الشيخ أنيساوي الذي عاد من دوار العمدة .

ونقطع حديثهما مقدم علواني فقال له الشيخ يوسف بصل انه اشتاق
إليه في الصباح الباكر وأوشك أن يرسل إليه ولدا غير أنه فكر في أن
يتركه أيام ليترجع من السهر في حراسة البطيخ .

واشتى علواني بهذا اللقاء الذي لم يعرفه من قبل وقال للشيخ
يوسف في صحب فاحك أنه هو أيضا كان يفكر فيه .

وكن علواني يحفل كيسا كبيرا مليح بكيران اللدة . وكان يمشط
وسطه بجرام . وأجلباب من فوق وسطه مشطع بانكيران .

أخذ علواني يخرج البكيران من « عيه » ويضعها أمام الشيخ يوسف
ثم مال على الكيس الملقى في الأرض . وبعد أن أفرغ الكيس كله ،
نزل بصره من الكيزان العديدة إلى الشيخ يوسف وهو يطالبه أن يحسم
لن هذا اللدة من النصاب المتراكم عليه ، ثم طلب منه علة سباجار
حذرة .

وبعث الشيخ يوسف وصاح في هوائى :

— رايح تتررب سحابر ماكبة . وإله هال . الرجله يقينوا عن البلد
من هـا وأنت تسقط على اللدة من هـا . . قول لي أندره دا حبيبى ميه ؟
وشحنت طواى لي ثبات . . قائلا :

— ما حريه . .

ونفتح الشيخ يوسف فيه في دهشة وتساءل . فأكبل علواني :

— ت شهم . . ايوه . . لكن وحية التي ما فيهم درا واحسد من
أصحبى ولا من ألى كنت معاهم عيش ومنع ، ولا فهم كور من دار واحد
محتاج !

وتردد الشيخ يوسف في قول كيران المدة من علوانى ولكن صوانى
ظل يعمره تكميات جديدة يخرجها من جيوبه ، ومن صدره المنتع
بالكيران .

وصرح الشيخ الشاوى في علوانى :

— آيه ياواد ياغرباوى ده .. يا بهارك امر .. حرام عليك يا واد ..
دا يوديت جهم .. حرام عليك تس دا يفتح يوسف . حرام قطعاً ..
يعال علوانى باستحجاب :

— جهنم ! وأنا احاب من جهنم ليه ؟ هيه جهنم دى يمسى حاجتى
اكثر من اللى انا عايش فيه ! وهو انا يعنى ياسيدنا كنت لقيت الحلال
وسبته هلشان اعرام .. الله يسترك ياسيدنا . نصنا من الحلال
والاعرام فضا ! وهيشنى اللى مايعلم به حد ، دى تبقى حلال ولا حرام ،
هه .. مانقى ا

ولم يجب الشيخ الشاوى .. وظل يستعيد ياده ،

أما الشيخ يوسف فقد أخذ يعد الكيران التى غمرت البنت امامه ،
وتناثرت على الأرض ، ثم اخرج الدفتر الكبير وقلب صفحاته ، وأمسك
بقم من الكوبيا وقال لعلوانى :

— بيتى مخصص منك ريال .

فقال صوانى محتجاً :

— ريال ؟ .. دا حرام يا عم الشيخ يوسف .. اهه ده اللى حرام
صحيح .. ما تتكلم ياسيدنا .. بقى دا بيع وشرا ؟! دول يطلعوا اقله
تسع برايز وأنا مسامح كمن .. دا شقا الليل كله ا وبيا عالم !

فحجز الشيخ يوسف عدة كيران ثم اعطاه عدة صغيرة من السجائر
عليها رسم غزال اسود وصاح مصطفى الفضب :

— طب غور .. خذ الدفتر تشاك وانجر من قدامى .

فاستدرك علوانى قائلاً برهاف :

— لا لا .. طب وأنا اعمل به ايه .. طب احسبهم بست برايز ..
طب نص حنيه .

وظل الشيخ يوسف يهر رأسه في رفض .. فصاح علوانى :

— طب ناربع برايز .. هه .. والله ما انت حاسبهم ياقل من كده
يا شيخ ..

فقال الشيخ يوسف بصرامة :

— ثلاث برايز مديش غيرهم . عاجلك والا لا !

واستكان صوانى فعلاً :

— طيب ! العرص ! .. حلال عليك يا عم .. احسبهم بقى من
الاستحراق .. نزل الحسم من الدفتر ده .

وتأب الشيخ يوسف وأخذ يكب في دفتره الطويل العريض بينما
كان الشيخ الشاوى يزق :

— يا راجل حرام عليك يا راجسل ، يا واصل شرك احسن من
استحباب دى !

فقال الشيخ يوسف باهمال دون ان يرفع رأسه :

— دهدى .. ما بلا وجع فنب بغي ياسيدنا .. ما تشطر كده عى
العمدة .. بعنوتا بضى .. وحية البى دا انت تكلم والمه ..

وروع الشيخ الشاوى وقال مزعجاً :

— به دا انت خربت .. اللهم طورك ياروح .. اب حانحوش !

وحاول صوانى ان يتدخل في الحديث فنهه الشيخ يوسف وامره
بان يرجع بعيداً عنه ، ووجد الشيخ الشاوى في صوانى فرصة
للاعتجار ، فنبه بلشتاتم واللصا والوهيد بالار .

وحين انتهى الشيخ الشاوى من شتاتمه وغاب علوانى عن عينه
انتفت آية الشيخ يوسف في هدوء ، وقد سيطرت على وجهه السكابة
وانصرامة ، ولعلت انصرمة الشاجبة سمرة .

وأخيراً قال الشيخ يوسف :

— كمل ل ياسيدنا بلى حكية الراجل المؤذى ده .. الله يفظمك
يعلوانى ويكده عليك توهت منا الكلام ! كمل لنا ياسيدنا كمل .. بقى
باناس دا عمدة ده ولا شيخ مصر ؟ ..

وعاد الشيخ الشاوى يكمل الحديث الذى بدأه قبل ان يجيء
صوانى ..

بعد كان الشيخ الشاوى عند العمدة في الدور يقرأ له راتب
الصباح من القرآن .. واعترف العمدة انه ضاق باهانات محمد ابوسويم
له امام اهل البلد .. فمحمد ابو سويلم لا يذكره الا بكلمة النجس . ولهذا
ابيع اسمه مع الذين قطعوا الجسر ليؤذبه احسن ادب !

ولئن أفرحت الحكومة عنه وعن الرجال الآخرين ، وعاد محمد
ابو سويلم يتحده مرة اخرى وعاد عبد الهادى الى قفروه أو فكر محمد
اهدى في ان يرتع راسه متاثراً بعد الهادى ومحمد ابو سويلم ..

فهناك موضوع حضرة ولا أحد يعرف سرها وسيلع العبداء عن اكتشاف موتها فتيبة .

والمعروف ان محمد ابو سويلم طردوا من بيته وصربها قبل موتها بإسمات ، والمعروف ان عبد الهادي شرب مرة وحاح من تأثيرها على وصيعة انى يريد ان يتزوج . والمعروف ان حضرة كست على صلاته مع دياب وربها كانت قد حملت ، وخشى دياب من الضيعة !

وعلى أية حال موضوع حضرة مازال موجودا ، وسيظل موجودا لمدة حسنة شتر عاما يعرف العبداء طولها كيف يؤدب الدين يحاولون اعانته أو تحديه !

ولم يكذ الشيخ الشاوى ينهى من رواية هذا الكلام حتى دار الشيخ يوسف ، وسأل الشيخ الشاوى عما قبله للعبداء ردا على كل هذه التريبات ، ومحاولات الابداء !

فأجاب الشيخ الشاوى فى طيبة بأنه لم يقل له شي .
وإن ذاك قال الشيخ يوسف !

ـ ربما ما نحتاجى عليك بحديث ولا أية ؟ ولا مثل حتى ..! بس ماستك لى فى الهرام والحلال على الهايبة ؟ ! بسى تسمح من العبداء الكلام ده كله وسك ..! بسى صعب العبداء ولا يهيه دى ترضى ربا ؟ أنت بس تعرض فى الهيبة ؟ ..! ولا العبداء ده من أولى الأمر مكم ..!

واحتقن وجه الشيخ الشاوى ووقع !

ـ دا كلام إيه اللى أنت بتعوله .. أنت بتكلمى كده ليه م الصبح ؟ .. يا اخى دا الإماما على كرم الله وجهه يقول من عصى هراما صرت له عبدا ..! أنا قريت فى الكتاب قبل ما تنقرا فى الأزهر ، تقوم تيجى لعصف مهاي كده ! أخص ..!

وقبل ان تستخدم المذقشة ، كان الشيخ حسونة يقف أمام الدكان يلقي اسلام بابتسامة هائلة .. ولتنتفى الابتسامات من مقدم الشيخ حسونة .. وسلم عليه الشيخ الشاوى بترحاب ، وفقر الشيخ يوسف أى حارج الدكان فى اسباح طهر غير كل صيقة ، وعانقه طويلا ثم اخذ يهر يد الشيخ حسونة ، وسحب يده هو لصرب صدره برفق ، ثم يعود ليتمسك بها يد الشيخ حسونة ويهرها بحراة .. هكذا عدة مرات .. حتى وقع كلمات واحدة لا تتغير .

ـ سلامات ..! طوب ..! أثبت كده ..!

واخيرا تعدد الشيخ يوسف الى بيته بجوار الدكان ، والعب الى الشيخ الشاوى طالب منه ان يجسسه الى الدكان .

ودخل الشيخ يوسف الى بيته ، وهو يدع امامه الشيخ حسونة فى اعتباط .

وجلسا فى مدرة الشيخ يوسف داب الأرض المفروشة بالحصىر والكسب الممرق أعطاء .

وتأمل الشيخ حسونة لوحه كتب عليها : « اتقى شر من أحسنت اليه ».

وقب الشيخ يوسف ان محمد امدى مر عليه هذا الصباح وذهب الى محمود بك يرحوه ان يسمى فى الامراج من الرجال .

ومرة اخرى لم يكتم الشيخ حسونة سخطه على محمد امدى .. وعصب كيف يمكن ان يظل بعض الناس فديس من هذا الصنف من الرجال وعى حقيقة محمود بك وواباء .

وبدا يتحدث عن ايهمم القديمه فى لورة ١٩ عندما كانوا تيانا مش محمد امدى او اكثر منه فقبل .

وأفاق وجه الشيخ يوسف وصباح :

ـ واا يا شيخ دانا عمال افكر فى الحكية دي من كام يوم ! أنا هارب البند جرى ميه إيه ! لا كنت بفكر فى واسطة ولا فى شفاعه .. يا راجل دا احنا كنا إمامنا نهمم بالتحليل بعدا مهمم .. لا رعا ولا خوف من حد ..! لكن يا هم هيه دى وقت بلد ..! هيه دى بلد يا حضرة الناظر !

وقبل ان يعقب الشيخ حسونة ، دخل محمد امدى وعلى وجهه بشافة يحاطها اعناق والأمطراب والشحوب .

كان م يزال بلبس الطربوش والعائكة والعداء ..

وقبل يد الشيخ حسونة ثم تعدد ينتهجن ..

ونظر اليه حاله فى صمت .. وكان استقباله له واضح البرود ..

ومعد قليل قاس الشيخ حسونة موجها الحديث الى محمد امدى ان لند ان تستغيد شيئا من محمود بك .. فملى الذين فى رؤوسهم عقول ن تنمطوا مما حدث فى لائحة ماء الرى وفى مشروع الزراعية !

ولم يقل محمد امدى شيئا .. وهر رأسه فى موافقة .

ولاحظ الشيخ يوسف ضحك محمد امدى ، فانتهر الفرصة ليتكلم وهو آمن من الرد اللاذع .. وقال بسمرية :

ـ ناقص تروح تترجى العبداء كمال !

— والبركة فيكو اتر كمان يا اننى .. الله ! هيه اوصنا لوحدا ؟
 هيه مش ارضكم كمان ؟ ! طب قول لى بس .. مين قاني بل الحكومه
 والانجليز فى مصر ؟ مش التلى قدك واصغر منك .. مش همه الطبسه
 وعمال العنابر ؟ ! انت ماينتراش جرايد ؟ مش باين عليك بتقرا .

وقبل ان يرد محمد امدى قال الشيخ يوسف باستهزاء :

— جرايد ؟ .. جرايد ايه يا عم الله يسترك .. هى دى بلد بتاعه
 جرايد .. دى بلد دى ؟ .. قال جرايد ؟ ! ذا كل حين ومين على ماتبع
 فى ابدنا جريده ؟ هم دون ناس ؟ بقى ده جيل ؟ هو جد من الجيل ده
 بقرا جرايد ولا فاهم حاجه ؟ والله يا شيخ مارجاله الا رجاءه رما !
 ماترضى الشيخ حسونه :

— لا .. لا يا شيخ يوسف .. هيه البند بتاعتنا لوحدا ؟ ! ماهى
 بتاعه اصغر واحد فيها كمان ا وهو احنا واخدين الارض معنا ، ما احنا
 سيبينها للجيل الجديد .. ولا لانا ا وبعدن اكو رينا سباحتنا وتصالى
 يورث الارض ومن عبيها .. لارم يهيموا كده يا اخى .. واحنا فهمنا كده
 واحنا شباب .. ان كان فكرى يرغنه ان ماعيش هايدة خلاص .. لكن
 والله لو تشوف التلى بيجرى فى مصر لتشرح ا ذاللى بيتعرضوا لبرصاص
 فى مصر كلهم صدر فى السن ودهمين تماما ياشيخ يوسف اكثر منالى
 سه ١٩ .

— على الله ا .

ونظر محمد امدى ياكبار الى خاله الشيخ حسونه .. ولم يحول
 منه نظرا له ا
 ومن خارج الفرفه ، رنت دقة فتجنس على صينية قهوة ثم تلاها
 تصمييق يد صغيرة ..

ولاحت ابة الشيخ يوسف المجفاه من نتحة باب الفرفه ..
 وانتظرت ان يقبل ابوها ليحمل الصيبة ..

ولم فى ذهن الشيخ يوسف خاطر سريع .. واومض وجهه وهو
 ينقل نظراته بين نتحة الباب ومحمد امدى وقال بسرعة وهدوء :
 — ادخلى يا بنتى ا ماحدث غريب .. تعالى سلمى على عمك الشيخ
 حسونه .

ودخلت الفتاة الصحاء ، يوجهها الاسمر الجاف العابس كوجه ابيها
 وحدها المفرغين ، وقوامها الحبل القصير ، ونهديها الصفرين ، وجلبانها
 الاحمر يكتشف من ساقين مهزولين ..

وقال محمد امدى بصوت حفيض فى لجة مستكبة وهو يلوى
 عنقه امتن على الشيخ يوسف .

— لا .. عذرة ايه بقى .. هو انا كتب مشيت وراه فى الانتحبات ..
 وللا دعمت له اشتراك لحرية الحكومة ا

وادرك الشيخ يوسف ان محمد امدى يعرض بمواقفه فى اوائل عهد
 حكومه حرب اشعب .. وكظم غيظه ، والتفت فى خجل الى الشيخ
 حسونه ، ولم يسم ابيه الشيخ حسونه ، واسما حال لمحمد اغندى :

— عجيب ؟ ! يعنى تعاف من الحبل ولا تعافنى من النعبن ؟ !
 والمعدة ايه ا ومحمد بك ايه ا والياش ايه ؟ !

ثم ارفع صوته كأنه يعق عن الكلمات واسترسل يقول :

— والحكومه ايه والانجليز ايه ؟ امش كلهم واحد ؟ ! سسبال واحد ا
 كله سسبال لفر ا

واربك محمد امدى . وبس على وجهه انه كن يجب ان يهجم
 كل هذا ..

ولكنه حسب بعضى اوقت ان فى مفتره محمود بك ان يؤدى خدمة
 للعره ، مادامت هذه الخدمة ستعود عليه ببعض المال .

ولم يعرف محمد امدى ماذا يقول ..

كن يؤمن ان حانه الشيخ حسونه يعهم من اسرار الحياه والناس
 اصعب مايعهم هو .. لقد آمن بهذه الحقيقه دائما منذ كان طفلا ا وكلما
 هركت الظروف خاله ، ازداد ايمانا به .. ان محمد امدى يدرك ان خاله
 قادر على مقاومه الحكام ، واليكيد لهم ، والوقوف امام مايريدون ، وهو
 يعرف ان رجالا كخاله ومحمد ابوسويلم يملكون من الخبرة فى اعداده
 اصعب مايمكث هو .. فقد صنعوا الثورة ذات يوم .

ومهما يكن من صعبه احيان برح كالتشيخ يوسف .. فهو يحتمظ
 فى نفسه بحيالات بعيدة من ذكريات من الطعوه .. حين كان حاله الشيخ
 حسونه ، والتشيخ يوسف ، ومحمد ابو سويلم يصرخون مع الرجال فى
 الطرقات تحت خفق القوس : « يعيا العدل ! »

واراد محمد امدى ان يقول شيئا يستند به نفسه من الصمت
 والخرج ، فطرد الصعد سحبه قويه ، وهو يقول :

— ما هو الحركة فى حصرك .. يا حصرة الناظر ..

عمال الشيخ حسونه ثقة وامل :



م يخرج الرجال بعد من سحر المركز ! ..
ومازال الشيخ حسونة مقيما في القرية ، وقد زار
العمدة ، وتحدث الله في أمر الرجال الذين يبتون في
سحر المركز ، وهذه لئن لم يتصرف من فورهم
بلا فراخ منهم فيعرف شمله .

ومن يوم .. ويوم آخر ، والرجال لا يعودون !

ورار العمدة سرور محمد أمدي . ليرد على الشيخ حسونة زيارته ،
وأكد شيخ حسونة أن مهندس الزري وحده هو المسئول عن القبض على
الرجال : بعد قلب الدنيا في المركز على رأس المسامير عندما وحشد
الجبر معطو ، وطالب بفصل عمدة الناحية أن لم يرسل إلى المركز
كل الرجال الذين قطعوا الحصر .

فقال الشيخ حسونة بصوت هادي ساخر :

— وهوه محمد أبو سويلم كان قطع الحصر يا عمدة ! هه يا حفرة
العمدة !

وقتل أن يحجب العمدة ، وهو يبحث عن كلام يقوله ، اندفع محمد
أمدي يرقق بصرة :

— والواد ذياب كان عمل حريمة بالحصرة العمدة ! الواد حمل أبه
س ! ؟ حد عارف بجمعوا له أبه ذلوقت في السجن ! !

ونظر الشيخ حسونة معيظا إلى محمد أمدي ، فأدرك محمد أمدي
أن خاله يؤسه على انهيائه هكذا أمام العمدة .

ونكس محمد أمدي رأسه ، فقال له حاله الشيخ حسونة :

— قوم استعمل القهوة بالعمدة .. قوم بالعمدة أمدي !

واذ خرج محمد أمدي ليستعمل القهوة قال الشيخ حسونة بصوت
أدى ومعهم :

— ألسن لا هو عيب ولا هو فصيحة !؟ سعد أنيس ! سعد أنيسه
سجن ! سعد كان محبوس وعذلي قاعد في سرايته بيهجر مع الإنجليز !
وأرتعب العمدة وهو يثتم :

وضعت الصبغة أمام أنبها ، وتعلمت إلى أنشبح حسونة .. فوضع
يده في كفه وسلم عليها قائلا :

— باسم الله ما شاء الله .. دى بقت عروسة أهى ياشيخ يوسف ..
وأخبر وجه الفتاة ، ولبمت ريقها ، واختلج حذاءها العائزان ..
فانتمس أبوها الشيخ يوسف وقال لها :

— هدهدى ؟ طك سلمى على محمد أفندي ..

وتعثر الفتاة ، وهى تحطو إلى محمد أمدي .. ووقع محمد
أمدي في مكده وسلم على الفتاة دون أن يتقدم إليها .

وخرجت مسرعة مضطربة ..

ثم انتمس الشيخ يوسف وهو يصبب القهوة ، وينظر خلسة إلى وجه
محمد أفندي قائلا :

— هه ..

وقدم مسجان القهوة إلى الشيخ حسونة وهو يقول :

— قهوة تمام من أيد نثنى .. حاكم هيه شاطرة في كله .. قهوة
وطيخ وخبيز ، غير بقى الصلاة والصرم والمعاودة .

فانتمس الشيخ حسونة قائلا :

— ما شاء الله .. ما شاء الله .. ربنا يبارك لك فيها .. طجسنا
يا سيدي ما هي من ماورن طاهر .. ما أنت لارم أحسنت تأديبها ! ..
أدينى ربى فأحسن تأديبى ..

وقدم الشيخ يوسف فحشا آخر إلى محمد أمدي وهو يثتم ..
ولم يخلج وجه محمد أمدي بأي أنفعال ..

وذاب الحديث شيئا فشيئا ..

وهم يرتشفون القهوة بصوت مرتفع .

— انى نعى .. اى نعى باحصرة الناطر ،

لم سبكت المدة .. وسكت الشيخ حسونة .

واخذ المدة يتأمل الالفاظ المعلقة فى سرور محمد افندى ، على حواظ المندرة الصغراء .. كان يطس على الكتف امامه لوحة من الحسن مكتوب عليها « الكرم لا يفسد » والى جانبه لوحة اخرى كتب عليها بخط احمر متشابك « واب سمعة ربك فحدث » وبذل يصره الى لوحة ثالثة واحد يحاول ان يقرأ خطها .. وغرا لعمه « عز من قبح » ودل من » . لم تفتح قراءة بقية الالفاظ « طمع .. ودل من طمع » .

وماجاه الشيخ حسونة بفرقة طويلة ، وشرع يذيق عصه على البساط الاحمر لم اخرج ساعة جيبه ، وبعد ان نظر فيها ، اخذ يتأمل من الشباك اشعة الاصيل وقد بدت تلعب القرية نونها البرتعالى الشاحب الذى يحل الى النفس فحاة كل معاني الدروب ،

وقال الشيخ حسونة بصوته الهادى :

— لما نصلى مصر قبل مابقى مكروه .

وقام الى ركنى العرفة فامسك بحصيرة صغيرة ماعوفة . ودخل محمد افندى ، فحسب عنه الحصىرة ويسطها امامه .. وبدأ الشيخ حسونة يصلى ، وبعد ان قرغ من الصلاة قال له المدة :

— استاذن لنا بقى .. سامحنى فى القهوة ،

فنظر الشيخ حسونة ممضبا الى محمد افندى وهو يقول :

— فبين القهوة ؟

وخرج محمد افندى متلكنما ، وهو يتمتم :

— بقى يحسب لنا دباب ونسقيه قهوة كمان ؟! ما عنه ما طمع !

اياله يشرب السم الهارى !

وبعد مناقشة بين محمد افندى وامه قال لها :

— خالى محكم رايه على القهوة ..

— يا حسرتى ! .. بهى جاي يشرب قهوة عندنا معين وحسارة ؟!

يحسب لى اسى واعمل له قهوة كمان ؟!

واخيرا حمل محمد افندى القهوة ، وعصها ، وقدمها للمدة ولحالها

وهما صامتان .

واخذوا يشربان القهوة .. والمدة من حين الى حين يقول للشيخ

حسونة :

— كل عام وانم بخير يا حصرة الناطر ؟ يعودو الايام .. ان شاء الله كده يشرف سدا على طول ..

واخيرا بهض المدة ليصرف .

وشيعه الشيخ حسونة الى باب الدار . والمدة يقسم عليه من كل حظوه ان بقى مستريحا .

وعندما كن المدة يسلم على الشيخ حسونة ، على بعد خطوات من باب الدار ، قال له المدة :

— انشاء الله الرحالة بطلمو بكرو . وساتوا من دورهم .. حكم رى ب انت عارف المامور بحجزهم فلشان نقادوا انصرفهم من الزورة جاي يزور البشا بكرو . والوزرة ماشيين بعد العدا على طول . والمامور قال لى .. كده كلام بيسى وبببب .. ان الزورة رايجين يمشوا من هنا وسماجين البند يرحعوا البلد من هنا .

وهو الشيخ حسونة راسه وقال :

— على خيرة الله .. ابو الزوراء جابين يزوروا البشا بكرو صحيح !

وعاد الى الدار فزعم فى محمد افندى وامه لانها احرا القهوه وقال ان هذا لعب اولاد صعب .. والاصول .. اصول !

والعداوة شيء ، وتقديم القهوه شيء آخر !

ولم يجيب محمد افندى ببسبب قلات امه :

— مشى هم دول اللى فى الاون حلوا السم لاوبيا وفى الآخر رموا

ابنى دباب فى السحنى ! قطعية تقطع دى حبة .

فاحابها الشيخ حسونة بصوت مكظوم .

— بلاش كتر لباية يا ام محمد ! .. بصى نشطر على فنجال القهوه

دا ايه الحبة دى وقلة القهوه دى ؟!

وساد الصمت لبعض الوقت .

وقعد الشيخ حسونة على المصطبة فى مدخل الدار ، وقعد بحوار

محمد افندى ، بينما انصرفت امه الى الداخل .

ثم تسامع محمد افندى عن هؤلاء الزوراء ادين سينوزون الباشا

فى ضيخته بالقرن من عاصمه الاقليم كما قال المدة .

فقال الشيخ حسونة بصوته الهادى ان الباشا يدعو بمصر اصدمائه

من وراره حزب الشبيب ليزوروه فى قصره الجديد ، وسيشعرون طعما

بمتاعب الطريق ، فمحملون بشق السكة ابراعية التى تصل بين القاهرة

وعاصمة الاقليم مارة بالسراى على حدود املاكه الشاسعة .

وسكن محمد احدى لم يكن يريد من حانه هذه الاجابه . فتساءل
ماعلاقة هذا كله بالامراج عن ذباب والرجال .

وانتم الشيخ حسونة وهو يقول ان صيهم ان يحدوا بهم لان
السامور . يقض عليهم جميعا ليكونوا في استئصال ورياء حزب الشعب!
وعلى اية حال السامور قد تلمى الاوامر من المدير ، والمدير تلقاها
من وزارة الداخلية بان يمد لوراء حزب الشعب اكبر استقبال شمسى !
استقبال يوشك الرعام فيه ان يحقق الوزراء !

ولارباب ان المدير قد امر باعداد كل المسجونين في سجون المراكز
وهم الآلاف ، واعد ملابس هديه للذين يرتدون ملابس السجن معهم ،
ليحتضهم كلهم مع رجال البوليس السرى ، والعمد ومشايع اللاد
والعمراء . . وكل الذين يستطيع مامورو المراكز ان يجمعوهم من
الطرق . . كل هؤلاء سيؤلفون الاستقبالات الشعبية الرائعة ! .

ولم يكد الشيخ حسونة يصل في حديثه الى هذا الحد حتى تنبه
الى ان محمد احدى لا يكد يدرك شيئا مما يقول فصرخ فيه :

.. انت متى عرفت ايه اللى حصل فى الانتخابات ؟ انت يا اخيها
مش تفهم الحاجات دى كويس عشتان لنور العلاحين ؟ ولا يسى شياطر
تجرى مرة وراء العمدة ومرة وراء محمود من اتجه هائم ومرة وراء الهينات
الصديين .

وفوجى محمد احدى بهجوم خاله .

كان يعرف راي خاله في سلوكه . . فادرك انه بعدما مال بالكلام
على سيرته ، فن يخلص منه ابدا ! . .

فقال من فوره ليمد يده له هذه النقطة الشائكة :

.. ماهم الغلاحين هارفين كويس يا خالى . . بس انا بصى كان قصدى
اسأل بصى هو العمدة حايطلع ذباب صحيح ؟ .
فصق الشيخ حسونة متمحما . .

ثم نظر اليه ، وشرع يؤكد له ان العمدة ان يتوسط في الافراج عن
ذباب والاخرين ، الا اذا كانت له مصلحة ، او اذا شعر من الأقل بان
سلطانه على الغلاحين مهدد . .

واقسم الشيخ حسونة ان العمدة لن يفرج عن
احد ، ما دامت القرية ترجوه وتستعطفه .

على ان القرية مع ذلك ظلت ترحو العمدة وتستعطفه ، فلم يكد يعود
الى الدوار من زيارته للشيخ حسونة حتى وجد ثمنا يقف على سور

الدوار ، واحرياب يطلن على الارض . . وم يكد طلعه تهل عليهم .
حتى احطن به : يسان في صراعة ويكاد متى يعود الالى او الروح او
الولد ؟ ! .

ولم يحب العمدة وتابع سيره ، وعبد العاطلى الحخير يتبعه . . وهو
دائما يحول ان يبعد السوا .

كان العمدة في الايام الاخيرة قد تعود ان يسمح لثساء يهرخن
دكيات صارعات امام الدوار ، وتعود ان يامر الحفراء باغلاق باب الدوار
الحارضى . . ليمموا النساء من التبريد الى فائه . . وممد عاد اتشيج
حسونة الى اقربة تعاضى العمدة ان يخلص على البسطة ذات اللطاف
الكبير في ثناء الدوار ، وم يخرج ابدا في طرقات القرية الا ليرور الشح
حسونة ودأ على زيارته .

واقبته امرأة في الطريق وهو داهب الى الشيخ حسونة ، وسالته
من اسما ، فصرها الحخير . . واعتزعت طريق هودته فاه اخرى تسال
من اخيها فاسرع في سيره وترك الحخير يدلفها وتلمعت هجور فصحها
نصاه . . وانقضت امرأة صغيرة حسناء وامسكت بكم جيته وهرته وهي
تبكى سائلة عن روحها ، ودفعها بقوة وامجر يقول لها كلاما دانيا معرضا
بوجهها على ابروح اعائب . . وعين تحت من طريفه مضطربة الحظوات
تعض حيالها في حموها . تابعها الحخير بكلمات مضبوحة وصورة
زوجه تطلع نفاة امام عينه ، وظل الحخير عبد العاطلى يرقق في وجه
الروجة الشاة الحمية :

.. جاتك العم ؟ . . المرأة ان ابوكي ممسوك راحى اء . اشمعنى
مسك جوزك بصى هو االى حارتك قوى وواجبك قوى ؟ ! حاكم صنف
اسسا دا صف دون . . الواحدة ههيا بس . .

وشاق الصدة فالتفت اليه ونهره حتى لا يسير فيقول ما لا يصح
ان يقول الحفراء امام هملهم .

على ان الصدة حين بلغ الدوار مائدا من زيارة الشيخ حسونة ،
لم يستطع ان يدخل من الباب . .

كان امامه حائط متوج قائم من النساء يلسن الحلايب السوداء
ويقفن امام باب الدوار ويلوحن يابدهن دايكات .
ولمح العمدة من بينهم فتاة بيضاء غامرة لا تلبس الحلاب الاسود
كالآخرات . .

وكانت تصرخ بصدا ، وتقتحم الزحام حتى وفقت امام العمدة
تعاما . .

وحاول الحبر ان يبعدها ، وبداه ترتعش فوق رأسها وترتجف
من التردد .. فصرخت فيه العاتة

— اومى تمد ايدك عليه يا واد يا عبد العاطى .. كن ابدك جاك قطع
ايدك .. امند دواعك كده ان شا الله تنصا !

وسانها الممدة من تكون هي ، وقبل ان تجيب قال عبد العاطى :

— دى بنت شيخ المعري !

فصاح الممدة مصحفا :

— شيخ اه ! هو لسه شيخ غفر ! الله الله ! بقى انت عبر انت ؟ ..
وغفري الصوصى كمان ؟ طب يا ابن شلبية ! احاكم انت ربايته ..
رباية محمد ابو سولم !

فقال عبد العاطى مضطربا :

— شيخ العفر الى هو سابقا يعنى يا حقرة الممدة ..

وتصدت وصيعة وفشت صدرها متجدية ولوشت يديها :

— انا وصيعة بنت محمد ابو سولم .. ايه مش عاجبك يعنى ..
ايه بقى ؟ مش قد المقام ؟ فين ابوى ا .. اقول لى فين ابوى ..

وهو الممدة رأسه والأشعة الحمراء تنسكب من آخر لحظات النهار
فوق دور القرية الداكنة وعلى وجه وصيعة الرائق ..

وقال الممدة يهدوه مصطع :

— طب مش عيب تشوصى لى وشى وترهق لى كده .. وانا اكبر
من ابوكى !

فصرخت وصيعة بانفعال واضح ، وبدها ثوشت ان تفتح منيها :

— عيب ؟ .. انت بتقول عيب ؟ هو انت خليت عيب .. وعش عيب
عليك تعط ابوى فى السجن ؟

وقال الممدة فى هدوء وخش وهو ينظر فى بدن وصيعة ، وينقل
نظراته بين وجوه النساء :

— طالعة لامك تمام ! .. حاولة قوى زى امك .. ولحسة ونمشة
برضه زى امك ..

وادرك النساء مايريد الممدة ان يقول .. وعمر من انه يريد ان يشوه
ام وصيعة ليذل الشئ امامها ، وكسر هيبة ، وعين ابوها ..

وقالت امرأة باستنكار :

— ومالك انت ومال امها بقى ! اش عرفك ان كانت نفثة ؟ ايه ده
ناه ! وانت كنت شقيما قين ولا عرفتها قين ؟ ..
وانطلقت امرأة تقول :

— واللى نو شيخ المعري هدا وسعمت بقول كده ، ليطان فى بطاك
عيايرن على طول .. بقى كمان تتكلم على مراه محمد ابو سولم .. بى
كمان .. هه حصلت ؟! يا عيشى عليه !

وقالت امرأة ثالثة :

— يا احتى الراجل شاب ولسه هايب .. چاته متين نيله شاب
ومايب !

وعلمنا كين النساء يتحدثن باستنكار فى وقت واحد ، امسكت
وصيعة بجهة الممدة وهرته بمف وهو تقول متشنجة فى صراح مفرع :

— بتقول ايه على امى ! ا مالك ومال امى ؟ ا هات لى ابوى .. فين
ابوى ..

وترجع الممدة بدمه الهريل داخل الحبة على هزات وصيعة
انصبية ..

واوشك الحبر ان يبعد رأسه ، حين رأى النساء يعاجش الممدة
بالشتائم ، وهو يرتجف داخل حبه بين يدي وصيعة ،

وارتفع عين الممدة كالشجرة بعد ان غاص صوته من المفاجأة :

— اضرب يا وله .. ساكت ليه يا فقير .. يا واد اضرب .. اضربوا
يا غفر ! سايبين لسوان البلد على عمدتكم .. سايبين النساء يهدلوا
عمدتك .. حايموتولى المسوان ! يا نهار اسود بقى اووح قتيل
السوان !!

وتشغل المعراء لى ليجده ..

كانوا هم ايف يعكرون .. فكرهم مع الرجال الذين يبيتون مثل هذه
ايام فى سجن المركز ..

وكانوا يعكرون هم ايضا فى العقول التى حذرت بها الحكومة
ماء الرى ، وفى الأرض التى يمكن ان تاحدها الحكومة لتشقى السكة
انرباعية .. وكانوا يعكرون بضمه حصة قيد افتراء الممدة على روعة
محمد ابو سولم ! من الممكن ان يقتري على زوجانهم ايضا .. ربما
كان يقول على زوجانهم كلاما اعطع !

وكانوا كلهم يعرفون ان الممدة هو الذى املى اسماء الرجال للمأمور ،
وذهب معه الى القزق ، ليقنع المأمور بتقبض عليهم على خلاف ما
قوله لاهل القرية ..

وكانوا يعرفون ان الممدة هو الذى احدث العريضة من محمود بك
واوهم الناس انها للرى ، ثم وضع الاختام بها مرورا على القرية انها
تلمس شق طريق روائى ..

صنع كل هذا وناع اللذ .. أرغاه لمحمود بك .. والاشا !
 وكنت لهم في السهابة أحوة واقرب وإناء واصهار بين الرجال الدين
 يستون في المركز .
 وكانت لهم عواطف ومودات تعاني مأساة هؤلاء الذين يتنقون السياط
 على الظهور !
 ولهم في حوص الترفة أرض سننزعها منهم الحكومة لشق الطريق
 الزراعي !
 وكانوا كلهم يتحدثون الي بعضهم من هذا الممدد الذي يصنع
 الكوارث لغيره ، والذي يبيع اهله وأرضه للحكومة ، والذي يحاول
 ان يخلص رقاب الناس فيها من طريقهم .. هم الحفراء !
 لكم لمس كل واحد منهم ان يرفع عصاه ذاب يوم في وجه العمدة ،
 ويعظم به رأسه الجبيث الأشيب .. كما يعظم رأس الثمنان الأزرق !
 ومع ذلك فقد ساروا اليه آخر الأمر ليقبضوه من زحام النساء ومن
 يد وصيفة .
 وهمس احدثهم متكاسلا ويقلد صوت العمدة :
 - روحوا ! كلكم مرفودين .. رو .. حوا .. ك .. وكرو .. مرفو ..
 دس !
 وكتم الآخرون ضحكاتهم ..
 وعلى حرارة ضحكاتهم المنكسرة الساخرة كانت تنفجر كل كراهمهم
 سعدة ، وللذين يحكم العمدة باسمهم ، وبعد ارادتهم على مصائر
 اللعابين .
 وصرخ العمدة فيهم .. بصوت كالضجيج اللاهث :
 - انتوا ماشيين على قشر بيض ا قرب أنت وهوه .. اضرب
 يا واد اضرب .. طيب .. روحوا .. كلكم مرفودين .
 وانفجرت ضحكات بعض الحفراء ، بينما رفع عبد العاطي العصا
 وهوى بها على النساء .
 وصرخت النساء واضطربن ، وامسكت وصيفة رقة العمدة بيدها ،
 مضطها عبد العاطي بالعصا على ذراعها ، وظل يضربها حتى تركت رقة
 العمدة ، واستدارت لعبد العاطي فأمسكت بجلابه من عند طوقه ..
 ولكي عبد العاطي ركلها وضربها بالعصا على رأسها وكتفها .. وصرخت
 وصيفة ، وتركته ، وهي تكفي من الألم .
 وتذكرت أنها وهواتها ينده .

احتاج كل يديها بالمويل ، وشرعت تموج غائلة في نحيب مهدح
 ان احدا لم يضربها من يوم ما كبرت .. ولا أيوها نفسه !
 ولكنها اليوم تنتمي الزكلات ولذع العصا من ذراع الولد الذي فيه
 أيوها بين الحفراء !
 ومالت على الأرض ، واللبل يشتر على أشعة الأسيل الحمراء ظلاله
 الدائكة الرقة ، مانسعت حجرا شبت به رأس عبد العاطي .
 واذا رأى الحفراء دم عبد العاطي ، رفعوا عصيهم وهشروا بها على
 النساء ، وهم يتصايحون .. فابتعد النساء .
 وب رال العمدة يرتش ويأس الحفراء بأن يضربوا بأحر ما عنده
 من صوت !
 وبدأ الساء يجتمع قطع الطوب من على الأرض ويقدمون بها
 الحفراء .
 ورأى أعمدة قطع الطوب تتناثر فاحمى رأسه في ظهر عبد العاطي ..
 وكانت أسنانه تعود من الحقول على شياح المساء .. ومن وراء
 البهائم مليات ونساء في ثيابهن التربة السوداء : يلتقطن ما تلقى به
 البهائم ليصنعن منه اقراصا تصبح بعد جفافها وقودا يساع بكيكز
 اللوة .
 كن اذ ذاك محملات الأيدي بالروث وفوق رؤوسهن مقاطع مليئة ،
 وهن يجرين من أمام الحفراء الذين أخذوا يضربون النساء بلا حساب .
 وندات الغنيات يلقين بما في أيديهن في وجوه الحفراء .
 والتقت وصيفة متطع متعما بالروث ، والتفت بكل حنقتها على
 رأس العمدة .
 وذهل العمدة .. وتلطع قفاه ووجهه كله وهماسته البيضاء وحته
 واخذته الرحمة وهو يسمح الروث من عينه . وظل يرقق :
 - بانهاركو امر وسنيل بنيله : آه يا فخر ! يا بني يحرالي كده وانو
 وانفسي .. لينكو زى وشكو .. روحوا .. روحو كلكم مرفودين ..
 دنا حاحلي لينكو زى وشكو ..
 وجرى الحفراء كلهم الى العمدة .. واذا رأوا الروث يقر وجهه
 قال احدثهم ضاحكا :
 - دنا ليتنا .. امال بقى حقيقى زى وشك يا حفرة العمدة ..
 كلك مسك !
 وانعصر الحفراء كلام ضاحكين ..

ووقعوا حول العمدة يسبحون ما تكرم على وجهه وعمامته
وما تبارى على النجبة والقعطان .

بيضا بدا السواد يصرف من مسرعات وقد شامت فيهن الراحة ..
وعلى الوجوه مسحات من القلب .

وتركن العمدة يهدى من العيظ ..

ولم يعد أمام الدوار امرأة واحدة ..

ومفت وصيفة متناظرة ، وهى تحس رأسها وكفها ؛ وتخفى
إلها فى شوة الانتصار .

ورأت ان تنجه الى دكانة الشيخ يوسف ..

وكان الشيخ يوسف اذا ذاك يقف داخل الدكان يضحك ملء فمه ،
والى جواره محمد اخندي بينما وقف علوانى أمامه خارج الدكان .

كانوا كلهم يضحكون فى نشوة مساذجة والشيخ يوسف يحبط
كما هى كف قائلا :

— تسم ابدك يا وصيفة ؟! صحيح بنت محمد ابو سولم ؟! دى
العكبكية ملت البلد كلها يا اخوانى .. لى القنط بالى فيه ؟! والله
براه .. يا سلام يا حدها .. دى عمرها ما جرت فى البلد ..
حاجة حلوه صحيح ؟ لكن ينى ما يعلواش الا النسوان .. ماكانش
تبى من راجل ؟! .. آه يا بلد !

وقطب جبينه لحظة ، والانسامة تفيض من فوق وجهه ثم اكمل :

— من النسوان ؟! يعنى البلد دى نساها طلوا اجدع من رجائنا ؟.

واعترض علوانى قائلا :

— واحنا ينى فى ايدينا ايه وما علباهاش .

فأبته الشيخ يوسف قوله :

— يس يا واد يا هرباوى ! فى ايديكو ايه ؟! طب اسمع ..

ومال الشيخ يوسف على اذن علوانى ، واخذ يهرس فى اذنه ان
يسلو على مجازن العمدة ، ليسرق منها اندرة او اصبغ بدلا من ان
تتشطر ويسرق من مجازن الرجال العائلين ..

واسطرب علوانى وللا ، والشيخ يوسف يفره .

واقسم له انه سيجسبه له كور اللرة من مجازن العمدة بكوزين
وكيلة اصبغ بكيتيى !

والدب الشيخ يوسف وراة ليتأكد ان محمد اخندي لم يسمعه .

ثم مد رقبته وادارها خارج الدكان ليطمئن الى ان احدا على الاطلاق
لم يسمع شيئا ..

وعاد الشيخ يوسف يهرس لعلوانى انه سيكفيه ادى الحفراء ..
حفراء السور عند الدوار كلهم من رجال محمد ابو سولم ولهم اقارب
اعزاء يبيتون فى سحن المركز .. وهم يمتنون ان يقفل على دوار العمدة
من يحطف روحه لا لعله فقط !

واعترض علوانى وهز رأسه ..

ودار الشيخ يوسف الى داخل الدكان ، وسحب علة كبيرة من
السجائر ذات اعزال الاسود وتقدمها الى علوانى قائلا :

— خذ علة سجائر كبيرة ايه .. اخرب يا سيدى سجائر ماكه
والمتج ونزه نفسك ! ان شا الله ما حد حوش .

واشرق وجه علوانى وضحك ..

وناوله الشيخ يوسف كمية من الشاي وقطعة كبيرة من السكر ..
فقال علوانى :

— ناولى كمان حنة سكر ناول ..

فرمى اليه الشيخ يوسف قطعة اخرى صغيرة وهو يتأفف :

— طب اجر بقى .. حاكم انت هرباوى خطاف . ياأقول لك انت
شيخ حجر مش شبح حرب .. وما يلا عينك غير التراب !

وضحك علوانى وقال بحراة :

— دهدي يا عم الشيخ يوسف ؟ . ماور كله بالحساب ! والا ايه ؟ .
ثم تحرل ليصرف ، غير ان وصيفة كانت قد وصلت الى الدكان ،

مع آخر امرأة تمود من معركة الدوار ..

وعندما رآها الشيخ يوسف استقبلها مرحبا :

— عمار عليك يا وصيفة .. يروا عليك يا منى !

ولكنه لوحى بشيجهما .. فلم تكدر فراه حتى تقتنص وجههما ،
وانعجرت فى بكاء شديد كالعويل !

وشعر محمد اخندي بضيق يشقه ، ويطرد السكينة التى غمرت
قلبه لبعض الوقت .. وفتح علوانى فمه وعيبيه ووضع أشيائه على
سك الدكان ،

وتقدمت وصيفة ، واستندت يديها على البك . واقتت رأسها بين
يديها وظلت تكى وتندبها كله بهز ..

كانت ما تزال تعاني من أن رجلا ضربها لأول مرة في حياتها ، وهذا الرجل هو أحد التجار الذين كانوا يحسبون لأبيها كل حساب ، حين كان شيخا للحمراء وحتى بعد أن فصل ! .

وعلى الرغم من أنها قدّمت العمدة بمقطع مليء بروث الهائم ، فهي تشعر أن أحدا لم يكن يجزى أبدا على ضربها ، لو أن أباهما هنا في القرية ! . وهي بعد لا تفهم لماذا يقيم أبوها في سجن المركز ! .
إن كل ما تعرفه هو أن العمدة وحده أراد هذا . . .

وهكذا استمرت تشنّج ، وتقطع دموعها لتساقط الكلمات . لم تحبس كلماتها لتسقط الدموع . . ولم يفهم منها أحد كلاما إلا كلماتها :
- صمان عليه قوى يا أبا الشيخ يوسف ! . .

وأمسك الشيخ يوسف برأس وصيفة بجمان وأبو . . ورفع - بين يديه - جميتها بعينيهما الزاخرتين بالدموع ومازالت على خدها تسيل أمطرات . . .

وأذا نظرت إلى عيني الشيخ يوسف ورأت ما يملأهما من حنان وإشفاق وحزن ، عادت تضع رأسها بين يديها وتبكي وتشتق وتلأل المكان يشعها الفاجح الأثين .

وأفرقت فيما الشيخ يوسف هو نفسه بالدموع . وأخضلت لحينته . . .

وروقت محمد أفندي حائرا . . وقد غاض لونه . . وتذكر أحياء دباب واحتدمت في نفسه الشاكر المضطربة . . وحاول أن يتقدم إلى وصيفة ليقول لها شيئا ولكنه وقف في مكانه حائل اللون بلا حركة ، ومرة أخرى رفع الشيخ يوسف رأسه وصيفة بين يديه ، وقال :

- بكّره أبوكي بطلع يا بنتي . . وأنا هنا أبوكي تمام . . أنا مش هاوز يصحب عليك من حاجة أبدا .

فصاحت وصيفة وقد دغمت في عينيها الدموع :

- يضرهوني يا أبا الشيخ يوسف 19 يضريني الواد بن شليبيه . . يضريني الواد عبد العاطي . . يعني هشان ما أبوكي مش هنا .

وصاح الشيخ يوسف مستبشما :

- الواد عبد العاطي 18 ذا أبوكي خير عليه وعلى أمه وعلى كل سلسالته 11 ذا أبوكي الذي نزله غير . . يا نهار أمير يا عبد العاطي ! .
يعني هشان ما انت داير ورا العمدة 17 . باستنك سوده يا عبد العاطي !
ومشي إلى داخل الدكان ، فأخذ عصاه من على كتاب مفتوح من سيرة 19 أبو زيد الهلالي 4

ثم انعت إلى خارج الدكان .
وقال علواني :

- عى مين يا أبا الشيخ يوسف ؟ اسنى انت وأنا اجيب لك خبره . .

وروقت محمد أفندي يقول يمرارة :

- بقى ما جيشي إلا من عبد العاطي 11 .

وطلب الشيخ يوسف من علواني أن يصرف هو لحاله ، وأقسم ألا يضرب عبد العاطي أحد إلا هو بنفسه . . بيده . .

وتنكا علواني وهو يصرف ، ولم يكذ بمشي خطوة حتى التفت إلى الشيخ يوسف قائلا أن عبد العاطي مقبل وبده على رأسه ! .

وتقدم عبد العاطي يسأل الشيخ يوسف أن يصحبه قتيلا من الين لبسده بها جراح رأسه ، وأن يصحبه روح أنصاع لأن العمدة معنى بنيه في أدوار .

ورنخ الشيخ يوسف عصاه على بث الدكان . ونظر طويلا إلى عبد العاطي وطلب منه أن يتقدم إليه .

وقالت وصيفة :

- أهو جه أسي ينشك في قلبه عبد العاطي . .

وطلب الشيخ يوسف من عبد العاطي أن يتقدم أكثر فأكثر وعندما وقف أمام الشيخ يوسف ، هوى الشيخ بكفه على صدره عبد العاطي . . ورنت الضربة في الفضاء . . ووضع عبد العاطي يده على صدره فوق مكان الضربة ، فهوى كف الشيخ يوسف على الصدغ أثنى ، وهو يصيح فيه :

- نبي تضرب بنت أبوك محمد أبو سويلم ! تعرف تضرب وصيفة يا قبير الحجر 11 .

وذعر عبد العاطي ، وأزلك . . وحاول أن يقول شيئا ولكن الشيخ يوسف زمجر فيه :

- أخرس يا ولد . . أخرس 11 انت حائر عليه 18 ؟ . . هاير تدوق فيه وإلا انه ؟ ندي تحشش لى وشي ؟ أخرس 11 .

وأخرس عبد العاطي .

وروقت وصيفة تتأمله يارتجاج ، وبدا الأرض يشيع في نفسها . . وبعد قليل سعل محمد أفندي ، ورجا الشيخ يوسف أن يسع

عبد العاطي روح الصالح ليعمل حياة العبد ، فهذه مسألة انسانية ..
فانتم اليه الشيخ يوسف محققا :

— اسكنت أنت يا محمد أمندى بلاش فلسفة كدابه .. بلا كنت انسانية !! هو العبد كان عنده انسانية ! هو فيه في قلبه رحمة ! ..
الي تحطف روحه !

وكالما وقع عبد العاطي — من كلام الشيخ يوسف — على حقيقة جديدة تسمح له الراحة . وكأنه وجد آخر الأمر طريقا يضي فيه مستريح النفس بعد طول ضلال .. فلم يكد يسمع كلام الشيخ يوسف عن العبد حتى قال بارتياح :

— أي كده !! الهى يا شيخ !! الهى تحطف روحه .. ده واجل سو طول عمره .. ذا والله يا ابا الشيخ يوسف بعد ما حدثت منه وانجرححت عشانته وهتبت على بنت ابوى محمد أبو سويلم .. بعد كل ده يقوم بدور فيسا انغرب .. ويطيح فينا بالركوب أنا وبقية العفرا !! وأدى يا سيدى آخر شدةنا مع الاندال وتمينا !!

ولجأة رنت ضحكات وصيعة في صفاء مشرق .. كأنها لم تترك ابدا ..

وناق وجهها كله ، وفتحت صدرها .. واتثنت الى الوراء . وسطعت في نحرها الوضاعة ..

واستمرت في الضحك وهى تقول :

— الا يا عم الشيخ يوسف ! لو كنت شفته ساعة ما لبسته — اسم الله على مثاقم — معطف المسكة !!

واختلطت الضحكات ، وأسرف محمد أمندى ولوانى في الضحك . وحاول كل واحد منهما أن يقول لميليا ضحك منه وصيغة .

الا ان الشيخ يوسف التفت الى ولوانى وأمره أن يضي من لوره الى الحقل الذى يحرسه على الجسر ..

ثم ناول عبد العاطي قليلا من البن ، ونصحعه أن يفسل الحرج ويضع عليه الن ، ويربط رأسه بقطعة من القماش ..
وانصرف عبد العاطي ..

فتحرك الشيخ يوسف طالبا من محمد أمندى أن يحرص الدكان ، وسيبقى هو يتنصع مع وصيفة الى دارها .. وحين كان يتصرف أوصى ولوانى بأن تهتم بالسر الذى بينهما !!

وعرض ولوانى على الشيخ يوسف أن يستريح ويقعد فى دكانه كما

هو ، وسيرافق عنوانى وصيفة الى دارها ، ولكن الشيخ يوسف زجره ، وانصرف بوصيفة ، فابتلع محمد أمندى كلمات كان يحاول أن يقولها ..

وعلى باب دار محمد أبو سويلم طلب أنشيخ يوسف من وصيفة أن تظمن وأن تهديء نال أمها فسيعود أبوها الى المد ..

وعاد الى دكانه على الفور . يوجد بعض الفتيان يقعون على مغربة من دكانه في الطريق ، يحكون كيف شرب العبد « طاسة الطرية » بعد أن أخزعه هجوم المساء ..

كانوا يمسى الذين تحفلوا في اندرة أو المدس الغريبة ، وعادوا منها ليعيشوا في القرية بلا عمل ولا أمل ، ولا شيء غير الذكريات ..

وكان الشيخ يوسف قد لاحظ وهو يمر مع وصيفة أنهم يسطون معرضين به وبمسينته في الليل مع وصيفة .. على عادة أولاد البندر حين يجدون رجلا مع فتاة ! ثم سمعهم يتفمززون عليه وهو هائل .. وكان يعرف جيدا منذ كان في القاهرة يدرس في الأزهر ، ماذا يبنى هذا النوع من التماسر والصال المصطب .. وما يمكن أن يعقبه من كلمات !

وأعص فطيمه ، فسأل واحدا منهم أين من يكون .. وماذا يصنع في القرية .. ثم سأل الكشي والثالث والرابع .. وأجاباه الفتيان باستحجاب ..

وهو لجة بكته على وجه واحد منهم وهو يرتعق فيه :

— تقى يا واد يابن مسعود متى هارب أن خالك محسوس فى سجن المركز والمعدة هو الذى حسسه ؟! بدل ما انتم وأعين كده عواظلة ومسيبين شعوركم زى السوان ، تمشروا بالرايحة والجاية .. متى هاربكم تشوفوكم شيله ؟ خاتكو الفم .. طب روحوا اعدوا حتى زى النشوان ماعاولو في المعدة !

ثم انصرف على الفور وهو يعل ، دون أن يسمع أحدا من أحد ..

وفي اليوم التالي كان الشيخ يوسف أسعد أناس في القرية ..

بعد حمل اليه ولوانى كسين كالمى من أدرة العبد وكيسا من العمح . ولما رأى الكمية أمامه كثيرة حاسب ولوانى عليها كاملة كما هي وحمل من وعده بأن يحسب الكوز كورين وكيلة القمح كيلين .. وأكفى بأن يحطه حقه كاملا هذه المرة ..

أما العبد فقد أحس أبدأ انليل يدبب أقدم — عند مخدومه — فوى حجرة بومه .. وحاول أن يستبعد بأنغراء فلم يصح اليه أحد ..

وأصبح مع العصر .. فجمع الحفراء ليعول لهم :

— انتم كلكم موالسين مع الميسال العاطلية التي راحمين من مصر والبشر .. طيب والله لأردكمكم النهاردة كلكم .. انتو فاكريتها بلد من غير عمدة !!

لم ركب بعته ، وانشمس لم ترتفع بعد عن الأفق الشرقي ، وسار وراة عبد العاطي .. ولم يكن من حفراء الحراسة في الليل .. واتجه الى البحر من وراء الحمول خلال طريق آخر غير الطريق المعروف . كان العمدة ذاهبا الى عصبة الأتقيم في هذه الساعة المبكرة ليكون من أوائل شهود استقبال ورياء حزب الشعب ..

ولم يعاول أن يعطيطب مع أحد من القرية كي طلب المأمور .. فقد كان يعرف أن الذين بقوا في القرية سيرفضون .. حتى الشيخ الشناوي الذي لم يرفض للعمدة طلبا من قبل .. ربما رفضه هو الآخر !

ومن أجل ذلك فلم يشأ العمدة أن يرسل إليه أو يرسل الى أحد غيره ليتجنب حرج اعلان العصيان ..

وغل العمدة طول الطريق مهموما بفكر في القرية المنعمة !

ومن يدرى ماذا يمكن أن يحدث في القرية بعد !!

لقد أصبح من الممكن أن يحدث أي شيء فظيح .. ولقد بدأت الأشياء الرهيبة بالفعل .. أشيائه لم تحدث من قبل أبدا !

النساء يفرين برونث الهائم ، وفئة ثوراء من جهته وتقطعنه ، ومائة تحفه .. وفتين يسرقون الملة والدرة من مخازنه !!

كل هذا يحدث .. يحدث ذفيرة واحدة بعد أن سحن الرجال !

لو انه على الأقل يصرف من هو الذي سرق القمح والدرة من مخازنه !!

وحاول أن يسأل عبد العاطي ، فبر انه تعاسيك ، فيجب أن يبدو أمام الجميع — حتى عبد العاطي — وكأنه يعرف كل شيء !

ولم يكد يصل الى المركز حتى دخل الى المأمور .. فاحسن المأمور استقباله . فقد كان واسع العود بين عبد المركز ، كان أكثرهم قدرة على إرسال الهدايا ، والخدم والحامدات ، وفي ساعات الصيق كان أكثر العمدة قدرة على نخدة من يستعده من رجال المركز ..

وهمس للعمدة في أذن المأمور أنه يجب الإفراج بعد الاحتمال من رجال قريته ، وإلا فلن مكانه كمعدة مسجيع ..

ووعده المأمور حيرا ، وهو يقوم وبعد ويرد على اتليفوات ويسهر الجود ويسأل عن عدد الدين احتشدوا في كل شارع لاستقبال الزوراء ..

وهمس للعمدة في أذن المأمور :

— دي أسلده هربت معامى عشائر الرحلة الجوسيين ! ، اقول بث ايه .. يعني أحكي عالي يجزى في اسبله ! ويعطين مقامى راج ينزل حاصل !

وأكد له المأمور أن الإمراج سيستم اليوم .. بعد انصراف الزوراء ..

ولم تكد شمس العصر تميل الى الشاطئ اعبري عبد الهر انصمير حيث كان الشيخ حسوة ، ومحمد أمدي ، والشيخ الشماوي يصلون العصر في المصبي المعلقة عند جيميرة عبد الهادي .. حتى اعمل الشيخ يوسف صبرها فقال لهم أن أحد العتيايل العائدين من المركز أخبره أن الرجال قد أفرج عنهم ، وأنهم عائدون على أقدامهم ، وقد سبقهم هو بحماره منذ ساعة .

وتهللت الوجوه .. ولكن الشيخ الشناوي قال بياس :

— يطلعا !! يا أخى .. بذلك !

وسأله الشيخ يوسف لماذا غير عادته وترك المسجد ليصلي العصر هنا عند الحميرة .

فاجاب الشيخ حسوة بناية في الشيخ الشناوي أن كل مكان يصلح لأن يكون مصلى .. وكل مصلى في مسجد .. وقد جاءوا الى هنا تحية لعبد الهادي .. العالبي !

وسأله الشيخ الشناوي بدوره لماذا ترك دكانه !!

وقبل أن يجيب الشيخ يوسف حمل الأقمص الصامت رجع زغاريد من بعيد ..

وقال الشيخ الشناوي مضطربا :

— دهده يا اخواني ! هي البلد جرا لها ايه ؟ نسوانها مالهم كده ؟! بيرغردوا ليه ؟! الر شد الاستقلال ! ولا يعني الرجالة رجعوا من سحن المركز !!

وأسرع الشيخ يوسف نحو القرية وسقه محمد أمدي ومن ورائهما الشيخ الشناوي والشيخ حسوة في خطوات سريعة .

كانت القلوب تتعق ، ودقاتها تفرغ الصدور ، أسرع من وقع خطواتهم السريعة الملاحفة ، والبشر يضيء أوجوه ..

وعلى أبواب القرية ، كانت القرانيد تتعالى ، وصيحات العرح تملأ
الامايق ، والأطفال يرقصون فى الطرقات .

كان كل شيء فى القرية يرمض ، والدماء يعض الاميق ، والأصيل
ينسكب على القرية بالواو الورد ..

وكان النساء يزغردون ويسعين بلا انقطاع ..

صحيح .. صحيح ! لقد عاد الرجال !



طلب القرية تنهاس - محزوبه - بقصص حجية من
المدنية منذ عاد منها الرجال ..
ويوما بعد يوم استطاع دياب أن ينصب طوله ، رغم
أن آثار الحرب خللت على ظهره المتورم الممزق ..

خرج « دياب » إلى حقله لأول مرة .. وعلى الطريق امتدت عيانه إلى
الحقول الواسعة الرحيبة من حوله ، فامتلات نفسه بالطمأنينة .. ورأى
أعواد الأذرة قد شبت عن الأرض ، فأبتسم ..

وما زالت الحقول الريانة المصراة تحمل إليه أملا ..

حتى بلغ حقله ، فوجد اللورات تمتنع عن القطن الجديد ..
وكان القطن المفض يظهر من بين اللورة كأنها هو حياة بأسرها
تشرق دفعة واحدة ..

وعاشت نفس دياب بالفرح ، وأوشك أن يشعر ..
وحاوذ رأس الحقل ، ومن بقطيرة الماشية التي تمود أن يلقى صديها
خضرة وأحس ببعض الوحشة ..
ولكنه الدفح إلى الحقل ، كأنه ينتزع جسده من زحف الوحشة
عنى صدره .. ودخل حقل القطن ، وتعمس الأعواد الزاهية ، والقطن
يشعر أمام عينيه بياضا رائقا ..

ثم احبني على الأرض ونفسي تزخر بالحنين ، والإحساس بالمقدرة،
فأمسك قطعة من الطين الحاف ، وفركها بين يديه ، وترك قرانها يتناثر
من بين أصابعه ، والمشاعر الجبهة تفر منه الجوانح إلى الحلق ، وتهتز
حده الأعصاب ..

انه ليسش الحنطة بمرديد من الأشياء .. أشياء لا يفهمها أبدا كل
الدين طبروه فى السجن .. حتى الأمور ..

كلهم لا يستطيعون فهمها ، وهو بعينه لا يعرف ماذا يعانى !

ولكنه يدرك على الأقل أنه لا يوجد من يستطيع أن يترعه من حقل
القطن الذى وصح فيه البذور على مهل ، وزواه متحدية أواخر رجال
الري ، وهوى قوقه بالعاس فى الساعات الملتبهة من السر ..

لا أحد .. لا أحد يستطيع أن يقتله من هذه الأرض التي يغرس فيها دميه ..

وتذكر دياب نجاة كل ما صنعه به في المركز - كيف أدلوه وحرموه الأيام الطوال من هذا الحل !

وهز رأسه ، وارتفعت أفافسه .. ثم مسح بكفه المستربة دموعا تساقطت من عينيه ، واختضعت بثراب الأرض ..

أما عبد الهادي فهو لم يرقذ قى بيته حتى ينصب طول له كما رقد دياب .. وانما خرج من أول يوم إلى طرقات القرية ، يروي للناس ما صنعه أولاد البلد بالأمور أثناء استقبال وراه حزب الشعب ..

كان عبد الهادي يرفع رأسه ، ويفتح صمغته أكثر مما تعود ، وكانت سرعات صوته تملأ في وهو وتخللها الضحكات دائما .

ومع ذلك فقد كان في كل جرة من بدنه أثر لضربة أو صفة أو ركلة حتى لسانه ولسه ..

ولم يجرؤ أحد على سؤا به عما حدث له ..

كانت القرية كلها تعرف ما حدث للرجال ؛ وكيف أكرهوا على شرب بول الخيل ، وكيف حلققت شواربهم ، وكيف هوت السباط على الوجوه والأبدان ، وكيف كانوا يؤمرون بانجلوس على خوازيق .. وكيف كان الواحد منهم يضرب ويضرب إلى أن يفقد الوعي ، ولا يبرح بعد هذا يضرب إلى أن يصبح انه امرأة .

على أن الرجال العائدين من سجن المركز ، يذكرون لعبد الهادي نضجائه ثم يش إبداءه امرأة .. ولم يشرب أبدا من بول الخيل ، أو يجلس على خاروق .. إلا وهو في شبيوة ! ..

ولقد ظل يضرب بالحق ، ويركل ، ويلهب بالسباط حتى أغشى عليه عدة مرث ، وذات مرة عندما أغشى عليه أجلسه على خاروق وسدوه ، وورقوه بعد قليل ورموه على الأرض ، ثم فتحوا له فمه وصبوا فيه بول الخيل .. وعندما أمات ظل يشتم ويتهدد فكاثروا عليه واثقوه بالصلال ، ثم حققوا شارب ..

وهكذا صمما « بمحمد أبو صويلم » .. وأزالوا له شاربته اللطيف القديم ، الذي تستخفي شرافته السود في الثمرات البيضاء ..

ومع ذلك ، فقد شخ عبد الهادي برأسه في القرية ، وكتم آلامه في الضلوع ، ومضى يحكي عن استقبال وزراء ، وحزب الشعب ، ويذكر ما حدث للماور ، ويطلق الضحكات ..

في ليله ريادة الوزراء ، فوجئ كل من في سجن المركز ، بسباب كثيرى ، من المدينة يخشرون في الحجرات المجاورة .. كان بعضهم يلبس اللاتيل ، والبعض يلبس اللبل ، وكانوا يهتفون ضد حزب الشعب ، وتطلق حناجرهم حارة باسم مصر والحسرية ، والدسور ، والأمة مصدر استنطت ، والاستقلال ..

وكانوا يستنرحون من الهباب أحياء ، فيتحدثون على الاجليز ، واسك دى الشارب المبروم ، وما تصنع المصالح بالرجال ! ..

وهي كل ساعة من الليل كانت حجرات سجن المركز تستقبل آحزين ..

كانوا جميعا من طلاب المدرسة الثانوية ، ومدرسة المعلمين الأولية ومدرسة الزراعة المتوسطة في عاصمة الاقليم ، وكان من بينهم بعض الطلبة الذين يدرسون في الجامعة بالقاهرة .. والذين صنعوا هناك المفاجرات طول الشتاء ، وقد أقبوا في الصيغ ليصفقوا الاجارة مع انهم ..

وكان من بينهم بعض التجار ، وامسحو الأحذية ، والباعة المتجولون ، والعامون ، وعمال مصنع حنيح القطن .. والذين يشقون في الطرقات بلا عمل ولا ذكريات ولا أحلام ! ..

وعرف رجال القرية من خلال الأحاديث أسماء بعض التجار الذين يشتري منهم « الشيخ يوسف » حاجرة القرية من البعاه ،

وكانوا كليا أقبنت عليهم جماعة جديدة استقبلوها بالهتاف والضحكات ..

ومن خلال أحاديثهم فهم عبد الهادي كثيرا من الأسرار ، فهم أن الاجليز هم الذين يحكمون في مصر الآن ، وأن هؤلاء الاجليز والذين يستخدمونهم سيرولون تحت الضربات ! ..

عرف أن ك شيء مصيره يتصل ، فادامت مصر ترفض أن تستمب .. وذهل عبد الهادي مما سمع .. وأحس بأنه خالص جديد ينس في أطرافه ويسمعه الصقوان ..

وعجب لهجة الصافية التي تحدث بها هؤلاء المحسوسون ، وعجب - أكثر من أى شيء - لآيائهم الخارق بأنهم سيطردون حزب الشعب ، والذين وراه حزب الشعب ..

وظل ينظر إلى محمد أبو صويلم فوجد عينيه تلتصقان .. ورأى شحوب دياب قد أحد يرول والشم الأحمر ييجرى من جديد في سمره وجهه ..

وعاد عبد الهادي ومحمد أبو سويلم ودياب يتصمتون ، ونظرانهم إلى بعضهم تحمل دعوة المشاركة والإهتمام ..

وسموا المسجونين الجدد يتحدون باسمهراء عن الرصاص والموت والحكومة في مصر .. وأحسن عبد الهادي أن هؤلاء الناس هم أقوى من الحكومة في مصر .. الحكومة التي ترعش المدين والمأمور !

وقال أحد المسجونين الجدد : إن الحكومة لفرط شعبيها قد أمرت بأن يسجن كل الدين يشتبه في عداوتهم لحزب الشعب . فأضاف زميل له أن مصر كلها عند لحرب الشعب ، والحكومة في مصر تأمر المديرية بأن تجس اعداء حزب الشعب ، لأنها تعرف أهم سياسائي الورداء أثناء ريازتهم عن الدستور الذي ضاع ، وعن الانتخابات الراتمة ، وعن حريات هذا القريب أو ذاك المصديق ، وحريات كل الوطنييين انشرفاء .. ماذا صنعت بها الحكومة !؟

وسيسال الناس وزراء حزب الشعب عن الأزمة وماذا صنعت لها الحكومة .. وعن الحقون التي تحرب ، والماء الذي يسلب ، وعن الطعام والقماش ، ونال الذي لم يعد يدخل الجيوب ، وعن أصابع التي تفصل العمل بلا حساب .. وعن الأرض التي تستولى عليها البتوك !؟

كانت الحكومة تعرف أن الناس سياسائيون ووزراءها أثناء الريارة عن الكساد والجوع ، والأولاد الذين يردون من المدارس ونظرهم الدين لا يجدون أماكن في المستشفيات .. وعن حق كل إنسان أن يعمل ، وعن حق السكينة في أن تترك ، وعن كل ما يورفه الدستور ، ويمسسه الأسلخير ، والمسدس ، وحزب الشعب !؟

وظل عبد الهادي ومحمد أبو سويلم ودياب يسعون الأحاديث المخبية من الحجرات المجاورة ..

وحس دياب في صوت كالآين :

- أدي الفهم صحيح .. شوف يا خويا ، ولا هانهم سجن .. يانهار أرقق يابا محمد يا أبو سويلم ..! أباريا مش هامين أيها حاحة !!

وانتسم محمد أبو سويلم وعبد الهادي وأبقيا على دياب نظرة مقعقة .. وسكنت دياب ، وأحد يصفي باهتمام وتفتح إلى الأحاديث في الحجرات المجاورة ..

وعند الفجر دخل المأمور الحجرة التي استلقى على أرضها الصابرة الضلمة بدن دياب ملتصقا بمحمد أبو سويلم وعبد الهادي ورجال من قريته . ومن قرى أخرى مجاورة ، جاءوا كلهم من أجل محاللت الرى .

وتعمد المأمور في الحجرة يدوس جدرانها الغليظ إصدام الرجال بلا مبالاة .. ومن وراءه بعض الجسود بالبنادق التي تلعب في أطرافها السكى .

ووقف المأمور قليلا ، وتأفف من الرائحة .. وفام الرجال ووقعوا متلاصقين يحمقون في وجهه ، وهي وجه الجنود من ورائه .. وإلى البنادق !؟

وقال المأمور إن أصحاب المعالي ووزراء حزب الشعب يشرفون المدينة بالريارة في الساعة العشرة تماما .. وحزب الشعب هذا هو الذي دفع الديون عن العلاجن ، وجريدته هي الناطقة بلسان الشعب !

وقيل أن يستطرد المأمور ، قاضيه فلاح من قرية مجاورة للمركز فائلا ببساطة إن حزب الشعب دفع ديون محمود بك لا غير ، وحاله الآن معدم بعدما كان لا يفتي اللقي .. أما العلاجون في قريته فحزب الشعب لا يدفع لهم الديون ، وإنما يستولى على أرضهم ليشق فيها سكة زراعية يربدها الباشا !

واقترح الحديث فلاح ثا من قرية مجاورة أخرى ، فأقسم أن الحكومة حجرت على أرضه همه لأنه لم يدفع المال ، بينما تركت أرض الخواجة صاحب الخمار المشهورة في المركز .. وتدخل رجل ثالث ، مضحك من كلام المأمور وقال له إن الحكومة لا تدفع ديونهم وهم لا يريدون منها دفع الديون ، وإنما يرجون المأمور أن يتوسط عبد الحكومة حتى لا تسرق منهم ماء الرى ..

وكان المأمور ينقل بصره بين الرجال الذين يتكلمون ويذهبهم تتحسس أجسادهم المرفقة من لدغ السياط .. وكظم غيظه ، وقال يهود أن العلاجن الثلاثة الذين تكلموا هم حمير لا تمنع ، وسيربطهم طول النهار في اسطل الخيل .

قال المأمور كلامه هذا يهود تام ، وأدار نظراته قليلا على وجوهه العلاجن الذين وقفوا متلاصقين من كثرة ما لا قوا ، ثم استمر يشرح بنفس الهدوء نظام استقبال الوزراء ، ويصيح مكان العلاجن في هذا الاستقبال فهم بعد ساعة سيخرجون تحت الحراسة ويوزعون على أوصغة الشوارع في طريق موكب الورداء إلى قصر الباشا من محطة السكة الحديد إلى نهاية المدينة .. وحصرة ملاحظ البوليس عنده أوامر بأن يعطيهم إشارة بيده عندما تقترب العربات التي تحمل الورداء من المحطة إلى قصر الباشا . فادا رأوا هذه الإشارة فعليهم أن يبدأوا الهاتف .

وإذ ذك قاطعه رجل يسأل ببساطة :



— دعوى ايه .. تحيا مصر ؟ ولا يحيا العدل ؟ ولا يحيا الوطن ؟
وفى نفس الهدوء أشد المأمور دايه ، واكد له انه هو ايضا سيربط
مع اسلانة الآخرين فى اسطول الخيل طول النهار ..
وعدد يكمل بهنوه ، فعد لنفلاحيين ان عليهم أن يسموا معا .. وأن
يقولوا . « يعيش جلالة الملك العظيم » يحيا حرب الشعب يحيا صدقي ..
واستمر المأمور يقول انهم بعد هذه التفاعلات اسلانة يجب أن يكرروا
هتافهم « يحيا صدقي » .. وعينهم أن يقولوا هذا الهتاف بنهم ..
وبدا المأمور ينفى هتاف « يحيا صدقي » بنهم متتابع راقص وهو
يصنع بديهة على السلم ..
رغم أن أحد الفلاحين فى أدن جاره أن المأمور يصنع كالمطابق
تماما ..

وابتسم الرجلان وسدولا احمدا لصحك فرأهما المأمور .. وارتفع
صوته وهو يهجر عنيهما بالشتائم والصفعات ، وأمر الجنود الذين كانوا
يقفون وراءه أن يضربوا الرجلين قبل ربطهما طول السوم فى اسطول
الخيل ..

وقبل أن يترك المأمور الحجرة الصيفة ذات الرائحة القشة صباح :

— ايا حانفتى من العسر ده !! ياللا بأه .. هه .. عاوز أشوف كده
فهمتو ولا ايه .. قولوا ورايه : يعيش جلالة الملك العظيم .. يحيا حزب
الشعب .. يحيا صدقي ! ياللا معايا ع الواحدة : يحيا صدقي .. يحيا
صدقي ..

وترددت أصوات الفلاحين متكاسلة بلا نهم :

— فليحيا الملك .. يعيش حرب الشعب .. يعيش صدقي ..

فضرب المأمور الأرض بقدميه فى عصبية ، واحد يصلح الهتاف ،
وصرخ فيهم أن يلوحوا بأيديهم وهو يهتفون ، وأن يقرعوا ويرقصوا ان
استطاعوا ، لأنهم فرحون بزيارة وزراء حزب الشعب !!

واقسم أنه لو ضبط واحدا منهم يهتف بلا سرور ، أو متلبسا
بانكسل ، فقصيبته سوداء ، وليلة بلده كلها طين !!

واستدار ليخرج ، ولكنه توقف عن فكرة التمتع فى خاطره :

— لارم تهتفوا بنهم .. فاهمين يسى ايه بنهم ؟؟ فيه طبل بلدى ..
الطبل يزمر وانتموا تهتفوا وراء .. بنى ترعوا وراء على النخبة يا غم
.. اسم زمان كسوا بتولوا انه أيام الهوجة ؟ مش كتم نتقولوا : يحيا
سمعد .. تمام نفمة يحيا سمعد !! وفى الانتخابات تنفيلوا تقولوا ايه :

يحيا الزوفد .. متى كده ؟ أمي يحيا صدقي تمام على نعمة يحيا الزوفد
.. قولوها على نعمة يحيا الزوفد تمام .. مفهوم ؟

وشرح مسرعا ..

وشرعت جموع نضالين تندفق من دار المركب ، وقادتهم فصائل
لجود إلى أماكنهم على جانبي الطريق ، واشمس تشرق على المدينة .

ولم يفتح الدكاكين أبوابها كالمعتاد .. وانتشر العساكر يسكنون
أصحاب الدكاكين الصغيرة من أقيمتهم ، ويجرونهم في الشوارع ،
ويأمروهم بأن يفتحوا الدكاكين .. وكان العساكر يحيطون الأبواب
أحييت .. ويمنحون الدكاكين بنسبهم ويضعون عليها أعلام صميرة
للرية .

وعلى كبر من الدكاكين كانت الأعلام ترفرف ، والأبواب مفتوحة ،
ولا أحد على الإطلاق في الدكان ..

ومع ذلك فقد هبت الشوارع نفسها حانية كأنها هجر المدينة أهلها
.. وساعة بعد ساعة ازدحمت أروسة الشوارع بالأساس ، وما زالت
الشوارع خاوية ، والشمس ترتفع ، وأشعتها تحمّل لحظة بعد لحظة ..

وتعرف عبد الهادي ومحمد أبو سليم ودياب على بعض الوجوه من
بين البدين يراحمونهم ؛ وجوه جنود طربوهم بالأس أو أول أمس ،
ونكسهم الآن يعمرون في الطريق بإحالييل .

ولم يجد لهادي وجه شعبان الذي غاب عن القرية منذ زمن ، ولحم
أحد رجال إباحية الشرقية من بعد وجه صديق قديم من قرية مجاورة ،
كان قد حكم عليه بالسجن منذ ثلاثة أعوام في قضية قسّم ماشية
العمدة .. ولكنه لم يكن يلبس ثياب السجن .

وفي الحق أن جوارب الطريق من محطة السكة الحديد إلى خارج
مدينة كانت تزدهم بالمساحين والحدود .. وكلهم بإحالييل ..

وفي الطرقات البعيدة كانت موسيقى البوليس ، وموسيقى الأحداث
والصوت البلدية ، تملأ بلا القطار تجمع وراها بعض الصبية ، فيبتلعنهم
ملاحظ البوليس وأمهمهم بالدخول في الصفوف على جانبي الطريق الممتد
من محطة السكة الحديد إلى خارج المدينة .

وامتدت اللافعات الكثيرة تعرض الشوارع تحمل أبنائها من الشعر
تحت لأبطال حرب الشعب ..

ورسّنت أسطح البيوت نساء كثيرات ، ولوح المأمور من على حصانه
الأبيض .

— زعرتي يا مرة منك لها ؟ ..

واطلقت من هنا وصياك الرعايد .

وحين كان المأمور يمر بين الصفوف على حصانه الأبيض ، صادى
باعة الجرائد يصطفون من المحطة ويسادون على انصبغ المارسة ..
فاستودعهم وأمر رجاله بالاستيلاء على الصحف ، ووضع البائعين وسط
الصفوف بالوعة .. ليكونوا هم أيضا في استقبال ورواء حشر
الشعب .

وأحد المدير يروح ويهيء في عربته ومعه وكيل المديرية ، وفي عربة
أخرى كان الحكماء يراقب الاستعدادات والاحتياج بالريادة ، ويشرف
على وضع المخبرين أمام الصفوف هنا وصياك ليدأوا بالهتاف ..

وأصدر المأمور تعليماته إلى فرق الموسيقى وأطلق الهللي بالوقوف
في أماكن متباعدة على طول الطريق ، ودخلت الموسيقى تعرف وتطول
تدق .. فهبت رجل من البدين وصمغ انصبغ أمام الصف ، ويردد
الأشرون الهتاف ..

وصاح المأمور وهو يراقب تزديد الهتاف :

— علوا أصواتكم شوية .. بحساس شوية كده .. هروا أيديكو ..
واترقصوا علامة الاحتياج يا غنم .. اترقصوا واحتفلوا ..
والشمس ترتفع ، وترسل أشعتها حامية .. والمأمور يروح ويهيج
ويامر في لهجة :

وطلب المأمور من بعض الضباط أن يذهبوا إلى كل المقاهي المفتوحة ،
فيستقوا من عليها الناس إلى الاحتفال .

ثم أطلق المأمور إلى المحطة بصحابة الأبيض ، فأنهى نظرة على لأعد
والعد .. وركب بصحابة على طول الطريق ، وهو سطر على الحاسن
.. وحسن لنفسه :

— ممشي أحسن من كده .. استقبل شفي مفتخر !! ممشي مأمور
عمل كده .. الواحد هلي الأقل يضع من الاحتفال ده مساعدا حكماء ..
ودخل المأمور إلى نهاية الطريق عند أحسن أمدة ، ثم لوى سنان
حواده ، وأطلق بحرى به إلى المحطة قائلا :

— خلاص القطر قرب يوصل .. استعدوا! تمام .. قتلوا أصواتكم
وبهروا أيديكم وتهتفوا عالمهم وترقصوا من كثر العز ..
ثم طرأ إلى أعني ، على أسطح بعض البيوت وهو ما يزال عول في
لهجة امرأة :

وبعد قبيل هبط وراء حرب الشعب الى المحطة ، حيث كاسستهم العربات ومن حوينا الأعيان والعمد ، وعدد من الجنود .

وتحسرت العربات بالوراء تشق الطريق أثرى من المحطة الى قصر الباشا ، في ضيعه القرية من المدينة .

ومضت العربات بضعة أمثار وسط هتافات « يعيش جلالة الملك العظيم ، يحيا حرب الشعب ، يحيا صدقي ، يحيا صدقي » .

كانت العربات تسمى على مهل ، وهي اعترار ، وعلى جاني الطريق ترقرق الأعلام ، فوق لافتات كبيرة كتب عليها بيت من الشعر الركيك ، فيه لحن حبيب ومدح .

وتعالت الرغابيد من فوق أسطح البيوت والمأمور بكل كبرياته ورصاه على نفسه — فوق حصانه الأبيض الى جوار العربات وهو يلوح بيده للنساء وللدنين يهيمون .

وقطع المركب نصف الطريق ، بين أرضة زاهرة ، وهنا وهناك رجل يهتف « يحيا صدقي » والآخرون يرددون الهتاف على وقع الطبل الجليلي وموسيقى الأحداث .

وهجاء على نفس النغم ، استرد الزائفون كلمات النغم ٠٠ أصحبل كلمات النغم ٠٠ كلماتهم التي تضطرم في الصدور ٠٠

وانعجرت من كل مكان هتافات مجتمعة :

« تحيا مصر ٠٠ تحيا مصر ٠٠ »

واضطجعت المدينة كلها بالهتاف المنوع ، وانفجعت الأيدي ، وسرت في الجموع حدة صادية وغليلان .

وتدفقت من الحواري والشوارع الخلفية هواكب عديدة مشوجة ترجم الطريق الكبير الذي تمس به العربات ، وأحد الناس يتواثبون ، وهم يرقصون على الهتاف « تحيا مصر ٠٠ يحيا الولد ٠٠ »

وارداد الناس التصافا بعضهم ، فزادهم الالتصاق احساسا بالهوة ، وعمرهم شعور بالكبرياء ، والامتياز والظفر .

واسرعت العربات بالوراء ، في نفس الطريق الذي كانت تقطعه ، مهمل بالمرار ، ومازال الأعلام تجعي فوق الأعلام المزدحمة بصارات الرحمة ٠٠

واضطرب المأمور ، وروع على ظهر حصانه أكثر مما روع ورر ، حرب انشمب داخل العربات .

ولكن المأمور حصانه فوثب ، واقتحم الجموع ٠٠ وتعالى الصرخاب ، وما زال الهتاف المنوع يرجح المدينة ٠٠ وأمر المأمور الجنود أن يصروا اساس ٠٠ فانفجعت صرخات النساء من فوق أسطح الدور ، وهي يوحس ناديهن في وجه الرافزين « أحيه عليه الساء ، أحيه عليه الساء » وكانهن يستمن حارة شاب مات غريبا !

ودحر الحكهان ، غزل من هريته مضطربا يصيح في الصيحات الصغار أن يقتضوا على الناس ٠٠ ونزل المدير من هريته هرتيك فامر باطلاق الرصاص على المتظاهرين ، وبالقصاص على كل أهل المدينة ٠٠

نيسا وقب المأمور يطعم خديه وهو يجيل يجرع قاتلا نعم جانري ، على وقع صرخات النساء ، كالدبابات تمدا :

— مازح في داهية كسا ٠٠ أحيه علينا كسا ٠٠ أحيه علينا ٠٠ أحيه علينا !!

مازال عبد الهادي يروي هذه القصة كل يوم لأهل «عربة» ، وهو يتخسس مكان شاربته الحقيق ، ثم يرفح رأسه ويقول :

— أدى احبا طيرنا لهم المأمور وانحكدر كسا ٠٠

وقد ظل عبد الهادي يذكر محمد أبو مسويلم بقصة الاستقبال والإتهاج ، وبعبالة المأمور عندما أطلقت عليه هتافات أرحان من على الأرض وصرخات النساء من الجو ، عوقب يطعم كالمسوا .

وكان عبد الهادي يطلق صرخات صافية راصية ٠٠ وهو يتحدث في هذا كله ، ثم تلتحم عينه ، وهو يحكي ما سمعه من حجرة الطلبة والحداد الذين انقروا في المركز ليلة الاستعداد بالاحتفال ٠٠

ما زال عبد الهادي يروي أفعاله بسخرتهم في الدين وصعومهم في السجن ، ويؤكد لأصدقائه في القرية ، أن هذا انصبغ من الناس لا بد أن يكون قد تعلم أسرار الحياة من مظاهرات اشتوار في الماسة ٠٠

غير أن محمد أبو مسويلم كان يسمح لكل هذا وتأمل انصحاب والرهو وفي الأعناق من نفسه شعور مخيف بالهزيمة والصياع .

وعندما حاولت امرأته أن تهو عليه ، واقتربت منه ذات ليلة لئلا يذلت أوزام يده المحقق من كثرة الصرب ، سحاه بضيق ، وهو يهس نادع بكلمات من موال حزين :

روح يا زمان روح وحلييا بملايكا

احسا اسبوعه وحت الياح ملتنا ..

ثم احد يردد في حجرة ابياتنا فلها ابو زيد اهلالي همدما همره ذات
ابن غم ، فاحسب امراته راسها ، وتضمت ، ووفرت .

وطال نادى محمد أبو سويلم أنته وصيعة في اسيل قبل ان ينام ،
وباسمها وهو يقلب الدموع ليعاود سؤاليها في ثائر :

— بقي الواد عبد المصطفى من دون القفر هو اللي ضربت ؟ يا سلام !؟
عبد المصطفى ؟

وكثيرا ما تحسس محمد أبو سويلم شاربته الحليقي في خشن تحاطه
الحرابة ، كندا هو هربا لا يقوى على استرداد ملابسه من يد قوية ! .
وكثيرا ما لمعت أمام عينييه — كالمغاريث — صورة العساكر الذين
أوقفوه بالحد ، ليحفظوا له شاربته ، والمأمور يدخل عليه ليده أمام رجال
القرية والعري المحاورة ، ويطلب منه ان يقول انه امرأة !

بعد ظل يصر الى المأمور اذا ذلك والشر يطاير من عينييه ، ودون أن
يعول كلمته ، يجمع كل لمايه وحسنه وكيريانه المهدرة ، وقذف بها في بصقة
كسرة هلى وجه المأمور ..

انه لا يدرك ما حدث له بعد ذلك ، فقد تشابكت أمام عينييه السياط
والعصى والأحدية كلها تهوى فوق يديه .. وأحس وهو ملقى على ظهره
بعداء المأمور يخطط رأسه ووجهه .. ثم غاب عن الدنيا ..

وبعدما كان هو غائبا عن الدنيا تماما في سجن المركز كان الولد
عبد المصطفى يصره اسه وصيعة أمام دوار العمدة ..

وعنى الرغم من أن عبد المصطفى ذهب الى محمد أبو سويلم فقبل يده ،
ورأسه ، وتكى في بدم ، وطلب منه أن يصره بالمركوب أو التلفة تاديا
له على ما صنعته مع وصيعة .. وعنى الرغم من أن وصيعة نفسها كتبت
ما كان من عبد المصطفى وقدرت عنده .. وعلى الرغم من أن أهل القرية
حدوه بالكبار مما لقي العمدة من وصيعة .. فان محمد أبو سويلم ظل
مطأطأ الرأس ، كسير الصوت ، مهروما أمام نفسه ، يذكر بالهجرة ، ان
استه وصيعة كانت تصرف عبد دوار العمدة ، وهو غائب في السجن تحت
أحدية الحدود .

ثم يستطيع أحد على الاطلاق أن يخضع عن محمد أبو سويلم وأصبحت
كلمات الشجعان تريده شعورا بالمرأة ، والهزيمة !

بعد ضربه هو في السجن كما لم يتحبل ابدا .. ولو انه كان حصا ،
عبد الحكومة لكوا أكثر اشعاعا عليه .

ان المأمور ادى أمر بصرهم وبتحديهم لا يستطيع أن يقف في شارع
أمنية ويصنع مثل هذا بحيوان .. يكذب أو يهط .. سيحيل من الأبطال
والنساء ، ويخاف من رؤسائه ، ومن امتعاض الأصمقاء !

وردا صليت بحسبه الجمعيات المدينة التي تدعو الى الرفق بالحيوان
.. ولن يستطيع على أية حال أن يخطر في وجوه أولاده الصغار أو روحته
بعد أن يعذب حيوانا ما على هذا النحو !؟

ومع ذلك فهذا الرجل نفسه — من يدري ؟ — ربما كان يروى
بمخار لأمراته أمام الصغار كل ما صنعه بالرجال ..

وربما عارست زوجته — وهي تسمع — احساسا عثوقا بالاعتيسار
والكبرياء !!

وهكذا ظل محمد أبو سويلم — خلال الوجيعة — يصحب لهذا الصنف
من الرجال ، ويتساءل لماذا قدر عليهم وحدهم في القرية ان يعاودوا مثل
هذا العذاب ! ومع ذلك فلو أنهم تمكنوا من المأمور لما صنعوا به كما صنع
بهم .. لو أنهم قصصوا عنييه لعاملوه كما يعامل هو كلبه على الأفل !
بحقن !

ولم يرق هذا الحال للشيوخ حسوة ولم يخف ضيقه بمحمد أبو سويلم .
ان محمد أبو سويلم لم يثق أكثر مما لقي عبد الهادي أو دياب ، أو
الأخرون ، ومع ذلك فعبد الهادي يملأ القرية من اوان يوم بحكاية استئصال
وزراء حزب النشعب ، ويقلد المأمور حين عاجاته الهفافات العدائية ..
ويقلد دياب حين كان يقرر من الفرج ويشترك في التهاتف بظهره المنحني
من كثرة مضربه .

ودياب نفسه يسمح هذا ويضعف ، وهو يخرج الى المعتقل ويعود كما
كان .. والرجال الآخرون عاذاوا كلهم يعملون ، كما صنعت بهم الحياة
دانسا ..

ولماذا لا يتصرف محمد أبو سويلم كما تصرفوا !؟ ..

لماذا يجعل هم الدنيا فوق جماعه !؟

انه لم يعد يخرج الى المسجد .. ولم يعد يسهط لكلام الشيوخ
الشساوي ، ولم يعد يستطيع أن يرفع رأسه ليكلم أحدا .. حتى صديقه
الشيخ حسونة !؟

وهو يخرج الى حفلة في العجر ، وبمعمد به طول النهار ، ويترك

اباسي يقولوا بك يا محمد أمدي .. حليت صور وأمدي صحيح ، افرا
بجرايد يا احي .. سعد باشا قال ما فيش فايدة طول ما الاصلير صا ..

وكان قد بلغا جبل العطر ، وابقض محمد أمدي وهو يسمح تقريع
حاله ، وخشي أن يستمر في تأنيبه ، حتى يصل الى جبل محمد أبو سويلم
.. وكان محمد أمدي طوال الطريق يسير متطح من حاله خطوة ،
تأديا منه وخشية ، . واستبق محمد أمدي حاله ، وتقدم إلى جبل
العطر ، محاولا أن يعير الحديث :

.. طيب العطر حضرتك .. انفضل هنا فوق الرابية .. هو حال
خالص .. داخا صحنها سطحها وخليها مصيف مصبح .

وأبدى الشيخ حسونة رضا عن اهتمام محمد أمدي وأخيه دياب
باصلاح سطح حطيرة البهائم ليكون مكانا صالحا للعطس في الصيف .
ولكنه لم يتقدم ..

وسمع دياب صولها ، فرحب بهما من داخل حطيرة البهائم ، وخرج
تستقبلهما مسرعا ، وسلم على الشيخ حسونة وقبل يده وهو يقول :
.. العيط نور .. النيطان كلها نورت يا خال !

وأبسم الشيخ حسونة ، وتابع سيره على الطريق الضيق الى حقل
محمد أبو سويلم ، ومن رآه محمد أمدي ودياب .
وقال دياب وهو يقترب من خاله :

.. شاب القطن يا خال .. احنا زارمين الحنة كلها قطن : فيطنا
والعيط الى احنا رآكبسه من الشيخ يوسف ! والله لو كان العيط ده
لسه مع صاحبه الشيخ يوسف كان طلع قطه خباب ، وذهبان .

واسرع محمد أمدي وهو ينظر الى أخيه محنقا ، يحاول أن يعير
الحديث قبل أن يرد خاله ، فقال :

.. إلا يا خال !!

وسكت دياب ، والتمت خاله اليه وهو مازال يسير ، وتمحج محمد
أمدي قليلا ثم استمر يقول في تخرج :

.. ألا محمد أبو سويلم دا بقي حانوق امتي ويرجع ري ما كان ؟!
دا ملول قوي ومهزوم قوي وحالته نقت حال .. يا ولده .. حتى
وصيفة سته ذهبت هه كمان وخست خالص ..

فقال الشيخ حسونة باستنكار :

وصيفة تحجل أنه عذاه هناك ، ويعود مع أول الليل ، ليحكف في داره
حتى المص .. وهكذا يتجنب .. على قدر ما يقدر .. أن يراه أحد أو أن
يرى أحدا !

كان الشيخ حسونة يعكر في هذا بعد صلاة العصر في المسجد ، وحتى
خرج قال له محمد أمدي :

.. تعلى تشق علىعطي يا حال .. تجنب حصرتك تشق عالقطن في
حوض البقرة ؟

فقال الشيخ حسونة

.. ياللا ، ياللا تشق على محمد أبو سويلم كمان ؟

وسار الشيخ حسونة من القرية الى حوض البقرة ، في طريق صيق
تترامي على جانبيه الحقول .

وعلى جانبي الطريق .. بدت أعواد العطن حصراء مصرية ، تترجح في
هرال تحت اليباس ، وترنح الى جوارها في حقول أخرى أعواد الأداة ،
أو يشتد حقل صمير من البطين يحوطه بلباب ذو أشواك ، تقوم سنانها
وحدها بذور الحراسة ..



كان الصمت يهيم على الحقول ، واشمة العصر الصفراء ، تغطي لكل
شيء ، لوبا شاحبا ، وتحمل الطلال في الفضاء طويلة كالأضنياع !
وقال محمد أمدي ليقطع صمت خاله :

.. شاب يا خال ؟ حصرتك شاب العطن عامل ازاي ؟ البودة ماحلش
السده دي .. لكن قطباسم الله ما شاء الله صاحب وعال .. أهه قدامنا
أهه يشرح القصب ! ان شاء الله يرعي كويس أحسن من قطن البلد كلها ..
ان شاء الله يرعي زي قطن العرب والوسايا ..

فالتفت اليه الشيخ حسونة ليقول بمتور ..

.. برمي ؟ برمي ولا برمي ؟ .. وابه العايدة ما دام بانتراب ؟ ..
ما فيش فائدة .. سعد باشا قال ما فيش فايدة .. شوق .. ميمك من
الكلام ده كله .. هوه القطن راح يصلح حاله اندا .. لا انك يصلح
حالها ، سقي القطن يصلح حاله ..

وسكت قليلا قبل أن يكمل :

.. شوق .. اطرد الانجير واطرد حرب الشعب كمن ورجع
الدمستور ، والقطن يبقى عال .. وللا انت لسه مش غام ؟ يا محمد ،

ـ معجيه .. وات شانت ايه يا احيا ؟! مالك انت ومال بنته ان كانت دهانه ولا حاسة ؟ هو اب يا اخى بتورنها ؟! اما يرو ؟!

وبنت محمد امدى ولم يجب .. بينما حقيق دياب وتحت معه فى دهشة كبيرة ..

وسار محمد امدى وراء حاله يهر المشقة وقد احى وانه .. ومن وراءه سار دياب ..

وعلى كوم سباح مرتفع كان محمد أبو سويلم يستلقى تحت ظل شجرة التوت .. ورائى الشيخ حسونة مقبلا ، فقام متثاقلا يرحب به ، وأسرع الشيخ حسونة فصعد كوم التراب .. وحط نفسه الى جوار محمد أبو سويلم .. وحاول محمد أبو سويلم ان يقوم ليحيى بفيط يفرشه على التراب ولكن الشيخ حسونة قال متبسطا :

ـ يا سيدى .. والتراب ماله .. نحن منه واليه .. وخفناكم من تراب !

وخحك محمد امدى وهو يجلس الى جوار خاله .. وعلى مقربة منهما ، هند منحدر كوم السباح ، جلست دياب بعيدا عن الظل فى أشعة العصر العائرة ..

ونفض محمد أبو سويلم أخيرا ، رغب الانحياح عليه إلا يقوم ، فقطع طبيعة كبيرة من حقل البطيخ امدى يستلقى تحت الكوم أمام أفراد النطن وشرب محمد أبو سويلم الطبيعة بيده ، وفحص عبقها ، ثم رماها بثقة أمام الشيخ حسونة ..

وأخرج محمد امدى المدية من جيبه ونطحها بعمائة ، وشق الطبيعة ثم تركها مفتوحة ـ فى الشمس ـ ليبرد قبقها الأحمر .. وبعد لحظات بدا يقطعها وأعطى لخاله وللآخرين ..

ونجاة قال الشيخ حسونة لصديقه القديم محمد أبو سويلم :

ـ قل لى يا محمد يا اخويه .. انت معوم قوى كده ليه ، وشبابيل الدنيا على راسك ؟! دا أنت حقتك تخرج قوى وتبسبط قوى .. مش المأمور أنتقل الواحات والحكمدار راح أسوأ ؟! يا راجل دا انت وبغية الرجال عملنوا عمه مبرها ما حرت .. دا انتم هديتم المركز .. قليلتم المديرة كلها .. وان شاء الله برصه تفنيسوا الحكومة .. بنى رحانة البلاد انتانية الى كاترو معاك عاملين زيك كده ؟! ولا رجالة بلدنا ما كلم يا اخى مسسوطى .. حد بيعمل زيك كده ؟ وياه يمسى لما اتخسنت ؟! حس ايه يمسى ؟! يعنى ايه الحيسى يعنى ؟! وياه يمسى لما المساكو مدرو ايديهم عليك

لا هي رجولة من الفساکر ، ولا صعب منك .. يا راجل .. دا سمعد انجس ، واتنى كمن .. ذك الحكمدين يمسفروا .. يا راجل مسكر فى اسي عسوه .. حد كان يتصور ان الورداء يحصل لهم كده ..

وبامت عينا محمد أبو سويلم ، وتذكر مظهر الورداء داخل العربات والتمائم تطاردهم ، وتذكر حالة المأمور ولهووجه ، وتربحة وهو يلطم على وقع صراخ النساء ، وبرقع كامرأة تدب ، والحكمدار يشتبه فى خرع ، والذين يهرول الى الحكمدار ليستمه هو والمأمور بينما الرجال على جانبي الطريق يموجون ويرقصون صائحين فى هم قاصف .. يحيا مصر .. يحيى الوفد ..

لسكان محمد أبو سويلم يذكر هذه الاشياء لأول مرة ! لقد كان هو اذ ذاك يهتف مع الناس ، والحرارة تلب فى عروقه ..

وهى هذه اندكريات ، شعت فى وجهه المصفر اول ابتسامة منذ عاد من المركز . وقاد برشا انهم حقا عموا ما لم يصل من قبل ، وانهم هزموا المأمور والحكمدار نفسه ، وانهم يستطيعون ايضا ان يهزموا انعمدة ..

فتحمس دياب وكان ينهش قطعة من البطيخ اعطاه له محمد امدى ووقف فى مكانه ورمى بعيدا قشر البطيخة ذى اللعده الأبيض بعد ان اى على الجزء الأحمر منه ، وقال :

ـ عمدة ؟ .. عمدة ايه يا ابا محمد ؟! سلامات يا عمدة ! ابقى بعد الى عملنا فى الحكومة حاي تقول لى عمدة ؟! وايش يسكر ؟! وذا يستعمل ايه ت ؟! وايمد البى لولا اللاملة لرمينه فى البحر .. دا احنا نودر الحكومة الكلى فى مصر .. مش تقول لى عمدة ؟!

وفضح محمد أبو سويلم قائلا :

ـ يه .. يا واد يا واد ..

ورضع الشيخ حسونة امانه قطعة البطيخ ، ومسح يديه وهو يقول فى اية : ان كل ما حدث كان تجربة يمكن ان تعلم الجميع اشياء .. ومحمد أبو سويلم لا يحب ان يهتم بشئ فهو رجل عاش فى الطبخ وانتاج اياما طويلة عندما كان يحارب فى الشام لسبب لا يعرفه ، وترك هناك اصدقاء ، ماتوا قبل الأوان دون ان يعرفوا لماذا يموتون .. وبعد هذا كله عاد من الحرب يحاول ان يبني له مستقبلا فى القرية مع زوجته وبناته الساتية من اولاده الثلاثة ، ولم يمت لانه هاد فوجد ولدين من اولاده عد اربعتهما الحى اياما قليلة ، ونزفا مع الولد دماء وصديدا له .. مانا .. واحدا بعد الآخر ..

معامله وياب :

— دا على كده لو ماحرقوش المعج كما باكن عيش مع في قمح بدل
العيش الدكر انى هدى كيد، ده !! يا بهار آزرى ! وكمان ببحروا العطن
اللى ببحرقوا ! واللى راح يرموه البحر ليه ؟! طيب بصوا سا مفسد
س .. خطي انشج يوسف يصح به حتى .. خلييا شرب الفهود من
غير مسكه ..

وصحت محمد ابو سويم .. وحده يظن انى الشنج حسونه
بصاحت ، ولم يخرق محمد امضى على التفكير فيما يقول حله ، ولم
يستطع ان يسأله لماذا يبحرقون المعج والمطى في الدنيا الجديدة ،
بسما لا يجد اناس في مصر قروش يشترون بها الملابس ، والعلاصون
تمزق امزهم من خير الدرة الجوف ..

لم يستطع محمد امضى ان يوجه كلاما انى خله خوف من هجوم
حاله انى لا يرسم ! ولكن محمد ابو سويم تسائل لماذا يبحرقون
المطى .. لماذا لا ينسوه ، ويبجوه قماش نفوش قليلة .. ولماذا
لا يبيعون المعج لبلاد التي تاكل الدرة .. او انى لانجد ما تاكله ؟!
وهو الشنج حسونه راسه ، وفكر قليلا قبل ان يقول :

— لو عملوا كده مايكبوش نى ماهم هديرين .. فيه واحد كتب
مذلة في حريدة صغيرة وكان بيقول في المانة ان لو العالم ماطمعي
في بعضه .. وكل واحد افشعل واندون تبادلت مع بعضه ، ده يدى
قمح ويحد قطن ، وده يبيع قماش ويشترى ذرة ، ماكانش حد جديع ،
ولا يبنى فيه أزمة ولا اتحير .. وكاتب المذلة ده بقى نزل ثرية حاندة
على الانجليز وصدفى وبرادع الانجليز ، قامت الحكومة قاعة اتجريدة
وحاساه تفهمه في الذات امكية ، ومحاوله افتيال صدفى
وقلب نظام الحكم كمان ! شفت بقى ؟ !

وتهد الشنج حسونه ، وهو يسترجع ماقرأه .. ولكنه في الحق
لم يكن قد فهم كل ما في المقال الذي يشير اليه ..

وسكت .. وخيم على الجميع صمت ، وهم شاردون في معنى نظام
الحكم وفى أشياء اخرى كثيرة اثارها كلام الشنج حسونه !

ومالت النمش نحو المص ، وبدأ الشنج حسونه يحرك ،
والحساس بالراحة بفره منذ رأى صدفه محمد ابو سويم يصحك ،
وتحدثت ساطة ، وسأل عما في الدنيا .. والدنيا العديدة ..

واقبل غلام من القرية يحرق ، تسلم على الشنج حسونه وقتل يده
قائلا : ان الشنج يوسف يريد منه ان يعود الى القرية في الحال .

ولم يبق في الايام الطويلة الى عاشها يرجف على بطه في التلج
واروجل تحت العدرات السامة ، وبين ارضاص ..

ولكنه مد عاد الى القرية بى بلعمل حياته اتجديه وحلج بسا
حديده هي وصيفة ، وحلج من ارجل والموت بعنه تجربة يفيد منها ..
ورجل كهذا لا يمكن ان يصير شئ معه يكن .. فالحرب والمصائب
في الشام عنته كيف يكره ويقاوم اندي ارسوله الى هذه الحرب ، ولقد
احسن مفاوضاتهم في ثورة سنة ١٩١٩ .

والتمديد في النسخ عنه كيف يعنى في وجه المأمور ..
وعلمه كل هذا كيف يصف بحبة مصر في وجه ورءاء حزب الشعب .
وسخت دماء محمد ابو سويم وهو يسمح هذا الكلام ، وامتلا
بالزهو ، واشهور بالقدرة .. واحس ان الشنج حسونه يوقظ في بعضه
اشياء كانت نوثت ان الموت ، وشعر باب ذكريات ما صنع في الايام
الماضية تدفعه الى السيطرة على اياه القسه ، واستمر الشنج حسونه
يقول :

— يعنى هما رايعين ببحرمونا من انهار ؟ ! يا هم ! حايحرمونا يعنى
من اوكتيين الهوا ؟ خليها على الله ! !

وسك الشنج حسونه قليلا ونظراته تمتد الى الحقول الشاسعة
الحصراء .. وسرت الريح انماثة بوشوشتها بين امواد الدرة ، وصحرة
الاصيل تسكب اوانها انشاحة .

واطرت كل الدروس ، والنفوس تفيض من المشاعر المحتلطة .
ولفاعة قال الشنج حسونه :

— شافين ابرة دهان اراي ؟ اهم الانجليسر .. الانجليز يرموا
الدرة للحماير في بلادهم والمصلحين مشي لاقين الدرة هيا .. وفي
الامريكنين .

وانتصب دباب مبروها :

— للخنازير .. الحلايب هناك ياكلوا الدرة .. على كده بقى
السى آدمي ياكلوا قمح في قمح ..

ونظر الشنج حسونه الى محمد امضى ليقول قبل ان يستطرد :

— يعنى لو انت تقرا حرايد كان على الاقل دباب اخوك يصبره
الحاجات دي ..

ثم استطرد بكل حديثه الاول :
— وفي الامريكنين ، يبحرقوا المطى ويرموا الن في البحر نالطيطير
وبيلوا قمح تكفى ليطل المصري كله .

عن محمد أبو سويلم يعق وانفعال :

— دهدي ! ! حرايه كمن ؟ ..

واحاجه العلام يدعي :

— أنا ما عرشي ايبا حاجه .. لكن يا محمد الحكومه حب في دوار العملة .. وحياتوا الليلة ويقوموا من فخر الله القوي عشان يدقوا الحديد تناع الرراعية الحديدية !

كان واضح ان الشيخ يوسف قد انزعج ، فارسل غلاب يستدعي محمد أبو سويلم والشيخ حسونة ، مدحرف أن رجال المساحة قصد اقنوا الى دوار العملة ، لتحديد مساحة الأرض أنتى ستنزع ملكيتها من ربم القرية لشق السكة أنراعية .

وصاح محمد أبو سويلم :

— ما نهار امري يا اولاد ؟! تاني ؟! أيوه ياسيدي ، ما هم ماشيين في الرراعية ري المحراب في الأرض الطرية !! أيوه ياسيدي .. الرراعية مشيت خلاص وحصلت سدنا .. الدور على بلدنا .. كله يومين ويبططوا الأرض ..

وعاص لون الشيخ حسونة وجع حلقه وقال أب القرية قد جريت كل شيء على إيه حال .. ويهب ان تنفيذها التجربة ..

بعد أن لها ان تنفيذ من التجربة ..

ونفض الجميع ، وفي صدورهم تنزائل أشياء ..

كان نبضهم يحقق بشدة وهم يقولون بأصوات وهيبسة مخنطة :
ان الأمور دخنت في الحد ! !



حاول محمد امندى ان يقول شيئا ، ولكن الشبح حسونة حال يقتصاب وعصامة :

— امشوا يا ..

وانعلت من على السكوم ومضى مسرعا في الطريق الى القرية ، ومى وواله محمد امندى ودياب .

ولحق بهم محمد أبو سويلم يسحب جاموسته ، وعصوده يملو ويهبط ..

كبت الأشعة الساحقة النهارية تحتفى في ظلال المساء ، وانهار يعوت بين أيديهم ..

واتأخر دياب قليلا ينظر محمد أبو سويلم ، ثم زعق لجأه :

— يدقوا حديد الرراعية ! ! بقى جاين يدقوا حديد الرراعية ! !
هيه الحكاية خلاص ؟ يا حدوا منا الأرض عشان يعملوا زراعية للباشا !
سلامات يا باشا ! ! وأيمان النسي يا شيخ لارميهم لك في التربة ، وحياة النبي لارمهم زرع يصل .. يا حدوا منا الأرض أزاى ؟
وكان صوت دياب كلما ارتفع امتلا بالحرارة ..

ونظر اليه محمد امندى متمجبا لجرائه أمام خاله .. ولكن خاله لم يقل شيئا ..

وتقدم محمد أبو سويلم يسحب جاموسته ويشربها بكفه قائلا في حق :

— حى .. حى ياللى تمدبى انت وخره ..

وتعركت الجاموسة من خلفه ، فصاح :

— يا حدوا منا الأرض أزاى بقى يا حفرة الناظر ؟ ! يا خدوه أزاى ناواد يا دياب ؟ ! هه لمة باوله ؟ ! يا خدوه عشان سراية الباشا ؟ !
شى الله يا باشا ! !

فقال الشيخ حسونة يهدء يحفى الطليان والالهم والاضطرام والإلارة :

— يا سيدى .. أبش على بالهم يا محمد يا أخويا ؟ ! هه كانوا شاموا من البلد إيه يسكنهم يا أبو سويلم ؟ ! لازم البلد توريمهم الصير الحمر ؟ ..

فانصر محمد أبو سويلم :

— شافوا من البلد إيه ؟ دا كله ولسه ماشافوش ؟؟

ثم استطرد متوعداً :

— طب ياب حاشو عوا ..

وشرذ لحظة ثم أكمل :

— طب لسا أقول لك ..

أركب من العجر وروح هالركو فهمم أنهم مش اشطر من الإنجليز .. مش أقوى من الإنجليز .. قول لهم كده .. لا هم أكثر من الإنجليز اللي احنا بهدلبهم ، ولا احنا أقل من إيهات اللي بهدلوهم أيام مراكبي ، واحنا هو واحد بنوع سنة ١٩١٩ ؟؟ هه .. أنا هيا زى الحداد .. فهمم كده .. ياخدوا منا الأرض ؟! ما يمكنش إبدأ .. والله ما هم فاحتين إلا على رقاس ، جاهم حش رؤسهم !! يحيى .. كانوا يفلحوا معنا فى الانتعابات .. ماجابوا لنا الهجانة .. عملوا إيه ؟ يا جندع قول لهم دا الإنجليز هم هنا حرقناهم بالحيا .. يا نهار امبر همي دول حكم وعلى ذى حكومة !..

ولم يحب الشيخ حسونة ..

وسكت محمد أبو سويلم هو الآخر ، وأخذت صور الأيام الرائسة المسافية تطول نكل خاطره ..

حدث هذا أيام ثورة سنة ١٩١٩ .. كانت مواكب الزجال تطلق ، وأهيرة كلها تهتف : « يحيى العدل » وأعلامهم يرددون :

« يا انجليزى يا حرامى أصولى »

« خدت شعيرى وقمعى وفولى »

وكان الشيخ حسونة يرفع يديه ويلوح بأصبعه وهو يقول :

« وبلا استقلال أشمر »

فيرد رجال القرية :

« رفسم انف الانجليز »

وكان الصغار وألعتبات يتصايحون على أنغام راقصة :

« الله حى ، سعد حاي .. مع يا مدلى ، اركب ياسعد »

وكان الإهبات سفين الأطفال ناعية تقول :

« عاصمة مراكى .. قاعدة تدادى .. يحيى الأوطان »

كان كل شيء من الحقول ، وتحت البيوت الداكرة ، وعلى المراكب



الليثة بالتراب والوحل والدياب .. كان كل شيء يهرس ويسحق ويعلى
ارادة حياة جديدة في وجه اعداء الحياة .

وذاث اصبل شاحب من اول الصيف ، كان له مثل شجوب هذا
الاصبل ، هبط على القرية مشروب جديدا من الانطير تحمهم البقال ،
وتعمر رهوسهم وحياهم الطاسات الحاسية ، وتبرز من حنوبهم
فوهات التدق والمسابك والمدامع الزشاشة ..

وسكروا عند اول حرن وحدود قريبا من جسر النهر .. واخذوا
يقلمون امواد القمع اليابسة من الحقول ، ويقدمونها ببغال ..

ودعمت القرية ان الانجير سيسعدون كل حقول القمع في حوض
النهر ..

ولو انهم تركوا حتى يدخلوا القرية في الصباح فسيتزهون من بيوتها
الحبل والفضائل والرجال ، والطعام . والدجاج وحلي النساء ، والشرف
كما يصعدوا في كل قرية طلسمها عنتم من قتل ..

وسهر الشيخ اشناوي في المسجد مع الشيخ حسوية والشيخ
يوسف ومحمد ابو سويلم .. وسهر معهم رجال آخرون ، وارسل اليهم
العمدة يقول انه معهم ولكنه لا يستطيع ان يظهر بلتايد .. وفي الحق
انه كان في تلك الايام يتف مع انقرية دائما ، وبعضى من اوامر الحكومة
بمهادرة ومكر حتى لا يؤخذ ..

وفي الساعات الحاشكة من الليل قل انجر ، قام محمد ابو سويلم
ومعه بعض الرجال والفتيان وغابوا قليلا في الدور ثم خرجوا كلهم الى
حوض النهر ..

كان كل واحد منهم يحمل قطة او كلبا صغيرا ، عند في ذنبه شريط
قماش ملل بالتورول ..

ورجعوا على اسطون .. والقطط والكلاب تحمض بلا راحة ، ويدي
الرجال على امواه الحيوانات الصغيرة ، كيلا يطلق نباح او مواء او صوت.
وظلوا يزحفون في صبر حتى اصعدوا امام الحقول المحيطة بالهرن
الذي يسكن فيه الانطير ..

واوقد كل واحد منهم عود كبرت في الشريط المربوط بذبول
الحيوانات ، ثم قذفوا بها الى حقول الحطة ، فطلعت تهرج بجسوس ،
وشعل النهمي في الاعواد اليابسة حول الهرن الذي يقيم فيه عسكر
الانطير ..

وفي لحظة ، اصبح العسكر كاتما هو عقرب كبير حاصرته دائره كبيرة
من لهب ودخان ..

ولم يكن فضل الصباح حتى كان الهرن هشيما يحسب بعديا عنهم
محرقه ..

مازال محمد ابو سويلم يذكر تلك الايام ، ومازالت في الاصابع آثار
عقة كلب او قطة .. ومحمد ابو سويلم يذكر ان الشيخ حسوية هو اندي
اتنكر هذه الفكرة لمأومة الانطير .. وفي تلك الليلة لم يحاول الشيخ
الشساوي ان يتحدث عن بحاسة الكلاب ..

ومنذ ذلك اليوم لم يحاول الانطير ان يرسلوا الى انقرية رجالا
آخريين !

وان اهل انقرية يذكرون ان سعدا واصحابه عادوا من المنى بعد
هذه الحادثة بام ، وان اندي حكم عليهم بالاعدام والسجن في مصر ،
اخرج عنهم بعد عودة سعد ، واطفوا مع الحياة ، في الحياة من جديد !

والشيخ حسوية يسترجع هذه الذكريات كلها ، وهو يمضي في
اتريق العالم الى القرية فشرق في نفسه ثقة بالمستقبل .

كان الانطير في تلك الايام اكثر قوة واعظم بطشا .. اما الآن فمما
عساهم يصنعون بالقرية هم وحكومة حزب الشعب ؟

وتقول انطير حسوية في منية ليقول لمحمد ابو سويلم :
- ابو محمد ياخويا كان غيرهم اشطر .. شيرشي الزهق بيخشل
انواحد ينسى اللي فات ..

فقال محمد ابو سويلم بصوته الذي عادت اليه طلاقته :

- باقول لك مديش فايده من الكلام اللي بيعملوه ذا كله .. سعد
دشا قتل ما يموت قال لهم سيكوا من الكلام ذه .. قال لهم ما فيش
فايده .. والله ياشيخ طول ما احنا واقفين لهم كدهه بربطة الملم ..
لا حكومة ولا عمدة ولا باشا ولا انطير ، ولا ايها واحد بيدر بطول صا
مطال ..

وتحمس دباب ودخل في الحديث :
- ابو يا محمد معوم .. احب زى الجدار ..

وهو الشيخ حسوية راسه في رضا ..
وتتامت حلوات الرجال في صمت ققطته هجمة محمد ابو سويلم .

- ابو يا دباب بس الزمن كاسر .. ايه ..
وتنهذ محمد ابو سويلم ، وكاتما عاد اليه احساسه بالهزيمة وهو
يشيع سطرانه آخر اشباع من النهار .

وتتم بصوت حزين :

دا نا جميل صيب ، لكن علني الجمال
لوي حرامي وشيبي تليل الاحمال
٢٠ نا ولدي ٢٠ ٢٠ ولا تنى اقول ٢٠ ٢٠

وبطر الشيخ حسونة اليه في صاب ، والابتسامة تسيل الى غضون
وجهه قائلا :

— ودا ثرومة ايه يعنى يا محمد ؟! ثرومة ايه نقى ؟
وتدخل دياب قائلا بثقة :

— سلامتك من الاله يا محمد .. دا انت سبع .. احنا السبعوية
ومين يعالينا ؟ .. هه ؟!

ثم توقف قائلا انه هائل الى الرربة لبيت مع اليه ،

وعاد دياب الى العمل ، فيما تابع الشيخ حسونة سيره ، ومن ورائه
محمد امدى ، ومحمد ابو سويلم بحر الحموضة ،

وكبوا قد بلغوا مدخل امرية .. فراوا الشيخ الشناوى مقبلا ، وهو
يدعك لحجته انصارية البيضاء ، وحبات مسحقة ترطهم ببعضها مرسله
أربعين العمود الذى ينهب بيوت افريقية الى مقدمه ..

وكان الشيخ الشناوى يهر راسه ، ويقبض يده فى عجب .. وكال
يسرع فى خطوه الى الجامع ليؤذي العرب ،

وبداه محمد ابو سويلم ، فاستدار الشيخ الشناوى الى طريق
حوص التربة .. ووقف مكانه ، وهو يكتف ضحكته ، ويصيح :

— عيلها الواد بن اسما ايه .. عيلها الواد شعلان .. بالبلعة ..
شوقوا ابن الحرام ؟ ضربهم بالبلعة ..

وتأملت كلماته فى مسكاته المتكررة ، فسأله الشيخ حسونة عن
الحبر والسيرة ومن رجال المساحة ..

فقال الشيخ الشناوى وهو ما زال واقفا فى مكانه يضحك :

— الواد شعلان موتا من كثر الضحك .. أما حنة دور .. ما يتوع
المساحة خدوا وكابهم وطلعوا عاملهم راحمين المركز ، والواد بيجرى
وراهم بالبلعة ..

فرجع محمد ابو سويلم بضيق :

— طون نالك يا سيدنا امان لما نفعهم ايه البحر وانه السيرة ! هو انت
مادانتش الشيخ يوسف ؟! دانت لنا امهم بايتين هه انيلية عشان بدتوا
الجديد من بحر الله القوى ،

واحابه الشيخ الشناوى والعصا مابحت تملت مستريلة من
بين شعبيه ، وتقطع كلماته :

— دهدي ! انت مسكك ليه ؟! ماقلت لك الواد شعلان الجدول
طاح فيه بالبلعة .. ناقول لك رجعوا اسرركوا لى هرياني من صرب
اللامؤاحدة .. تعال احطف لك ركعيني تعانه .. تعال احسن اتويسا
على المغرب .. ياللا سحق المغرب ..

فقال محمد ابو سويلم ببساطة وهو يشير الى جاموسه :

— والجاموسة آتيجي وخره تحطف ركعتين ..

واغرق محمد امدى فى الضحك ، وابتسم الشيخ حسونة وطب
من انشيع الشناوى ان يروى لهم ماحداث حاولت لم يضع لصلاة المغرب
.. غير ان انشيع الشناوى لم يكن يستطيع ان ينظر ، وليس غيره من
يقوم بالادان ..

وصفى الشيخ الشناوى مهرولا الى الجانح ..

وصفى الاخرون مع محمد ابو سويلم الى داره ليترك الجاموسة قبل
الذهاب الى ذكاب الشيخ يوسف ،

وامام دار محمد ابو سويلم ، وقب الثلاثة ، وخرجت وصيفة من
الدار على صوب ابيها ، واقتت نظرة سريعة على الشيخ حسونة ومحمد
اامدى ..

وتسبح محمد امدى قليلا وهو يرى وصيفه تسلم على حائه ،
فمين بقامتها العارعة العله ، وتضع شعبيها الملبثين على يد خاله ..
وتمسى لو تقى دسامة شعبيها ذات يوم على يده .. أو وجهه ..

وحلب الشيخ حسونة يده بسرعة ، وودت عن كتف وصيفه ونظر
الى وجهها الرائع الجميل ، وسعد قائلا :

— رشا يحميكي ياشي .. رشا يحميكي من شر الزمان .. ويسسا
يسترها ويأكي ..

وقبلت وصيفة لآبها حقة :

— مادريتش بابا هالى حبرى فى دوار العمدة .. ماعرفتش الشح
شعلان عمل ايه .. ؟!

فتدخل محمد امدى متظفرا وهو يصططع الجرة ..

— هو شعلان يى شيخ كمال ؟! شعلان نقى شيخ ؟! دى طلبت ا
وسحكت وصيفه على استعاض ، ورمب على محمد امدى ظره
سرعة من عينيها الواسعة الطولة ، وهسرت راسها لشعره الكـ ..

المستند بحسب الطرحه الريعيه السوداء . واحذب حل الجاموسة من يد اسيا ، ودخبت بها الدار ، يسما كان الشبح حسونة ينحصر وجه محمد اهندي ويقول يتأنيب :

— جرى ايه يا سي محمد اهندي .. احنا جديعت محضر هسا ولا ايه ؟! ما نمشي !

واقترح محمد ابو سويلم ان يبعدوا في المذرة ليشربوا القهوة معا ، ومن اسهل احضار الشايح يوسف ..

وتجنس محمد اهندي بعكركه ، ولكن الشايح حسونة بطر اليهم بانفعال قذلا .

— حاكم ات مانصدق حته تقعد فيها ولارق .. هاوز نلرق ..

وبهت محمد اهندي لنظرة حاله ، وكلامه ..

عمشى خطوة الى الامام في الطريق .. وهر يده بالمشة ..

ومضى اثلاثة الى دكان الشايح يوسف ..

ولم يكذ الشايح يوسف يصرهم قادمين حتى خرج من الدكان مرحجا ، ودخل باب البيت صائعا في فرجاب :

— اهلا وسهلا .. بورتيم .. ولص اللمة لمرة هشة يابست وهاتيها في المذرة ..

فاستقبله الشايح حسونة وحسى عنى ذكه امام الدكان ، وقال محمد ابو سويلم :

— خينا هسا نشم البسة .. الشايح حسونة ؟ هو شسيمان من المباد في مصر !

وضحك الجميع ..

وحلس محمد اهندي ومحمد ابو سويلم الى جوار الشايح يوسف على الدكة ..

وتحى عواي واعتبان الذين كانوا يقفون امام الدكان .. وبدا كل واحد منهم يستحب في تردد وخجل والراس منحنف ، بعد ان سئل على الشايح حسونة بانحاء ، ويده تملو وتزل بين الصدر والجهة ..

من قرط الاحترام ؟ ..

ووثق الشايح يوسف داخل الدكان يروي ماحدث في دوار العمدة مند لحظات :

فقد اقل ثلاثة رجال من المساحة على العمدة ، فطلبوا منه ان ينادر

على العور فيصن لهم بعض الحفراء الاشداء لحراسه اتحديك الذي سيحمل الى انغرية ويدق في الحفول لتحديد الطريق الراعى اتحديك .

وحسب العمدة لهذا الطلب : لمادا يحصر من احله ثلاثة رجال من المساحة ، وفي اشارة تنبؤية عنى عن الرحمة الطوبى من المركز على ظهور الحمار ..

وسأل العمدة ان كان هناك شيء آخر .. فنشر احدهم امامه خريطة كبيرة لغوش اترتة ، وفيها خطان ظاهران يحسداان بهما الطريق الراعى الحديث .

وحاول العمدة ان يدقش الرجال ، فاضط احبدهم له العور .. وكان العمدة يريد ان يسأل مرة اخرى ان كان هناك شيء آخر جادوا من احبه ، فهو لم يعود بعد ان يحضر « الاعدية » من المركز ليشربوا امامه خريطة !

ولم يروح الرجال لهذه اللجة ، فطلبوا من العمدة ان يسمح الكلام ويعلم البيعات في صمت ..

وحين بدأوا يستعدون للاصراف ، ألح عليهم العمدة ان ينتظروا القهوة ، ولكنهم صموا عن الاصراف بهجة تحمل ثوبا من الاحتمان للعمدة ..

وتفريق العمدة ، ولكنه ظل يتكلم بلا انفعال .. واستأذن لبعده وهمى في ان احد الحفراء يكلام ، وانهى كلامه بتأنيب الخبير بصوت مرتفع لان القهوة تأخرت ، عنى اسبابا البلد — رجال المساحة ! ..

وحين عاد للعمدة ، قام رجال المساحة واستأذنوا في صبيح ، غير ان العمدة ظل يلح ويستعملهم حتى يشربوا القهوة .. واخيرا .. جيسوا على مضى ، بينما احد العمدة ينظر في الخريطة ، ويسأل ليعطاهم عن الاصراف .

« اقل شصان فالحى السلام . ولم برد عايه غير العمدة ..

واروح اعمدة لقدم شصان ، وقمر له بطرف هيسه

ووجد شصان اخرطه مفتوحه ، وسمهم يتحدثون عن الطريق الراعى فسأل عن الارض الى ستترع يمر بها الطريق .. وصاح العمدة عن شصان مضرب مصطح :

اطلع من هسا يا محلوب ..

بم غير بعينه ..

فقدم شصان ، ومد نظره ، ويده الى الخريطة ووجم لحظة ، ثم لاس شبعه مدحجة :

— يا حي يا حيوم ! .. حتى !! .

وسطر اليه الرجال تنفر .. ونحملوا العروة ، ليصرفوا .

ولكنه ، اقترب منهم حتى أوشت أن يمسق بهم ، وسأل أن كانوا سيهيمون « مقام سيدي رمضان » القائم على رأس المقابر في حوض البرهة ! .

ولم يجبه أحد ..

فاخذ ينظر الى الخريطة أمام العمدة .. وبسأله أين يقع قبر سيدي رمضان بين هذه الخطوط الرسومة على الورق .

وبهره العمدة ، وهو يمر إليه بعينه حمية ..

واستعد شخص قتيلا ، ووعب يهذر بقسم غليظ أنه سيضرب بالسمعة كل من حاول هدم مقام « سيدي رمضان » ..

ثم انعطى كأنه في حصة ذكر ، وصاح أن عليه « العهد » لسيدي رمضان .. واكمل :

— اعمل ايه في الاهد ؟ شئ الله يا سيدي رمضان ! انصاته سيدي رمضان واسيبيدي اليومى ولسيدي المتولي ! لهم جميعا العاجلة ..

وبدا يقرأ انصاته ، وقد سطر راحته أمام فمه ..

ولاحظ أن رجال المساحة لا يقرأون .. فلكزهم بصمف تنهيا الى قراءة الصانعة ، وعاد يمسك راحته أمام فمه واستمر في قراءة انصاته ..

وتضايق رجال المساحة ، وطلبوا من العمدة أن يترد هذا المحدث ، واحذوا بلعنون « سيدي رمضان » والامبياد جميعا !

وقال لهم العمدة محذرا بحكمه مضطمة أن شخص رجل من أهل الطريق ، ولا أحد يعرف له بدا .. وصح العمدة الرجال يتحسسه لأنه مراكز الدهوات .. وهو — على ذلك — مهذوب ، وليس على المحدث حرج ! .

وقهر العمدة بعينه حنية مرة اخرى لشبعان وصاح فيه :

— اطلع من ها يا رجل يا محدوب .. شوف لك لك قيردى من بلاد الله .. امشى كده وات عامل رى غراب البين .. انت حاترعل الأمدية من بلدنا ! .

ولكن شعبان احك أحد رجال المساحة ، وطلب منه أن يستمع ،

لأنه شتم سيدي رمضان ، والا تزل عليه كرامة من سيدي رمضان ، فاشعل في مكانه ! .

ثم امسك بيده كف الرجل الآخر وأحد يهره بصمف ، ويستعطفه الا يمس مقام سيدي رمضان .. والا يسمح لأحد أن يهد « المقام المبارك » ! .

وصاح فيه الرجل ودفعه في صدره :

— عور بقى يا احمى ! .. ياك يهد المقام على دماغك ! .. قطعيه نطملك اب وسيديك رمضان .. غور كده حاططع البذلة ابنى جيبها بالتنية .. يعنى شايبا مسوطين قوى من الشحلة دى ، جاي تقرأفنا كمان ..

وفجأة انحنى شعبان على الأرض ، وهو يصرخ في تشنج :

— اه .. انت بتحوص في سيدي رمضان !ا يوكات يا سيدي رمضان .. كنهم بيتشموك يا سيدي رمضان ! ..

ثم نزع البع من فمه ، وهوى بها على رأس الموظف .. وهو يعول متطوحا على نعمة الذكر كأنه في حلة :

« يا من يرى ولا يرى .. اعطى اليومض جناحها ! » .

وروع الموظف من المباغة العجيبة المهيبة ودارت رأسه من شدة الغيرة ، وشعبان يهوى على رأسه بالبلعة الحادة المزالة . ووقف رميته يصيح :

— حوش يا عمدة حوش .. أنت المسئول عن ده كله .. انت ماسك ثبت تقعد تشنك كده يا عمدة .. انا مايم خيت الفلاحين .. والله لأرعدك .. لأيد عن رلدك يا عمدة ! أنت كنت بتوشوش الحمر علبان بسادى له ! .. انا فاهم ! ..

واستدار شعبان اليه ، واللمعة في يده ، وظل يهرى وراءه بالسمه الحافة العوية أسلح حتى ركب حماره ! .

وكان أول رجل ضربه شعبان ، يقتر الى حماره ويده على رأسه وهو يصيح :

— دى آخر خدمة الحكومة ! .. يا بالبعة .. والله لأخرب بلك يا عمدة ! .. دا اعتداء على موظف أثناء تأدية وظيفته ! .. يعنى اخرب نارصاص دلوقت ..

وكان الرميل الثالث قد احتفى منذ بدأ شعبان يرفع البلعة ، فقد ادرك بتحرته امع الذى نصبه العمدة ، فركب حماره ، وجرى به الى المركز ..

وكان العمدة يعنى صحكه واحسانه بالظفر وهو يقول فى توره معتمله :

— عبت يا ريد كده تيهيم فى سدا ! عيب كده ولو انهم هاتوا العمدة كبير !! حوش يا غير ! .. ما قلت لك يا سيدنا الامدى من الصبح دا راحل عى الله ومحدوب !! اكب عى با واد يا محدوب .. اسكت كدة كده كسب مع الامدى .. هم الامدية بصربوا بالدلعة يا ولد .. دول هادوين ششيب هوانى ! ..

وقل ان يتعد الامدية بحيرهم صباح العمدة فى نفس اللهجة المعتمله :

— امسكوه يا غير .. امسكوه ودوه المركز .. اوى يهرب مشكم يا غير ! .. حاسسوا لا يظير مشكم احسن دا من اجل الخطوة ! .. مانحوش منه .. امسكوه امسكوه ..

غير ان احدا من الحعاء لم يكن واقفا اذ ذلك .. فقد اختفوا جميعا بشرة قادر ..

وعندما كان الموظفون الثلاثة فى الطريق الى الجسر .. اطلق العمدة ضحكاته بحرية وهو يقول لشعبان :

— والله عماز عليك يا شعبان ! .. ايوه كده ! .. متمططين كده ، وماحدش طايتهم .. هما فاكرين انا انا هنية .. خليلهم بتعلوا ازاي يكلوا العمد ! .. مش ديتنا شكوى للامور الجديد .. يشتكوا للامور ..

ثم هس العمدة لشعبان :

— اطلع انت من البلد الليلة ..

وترك شعبان الدوار الى بلدة اخرى ، واستمد العمدة للاجاة على الامور فيما لو سائه عما حدث .. سيتولى للامور ان الرجل المحذوب ليس من القرية ، وليس له فيها ارض ولا اهل ولا احد يعرفه ، وانما هو مسائل على الطريق ، من اهل الله .. وقد حاول العمدة ان يعثمه او يقتض عليه ، ولكنه اخفى .. فهو من اصحاب الخطوة ! ..

لم يكد الشيخ يوسف يروى للشيخ حسونة ومحمد ابو سويلم ومحمد آفندى ما حدث بين شعبان ورجال المسحة ، حتى استغرق الجميع فى الضحك .

وقال محمد ابو سويلم ، وهو ينظر الى داخل الدكان :

— اما العمدة ده عليه ملاعب يا جعدان !! دا لو يشغل مخه

دعه على الاخضر كان يظلمهم من السن دلباسه رى ما دح .. دلباسه ..

وهز الشيخ حسونة راسه ، ولم يتحدث ، ومن بعد

— كلهم مبسوطين من الملعب ده .. لكن اب مش مسوط ! يعنى العمدة الى عنده انواع شعبان محباكم كلكم ، ولكن ب توكم بنى امها مش حاجبى ؟ ! ويكره تشوفوا كلامى .. اب عشت راح انكركم ، وان مت اتقوا قولوا انه يرجعه ، كان يحسب حساب كل حاجة ..

وحجم على الجميع وحجم ، وحذر ، وفدى ..

وكانت كلمات الشيخ حسونة من احتمال موته قد هزتهم الى الاعماق ، ولم يعد واحد منهم كلاما يعوله ،

ونظروا فى حيرة الى اشبح حسونة .. وكانوا يطمون بانتجده ان ظن اشبح حسونة لا يطيع ابدا .. وان كل ما يحسه يعناه ، ولو بعد سيسى ! ..

وخاجبت حيرتهم الكاة ، والمحارب المهمة ..

وبعد قليل هس الشيخ حسونة :

— حاجة بالمقل ! بنى العمدة يشرب رجال المساحة ، ويشلى شعبان الحصى هو الى بغيرهم ! طيب قولوا لى ايه الى جاب شعبان فى البلد تانى ؟ .. ايه االى يوجدته فى المندر يوم زيارة انوزراء ؟ .. قولوا لى بس .. ايه الى جابه فى الوقت ده بالذات ؟ الملعب لسنة حايتمب يا ابو سويلم ، ولسه شعبان له شغل كثير ، وبهازم ايه الشغل ده ؟! .. نوعه ايه ؟! ما حدش بسع يعرف ؟! ذا لسه له دور ..

وتهلل وجه الشيخ يوسف ، واندفعت منه كلمات كثيرة يؤكد بها انه رحل لذي ، يفهم الدور كله ، وانه بيه وبين نفسه قد فكر فى الامر ، ولكنه لم يقل لاحد ، لان احدا لن يهتم بما يقول .. ولكنه يعرف ان شعبان لا يخرج من يد العمدة ابدا ، وهو رحل فسلع استعمله العمدة قديما ليسم بهائم اعدائه او ليحرق دورهم .. وحده العمدة دائما ، ورسم له خطوات الهجرة من البلد كلما طردته التبهات ! ..

وظل الشيخ يوسف يقول اب شعبان هذا غادر القرية سدا احوام عندما تواتت العرائس الى المركز تهيمه باحراق حصن قمح يملكه احمد اعيان الناحية المحررة من اعداء العمدة ، ولكنه عاد بلا مناسبة عندما كان الرجال ثائين فى المركز ، وفى يوم الاحتفال باستمصال الورداء ظهر فى المركز ، ثم عاد مرة اخرى الى القرية .

وحين عاد إلى القرية كان يلبس عمامة ذات شلال أحمر يسقيه « شرف سيدي رمضان » وأحد يتروذ على الجامع بالنظام ، وهو لم يركبها من قبل ، وهل يقول عن نفسه أنه وجد الهداية ! .

وعندما انتهى الشيخ يوسف من كلامه سبك الجميع ..

وأخيراً قال محمد أبو سليم ، أن شعبان أبدي لم يعرف أحداً أبداً من هؤلاء ، عاد إلى القرية في مهمة لعمده ، ربما ليحرق دار محمد أبو سليم نفسه ، أو ليرشق جاموسه ، أو ليضع أمانتها السم ! .

ثم هز محمد أبو سليم رأسه قائلاً :

« لكن دأ بعده .. لا هؤلاء ولا عملده ! »

ونظر الشيخ حسونة إلى محمد أبو سليم وقال بحطوة : أن شعبان لم يعد من أجل شيء هكذا .. وعلى أية حال فسيظهر كل شيء بعد أيام .. وس يعيش ير ! .

وساد الصمت مرهة ، وأخذ محمد أفندي ينظر إلى حاله في إحلال .. فهذا رجل يعرف كل شيء في الأمريكتين ، وفي مصر ، وفي القرية ..

وأخيراً انصرف الجميع إلى دورهم .

وباتت القرية في تلك الليلة تتحدث بالكبار من شعبان ، الذي ضرب رجال الحكومة بأبلهية .

وقال بعض الرجال أن شعبان انصلح حاله وأنه أصبح الآن قوة تساعد القرية في موضوع ألسنة الرأبعية .

وعجب آخرون من هذا التحول المفاجيء في شعبان ..

ولكنهم وثقوا به إلى آخر حد ..

وقال بعض النساء أن هذا الهادي نفسه لا يتدر على ما عمله شعبان ..

وكان شعبان من قبل رجلاً يعيش في القرية ، دون أن يعرف الحقول .. لم يعمل في يده فأسساً ، ولا أحصد يذكر من أين جاءت أمه ، فقد تزوجها أسكافي عجوز ، كان يقيم بالبلدة ، وبعد سنتين شهر من الزواج مات الأسكافي ، وبعد عام من موته ولد شعبان ! ..

وغدت هي من القرية يوماً وسادت نقابة أخرى وقابل معها أنها أحياء .. وترك لها أمه شعبان .. وذعبت هي إلى أسبوع التي تحبب فيها النساء ، لتعمل - وتقدح القرب للحير .

وعندما كبر شعبان حاولت أمه أن تعلمه صناعة أبيه ، وأرسلته إلى أسكافي في قرية مجاورة ، ولكنك لم يفتح وتعود أن يسرق وهو سائر في الطريق ، أن يعطى كور ذرة أو أي شيء تطوله يده من هذا الجعل أو ذلك ! .

دحين حين صوته صرّب أمه ، وحالته .

وتزوجت حالته وتركته الدار ، غفل يصرّب أمه بلا سبب مفهوم ..

ومد تركه القرية ذات يوم وهو فتى في السادسة عشر ، ووجد مركباً محمداً باليمن واللايليس رأسية على شاطئ القرية فرحل معها وغاب عن القرية ثلاثة أعوام ثم عاد وسمه الشيبالك والحطاطيف ، وبدأ بصيد السمك ..

وتزوج فتاة من القرية ، وأنجب منها طفلة أسماها « ستم » ولكنه هجر زوجته فتاة ، ثم عاد بعد حين يعيش في القرية بلا عمل بعيداً عن روحه وأمنه « ستم » .

وبعد قليل ألفت القرية خروجه في السمكات الأخيرة من الليل لبعيد اندئاب .

و ذات يوم حسدت بندقية من أحد الحفراء ، فاقترح عليه شعبان أن يصلحها ، وأصلحها بالعمل ..

ومد ذلك أيام ، وأنقرية نظر إليه في عجب ..

انه يعيش بين الحقول ومع ذلك فهو لا يعرفها ، ولا يصلحها ، ولا يستطيع أن يعمل بها .. وهو لا يطيق أن يقيم في القرية سنين متوالية ! .

وهو بعد ، يتقن أشياء باهرة لا تنصب القرية ..

وكانت الفتيات يتحدثن عنه برعب ، ومن يعرفن أنه إذا صادف عاه وحيدة لم يتركها تغتصب منه أبداً ، ويحذنها أن مسكن يحتسى فيه معها ، ويجزئها أن صرحت أو أمنت عيه أن يقتلها كما يفعل دنا ، أو سبكه كثيرة ! .

وكان شعبان طوال هذه في القرية يبيع منها أحداً لصحة أيام ، ثم يعود ومعه كميات من الخشيش يبيع منها حسناً لثرايين من أهل القرية .. أو القرى المجاورة .

وكان يرسل أعتيابه إلى مصر ليشتري حاديات ، ولا يعدل منها أبداً ، و « روبة » أحت « حصرة » التي عادت إلى القرية فيما بعد بلوى حادى ، ولحم مكتر ، وذهب على الصدر ، وأحمر على أنشفاه .. « روبة » هذه أشتى عادت بحذاء ذي كمب ونامم حديد هو أحسان

هذه ، كانت « روبة » هي إحدى الغنيمات التي أرسلها شعبان إلى المدينة . . وكانت من أهله ! .

وفي الحق أن أحدا لم يكن يعرف له مهة واضحة فهو في الهزار يصبح البنادق أو يبيع الحنثيش . . وهو في الفجر يصيد السمك . أو يصيد الذئاب والثعالب ويسبح حدها ، وسيعه في المدينة .

فإذا أقيم في القرية أو إحدى القرى المحيطة موبد أو ذكر ، وأقبل من بلاد بعيدة رجال صغر الوجوه ، طوان الشعر ، يطوحون تحت البيارات . . إذا حدث هذا ، انخرط شعبان في الموكب ، وتطوح في حلقات الذكر ، وهو نفسه في حركات متشبعة ، وطل يتوائب حتى يصرح بكلام محتاط لا يمي له ، فيقول السماس هسه أنه « يعرب بالسوريين » . . وأنه وصل ! .

وشعبان رجل طويل نحيل اللبس ، غريب الحركة ، عصبى الإشارة ، في السمره من وجهه أوار كثيرة ، كانا حفرتهما آدموع . . وهو شيط سرح ، يشيع السواد في أسنانه التهنشمه ، يتلوى دائما ، ويهز كل جسده إذا تكلم . . ولعميه الضيفتين نظرات حادة وبريق احاد .

وهو بكل بحوله وطوله وبدنه الملوأب ولونه الكليج ونظرانه الحاطنة المتهمة ، كان يلذو العلاحين بالثعبان الأزرق .

وكان هو نفسه يصغر لنعابين فتسبح ويمسكها ببساطه وهو يضحك قائلا :

« مدد يا رفاي مدد . .

والقرية تلذو أن شعبان دخل بيوتا في القرية ليخرج منها أنعميين ، فأخرج أنعميين ، ولبد هو . .

وفي هذه أنعميت هاشت باب جميلات .

ومن أجل هذا ، فقد طلت بيوت كثيرة في القرية لا تسمح له بالدخول ، ونصبت أن تعيش فيها أنعميين ولا يعيش فيها شعبان .

هكذا كانت سيرة شعبان في القرية . .

ومنذ غادر القرية في السادسة عشرة وعاد اليه بعد عامين ، هل من بعد هذا أكثر من عشرين عاما يقيم في القرية لبعض الوقت يصغر لشعابين والسباد ويصيد الذئاب والسمك ويصلح البنادق ، ثم يحتجى فجاء بمود وحده ، أو مع سيارة من السابيح والمحاديب فيقيمون حلقات الذكر ، ثم جعفى في حديث . .

على أنه عندما غادر القرية لا حرمه عاب طويلا ثم عاد فجاء بلس أسرف الأحمر ويطلق على نفسه الشبح شعبان ، ويمسك مسحة من حرر أسود ، ويصكف أسنانه الطوال في المسجد .

وفي الأيام الأولى حاول أن يدخل بيت محمد أبو سويلم ، ولكن وصيعة رده عند الباب ، وطلبت منه ألا يدخل ما دام أبوها ليس موجودا . . دنى رأسه إلى الوراء وأرخت حاجبيه ، ومد يده إلى صدره وصمعه بدعوى أنه يداركها وهو يقول بشهقة :

« الله . .

وعرب وصيعة بعيدا هسه ، حين وجد يد يمدان إلى صدرها ، ودخلت إلى وسط الدار ، بعد أن أغلقت الباب في وجهه . . وتركته يجلس على المصطبة في شمس العصر .

وحين أقبل محمد أبو سويلم بعد المغرب ، ووجده جالسا أمام المصطبة ، غامله بجعاه وسأله عما يريد منه . . ثم قال به في لحظة أن القرية . . في عمها هذا . . وسط الحصة . . أن تقيم المواد ، فهي لا تمك أن تقدم طعاما للرجال المجالبي الذين يمشون تحت أسبارق . . وطلب منه محمد أبو سويلم بعد هذا ألا ينفذ على مصطبة ، وأن يبعد عنه ! .

ولم بعد شعبان يفكر في دخول دار محمد أبو سويلم ، أو الحوض على مصطبة .

ثم بدا يتردد على دكان الشبح يوسف ، ويفف أمانه مع أنعميين ، يروي لهم عما شاهد في رحلاته ، ويضحكهم . . ويشرد قليلا ليدخل في حديث لا ينتهي عن الزراعية الجديدة ، ويمعن مسطه . . فلا تحفظ على الممعة (بدي لكيد للقرية) ، ويقول كلاما جازحا عن الممعة المحوز ، وروجه الشابة ! .

وكان الغنسان يستمعون اليه حائرين أول الأمر . .

وكان أشيخ يوسف نفسه يظن في عصب إلى هجومه السافر العريف على الممعة ، وإلى لهجته التي لم يجرؤ أحد على التحدث بها من قبل حتى عبد الهادي ! .

وفي الحق أن أشيخ يوسف وأنعميان أنعميين تعودوا أن يقولوا أمام باب دكانه كانوا يكرهون دائما فيما يطلع شعبان من عدم اهتمام بالممعة ، أو بالأمور أو بالدير ، أو الحكومة نفسه . . فهم جميعا تحت مذبذبه ! . كان شعبان يقول هذا دائما بأعلى صوت .

على أن شعبان قد وسع جدا لحره الغنائب له . . وبدأ الناس في القرية يتلذذون له كمثل صبح شفا حارقا ، لا يصعبه أحد غيره . .

وظلت القرية أياما تمجد شعبان وهي نتحدث عن هجومه بالعلمه ..
 وخلال هذه الأيام كان الشيخ حسونة قد ذهب إلى المركز مرتين
 وعاد وهو مغموم .. فقد كلم بعض أصدقائه في المركز ، وجلس في
 الإجراخانه هناك مع صاحب الإجرأخانه ، وتحدث إلى صديقه القديم
 الأقاضي الشريفي ، وقبل المحامي الشاب الذي كان نائباً عن قضايتهم قبل
 أن يحكم حزب الشعب .. والتقى بعض أهل القرية المحبوه الذين
 يعملون في المدينة ككتبة في المديرية أو المساحة أو السبابة أو المدرسه
 الأميرية .. وعرف منهم أن الرأفانية مستحق بعد أيام ، ولا فائدة من أي
 كلام ما دام حزب الشعب هو صاحب الحكومة !

وتأكد الشيخ حسونة من أن الرأفانية تنوي كائنات لشعادي أرضي
 الملاك الكبير ، أو المقربين من حزب الشعب .

وعرف أيضاً أن أهل القرية المجاورة أرسوا الرؤود ومثاب البرقيات
 والعرائض إلى الحكومة والصنعة المعارضة .. ولكن الحكومة مصممة
 على سحق السكة الرأفانية مهما يكن من اعتراض .

وخلال الأيام التي تحدث فيها القرية بإيجاب من شعبان ، كنت
 أيام الرى الجديدة قد بدأت ، وخرج عبد الهادي إلى الساقية يديرها
 في أول أيام الرى ، فلحق به شعبان يقول له أن ديات وأولاد الساقية
 اشرقية كانوا يريدون ضربه ، وأنهم على أية حال مترهبون له ليقنوه
 أن أدار الساقية إلى ما بعد المغرب ..

وخلال هذه الأيام نفسها ذهب علواني إلى أنشوخ يوسف
 وهمس في أذنه أن شعبان اتفق معه على قتل أصدقائه من أن تنسحب
 السكة الرأفانية .. وأضرب علواني هامسا أن الأمورية سهلة ، ولا تحتاج
 إلى أكثر من خمسة عشر جندياً بأحد من شعبان عشرة ، وأن على الشيخ
 يوسف أن يشترك مع عبد الهادي ومحمد أبو سرطم ومحمد أفندي في
 دفع الخيانت الخمسة عشر .. انجاب قتل العدة .. وسيموم أنشيخ
 شعبان بترتيب كل شيء ..

وحين سمع الشيخ يوسف هذا ، جرع . وملاه حوب لا يعرف من
 أين أتى ، وزعق في علواني أنه لا يريد أن يسمع منه كلاماً من أنشيخ
 شعبان هذا أو الشيخ قردا .

ووقف علواني أمامه مذهولاً ، فتنقص عليه أنشيخ يوسف بهره من
 كفيه ، ويسأله بالحاح وتابيه عن كل ما يدور في أفعاء به وبين
 شعبان ..

واعترف علواني للشيخ يوسف أنه روى لشعبان كيف سرق محتاز
 الصعدة .. وإذا ذاك صرخ الشيخ يوسف :

— طبت عور من هيا يا عراوى يا أهل .. عور .. اوعى اشوب
 حلفتك .. جانكو شوطه ما احبيكم ! .. عور ما تقعننى قدامى كده رى
 العمل الروى !

وأنصرف علواني في بدم وهو يتمتم :
 — والله يا شيخ يوسف أبا برصه رى ما تقول كده قلبى معروض من
 الواد الشيخ شعبان ده !

فازداد الشيخ يوسف حنفاً وظل يصرخ :
 — شيخ أبه وهاب أبه .. شحشحت عضائك من يدري ! عور
 بأقول لك ..

ولم يكذ علواني يستمد من ذكأن الشيخ يوسف ويصيح ساعته حتى
 أمسك به بعض الحفراء ، وذهبوا به إلى المركز .. للتحقيق معه في مقتل
 حصرة ..

وعحب الشيخ يوسف عذب سماع هذا الكلام .. فلم يكن يتوقع أن
 تصح مجاوهه بهذه السرعة ، وسأل نفسه لماذا تثار قضية حصرة في
 هذه الأيام ، ولماذا يقبض على علواني الآن ، لماذا يتم علواني بقتل خضرة .

لماذا يتم علواني ؟
 ولكن هل قتلت خضرة حقاً ؟؟ ..

وولبت إلى ذهن الشيخ يوسف .. صورة شعبان .. وتذكر ملاعيب
 أنعمته .. فامتلاً بالحق والمعين ..

ولما ثبت أمامه صورة لعلواني في الحديد وتحليله وهو يقرب
 بالكرج ، ويصيح في فمه بون أنجيل ، ويلقى على الأرض ليدوسه
 أنعساكر بالأحذية العظيمة ، ثم يحمل آخر الأمر إلى المشفى فيصرخ
 لحظة بأنه نرى ، ولكن الحبل يكف حول عنقه ، فيهيى بلا حراك ، وقد
 أطعنا منه الانتقام ، وفأش فيه كل شيء : الذكرات والأصل
 والحياة ..

ودعت نفسه أشفاقاً على الولد العربي المسكين الذى لا أهل له
 في القرية ولا سكن ، ولا أحد على الإطلاق يكنى عليه أن راح أو جاء ..
 ودعمت الشيخ يوسف وجهه بيده .. وتهد .

وأحس بالعراغ من حوله فجأة .. وأسند وجهه بين راحتيه .
 وعحب لنفسه : أنه لم يكن يعرف أن علواني حذر عليه إلى هذا
 الحد ..

وهكذا رفع الشيخ يوسف رأسه من بين يديه كات اندمغ تملاً
 المعصون من وجهه أسجل ! ..



لم يمس العمدة القرية ان سبأها وميه مروت النائم
لمرج من الرجال المحوسبي في سجن المركز ..

وعاد الرجال مسدحين ، يستقبلون احباء الميرة
يا مبركة من جديد .

ومن الحق ان العمدة استطاع ان يخطط رسم خطة الانعام ، يصطعب
بعضه مشغودا بسله الارض فمصاب سوات ، لم هاد بحمل الشرف
الاحمر ، وكراهية الارض انتى حاب عليها ، عاد يهدي بالأوارد والمدايح
اسويه .

والحق شعاع مع العمدة على ان يتحدد من المواقف ما يعينه بطلا
يكسب ائنة التي لم يكسبها من قبل ابدا .

ويأمل ضرب بعض رجال الحكومة في دوار العمدة ، وجرى
وراءهم نابضة ..

وبسم هذه البطولة - العارضة - استطاع ان يتحدث ابن الناس
في القرية فيصدقوه ، ويؤمنوا به .

وبدا يحتنق كلاما لا اصل له .. ليوقع الخلاف بين الدين يعاون
من نفس المساء ويحاربون نفس الصدو .. وليتصرف على اتعاهات
آساس ضد العمدة ، وعلى كل الأسرار ..

وعرف شعبان ان علوانى انتى العربى هو الذى سرق القمح والذرة
من محارب العمدة ..

وحدة قضى على علوانى بتهمة قتل خضرة ..

وحدة بدأ الأصدقاء ينفلون ، ويتباعدون ..

الأصدقاء الذين عاشوا معا اجدل سنوات انصر .. وتعلموا معا ،
ومازالوا يناضلون كفا الى كتف دفاها عن الارض ..

وعندما قص على علوانى اجلت القرية كلها تتسادل فى عصب لمادا
يعتل قتي كلوانى وفاة كحصرة ؟

وقالت وصيفة انها هرفت خضرة جيذا ، وقد حدثتها خضرة عن كل
شئ .. ولا يمكن ان يكون علوانى هو الذى قتلها .. لا يمكن !

لا يمكن ان يكون هو علوانى او أى رجل غيره فى البلد ..

ونظرت ام ومسعه الى الأور مدحرج وسط امدار ، ورمعت عن
من العثس هنت بها على الأور ، وضمت تسوقه بجدر حتى دخل كله حظيره
المشبه الاورة واحدة .. صنعت عليهما وامسكتها ، وطلبت من
وصيحه ان تحضر لها سكبيا تدبج به الاورة قبل ان يجيء انصر ، ويردح
وقت الطبخ .. فالشيخ حسونة هو ضيفهم على المشاء الليلة !

وتلكات وصيفة وهي تبحث عن انسكين ابى حوار الزوبى فى مدح
الدار ، وعادت تعمل لامها ان علوانى لا يمكن ان يقتل خضرة .. واذا داند
اسحرت انها تأمرها الا تتحدث مرة اخرى عن علوانى او غيره من الرجال.
واضطرت وصيفة قليلا امام صراح امه المجابهة . ولكنها استعادت
نفسها بسرعة ، واستدارت اليها تسالها فى عاطلة ، لمادا تصرح هكذا
فى وجوه الناس ؟

وهضمت الام بصوت كبير :

- ابى يطلع شعبان ابن ستهم شابع فى اسلك كلها انتى بيعتى رى
خضرة .. لايه على علوانى شوط ، وشوط من محمد افندى ، ولأينه
على عبد الهادى ودبابه كمان ..

وشهقت وصيفة وضربت صدرها بضف ، وفاض لوبها ، واجهشت
بالسكاه وهي تقول :

- الشيخ شعبان ! .. الشيخ شعبان هو الذى قال كده .. جاه قطع
لسانه ! ان شاء الله ينصاب يريح النقطة ا .. يا حوسنى .. آه يا نارى
لو اشوفه قدامى دولتق ..

وامتدت الى باب الدار ، فصرحت فيها انها تأمرها ان تمود ،
وتحرس ..

وسكنت الام قليلا ، لم قالت فى اذان والاوره ترعق فى يدها :

- اكفى خالصر مجبور بقى .. لنا رب ..

ثم كسمت رأسها ورمعت وجهها الى فوق وهي تقول فى هرامة :

- يا رب ! ..

واجهشت الام بنفسها باليكاه .. وضمت تسن السكين على حادة

اسحرة ، والاورة فى يدها ترعق ..

يجر ان وصيفة لم تستطع ان تحرس ، معد ظلت تذهب وتجرى فى
وسط الدار ، وعينها على الباب المفتوح تعددان الى الطريق فى انتظار

مرور شعبان ..

ومر عبد الهادى من الطريق ، فتزايلت وصيفة ، وتفرح وجهها ،

وشمرت انها تكاد تقع من طولها .. ولم تعرف كيف صنعت .

ومحبا عبد الهادي ، فتوقف ، وقال باهمال مصطع :

— مواف يا وصيفة .

ورأى لونها تماما ، وشعره بأذيتها تلهبان ، وبأنفاسه تبعه حارة يرتفع مسلاحة من أعماق صدورهما ، وتصفه . .

ووقف عند الهادي ينظر إليها وهي ترتعد :

— هدهدي ؟ حرايه ؟ ما ترددي بي . . ماك . . ركك ععرت ؟
اله . . حراكك إيه ؟ أنتي فيانه ؟ حانكك أنورته ؟

وفي أنحي أنها كدت ترتعش ، ووجهها محتقن تماما ، كآب مريضة بالميلانيا .

واستطاعت أن تقول له آخر الأمر بصوت مجهود :

— روح يا عبد الهادي روح لحاكت . . روح أحسن شعبان ولا حد
شعومي واقفة قدامك كده يبقى الكلام سدق ! يبقى شعبان كلامه
سدق !

وجرت إلى داحسل الدار ، ومازالت الدموع تنهمر من عينيها
بلا توقف .

وأدرك عبد الهادي أن شعبان قال كلاما عنه وعن وصيفة ، فمضى
محمدا يسي به شرا .

وعبد الهادي على الرغم من كل شيء ، مازال يفكر في الزواج من
وصيفة . .

وبشارة العطن الأبيض الجديد في الحفول تحول إلى بشة العرة
والأمل ، وهو يعتقد أنها تحول إلى وصيفة نفس الأمل ونفس النرجة .
هو ينوي أن يجمع العطن بعد أسابيع قليلة ، ليبهه لأحد الحواجات
الذين يزورون القرية في مواسم العطن ، وعندما تقضى ، يؤجل مال
الحكومة ويدفع مهر وصيفة ، ويتزوج . .

وعبد الهادي يمضي مطويا على حلمه هذا السعيد ، منذ ماذ من
سحب المركز ، فقد كلم محمد أبو سويلم ، في الموضوع أول ليلة في السجن
وبهره أبو سويلم ، لأن السجن ليس هو المكان الصالح للانفاس على
أرواح ، ولكن عبد الهادي كلمه مرة ثانية في طريق العودة ، فوافق
وأحله إلى ما بعد جمع العطن .

على أن عبد الهادي لم يكد يرى حال وصيفة ، ويسمع ماقلته ، ولم
يكد يشعر بحيرتها وعذابها واضطرابها العظيم ، حتى أقسم أن يكسر
رغبة شعبان أمام دوار العمدة نفسه .

ومضى عبد الهادي ليضرب شعبان ، ومن يتعرض له ! . .

وحين كان يمضي مدعما إلى دوار العمدة باحثا عن شعبان ، مر من
طريقه بدكان الشيخ يوسف ، وسمع صوته يرتفع ، وسمعا على أحد
الفتيان الذين عادوا إلى القرية بلا عمل .

كان الشيخ يوسف يعين الولد وأمه ، ويمره بشعره الطويل
كشعر أسات . . ويسحر من نهجته انماهرية المألعة كسوان آخر
الزمن ، والفنى ينظر إلى الشيخ يوسف في اهتمام ، ويمر بيده المروقة
حلل رأسه العازية ، وبطمش على ثياب انحصال المصغرة المصوغه
بالأكسجين في شعره الأسود اللامع ، ثم يؤكد للشيخ يوسف أن شق
السكة انماهرية الجديدة سيكون في مصبحة أبيه لأنه يوجد عملا لأولاد
أبيد العاطلين .

ونظر الشيخ يوسف يصرح :

— يا واد أهم . . بتي حيه الحكومة نافصاكم ؟ ! . . بتي حيه يعنى
لنسه حانكور على أولاد البلد العواضية طشان تضلهم في الزراعية ؟ !
وما تحميشي له من عواضية البندر . . . وعمال الطرق راحوا فين ؟ ! . .
هوه أنشعل بالساهل كده ؟ ! . . يواد ذا الناس يتجري عليه وتشتي
ويبرسه ماتلاقيش . . أنت مش كنت خدام في مصر . . تعرف تعميل
إيه ه ؟ ! حانكم بلال الزراعية ؟ . . حانطع في الزراعية ؟ ! . .
حانشتعل إيه في الزراعية يس ؟ تعرف تمسك فاس ؟ . . تعرف تفحت ؟
حانكو وضع الدب زى ماوجنوا قلبى . . جانكو زينة تزبحكم .

ونظر عبد الهادي طويلا إلى الفتى . .

كان وجه الفتى جامدا برنويا . . وكانت عيانه لالفتين . . وكان يهر
كعبه في رضى لنك مايسمع .

وقال له عبد الهادي باستنزاز :

— وانتراطين بتوع أبوك ما هم حيرجوا في الزراعية يا حضرة
لمدى يابو شعر ياتاع مصر يا اللي بتفهم ؟ ! . . أرض أبوك حانكلها
انراعية . . حانكلوا مبي انتو والحاموسة ؟ حانشتري تين للحاموسة
ولا حانشتري الطمع التي تنطفعه من شمس عرق . . حانشتري أنش
والعيش (البز) ؟ . .

ثم أكمل عبد الهادي مغلدا لهجة أهل مصر :

— ولا حانشتري . . حسا ؟ ! .

وضحك الشيخ يوسف طويلا ، وضرب كذا بكف . . ثم هز رأسه
ماتلا :

— نفى بدمت دول ناس ؟ .. نفى دى بلد ؟ ياخويا النبال العواظية
كلهم اتغلب مخيم .. قلب مخيم الواد شعلان .. راكيبهم عفرية اسمه
الشعل .. الواد شعلان مهمهم ان الحكومة حاشلهم فى الزاوية ..
ماغيش خير ولدين ثلاثة كانوا صانعية فى مصر هم اللى فاهمين الدور
والباقي حلاص اتغلب مخيم ..

وزمى من هادى وهو يصر على استنائه :

— شعلان ؟ طب يشعلان ياين ستمهم .. والله لو كان هجره اوردب
برسيم لاشتره والله حبة حبة يا شعلان الكلب .. صبرك على يا شعلان ..

مقال الفتى وهو يتنأى للأصراخ :

— وباله شعبان ؟ .. الشيخ شعبان عمل عملة عمر البلد ماسمعت
عليها ولا كانت تحلم بيها .. ضرب لكم رجالة الحكومة وكترشهم لوحده ..
دى مش حياة .. اذاهم صرب ..

وكان الفتى يتحدث بهجة قاهرية ..

وضاق به هادى وقال صديق وهو يتدبه ساخرا بلهجة :

— حلوا .. اذاهم صرب ..

ثم لكره هادى وهو يقول مشمشوا :

— بس ماتتفصشى كده رى العوازي ..

فصاح الفتى متحديا وهو يتسحب :

— ماحدش خرج من ايده يعمل الى همه الشيخ شعبان .. انتم
خايرين من الشيخ شعبان .. دى شطة ..

مهب فيه الشيخ يوسف :

— شطة ؟ شطة ايه ياك تشبط رقبتيك عن حتتك ! .. ياك تشبط
انت واللى همك .. اسمع يا واد انت ياغازية .. اوعى تهوب ناحية
الدكنة دى تانى ؟ ايه ياخويه كلام العوام ده .. اذاهم ضرب ؟ ..
شط ؟ .. حطوا .. حاله حلا فى شداك ! ..

ومشى الفتى الجليل الطويل ، يهر رفته الرفيعة ويحى رأسه
اللامع الى الارض ، وعيناه الضيقتان ترسلان على التراب نظراب تالفة ،
وطهره مثقل بأحلام العمل والمال .. وكل ما يمنحه المال !

بيما اخذ الشيخ يوسف يصق متعبا لما دهب القرية منذ آقبل
اليها شعبان هذا ..

لقد حاده منذ لحظات هذا الولد مظل يحدته من الممبل الذى
توحده الزراعة سباطين ، وشرع لا مناسبة يتحدث عن مقدرة عبيد

الهادى من لبب العصا ، ويحاول ان يبال منها .. ورغم انه هو نفسه
يستطيع ان يسبب العصا حيرا من عبد الهادى وظل يرمى من هذا الاس ..

وعندما سمع عبد الهادى هذا الكلام ضحك طويلا .. فاحتد
الشيخ يوسف عليه واستمر يقول لعبد الهادى ان البلد اتغلب مخيم
واعبب حالها .. نفى هذا انصباح جواده وحل سجين خبير من الناحية
البحرية وقال له انه سمع ان عبد الهادى عندما كان فى سجن المركز ،
عامل اهل القرية المسجونين معه واتفق مع رجال الحكومة على ان يسجل
مامورية شق الزاوية ، مادام لا يملك أرضا فى حوض التربة ولن
يصيبه ضرر ، ولهذا فهو لم يضرب كالاخرين فى سجن المركز ، واخرج
حبه معهم رغم انه هو الذى قطع الجسر اول الناس .. وعاد الى القرية
بضحك ولا يبالي ..

وحين سمع عبد الهادى هذا ، ضحك مرة اخرى .. ولكن الشيخ
يوسف استطرد قائلا ان الامر لا يضحك ، فشحبان هو الذى اقنع الرجل
الابله بهذا ، وجاء الرجل بكل نلاهة يروى الامر كأنه حقيقة !

وسكت الشيخ يوسف قليلا ثم قال اب الرجل الذى يقول هذا
الكلام من هادى ، دافع منه عبد الهادى عدة مرات عندما حاول
بعض جيرانه ان يشتموا رأسه العلى ، وحاول ان يعلمه لبب العصا ،
ولكنه لثقل جسمه وثقل عقله ، ولفرط فبهله لم يفلح !
وهو عبد الهادى رأسه قائلا ناهمال :

— هو ده اللى اتكلم هنى ؟ ! فرسته .. يا اخي دا غلبان .. خليه
يكل فيش .. الله يسهل ت ياا الشيخ يوسف .. دول خلاية .. ان
كان هو ، ولا الواد التانى اللى كان هادى يبتصمخ زى العوازي ..
دول ناس هق لا هنا ولا هناك .. خليم يقولوا ..

ثم سكت عبد الهادى قليلا ليقول بشت :

— ان مانتشني اقطع جندرك يا شعبان انت والمعدة النجس بشامك ..
ما افاشى عبد الهادى ..

وعاد الشيخ يوسف يحبب لما يصتمه شعبان ..

هو يتقرب من عيوالى ، ويدخل عليه نانه صديق ، وانه يريد ان
يقبل منه المعدة لصحة اهل البلد .. وطمش اليه علوالى ، وعترف
له معاخرا انه سرق الدرة والقمح من سخان الصدة ..

ونعد هذا الاعتراف بلبيل .. يقضى على العرين المسكين بنعمة قل
حصرة ..

وتعهد عبد الهادي في اشعاع على حلواني ، ومضى شعبه قائلا وهو
يظهر في الغشاء :

— يا ولداه عيت يا شيخ العرب .. والله كان مالي عنيسا البسد
يا جدد .. !

واستطرد الشيخ يوسف يروي لعبد الهادي في حبيب قصة ميان
آخرين اوقع بهم شعبان ..

عند ايام ثلاثة ، جاء الى الدكان بعض الغتيان الطيبين من اهلين
لفظتهم المدينة بعد ان طردتهم المصنع .. لم يكن شعبان قد اطلع في
اقتناعهم ان الرأية يمكن ان توجد لهم عملا ، فقد كانوا يحافون على
الأرض ، ويحشون عن طريقة للدفاع عنها .. وكانوا يصرفون ان كلام
شعبان من العمل ليس جدا .. قلن يستطيع واحد منهم ان يحصل في
الرأية ..

ان يحصل واحد منهم العاس ليحطم به الحياة التي يتمتع بها اب او
ام او أخ او عم او خال ..

لم يكن عند هؤلاء الغتيان الطيبين اي استعداد لان يشق
انراية .. لان يدمر الأرض التي لعب عليها وهو صغير ، والتي يعيش
فيها عندما يطرده المصنع ، والتي يحبها عليها ويموت رجال وسساء
تجري في مرفوقهم نفس الدماء !

ومثلما كان هؤلاء الغتيان يبحثون عن طريق للدفاع عن الأرض ،
اقنع شعبان بعضهم بسرقة حديد الرأية .. وحكوا للشيخ يوسف ،
انهم اتفقوا مع شعبان على ان يأخذوا الحديد ، ويترلو هو بيعة ، ومسمى
التمن عليهم ..

ولم يكن بعض يومان على هذا الحديث امام الدكان حتى ارسل
هؤلاء الغتيان جميعا الى حجر البحر لبحر سواحسور الليل من المصنعي
امكان نائية ، بلا بحر ، ولا طعام ، وتحت لهب الشمس وسيط الصود !
ظل الشيخ يوسف يروي هذا معجب ، وهو يرثي للغتيان يتعدون
على الشيطان المبيدة ..

ثم قال :

— ادي اول دفعة من غفر النحر .. وبا عالم بقي من رابع في
الدفعة الثانية .. وغفر البحر ايه دلوقت يا اخواني .. الكلام ده كان
من شهر .. حد ياخذ غفر بحر دلوقة .. آه بالحكومة !
وغاض لوب عبد الهادي لفة .. ثم لمعت عيناها ودارت في رأسه

الاكتار ، ان اعمدة يستطيع ان يجمع كل رجال الغرية اذن ويرسلهم
في تراحيل !

وحدة تسمل عبد الهادي بعمه وتحرق اين يمكن ان يحد شعبان
الآن .. ورد عليه الشيخ يوسف مشائلا ان كان شعبان قد ارتكب معه
شئت ..

ولم يحب عبد الهادي ..

وامسك الشيخ يوسف بقعة كانت على أرضه فكانه ، ورفعها الى فمه
وشرب ، ومسح شعبه بطرف كفه وهو يقول :

— يا اخي يا جبد الهادي ، ما حكاية الا حكاية محمد ابو سويلم مع
الشيخ حسونة .. ذا الواد شعبان حبس اهلك كلها .. ابنا عارف
منزلتهم حد بعض ، ومع كذا كانوا خلاص خسروا بعض لولا لطف ربك
ذو الحلال والاكرام !

واقبلت امرأة تشتري ملحا بكوز من الثرة ، فقال لها الشيخ يوسف
وهو يفحص الكوز الصغير :

— شوفي فيه .. دي قرقره دي مش كوز ! ..

فقلت له بباس وحسرة :

— والتبي مامندي فيه .. هو حد لاقيه ..

كعمل الشيخ يوسف قليلا وهو يفحص الكوز .. واحيرا هر رأسه
ورمي الكوز الى داخل الدكان فوق كيزا اخرى ، واعطاهما الملح ..

وعاد الشيخ يوسف الى عبد الهادي يكمل من مابداه من حديث فيما
حصل بين الشيخ حسونة ومحمد ابو سويلم .

وما حصل .. حصل بالامس لقط في متدرة الشيخ يوسف نفسه
اذ اقل محمد ابو سويلم على الشيخ حسونة فوجده مضطبا .. وكان
محمد ابو سويلم هو الاخر يعاني حرجا .

وبدا الشيخ حسونة مثابه .. فسال محمد ابو سويلم لساذا يشيع
عه — على الرغم من صداقتهما القديمة — انه انما ذهب الى المركز
لا لسمي من اجل القرية كلها في مساله الرأية ، وانبت ليقنع اصديقه
هناك بان يغيروا طريق الرأية حتى لا تمر في حقته هو ..

وانحصر محمد ابو سويلم في وجه الشيخ حسونة قائلا في استنكار :

— اتاقت عليك كده ؟ .. كلام ايه ده يا رحالة .. سامع يا شيخ
يوسف حصرة الباطر يقول ايه ! .. بقي انا اقول كده ؟ .. بقي اب اتول
عنت يا شيخ حسونة انك رحلت المركز توالس مع الحكومة ؟ بقي ده كلام

ياحدها.. ويدخل عليك الكلام ده ناشح حسوة ؟ يا حصرة الباطر !
وصاف السح حسوة نبعه محمد ابو سويلم فرعى -
- ايوه اب قلت كده .. انت حاتاروبى يا احي ؟ ! ايوه انت قلت !
فقال محمد ابو سويلم :
- دهدي ! قلت قلت .. الى فى ففك انفعه بفى .. ان كان فى
ففك ربح انفعه . هه .. مادام بترعى كده ، وصاور تونك سا المحس .
مرد الشيخ حسوة فى شيق :
- انا حابوط المحس .. هو انا باوط المحاسي .. انا ربه المحاسي
مش حابوط المحس .. اما قلت انسه صحح !
فهاج محمد ابو سويلم :
- نا قفيل الانسه ؟ انا ياشيخ حسوة ؟ ! نى كنا نفول عليك
راجل متور وينعم نفوم ففهمى انى قلت ههيك كلام ؟ على كده بقى فففى
انت قلت كلام فافى عى بئى !
وحى الشيخ حسوة من الحق فصاح :
- انا باقول كلام فافى ؟ ! انا يا محمد ؟ ! انا قلت كلام على بنتك ؟ !
دى مصرة وشعنه عيال ! لكن انت مش فطان ! انا الى فطان ! !
انا استحق اكثر من كده الى سست اولادى لوحدهم ورجعت البلد
دى ، قال ايه ففشان ففب يد واحدة فى مسألة الزاخرة ..
وصحق محمد ابو سويلم قائلا :
- بقى انا يا علاج افهم الدور وانت انى اسبك متعلم مشور لسه
ما فففى .. هوه مفقول لك تقول كلام فافى عى بنتى .. لكن
ماقولك ان انى بلعت الكلام الى مزعلك بئى برغبه انت انكلمت على
بنتى .. بقى يدخل ففك الكلام ده يا حصرة الباطر ؟ ! يا سانة مهية
يا اولاد ! ! مش ففشان الى قال لك ؟ ! هوه كلام ففشان خال ففك ،
وفففت له صدرك ؟ ! واچه فففى ، كنت حا ففك رفته بالفاس لى
ففشان الشراقى .. ما حاكم الواد ففك ففك كده بقول لى ان ففك
مستحب لصد الهادى ، وحا ففكه بالصا ، من حرة حركة الحمر ..
قلت له ياشيخ ففشان ما اصطلحوا سوا ودحكوا سوا وانفربوا سوا ..
قال لى ولو يكن .. دياب نى مستنى لما الدره بطول كمان شوبة وهو
ومحمد الفدى مرتين الشفلة على ادى .. سالت دياب ومحمد الفدى
حلوا بترية انوهم ان الكلام ده ما حصل وما حرى من اصله ، وان ما فقه
سهم وبى عبد الهادى اياها ففك ، بس فافى ففكته ففك من يوم
ما ففوا انه مستحلف لهم .. القصص فففى وراهم وورا عبد الهادى لحد

ما ففوا ان نمن هو الى مطلع الكلام .. والعصبة انهم فى الاول
ما ففوا راصين ففوا الى الى قال لهم .. بس يقولوا سنا من واحد
ما ففكش .. فففى يعنى ففوا الى الحرايد ؟ ! فففت بفى يا حصرة
الباطر ؟ ! اشى حال لو ما ففكش اب انى ففك لسا فى الاول انك فففى
من الواد ففشان ومشى مستريح له ؟ ! اشى حال لو ما ففكش اسه الى فففت
من الاول على ففشان ده ؟ ! نى انا ففك ففك موالى مع الحكومة ؟ !
يا هار ارقى يا شيخ حسوة .. وبلف ففك كده فففى ففك ففك ؟ !
هو الى بئنا ايه يا اولاد ؟ ! عيش وطوبى .. هو الدم ده سبه ؟ ! ..
هيه العشرة دى ايه .. داها احوايا يا حسوة واكثر من الاحوايا ففك
يا وقعة ففرا ؟ ! يا شيخ دا ان ففك لك انت الى فافى وانا واحد
العراف ففك فففى من ففك ؟ !

واحتلج صوت محمد ابو سويلم ، وففك .. لم ا ففك ففك ..
وففك قلب الشيخ حسوة فى ففك ، وحب ، ولف .. وحا ففك
ففك ففك ففك .. واصطرم ففك ففك .. ففك ففك ..
محمد ابو سويلم وففك ففك ..
- ففك يا محمد يا ففك .. ان ففك لك .. ففك ففك
اكثر من كده .. !

وففك ففك ، وسالت ففك ..
وعندما ففك محمد ابو سويلم قال :
- ملاعب الففك .. ملاعب الففك ..
فم ففك ففك على الففك ففك ..



ولم ففك الشيخ يوسف ففك من رواية هذه الففك لصد الهادى ففك
اقل الشيخ ففك ففك الى الففك ، ليقول ففك ان ففك ففك
ففك ففك ففك ، وان ففك ففك ففك مع الففك ففك
ففك من الففك ..

وبوفت الشيخ يوسف وعبد الهادى وففك ففك :
- يا ففك ففك ؟ ! ففك ففك ففك ..
واسفك ففك ففك ففك ففك ففك ففك ففك ففك
ففك ففك ففك ..

وففك ففك ففك ففك ، وففك فى ففك ففك ، وففك
ففك ففك ففك ففك ، ففك ففك ففك ، وففك ففك

مع الرجال من المرور في حقله .. وكان محمد امدي هناك ، مسدده
بانتراخ وامره الا يتصرف لاحد .. وانسحب ذياب في ادخال ، ووجهه
يتشجح ملي دموع لا تنهمر ، وقد اصغر لونه الاسمر ، واحضر ، وترك
الرجال يذهبون القطر الأبيض الضر الذي يشرح الصدر ويسر الحاطر .
وحين رأى ذياب قطعه يهوى على الأرض ، ويحتلظ بالتراب ، رفع يديه
وخط بهما وجهه ورأسه ، وأطلق صرخات يائسة موقفة :

والتمت أنشيخ يوسف إلى عبد الهادي قتلا في صوت كسر :

.. شبيب يقي ، الحكاية وصلت لايه ؟! شاف يقي شعبان ١٢

ما حلالي ؟! ..

والفتت امرأة في الطريق كلمات الشيخ الشناوي عن حديث
الزراعية فاعلقت صرخة .. وترددت الصرخة ، وخرج النساء من الدور
يسألن عن الخبر .. وبعد قليل كانت القرية ترن بالصوت العاجم بطلقه
النساء ..

وتجمع بعض النساء أمام دكان الشيخ يوسف ، فصاح فبين أن
ينصرفن فرحال القرية يعرفون شعلهم مع حديث الزراعية ..

ودمع الشيخ الشناوي مع امرأة شاة ، حتى لا تنقض وضوءه ،
ورحق في النساء النوايل يلمن ورمع عليهن عصاه ، مهددا بالصرب ..
ووقفت امرأة بدنية عمور تشتم النساء بصوت حاد جاب :

.. بالله سايبه .. هو انتو مالكوش رحاله ؟ مانسيوا الرجاله
يعرفوا شعلهم .. حاططوا انتو تحتشروا في يتوع البندر ألى جابين
مع الحديد .. هاورين تلتوا في الرحالة العرب ؟! طب اطموا على
حوص الترة انحكو في الرحالة .. اطموا ..

ولمير العبياء وجه النساء .. ولدا بعضهم ينصرف في تمثر ، بينما
وقع الشيخ يوسف يقرب كما يكف وهو يصيح :

.. ؟ه يا بلد ماهاش لا كاسر ولا كاسر !! قعدتي تحققي في الكلام ،
وفسكت شعاع في الكلام الفاضي والحكومة بتشتعل .. لها حق الحكومة
تعمل قيسا زى ما يمحصها .. ما تحرى يا وليه اتنى وهبه وتسيبوا
التساريف للرحالة ..

وانسحب أنسباء الباقيات ، وتجمعن في حلقات متناثرة على أبواب
الدور ! بينما أخذ الشيخ الشناوي يقول أنه سمع أن شعبان سيعين
شيخا للفرهاء ..

فاكمل الشيخ يوسف بنفس لهفته اللاذعة المعتدة .. أن كله حائر
في ذلك .. ثم انتمض صارخا :

.. ياشيخ !! وهيه دى بلد .. بفي دى بلد ..
أما عبد الهادي فقد سكت ..

أخلت شبعته لطمخان على بعضهما في عصبية ، واتسمت حداثته ،
وترددت أنفاسه في أفعه بصوت مرتفع ، واختلجت عضلات خذليه ،
وهو يصر على أسنانه .. وظلت العروق تبض على جانبي جبينه ،
وأخيرا تكس رأسه وأسندته على عصاه الطويلة ..

وبعد قليل تحرك عبد الهادي ليتصرف .. فطلب منه التمسيع
يوسف أن يبقى لحظة ، ولكنه صمم على الانصراف دون أن يقول إلى
أين يمشي ..

وانتبه مسرعا إلى بيت محمد أبو سولم .. وعلى الباب لثقا قليلا ،
ولفح وصيغة تجلس على قالب من الطوب أمام الكائون ، والدخان يتصاعد
في حفات كبيرة من حطب القش ، وعيناهما تدمعان ..

وأوشك عبد الهادي أن يقف ليقول لوصيفة أن الرجال من المركز
اتقوا بالحديد ليشرعوا الأرض من أبيها ومن الآخرين ،

ولكنه هو رأسه ومضى ،

وصيغة تعرف الحكاية كلها ..

ولا يوجد في القرية رجل أو غلام أو امرأة لا يعرف الآن أن الحديد
جاء من المركز ليذفي في الأرض المليئة بالقطن ، وأعواد الذرة احضراء ..
كل انسان في القرية يعرف أن الأرض لن تصبح ملكا للقرية ..

وعبد الهادي لا يملك أرضا في حوض الترة ، فأرضه كلها على
الجسر .. ولن يتنزعوا منه هو شيئا .. ولكنه مع ذلك حزين ضيق
الصدر ، يكاد يتزائل إلى اغوار نفسه ، فهو يعرف أنهم حين يفتقدوا على
رجل واحد في القرية فكانوا ضربوا القرية جميعا .. ولئن اعتدى رجل
واحد من القرية على الحكومة لأحلبت به كل القرية ، وإذا سكت هو
اليوم وأرض محمد أبو سولم ودياب تنتزع ، فسيرموه هو غدا في
داهية بعيدة ..

وما زال عبد الهادي يذكر أنه حين قطع الجسر ليروي أرضه لم
يأخذوه وحده ، إنما أخذوا معه محمد أبو سولم .. وعذبيوه وشربوه
وأذلوه .. أن الحكومة عودت أن تعامل رجال القرية كأنهم هم رجل
واحد .. وأنه الآن ليشرع أن الحكومة لا تخطئه حين تعاملهم جميعا كأنها
هم رجل واحد ، فهو مثله سمع بمقدم الحديد ، يعاني في أعماقه كل
مرارة أذلة ..

أنه لا يستطيع أن يتصور حال محمد أبو سولم ، لو أخذوا منه
القطن واللدة ..

— جد يا عبد الهادي .. دره درج بدري ايه .. كله قبل ما تاكله
الزراعية ..

وأطلق محمد أبو سويلم صحكات متتعة .. كالزعرور !
وعلى كل التسمية ترددت قهقهات متتكرة ، تسبع من اصعاق
الصخرة .. من حيث تسع الدموع والمحجوب والدم !
اما عبد الهادي فلم يضحك ..

كانت عيابه تطران الى بعيد ، ورجال الحكومة يقعون أمام الحديد
الذي يظا الزرع ويضمحه .. والى جوار الحديد يقف شعبان والعم
عبد المعاطي ..
وتتم عبد الهادي ويده على عصاه :

— الواد شعبان ايه حشره ؟ ! نتي هيه الصكاية كده !؟ هي كده
دا بدل شيخ غفر صحيح ! ..
وقال الشيخ حسونة ، بأداة كبيرة :
— يا اخي حملك شوية .. ماتبقاش شراس .. كله يتعطل ..
تتمدل ..

لمصر عبد الهادي بشيق :

— مين اللي حا بدله بئس ؟ ..

واذ ذلك همس محمد أبو سويلم في اذن عبد الهادي بكلمات ..
وبدا قطوب وجهه يفرج شيئا فشيئا .. وأخيراً أشرق وجه عبد الهادي
وانتمس ، وهو يظر الى محمد أبو سويلم والشيخ حسونة في أمل
واصواب ..

وهز عبد الهادي راسه وبظرائق تتألق

معال محمد أبو سويلم ، باعتزاز وثقة وهو يضحك ببساطة :

— آمال يا عبد الهادي ؟ .. انتو برغسه لسه صغار .. حاكم نا
«حضره الناظر نابا راقق في الشئلة دي .. من أيام الانجليز يا وله ..

وبعد صلاة العشاء بوقت طويل أطلعت الأنوار في دوار العمدة
وفتحت القرية أبوابها التي أطفأها الليل .. ومن وراء الأبواب التي
فتحت في حذر ، تسالل الرجال في الطريق الصيق الى حوض الترمعة .
كانوا متشاهين : كلم ، يلس الثياب السوداء ! وكل شيء من
ورائهم ساكن الا الكلاب تسبح ، وامهم حشرات المحول تطلق أصواتها

ان عبد الهادي في الحق يحب ارضه افريقية كلها : ارضه هو الذي
احتفظ عرقه تنزاهيا ، وارض الآخرين ..

وهو لا يطيق ان يمس ويصبح فإذا الارض أربابه بالحصرة ، تعدو
ارضا صلدة حرداء يمر فيها البس والغريات ..

ان قوة خفيه لا يعلما تعمر قلبه كلما فكر في اب الارض يستخرج ،
واب هذه القوة انعمه اني تعمر قلبه بلا رحمة لتدفعه الى ان يرمع
عصاه لجعل هذه الارض على ابدوام خضراء ربابية مزدهرة ، تتمدد للذين
يسعون عليها طوي النهار طعامهم على الأقل !

وهكذا اندفع عبد الهادي ، وقد تعجرت من اصعاقه طاقة هائلة
يتعش به بدنه .. طاقة تمكنه من ان يكسر الحديد على رأس العمدة ،
وشمان ، والحكومة ..

واهتمت العصب في يده ، واحس بها عبد الهادي قوة حاسمة ..
كالبنديفة .. وانطلق راكضاً الى الحوض الى حوض اشترعة .. الى
المكان الذي كنس فيه رجال الحكومة حديد الزراعية .

كانت اشعة النهار تصفر ، والريح الفاترة تمرى فيها اول وهشات
الخريف .. والفران السوداء لهوم في الفضاء فوق الحقول ! ..

وهل واس حقل محمد أبو سويلم فوق كومة من التراب ، كان
الشيخ حسونة ومحمد أفندي ودياب يجلسون .. بينما وقف محمد
أبو سويلم ينظر الى الرجال والحديد واد لاح له عبد الهادي
بأداة محمد أبو سويلم ، فلم يرد عبد الهادي وسال عن الطريق ، واندفع
في الحقل الى الرجال ..

واحس محمد أبو سويلم ان عبد الهادي يمكن ان يتحدى على الرجال ،
ففي هيئته اشر .. والشر يفي له ! ..

وقفر محمد أبو سويلم من فوق الكوم ، ولحق بعبد الهادي فامست
به وطلب منه ان يمس معهم فوق الكوم ليرادوا ..

ولم يذهب معه عبد الهادي الا بعد ان قال له محمد أبو سويلم في
همس :

— ما احنا وبننا الشئلة .. طول بالك انت يس .. بالراحة .

وعلى الكوم جلس عبد الهادي محقق .. ولم يحاول ان يظر الى
أحد .

كانت كيران مشوية من الذرة الحديد ، قد التبت امامهم وهم
ياكلون في ثبات .

وقدم اليه الشيخ حسونة كوزاً من الذرة قاتلاً :

الحصنة في فراغ شامع من الظلمات يحقق سمات يدب إليها أبرد
لاول مرة .

واقترب الرجال تحت شعاع النجوم من حفل محمد أبو سويلم
ومن بينهم رجال كانوا منذ لحظات يشتكون ألمهم من حصوات في الكلى،
ويمتأنون ألاماً مصصة من التهاب البرول . . ولكنهم مع ذلك مضوا في
حطرات ثالثة : تتلاحق ألامهم والنغم في صدورهم أكيد لقوى . .
أقوى من الألم ! . .

وهمس محمد أبو سويلم لرجل طويل ملأه يسرع الحطلي متقدما
الصوف !

— طول بالك يا عبد الهادي . . أوجع ورا أنت شوية أحسن
يشوفوك بفروبو عيار نار ! . . مش هاورين عيار واحد يضرب . .

وتراجع الرجل الطويل في أسوأ . .

والى جوار حديد أنزاعية في وسط أنجول ، دعت شعب هيبه ،
ورفع رأسه قليلا وهو ما يزال راقدا . . وقال :

— افوذ بالله . . حاكم الحنة مسكونة . . سميع الوشوشة

يا عبد العاطي ! المعارب ظفوا ل ! ! . .

وسكت شعبان قليلا ، وصدره يحقق من الرعب ثم همس :

— حاسس بالنفس اللهب يا واد يا عبد العاطي ! ! المعربت !

المغربت ! ! واد يا عبد العاطي . . ياوله . . يا عبد العاطي ! .

ولكن عبد العاطي لم يجيب . .

وأخذ شعبان يتشم بشنجه لعبد العاطي ، وقطع الشنجة وأخذ
يهمس بأوارد دون أن يجرؤ على رفع صوته في الظلام المترامي ، بينما
كان عبد العاطي يستنقئ على الأرض غير بعد عنه ، وقلبه يدق في
انتظار الرجال . .

وتحسس عبد العاطي بندقيته وندقية شعبان وأمسك البندقيتين
بيده جيذا وتظاهر باليوم العميق ، وأخذ يطلق الشحير . . وفي لحظات
كان الرجال ينقضون على الحديد . .

ووثب شعبان ووقف مروما وقد أدرك أنهم الرجال لا المغارب ! . .

ثم انحنى على الأرض ليبحث عن مدقته ولكن عبد العاطي كان
ممسكا بها ، وقد ماتت يده عليها ، وهو راقدا بلا حركة يطلق الشحير
المرتفع ، كما اتفق مع محمد أبو سويلم قبل المغرب . .

وبدا رجال القرية يحملون قطع الحديد ، ويندفعون بها إلى التربة
المرسة ، ويتدقونها في الماء .



فوجيء شجاعا بالرجال ولم يفتح في انزعاج يذمجه من يد
عبد العاطي فصاروا ان يرفع قصيب من الصديد ليختم به رؤوس
الرجال .. غير ان عبد الهادي انحنى عليه وسد فيه ، ثم دفعه ، وحمله
على ظهره - كمن الدرة - تماما ،

وجرى عبد الهادي وهو يحمل شعبان في شبق يلدغ ، ووجه
امم شاطئ التربة وهره قبلا بين يديه لم يقدح به ابى اصمك التربة ..
وكانما هو قطعة من حديد انراعية الذي ارسلته الحكومة لتفحص
الأرض ،

وحمل كل رجل قطعة فوق ظهره واحد يترج تحتها فليلا في
الظلام ، وما ان يقدحها في التربة حتى يصبب قامته ، وهو شبح يمشي
القوة التي يتبعها دأبا حين يسمع فيه « ابو رند الهلالي » ..

ولماتت صرعات شعبان من اصمك التربة ، وعى شططا بعض
الرجال يضحكون ويهددون شعبان بالا يعود والا قتلوه بالبنسة ..
كانرس ! ..

واطلق شعبان آخر صرخة وهو يتحبط على ماء التربة قائلا في
استعالة « الحقوي » فعن له احد الرجال :

- حلي العمدة يهتف .. حتى الحكومة لتحقق ..

وعندئذ تأكد الرجال ان شعبان قد غطس تماما في الماء عادوا الى
رعى ما في من قطع الحديد والادوات وهم يصبجون ان شعبان
قد مات ! ..

لم ينج لهم ان يعرفوا ان شعبان قد غطس قبلا كما يعمل الصيادون ،
ثم ظهر على سطح الماء بعيدا عن مكان الرجال ، ليعيش في قرية اخرى .

ولم يكن الرجال يعرفون من انشاء الحديد كله في التربة ، حتى
عادوا وهم يتصديجون متبطين ..

وكان عبد العاطي ما زال متناوفا بطق الشبح كما اتفق معهم
وضحك محمد ابو سويلم قائلا :

- يا حائك الغم يا واد يا عبد العاطي .. تقولني تطلب ياخي ! والله
عازم عليك ! زى الشمس تمام ..

وضحك الرجال وبعضهم يقول :

- آي يا واد .. شخر كمان شخر ! ..

وعادوا الى الدور ، شادرون بمظهر بعضهم وهم يحملون الحديد ،
وبمظهر شعبان وهو محمول على ظهر عبد الهادي ، ثم وهو يهوى في

التربة .. ويضحكون يصفه حاضبه من عند اماني الذي اسمر يشرح .
حتى بعدما اراح شعبان !

كانا على طواف الطريق يمشون في حمة مرحة ، محمولين على
رئيس الضحك ، وكانهم لم يكنوا من قبل ! ..

وم يكن ارجلهم سلمون دورهم ، وم يكد الابواب مفتوح لهم حتى
اعطيت الزغاريد .

غير ان صراحا هفيفا من بعيد مرق هرج الزغاريد .. وتصاعدت
من عند الدوار صيحات هلع .. هذه اصيحات المروعة التي انسه المتناهه
اننى لعن ذلك من حلال العجر والانيار : موت انسان ! ..

ووجعت القرية لحظة ثم سرى نسا ان العمدة المعجور مات .

مات في الثمانين .. وصاح احد الرجال :

- كل ظالم وله مهلة .. ويموتوا على ايه .. ذا عصره يبعث
مائة وخمسين سنة ؟ ! ..

واطلق صوت شاب : يا ريتا يعيش نحن ما هاش !! ..

وراحه صوت آخر :

- ايوه .. كل ظالم وله مهلة .. كل ليل وله آخر يا ولاد .. لفرني
ناب .. ادى احنا حطنا من الزاوية وم العمدة ومن شعبان سوا ،
في ليلة واحدة ! ..

وهذه الدقوب لمسي الوقت .. هم يكن احد في الضربة يستطلع
ان يصدق ان هذا كله يمكن ان يحدث في ليلة واحدة .

وبحظة بعد لحظة زحبت موجة كبيرة من الفرح لعمر القلوب .

واضحت الاكف تصفق على انغام الزغاريد وانسماء بعض مع
الرجال :

يا ليلة بيضة الليلة دي

والفرح حانا البيلة دي

وهو محمد ابو سويلم رأسه والابتسامة تملو وجهه وقاد مناد :

- يا ولاد هو حد يشمت في الموت ؟! لكن القصص .. سرود
ياخد .. كل شيء وله آخر ..

ولمات اخره اول شعاع من الفجر وهي ترقص وتزغرد .. واطل
في السماء .. اصدق الماء .



في مصغره العربيه . وقف اقارب العمدة يستعملون
المعري . وليس شيخ البلد ، ان عم العمدة ، صباهه ،
واحتلاسه الكثير الى وضعت بصايه تحت المرنه
بعد ان فرشتها روجه # بانجلده # .

وبعد صلاة العصر اتحد شيخ البلد مكانه على رأس اقارب العمدة
فعمد وحده من دونهم في منطقة الكراسي اللامعه الممتدة فوق بساط
احمر باحت يحتل مساحة صيقة من اول الضيعة .

اما محمد أبو سويلم فعمد احتار مكانه على دكة من الدلك الحشيشه
انمديده ، انحط عليها العلاهون وغية العرب من فلاحى البلاد المجاورة ،
في آخر الضيعة .

وكانت هذه الدلك مصفوفة على أرض الصيعة بلا بساط ولا حصير
والى جوارها فرشت الحصر ، ووضع عليها السكتب البلى الذى جمع
من بيوت اميان القرية .

كان شيخ البلد قاعداً على كرسى كبير مذهب فى مواجهة باب
الضيعة وهو يفكر يرهو فيما قاله المأمور على النيقوس : ان يقوم هو
بأعمال العمدة . . ان يكون هو نائب العمدة . .

وبدا يصعب تمام كما كان يصعب اعمدة فى مثل موقعه : فهو يقوم
صعب قومه ، او يتقف منتصباً أمام الكرسى ، او يمشى خطوات بعيداً
من الكرسى حسب مقام الرجل الذى يقبل للعزاء ، وحسب رغبته فى
ان يبدو هذا القادم محترماً او نصف محترم ؟
واحس شيخ البلد انه الرجل الأول فى القرية الآن .

ولكنه مع ذلك اسرح مع مواقف العمدة ، واحدا يقارن بين نفسه
وبين العمدة انراجل . .

كان العمدة رجلاً آخر ، اسخ اشعر - رهنا .
وكثيراً ما كان يسلم على الناس وهو قاعد ، ولا يقوم الا للعرس
العرى ، فدا وقف ليستقبل احدا قام معه الجميع .
اما شيخ البلد . . فهو يقوم ، وبنى ، وقعد ، ولا احد شعر به !

وقرر بينه وبين نفسه الا يترك الكرسى المذهب الكبير ليستعمل
معرى ، الا اذا شاهد احدا عربات الحظوظ مقله من المركز .

يحب ان يستعد ليكون عمدة . . بهيئة العمدة ! . .
والقى نظرة متفالية من كرسيه المرتفع الى الفاعدين على الدلك . .
كانوا يسمعون الشيخ ابراهيم اشهر مغزى فى الدحية : ويطعمون
صباحات الاستحسان ويطعمون منه ان يعيد من الأول ويريد . . كأنهم
فى مولد لا ماتم ! .

وقد انبهم شيخ انهد بسمه . وتحسن جلانه الكثير . ثم
عقد يديه خلف ظهره ، ووقف يمز بذنه اسجيل . ويطبخ سهم فى
حسم ان يسكتوا وان يطعموا السحالي ، وهم يسمعون العرب .
واطما بعضهم السجائر . . ثم بداوا يسمعون . ويتبادلون انظرات ،
ويتهمسون . .

وقال ذباب لجاره فى صوت مسحق :

.. يمشط قوى كده ليه ؟ جرى له ايه شيخ البلد ؟ ا يعنى بقى
من الحكام ! .

فاجابه جاره هامساً :

.. انا عارف له اصغر اوش ده ؟ . . ذا كل حين ومن منى ما واحد
معتذر ينفلب وسمح للشيخ ابراهيم فى المعزى ! ذا بقى له خمس سنين
ماقرانى من اللب ذا كله .

وما كد شيخ البلد يعود الى مكبه حتى اترام صوت الشيخ ابراهيم
برتل آية حديده بأعذب نعم .

وصاح احد العلاهين من منى الدكة :

.. ايوه يا شيخ ابراهيم يا مشيح ! . . وانسى امرها يا باند سمع
وترنح كمان ابو خنيل يا مقع . .

وابتسم الصلاخون من بونه وابتنم الشيخ ابراهيم نفسه وهمس
فلاح آخر :

.. ادى انغرايه مسحيح . . ادى الصبيحت الى بالمى . . مش
انغمها تنوها الى عاملين رى الصمغادع . . ادى اعراى مش الى
سقراه سيدنا ! .

وصاح الشيخ اشساوى وعى وجهه امارات احترام كبير للشيخ
ابراهيم :

.. صوا علىى واسمعوا يا اولاد . . ايوه ناعم الشيخ ابراهيم رب .
يفتح عليك .

وأمنت الجميع سبعة ، بينما كان شيخ البلد يميل برأيه الى امام وحسده عارف في الكرسي اكثير المذهب .

كان يحاول أن يستمع الي رجال جاموا من المركز للمراء ، والشيخ حونه يحسن بينهم ، وكلهم يتحدون بصوت كالهمنس .

بعد احس شيخ البلد بان عيه ان يشترك معهم في الحديث ، او على الأقل فلحسن السمع ، ينور ا .

وسمعه يتكلمون عن صحت تصدر في القاهرة وينلقها صدقي ، فتصدر في اليوم الثاني باسم جديد .

وسمعه يتكلمون - باكثر - اسما رجال يعيشون هنالك في القاهرة ولا يعرف منهم الفلاحون كثيرا .

وهذه كلمات حرة قالها صاحب الاحزانة الكبرى .. كلمات عن طه حسين وحريه الجهاد .. والحاميه .. وشيء اسمه انديمقراطية .. وحرية الفكر !

وحرك شيخ البلد في كرسيه ومال نصف جسده ورفع حاجبيه كما يريد ان يشت في اذيه ، وفي قلبه ، كل كلمة يسمها .

وتكلم المحامي الذي كان نابيا عن الدائرة - قبل حكومة حزب انشعب - فاجذب شيخ البلد كرسية الى امامه وأخفى ظهره وامتنعت رقبته اكثر من قبل ، وهو يقول بصوت هانس دون ان يعفل بقراءة الشيخ ابراهيم :

- سمعنا يا حضرة الأستاذ .. سمعوا الكلام انطو بناتكم ده .. احنا مش دارين الدنيا ماشية ازاي !! .

وتهدج صوت المحامي وارتفع قليلا من الهنس - وهو يتكلم عما تصنع الحكومة بخصوصه فهي تهدد الموكلي في مكاتب المحامين ، وهي تحاول ان تنقب أراضي حوصوها وتحرق متاعهم ، وقد سمعت المساء بالعلم من مساحب كبيرة من الأرض ، وأطلقت رجال البوليس يطدون الفلاحين هيا وهالك ..

واستمرسل المحامي في صوته المتهدج يتحدث عن الازمة التي لن تخرج الا اذا كت في مصر حكومة ديمقراطية ، ثم استنطرد بصف اعمال الحكومة اوحشية وبروي ما رآه وما قرأه من المظاهرات في المسورة وطبعا وبني سويف والفيوم .. وكيف حاولوا هناك قتل رسم الامة عدة مرات فلتقى به طمة السكي ثالث حريء اسمه سينوت حنا ..

ومعني السائب بروي كيف حاولت الحكومة مع زعيم الامة من

رحلته وحاول امتاعه في بيته ولكنه خرج متحديا سلطانها وسلطان الانطير ، وفق صفوف الحسد فاضطروه الى الصوم على ارضية المحطات .. ومع ذلك صمم هي ان يعلن ارادة الشعب ولتمتع القوة العاشقة ما تشاء .

ولم يكد المحامي يسهي من كلامه حتى اندفع الشيخ حشونة بصوت حار يذكره بتخبط سلاسل مجلس السواب ويطلب منه ان يشرح بالتفصيل موقفه ويصا واصف رئيس المجلس الطل الذي اقتحم دار البرلمان متحديا قوة الرصاص بعدد اداع النواب اهم لا يعترفون بحل مجلس انواب ولا باعاده الدستور ولا بفخاذه الدستور الجديد .. دستور حزب الشعب !

وبدا المحامي يشرح في كبريه ، فاحتلعت القلوب ..

وهو شيخ البلد رأسه ، وسحب الكرسي المذهب الثقيل ، فازداد اقتربا من المحامي ، وشعر بحفقات قلته تتعالي .. وشاعت في نفسه حماسة بحالها الأمل .

وامتلا شيخ البلد احساسا بطولة الذين حطموا السلاسل ، وناموا على ارضية المحطات ، وملأوا الشوارع في القاهرة وطبعا والمنصورة والفيوم وبني سويف ، ولم يحفلوا بالخاص .

وهو رأسه متحصرا لانه لم يكن يعرف هذا كله ، وكان يمتني وراء العدة ينفذ سياسة الذين وضعوا الحديد في مجلس النواب ، وأطلقوا الرصاص على الناس في الشوارع ..

واضطرت نفس شيخ البلد قليلا وحاول ان يسأل المحامي من كلام قاله المحامي ولم يفهمه هو .. كلام قاله المحامي من وحب اعادة الحياة النيابية وأطلق العربات لنفجر الأزمة الاقتصادية ..

ولم يعرف شيخ البلد كيف يصوغ سؤاله .. ولكنه قال عجاة :

- طيب وبيا حضرة الأستاذ ايه رايت في القطن بقي ؟ مش عابضوف له يوم زى زمان .

وهو المحامي كتعه بسحرية وقال مستهزئا ان صدقي باشا اقتصادي حمار ذو كمادات والانطير في حكمهم لمصر يعتمدون على امثال هسله الكعاب ! ..

وأدرك شيخ البلد من انشامات السحرة ومن تحرته انه لا صلاح للفطن ولا لأي شيء في مصر ما دام صدقي يحكم البر ومعه رجال يركون ظهور الناس ، ويهزون أرجلهم .

وأحسن شيخ البلدة أنه كان هو من قتل ، يعرف شيئا كهذا ، ولكنه كان فقط يريد أن يفهم من المحامي أين أنظر إلى الحرامي ! .

ولكنه سكنت لحظة ، وسكت المحامي وأبدن من حوله .. وصوت الشيخ إبراهيم يرتفع يتلو الآيات بالقرارات السبع ويعيد الآله الواحدة بأنعام وبعثات مختلفة ، والملاحون يتصيحون أكثر من ذي قبل .. وقال أحدهم :

— الله يا شيخ إبراهيم ! داحا مش عايش يا ولاد .

معاوية آخر :

— آه يا شيخ إبراهيم .. أنهى يدوت لما كل يوم عمدة عثمان نسمةك يا شيخ ..

بما ارتفعت من حارج المضيعة شتائم قاسية تطيحها جلعة عربية مضطرب . ووقعت القرية بعيدا والشتائم تصب على رجال يعنون أمام حبل طويل ربطت فيه حمير المزعزين بعيدا عن المضيعة .

وأخذ الرجال يعددون الحمير التي حملت المعززين من بلاد بعيدة . فواصت العربيه سيرها إلى باب المضيعة ، بعد ما انفسح أمامها الطريق من ركوب المعززين ..

وقتل أن تعف البقرة أمام الباب ارتفعت همهمة باسم محمود بك وإمامور ، وهب شيخ أنبلد من مكانه ، وجرى ممرى إلى باب المضيعة وقد تعلل — فحاة — عن كل هيئته التي ظال يدخل فيها مسل دخل المضيعة .

وحرج وراه إلى الباب محمد أمدي والشيخ الشماوي وبعض أهياى القرى المحاورة ليكونوا فى استقبال المأمور ومحمود بك .

وهمس أحد الملاحين لصاحبه فى زهر واضح :

— المأمور ؟؟ يكونشى درى بحكمة حد يد الزراعة ! .

فأجده حاره هاهنا :

— دهدي .. ما يدري ! ..

وبدا كل من فى المضيعة يقف .. إلا المحامي أبدي كان نائبا للدائرة فلم يتحرك لا هو ولا أبدين حادوا معه من عصمة الإقليم ، ولا الشيخ حسونة .

وهمس المحامي قائلا أنه لا سلام مع رجال الحكومة أو رجال حربها أو المتعاونين معها كما يعرف الجميع ! .

وأستمر الشيخ إبراهيم يقرأ الآله التي كان يقرأها .. وكان يقرأ « بالسبع » ! .

وعندما كان إمامور يحيط باب المضيعة ، وهو يشد بدلتة العسكرية على بدنه الضيق ابتكرش والملاحون يطرون إليه فى حذر ورهبة اضطرب الآلة :

« وانظر إلى حمارك » ..

ووقف المأمور فى المدخل والكل ينظر إليه وإلى بدنه السمين وصوت القريء بعيد :

« وانظر إلى حمارك » ..

وتقدم المأمور إلى منطقة الكراسى المذهبة ، وإلى جواره محمود بك فى طربوشه أمتع الشاهق ، وجلاب بلدى أبيض يسدل عنهما على جسده العار .

ومن وراءه الشيخ الشماوي ومحمد أمدي وشيخ البلد ، وبعض أعيان أسلاب المجاورة .

وبدا الواقعون يشعرون من أمانتهم لمأمور ، ولحمود بك .

وجلس المأمور فى صدر المضيعة .. مكان شيخ البلد ، وعن يمينه محمود بك ومحمد أمدي .

وتنزل الناس من أماكنهم ، وهبط بعض الذين كانوا على الكراسى المذهبة فجلسوا على الكعب ، وترك بعض أبدين كانوا على الكعب أماكنهم ليجلسوا على ذلك الكعبية وذهب أنشيخ الشماوي يجلس على دكة وسط الملاحين .

والتى شيخ البلد بنفسه على طرف كرسي أخضر مذهب من شمال الأمور ..

وشعر شيخ البلد تكرياء وهو يجلس إلى حوار المأمور ومحمود بك . واستنقذ عيون الملاحين على المأمور ، والشيخ إبراهيم مازال يرتل بالسبع ، وبعد كلمات الآلة :

« وانظر إلى حمارك » ..

وأحسن المأمور بالنظر لتجه إليه ، ورفع هو بصره قليلا إلى القريء ، ليحاو الآله .. ولكن الشيخ إبراهيم كان مشغولا بإعادة الآلة وترتيبها بأحبل ما يمكن من صوت .. ونكل ما يعرف من طرق ، وحيل ! .

أما شيخ أنبلد فقد ملأه الراحة ، وهو يتأمل إلى حوار كنفه تكف إمامور ، وأخرج من حبه صة سحائر ، أشترتها مائة الفضة ليفدم منها للأكر من المعززين .

ووقف أمام المأمور وقدم له سيحارة ، وسيحارة أخرى لمحمود بك .

وعاد يمسد في مكانه على طرف الكرسي الى جوار السامور وهو يبادي :

— قهوة لسعادة المأمور يا جدد .
والشيخ ابراهيم م زال يبعد في الآية :
« وانظر الى حمارك » .

وانتسم المأمور من المركز مع المحامي ..

ومال المحامي على جاره وهمس في اذنه واجيب الفحكات ، وهما يبطران الى المأمور ومحمود بك ، والآداب تنقطع كلمات الآية ..

وسرت نفس المهمة في العلاجين ، وميرهم محلوطة على المأمور وبدأ بمصهم يكتن الفحكت .

واحس شيخ البد بخرج كبير ..

ونظر الى السامور فوجده مغطيا يمش دخان سيجارته بمصيبة وانفاسه تتردد عالية في صحيرة .. والى جواره محمود بك محتقن الوجه من الغضب ..

وهزل شيخ البد الى المقريء وهمس في اذنه :

— شوف لما آية غير دي لقي مرضك .. عدى الآية دي بقى .. نلاش نعرنا ناسح في آية وانظر الى حمارك دي .. لاحسن انناس يتبص حالمامور .

ولكن المقريء نظر اليه باعمال واستهجان ، وتكتت يدها على صدفيه ، وحاجاه يرتفعان بضوض جهته ، وانطلق يركل :

« وانظر الى حمارك .. » .

واحدثت الهسات الساخرة تترايد بشكل ملحوظ في منطقة الكراسي المدهية ذات العظيمة الخضراء الكالحة .

لمصاح محمود بك في ضيق :

— خلاص يا شيخ ابراهيم ! ما ميش في القرآن غير دي ! من ساعة مادخلنا وانت عمال كنت وتمعن في الآية دي ا همه مصلطيك !

وانفجرت الفحكات صريحة قوية من اعجاسين على ذلكك .
فوقف المأمور قانلا في صوت حاسم :

— صدق الله العظيم ! طب يا ابي ما تقرأ آية وحشرناهم الى جهنم يوم القيامة وهذا .

ورد المحامي ضحكا :

— ما ميش في القرآن آية كده ، انتم حائلوا قرآن حديد ضد الود !
وسكت المقريء .. مقصبا .

وسكت الصالحون فوق الدلتا .
وحس المأمور صدم الوجه ..

وحجم الضم على الجميع لحظة .. ثم رفع المأمور يده ، ولوح بها للجالسين على الدلك وهو يقول :

— طب يا بلد ! مش انتو بتوع حديد الزراعية .. مش انتو بتوع يحيا الود ..

فقال احسانى بطلاة :

— ليسوا هم فقط ! دي مصر كلها كده يا حضرة المأمور .. وللا انت زعلان طشان حكمة يحيا الود دي جذب في وشها المأمور الى فاف والحكماء كمان ؟! آمال الناس يعني حاتقول يحيا صدي ؟ حاتقولوا يحيا حزب الشعب ؟ ولا يحيا الانجليز ؟ .. انتم فاهمين انكم رايحين تحكموا البلد بالحديد والبار ؟! لا .. دا بعدكم يا حضرة المأمور ! هيه البلد دي تناصتكم ؟ انتم فاهمين ايه ؟ هيه بلد مين ؟ دي بلدنا : بلد العلاجين دول اولاً .. كذبة بقى شعل قطاع الطرق ده ..

وبهت المأمور ..

بيما شاعت الراحة والتقة في قلوب الجالسين على ادلك فهوا رؤوسهم في رضى وهم ينظرون الى مالمهم السابق وهمهوا :

— قول له ! يمكن فاكزين ان البر ده بتاع حزب الشعب .

ولم يتكلم المأمور لبعض الوقت ..

ولكنه لم يشأ أن يرد ، حتى لا يدخل في مناقشة فيقلب المائم الى اجتماع سياسى .

وبعد صمت طويل متواتر قال المأمور لجاة بصوت كالتفكير :

— من الى ومن حديد الزراعية اسامح ؟ .

وهمس احد العلاجين :

— هو هزا دا ولا بتحقيق .

فقال له حاره في سخرية هاسة بالمأمور :

— شوف شوف ! وانظر الى حمارك .. بس يا بتاع وانظر الى حمارك .

وكتما الفحكات في كهما .. بيما بقى الآخرون حاسدين ينظرون الى النائب السابق لم الى المأمور وقلوبهم تحقق من خشية المحول .

ووقف شيخ البلد واقسم للمأمور انه لا يعرف من الذى رمى .
حدد الزراعة والحفير الذى كال يحرس الحديد يقول ان المعسارت اناموه ، ورموا الحديد في الترفة .

ومضى شيخ البلد يقسم أن العمدة المرحوم كان في صحة جيدة ولكنه عندما عرف أن حكاية مات بهزمتها ..
وقدم للامور سيخارة جديدة ، متلفا .
وبعض الامور من فوره قائلا .
- طيب أنا حافرف اربي البلد دي واحديها عبرة .

وانصرف وكزشه يهتق قبل أن يشرب القهوة ومعه مسيجاره ام تشتعل واصرف معه محمود بك وهو يهدد .

وقام وراءه الشيخ الشنوي مهولا متندرا وتنه شيخ البلد .
وقد محمد اعمدي يسر وراهما مودعا ينظر اليه حاله الشيخ حسوة مؤتب ولكنه لم يلحظ صداه محبا .. وعاد محمد اعمدي الى حاله على الفور همس خاله في اذنه بكلمات قارصة وامره ان يحتزم نفسه ، ويحط على الكرسي بدلا من الهزولة حلف الامور .

وركب الامور الى حوار محمود بك في امرية اعطسور ، ووقع شيخ البلد وبعض اقارب العمدة على باب الضيعة يرفعون ايديهم الى رؤوسهم شاكرين للامور سعيه ، ولكن الامور لم يرد ..
ووجهوا الشكر الى محمود بك ولكنه لم يحب ..
وعندما بدأت امرية تتحرك ، اطل الامور على شيخ البلد ، وسأله بالكلام ؟!

ومضت العربة في طريق العودة والصغار والسماء امام الدور يهيمون في وحل واستغراب ؛
- الحكومة .. الحكومة كانت في الحري ؟ ..

وماشت القرية بعد ذلك تتحدث لايام عن ماتم العمدة بلباسه الثلاث وعن الشيخ ابراهيم وعن راية الامور وكلامه ، وتطلق ضحكاتها وهي تستوحح حالة الامور حين يماحه في مدخل الضيعة .. صوت المقرء يزل ؛

« وانظر الى حمارك » .

وكانت القرية تقطع هذه الاحاديث لتتكم طويلا عن الليسلة التي رمت فيها الى التزعة يحدد الزراعيه وشمان .

وأصبح تلك اليلة تسمى في القرية « ليلة الحديد » . ويوما بعد يوم صارت كليلة حرق الانجليز - نضبا داعيا في هود الفرنه ..
وظل ذباب كلما النعى بعد انهذى بذكره نصراح شعبا حين انى.

مع الحديد في الرعة .. ثم يبعش شعبا ، وانعمته والحديد اعداء القرية الذين تحصنت منهم القرية في ليلة واحدة . نيبضاء ..
وكان الغلاخو كلما دفعوا رؤوسهم عن القوس يمدون صيوت المامور وهو يتكلم عن ليلة الحديد ، ويهدد ننادي القرية ، ثم يصيحون غير حائلين بما يمكن أن يصعده هذا المامور الحديد ذو الكرش الكبير والدين العليظ !.

على أن الشيخ يوسف فقد اهتمامه بكل هذا . وانشغل بالتكبير في أمر العمدة الجديد !.

من يكون العمدة الجديد ؟
يجب أن يكون من عائلة اخرى غير عائلة العمدة القديم !.

ان عائلة العمدة القديم متعرفة متخاصمة ، ولا احد اتياها يملك الرماح المطلوب من الارض .. ولكن الشيخ يوسف يعرف أن هذه العائلة تنفق حتما على اختيار شيخ البلد .. فافرادها يهتمون ، ويضربون بعضهم ، ويتخاصمون أمام الحاكم والواحد منهم لا يطي اخاه .. ولكنهم ككلاب يهتمون ليتجوا معا .. عندما يظهر غريب .
وتحدث الشيخ يوسف في الامر مع محمد أبو سويلم ، عقبال محمد أبو سويلم باصرار ؛

- والننى شيخ البلد ماهو شايها ، لما حتى تنقع عيه بشطيه ..
ولم يكن محمد أبو سويلم قد افكر بعد في رجل نالذات يمكن أن يصبح هو العمدة ، ولكنه فقط كان يقول دائما ؛

- هاربري نعد من السلسال المحس ده .. قال بيتولوا ان احواز بنات العمدة حم من البلد دي والبلد دي ، وانفقوا مع العيلة كلها ايمهم يسبوا العمودية للشيخ البلد ا يا اخي دا بعده ، والله العيلة دي ماهي طيلها ثاني ..

وذهب الشيخ يوسف الى المركز ذات يوم فاشترى سبلا حديد لعمامته ، وعاد يطلب من الكشمير فلسه ، وظل يطرح اكماله متحالا ، ويرفع ذراعه ، وتكتف عن كم طويل لعلة جديدة صفراء ،

وقعد يوما مع الشيخ حسوة واحد يمسز يده ليكتشف من كم العائلة ، ويتعشى الحلاب الكشمير والصديري الشاهي . ثم قال في سعب .

- شاف يا حضرة الناظر ؟! آهو كل ده للعمودية ! يا سلام كده عليه اما حتى لو بقيت عمدة ؟! .. داما اعطي في العمودية قوى يا حضرة

الباطر ! والسبب أنا مطلي فيها !! لما بعولوا لى كده يا حصرة اعمده ،
تتلى كده حباله عليه .. شايف بنى لى العمد .. هـ هـ هـ .. آهو
انه حصرة الباطر ، وانا حصرة العمد ا .

وكانت العاطة تتعجم فمه لى حجل وتردد .. وهو يحاول جاهدا
ان يستر قسمة فى صحنكات منكسرة يسوقها لى شعبه .

ولم يرجع الشيخ حسوة لكل هذا فقال :

— خبير ايه يا شيخ يوسف ؟! دى العمودية قات عملت : عموديه
ايه يا راجل ؟ عمودية ايه وهساب ايه اتى شاعل به نفسك ؟! يا شيخ
وفر فلوسك يا شيخ انت وهاب بهم هـ هـ هـ متنبى بالأولاد ، بدل ما هم
دايرين بهدومهم مقطعة ؟ ايه اتلى لى عمد ؟ كلام ايه ده ؟ ايه الكلام
اسحاب ده !!

وصدم الشيخ يوسف من هذا الكلام ، ولكن الشيخ حسوة كان
حاسبا جاحلا لا يحسب ، ونظرائه تبعته فى حدة واستعجاب !

وبعد لحظات من الصمت ، تكلم الشيخ حسوة طويلا من محمود
بك وكيف يلعب بالقرية كمادته .. فهو يشتر فرصة حلو العموديه
ليشعب لعبا ويأخذ مالا من هذا ومن ذاك وفى النهاية يسمى ليكون هو
بعض عمده .

وطل الشيخ يوسف يسمع لى حجل ..

ولم يعد يتحدث لى أمر العمودية مع أحد ..

وفكر لى صمت ان يدبر مالا لمحمود بك كما صبح الاحرور . ولكن
عبد الهادى شعر به فسخر منه .. فاقسم الشيخ يوسف الا تشكله
مرة أخرى فى الموضوع ،

وشطج فكره لى علوانى ! ..

لو ان علوانى فى القرية لكن هو الوحيد الذى يطرب لتعجب
الشيخ يوسف .. ولتجسس وهز ذراعيه واصباح بكلمات كثيرة مختنطة
تعلل النفس بالكرباء والمرء والأمل !

انهم هيا كلهم يكسرون النفس .. فابن علوانى ؟!

ولكن علوانى الآب لى سحن المركز ا .

رما كابوا يضربونه ويسقونه بول الحبل .. بلا دب !!

وعادت الحسرة على علوانى تقيس فى احماق الشيخ يوسف وهو
يستعيد فى حباله كل ما صنعه العمد المبت لى القرية !
واسترجع موقف محمود بك من العمد والقرية .

وولت الى ذهابه صور عديدة لما اركبه محمود بك فعال لمسحه
ان الشيخ حسوة وعبد الهادى على حق ! ..

ولكن المهم الا يسمع لاحد من عائلة العمد القديم بان يكون عمده ..
وخلع الشيخ يوسف جنبابه الكنسر والعانة الصعراء الجديده
والصديرى الشاهي وماد يلب همت بالثال القديم ويجلس فى مكانه
يقرا « سيرة ابو زيد الهلالي » ، ويقت طويلا بالصفحات التى تروى صر
« ابو زيد الهلالي » على تلك الأيام .. ثم يتنلى حباسا وهو يعز انصد
البطل بعد هزيمة ، وسقوط سجمه بعد اقول !

ومضت الأيام بالقرية دون ان يعرف أحد فيها من هو العمد
الجديد .

وفى الحين ان امر تبين عمده جديد لم يكن يشعل الصلاحين لى
الحقول ، فقد كانوا يقولون لبعضهم انه لا يتم ان يتكسح صعدة ؛
ويجىء آخر ؛ فالعمده الجديد ان يرفع سعر الفطن ، ولن يمدل مواهب
الزى ، ولن يفر مشروع الزراعية .. مادامت الحكومة لى مصر ياقية
كما هي .. فى يد حزب الشعب ا .

لم يكن أحد على الاطلاق يفكر ليسن هو العمد الجديد الا ثلاثة
رجال أو أربعة يريد كل واحد منهم ان يكون صدة .. ومن ورائهم قلائل
يعنيهم الموضوع ! ..

لما بتبني القرية فقد كانت تمك لى موقف الحكومة بعد ان
ومت القرية حديث الزراعية ، وفيما يمكن ان يصنع المامور بصدد ان
انذر القرية فى مأم العمد .

وقالت وصيفة لامها انها حملت حلما اخافها ..

وقاطعتها امها مزعجة قل ان تحكى الحلم :

— ما تعريشى لى وشى ا ربا يحمله خير ا ربا يعوت السة دى
على سـ ! هيه يعنى الحكومة حاسكت على للة الحسديد ا نانا انا
مشغولة على ابوكى ! يا هالم الحكومة ناولية تعمل ايه فى رحالة اسلند ..
على الله السنة دى تعوت بس بالطول ولا بالعرض .

كان قد مر أكثر من أسبوع على للة الجديد ، وبنات عائلة احمد
تعمل بالخمس الثانى لونه .

وحضر ازواج بناته من البلاد المحاورة ..

وامام مقبرة العمد ، التى تقع فى اول الجانة ، صفسه ع

معية المغانم ، وراء أسوار تمير المفتخرين بعد الموت .. هناك أمام المصرة ، بعد صلاة العصر ، جلس المفلون والى حوارهم على الحصر .. أولادهم الصغار .

واحد المفلون يطوحون رقابهم في حركات منتظمة متحمسة وهم يتلون في سرعة « سورة يس » و « سورة تبارك » .

وأخيرا قرأوا الفاتحة في صوت واحد ، وهم يلتفتون للطبائير والتين الترسومي من يد شيخ البلد .. رحمة وبورا على العمدة .

وعندما انصرفوا همس شيخ البلد في اذن أحد المفتريين ، وطلب منه ان يذهب الى الدوائر ليتلو القرآن هناك من فوره ، وسيفعل الشيخ التشاري يسندة في القراءة ، بعد صلاة الغضاء .

وفي انطريق من الحانة الى القرية قال شيخ البلد للعائدين معه ان المأمور ارسل اشارة تلغوية اليه - بصعته نابيا بصمدة - بحيره بال الهجانة مقلون الى القرية ، وان التحول مبوع بعد اذان المغرب .. ابتداء من اليوم .

وسكت شيخ البلد قليلا ، فجميع الناس حوله يسألوه في اهتمام عن الهجانة وعما يسي المأمور بكلامه « ان التحول ممنوع » .

وقال شيخ البلد في لهجة امرأة ان الهجانة مقبولون لخدمة الامن في البلدة ، بعد ان اضرب .. واسترسل الحكومة مرة أخرى جديد الزراعة ، وعلى أهل البلد ان يلزموا دورهم من العرب .

وساد صمت تغطيه الغاس تتلاحق من الرهبة .. ولم يكن في الغضاء غير شعاع العصر الضاحب ، وغربان تطير صبا وصباح وهي تنطق ؟!

ومشي شيخ البلد . وبداء معتودان وراء ظهره ، وخيزرائته انطوية تحت ابطه .

كان يسبق الناس في طريق العودة الى القرية ، وهو يقول بانعه ان هذه هي أوامر الحكومة ، وهو يلعبا بصعته نابيا للحكومة .. وكل من يعرفه شمله .

وبعد قليل ارتفع صوت من ورائه قائلا :

- بعض هجانة على ايه ؟ احنا همسا حريصة ا وحامصوا لسا ايه الهجانة نسي ؟!

والصت ابيه شيخ البلد ، ورفع الحريزة الطويلة في يده قائلا :

- اسمع ياولة ؟ واد انت يا نسي ا انا هنا نائب الحكومة ا اب ما هم ؟ بلاش لخاصه ا انا ما عنديش غير ضرب الوطا .. هناك نقي من

الرمس ذاك ! ايوه ان حكمي حاجة ثانية ا سمعيني كلكم يا بلد .. انا حكمي كده ا ناقول لكو امة ا انا هنا نائب الحكومة وممثل عن الامم .. ثم اندفع شيخ البلد في طريقه ..

وبدأت حمرة الاصيل تغمر الاشعة انصغراء .. آخر اشعة اشجار ، وشيخ البلد ومن ورائه الرجال والمفلون يدخلون القرية ..

ومن بعيد تعالت دغمة واحدة صراحت متوالية معززة .. وانفجحت الطريق جاموسة تعري ، ومن ورائها حمار يضرب السراغ برحديه الحظيئين .. واصطدم غلام صغير اثناء جريه المضطرب بابور يسرب .. فزعق الوز وصقق بأجنحته . وأمثلا الغضاء بأصوات اللذر ومباح صراخ النساء والأطفال والحيوان . والكل يصيح :

- الهجانة وصو يا وقعة غيرا يا جلعان ا الكرايج اشتعت في البلد ا اجري يا واه ..

وكان بعض الرجال يقبلون لاهتي صفر الوجوه .. فيختلطون بكل الأشياء الهاربة من امام الكرايج !

وخلال الكلمات المضطربة انثى تساقطت من افواه الهاربين صرير شيخ البلد ما حدث ..

هبط رجال الهجانة بالكرايج ، ومروا على الرائب في انحنفون على الجسر انفلتوا ضرب على العلاحين ، وامروهم بالرجوع الى الدور .. لم تزلوا الى القرية يسوقون امامهم الرجال والأطفال والبهائم ، واحدا يهربون كل من يقابلهم في طرقات القرية وامروا الناس ان يلزموا بيوتهم .

شربوا كل من قالمهم حتى الشيخ يوسف صربوه واضموا ذكاه .

وذهل الرجال الذين كانوا مع شيخ البلد ، وسيطرت عليهم حمرة جرمة .. بينما وقف شيخ البلد يحاول ان يحصل اليوم انطابية ، وما دام هو معهم فلن يمسهم أحد بسوء .. وهو نائب الحكومة ، كما يعرفون ، ويعرف الهجانة ا .

وعندما كان شيخ البلد واقف في مدخل القرية نابيا يهديه الرجال وامرهم ان ينصرفوا الى دورهم آمين ، طلع الهجانة من داوية الطريق ، والكرايج الطويلة تفرقع .

وهمهم الرجال وعيونهم قلقة تورع نظراتها على الكرايج السودانية المعروفة بالسلك الاصفر ، بينما تقدم شيخ البلد بخطوات ثابتة الى الهجانة قائلا :

— أنا نائب الحكومة هنا ! حاسب يا حضرة الشاويش كده وقول لي انت اسمك ايه ..

ولكن الشاويش اندى كان يتعذر انهجانه ، رفع يده بالسكراج وفرق به فى الهواد وهو شيخ البلد ، وامره بان يسرع الى داره قائلا — باعتداد — انه هو الشاويش عبد الله ولا كلام به مع احد !

ووقف شيخ البلد يشرح لشاويش وثلاثة جيود معه ، انه نائب الحكومة فى البلد ، ولكن الكرياح هوى عليه وعطى بهوى ، وهو يزق ، حتى اصطر آخر الامر ان يجرى من طريق المحطة ، ليصل الى بيته بجوار دوار اميدة عن طريق آخر ..

وغاب شيخ البلد فى زحام الرجال الذين هروا ، ودعهم يتعاملان بغيره فالتفت :

— شربوا مايب الحكومة يا جدد ا اخرى يدوله .. الحكومة صرت نايب الحكومة !.

وبعد لحظات كان كل رجل يسكن الى داره وهو يرتعد من المعاجاة ! وعندما اتقبل اسيل كان الخوف قد اخذ يراى العوس وندات المور تطوف بالزؤوس حاملة الضحكات الى الشعة ..

فقد اخذت القرية تصبك من قصة الشاويش عبد الله وشيخ البلد .

وكان جيران الشاويش يصحكون وهم يذكرون اصرار انشيخ الشناوى على ان يخرج الى الجامع لصلاة العشاء ولقاءه مع الشاويش عبد الله .. لم يكد الشيخ الشناوى يسمع فرقة الكرياج فى انهواء ويرى مطر الشاويش عبد الله ، حتى جرى عاندا الى داره وهو يلى البلد واهلها والجامع والصلاة .. والذين يسلون فى الجامع !.

وفى الصباح كان الفلاحون يتحدون من جديد جديده اوسلته الحكومة للرداعية ..

وكان علوانى يعود من المركز بعد ان بان انه لم يقتل حصرة .

وسمع علوانى بما صمته الهجامة فتساءل ابن دات رجال الهجامة بالاسم ! ولم يجد جوابا ، وعاد يسأل : اين شربوا انشاى ! ولاح سؤاله للناس من القرية قريبا حقا ..

وتنسى علوانى بينه وبين نفسه لو انه كان ما يرال يملك الحمية التى ورثها عن ابيه واننى كان نقيم فيها اول مساء .. ولكنه باعها منذ زمن ، ليست فى الحقول التى يحرسها .. لو انه كان ما يرال يملك

هذه الحمية — وراه دور القرية — لاستضاف فيها رجال انهجانه ، وسفاهم الشاى !.

وقال علوانى :

— لو كنت انا هنا فى البلد ما كانت دا كله حصل .. حاكم دول عرب .. لكن ميرهم ياخذوا غاملاحين ..

واستغيبه الشيخ يوسف بحجوة ، وسأله عن حاله وعما حدث له فى السجن .. ولم يعمل علوانى بان يحكى للشيخ يوسف ، وانما اختتم مواساته لى رجال الهجامة غربوه .

وقف علوانى طويلا مع الشيخ يوسف يطلب حاطره على ما وقع له من الهجامة . فقال الشيخ يوسف بافشارا وكبرياء :

— يا واد الزما بتوع البلد اضربوا فى بنى سوف واسموره وابعيرم ، واضربوا فى مصر قدام البرلاس !.

فقال علوانى لهجة مطمئة :

— همى كل حال دول عرب باب الشيخ يوسف ! دول مشايخ عرب .. حرب اجاود .. لكن اسى فى المركز قالوا هم اضربوا الفلاحين .. بزوا ضرب فى الفلاحين .. ادى الشعة !.

فاجبه الشيخ يوسف بوجعة :

— ياك تسعمل فى بطك !؟ شعله ايه المرا دى .. يضربونا ليه؟ خلتان اورداعية .. عشان كلام الناب والحكومة يمشى على رقابنا ؟ هه اء .. وهيه الحكومة عاملة لهم ايه يسى لما يسمعو كلامها قوى كده لبستهم حيزر ؟ اكلتهم عيش قح ؟ مئت لهم المركب فى الشراى ؟ جاتكو الم حرب !؟ لو ما كانوا عرب ، لو كانوا يعرفوا غلوة الارض وحلاوتها وشفاها لو كانوا يبرزعوا ويقلعوا كانوا غلروا . بقى لى واحد منهم بيردع وجات الزراعية حلت يقطه كان جابستك ا كانوا يمحلو ايه جاتكو احم يغير علمك يا صنف العرب ..

فقال علوانى مهدتا به :

— معلنش بما الشخ يوسف .. نكرة ياخذوا عادل .

فقال الشيخ يوسف وهو يتحسس اثار الكرياج تحت ملابسه :

— ياك تاحدكو قاره بحق جاه المصطفى يا شيخ .

ثم استرسل يقول فى قدم :

— يسى لو اخرجت القراطين اسى حيلتى وفتحت ابدكدة دى فى مصر !؟ يا ريتى عملت كده وحلمت من وضع القلب ده ا وهيه دى بلد تسكن !.



ثم أنبل الحريف على قريتي !!

ولم تكن الدرة الحديدية قد أصبحت بعد في الحقول،
بينما دور الصالحين قد حلت نصيبا من الكبرياء
بهدية .

وكانت أجس بعد كل عصر تحت ظل النخيلة على ساقية عهد
الهادي ، انكر في المدرسة الشبوية التي سادها لأول مرة بعد
أسبوعين ، وفي انظمة الجديدة التي تلاها هجمة حزبية من أمسيات
الحريف ، واسترجع كل ما قرأ من كتبه وروايات خلال اجارة
الصيف .

ولعدت ان ارجع الى بيتي . . والشمس تنحدر عبر البحر ، الى
الأفق الذي يغيب وراء أشجار التوت المتوجة بطيور صغيرة يفسد
تنطلق عند الغيب ، تجري هنا وهناك في الغضاء ، وخمعات اجسها
بدون في هجمة المساء .

لم اكن أستطيع ان انتظر على الجسر ادا حتى تحتل الأشعة
لجمره فقد غضب أبي على من أول الاجارة لأبي تأخرت مرة على الجسر
في انتظار وصية الى ما بعد صلاة العشاء فأمرني الا ابرح البيت وحدي
طول الصيف !!

وعندما عاد الحريف على قريتي كنت امواد الدرة قد اوتعت
وأصبحت أطول من اي رجل !!

وامواد الاذرة انش ترتمع مثقلة بالكيزان الجديدة على طول الجسر
كانت تمنى لنا نحن الصغار كل معاون المجبا في الميپ وعددا من
قصص قديمة عن رجال اقبلوا من قرى بعيدة وتربصوا في حقول الدرة
ليضربوا احد اهل القرية بالعبار !

ومن اجل ذلك فقد كنت ابرح مكاني على الساقية ، حين يتحسد
الاء ثوبه اللهبى اذ اكن عندما تعكس صفحته شحوب الاصيل والظلال .

وكانت وأنا على الساقية استرجع ما قرأت في الصيف . .

كنت استرجع دائما كتاب الأيام « و » ابراهيم الكاتب « و
« ونب » .

وهي تلك اسخطة بالذات . . كان الشاويش عبد الله يحسن في دور
انعمده يفكر في ابيه الذي تركه في الصحراء البعيدة جنوب اسوان . .
وكان يفكر في أمه ويحدث نفسه في دم انه صرب في هذه القرية
رجالا كانيه ، وساء كانه ! . .

وصرب أيضا أطفالا صغارا كاحويه . . وكالأطفال الذين أحجم في
قريته .

كان الشاويش هد انه ما زال يسأل نفسه لماذا صرب هؤلاء اساس
جميعا بلا رحمة ! . .

لماذا جعل القرية كلها بالأمس تطوي يوما حريب يالسا . .

ولم يجب الشاويش عبد الله على نفسه .

واسما هم ومعه رجاله عبد الاصيل ، واستعدوا بلطوف في طرقات
القرية عندما تعيب انشمس . .

وقبل الاصيل كس افعلاون يعددون الى دورهم مسرعين يسوقون
البهائم من حوص اجسر وحوض انترعه ، ومن وراء البهائم فتيااب
حافيات يتراجمن على التماط الروث . .

وعندما من العائدون من الحقول بالمكان الذي ستمشق فيه السمكة
الزراعية راوا الحديد الجديدة قد هشم مريذا من الامواد الخفراء وقد
احدثت على تراب الارض قطع كثيرة من القطر الأبيض .

وزحفت الحصرة على العوس . . وفي كل صدر يتردد سؤال حائر
حزين . . ما الفعل . .

وقتل ان تغرب الشمس . . كان كل حي في القرية يعلق باب داره
قبل ان يظهر في الطريق كرباج الشاويش عند انه ! .

وكت أرى في قرنتي أطفالا عديدين أكل انداب عيوبهم كالغربة
التي عاش فيها صاحب الأيام .

ونسيب لو أن قرنتي كانت هي الأخرى بلا معائب . كالغربة التي
عاشت فيها « زبيب » .. الملاحون فيها لا يتشجعون على الماء ،
والحكومة لا تحرّمهم من أرى ولا تحارون أن تتزع منهم الأرض أو ترسل
أليهم رجلا يلبس صفراء يصرونهم بالكراباج ، و لأضعل فيها لا يأكولون
الطين ولا يحط اللدبات على عيوبهم الخوة .

وتصيت لو أن قرنتي كانت هي الأخرى كقرية « زبيب » لا يترل
فيها من الرجال والنساء بعد أسون دم وعصيدة ولا يدهم أهلها الأرض
المعاشي ، في جنوبهم ، فيتتوى الأسان منهم نخفة ، ويظن صرحاب
بائسة فاجعه من حدة الألم ..

لم يسك .. يسكت الي الابد ..

كانت قرنتي هي الأخرى جميلة كقرية « زبيب » وأشعار العجيسر
والثوت تمتد على جمرها وبني ظلالها المتشابهة على ماء أسهر .

وكان السهر في الظهر يبدو تحت أشعة الشمس كصفحة من قصة ،
ولي الأصل يبدو من ذهب ، وفي الليل كال محتلبا قائما يتسكع في
طريقه إلى المحول كالغربة في قرنتي .

وفي حوض التربة من قرنتي - حيث لتزع الحكومة الأرض -
كانت الحقول مجلبة بمساحات رائنة يضا من أعطن وعلى حوض
الجسر تمتد السماء بلا نهاية فوق خصرة مشوكة من حفول اللرة ،
تترافق ذوائها الشقراء ..

وكان النساء في قرنتي يحملن الحرار ، كسء الغربة انثى عاشت
فيها « زبيب » وكانت لمن أيضا نهود .

ومن يسمن كانت وصيفة ضاحكة ريانة مفعمة بضاة مجتعة تثير
الخيال .. أكثر مما كانت « زبيب » في الكتاب الذي قرأته ..

ولكن وصيفة كانت ضاحكة بعض الشيء .. ثاب شيء ما يحس بعض
الدم على وجهها ، وينفخ على فتنة وجهها لوما في الديول ويميس كنوز
جسدها الإنثوي وأطلاق نفسها مع الحياة ..

على أن قرية « زبيب » لم تعرف طعم الكراباج ، كما عرفت قرنتي .
ولم تلق قرية « زبيب » اضطراب مواعيد السرى ، ولم تحسب
بول الخليل نصب في الأفواه .

ولم تعرف قرية « زبيب » زهو الصر وهي تتحدى القضاة
والإنجليز والمعمدة والحكومة وتشر لمص الوقت .

و « زبيب » التي لم تكن أبدا على الرغم من كل شيء جميلة كوصيفة
.. لم تذهب إلى قامة الطمين ذات يوم تعود إلى أمها بأكية .. كما
صنعت وصيفة عندما رأيتها لأول مرة بعد أن انقطعت عن رؤيتها طوا
شهور الصيف .

كنت إذ ذاك قد سمعت عن الشاويش عبد الله وعرفت كثيرا مصا
صمعه بأهـ قرنتي .

وكننت البنية لكثرة ما سمعت عنه وجلا طويلا كآباب ملينا مثل
كيس القطن ، شديد السواد كهاب العرب ، أسنانه بيضاء كالجبين ..
لا يشفك ولا يتكلم ولا يجيد غير الضرب بالكراباج !

وكنت اسمع أشياء صعبة ، من هبط إلى قرنتي ..
عاهل قرنتي يملأون حياتهم بالحديث عنه حتى أصبح الشاويش
مبد أنه مجرداً من أمثال القرية وحكمها وترواها ..
فاذا جاءت إلى القرية بائلة بديبه سمرء همسن أناس فيما بينهم .
« الشاويش عبد الله » ..

وإذا رفق وجل قالوا ضاحكين « يعنى الشاويش عبد الله ؟ »
والصغار في القرية حين يلعبون ينطق أحدهم مرما من التسوت
ويهوى به على زملائه قائلا « إنا الشاويش عبد الله ! » وربما وقف أمامه
صغير آخر يبرع من الثوت وقفر وتوالب قائلا : « طب وإا صد
انهادي ! »

ولم يكن لمبد الهادي لقاء مع الشاويش عبد الله بعد ، ولكن
الصغار كانوا يتخللون هذا اللقاء دائما ويتساولون ممن يبط

وفي الحق أنى ظلت اسمع قصصا غريبة من الشاويش عبد الله
.. ولكني لم أراه .. فلم يكن يحتاج لي أن أخرج من البيت طول الصيف ،
وأقبل الحريف وأوشكت الإجازة هي نهايتها وسمح لي بالخروج وحدي
على أن أكون في البيت ، قبل أن يبط الحريف على الغربة ..

وسمعت نقاة أن الشاويش عبد الله لم يعد يضرب أهل الغربة ،
وفرع الناس يقولون منه أنه رجل طيب .
وحكى لي أحد الأولاد أنه رأى الشاويش عبد الله يضحك !

وسمعت أيضا أنه رأى الشيخ يوسف في داره وضحك معه .. وأنه
جلس ليلة مع الشيخ حسونة ومحمد اقتدى وعبد الهادي على مضطبة
محمد أبو سويلم الهادي محمد أبو سويلم أسنة وصيفة ، وأمرها أن

تحضر الفهرة ولكن الشاويش عبد الله طلب استأجر فعدده وصيعة ،
وعندما ذامه الشاويش هيد الله شهد بارتياح قائلا :

— يدوم الحماض يا عرب ..

فضحك الجميع وانسطت وجوههم ، وأدركوا أنهم يحسون مع
واحد من الناس منهم !

وملئت أن الشاويش هيد الله أصبح الآن يترك الشيخ أنشاوي
يذهب إلى الجامع لصلاة العشاء ، ويسمح شيخ يوسف بفتح دكانه
حتى صلاة العشاء أيضا وأنه يجلس عادة على مصطبة محمد أبو سويلم
ويأمر رجلاه الثلاثة أن يطوفوا بامرئة ليدخلوا الناس الدور بهدوء ثم
يعودوا إليه على مصطبة محمد أبو سويلم .

وتهاشم بعض أهل القرية أن الشاويش هيد الله نوى الزواج من
وصيعة وأنه لم يكلم أبها بعد ولكن الأمر معهود .. وقال الآخرون إنه
تكلم معه واتفا ولكن محمد أبو سويلم يكتم الأمر .

وحاشا أن أرى الشاويش هيد الله وأن أهرق كيف يتكلم هذا
الرجل الذي ضرب القرية كلها بكرياحه لأول يوم أقبل ! وهل هو
يفضح حقا ؟! .. وهل يمكن أن يكون له كالأخوين زوجة وأطفال ؟!

وأحسست بالحاجة إلى رؤية وصيعة ..

ربما لأنني لم أرها منذ زمن طويل أو لأنني سمعت أنها سيستزوج
من الشاويش الغريب .. أو ربما لأنني مسافر عن قريب ..

وهل أية حال فقد ذهبت إليها ذات صباح .

كان الصبح يملأ طرقات القرية بشمس سبتيمير الفاترة والأسام
يهب على القرية وبيئة طلعة رفاهه .. وكان باب دار وصيعة مفتوحا
إلى آخره ككل الأبواب في القرية أثناء النهار .

وقبل أن أدخل إلى الدار سمعت أم وصيعة تستعملها أن تعود من
قاعة الطحين بما بقي من كيزان الدرة لتحصنه في الفرن وترسله إلى
الطاحونة .. فقد انتهى الحز ..

وتقدمت أما خطوة ، وصارت عتبة الباب إلى داخل الدار ، فرعقت
الأوثة التي كانت تسير متتابعة إلى الباب ، وصمقت بصاحبها قليلا! ..

وأخرجت وصيعة من قاعة الطحين في آخر الدار ووجهها محتف
بالصمت وأنى عينها دموع لم تنسكب بعد .

وسمعت صوتها يتهدج :

— ماقيش دره للتحميصه يا أمه ؟!

وحقق قلبى فجأة ومحت عيسى فوجدت أم وصيعة قد شحبت
وجهها تماما .

وربب إلى دهسي ما قاله لي أبي بالأمس عندما رصت أب تصلح لي
بذله أحد أحمى الكبار وتكب في طلب بذلة جديدة أذهب بها إلى
الدرسة الثانوية .. لقد نظر إلى أبي — إذ ذاك — بمطعم حذر وهو
يقول :

— يا أبى دا حتى القمعة يفت نادرة .. بذلة جديدة إيه سن والناس
يتشتى على نعمة العيش ! ..

واستدبرت على أعزى ، من دار وصيعة ، ومشيت على مهل وأنا
مقبض حزين قبل أن أسأل وصيعة عن حكاية الشاويش هيد الله .

وعندما تجاوزت العتبة إلى الطريق سمعت أمها تقول بأدهس :

— طب كرمي الوردة دي ودورى بها على حد يشتريها كرمي تجيب كيلة
درة .. شوي كده محمد أفندى ولا الشاويش هيد الله أ يارب ..

لأرب .

وأزدحمت نفسي بشاوش عديدة محتطة .. وفكرت في ربهما هذا
حتى يملأ القاعة بالطحين .. ويجود على بالبذلة الجديدة ..

حتى لا وكيف ؟!

ولذلك أن قاعة محمد أبو سويلم لن يدخلها الدرة هذا الأيام ..
والدرة الجديدة في حقله يحرق الثمرة سبتيلهما الزراعية وستسلم
أيضا حقل القطن ..

ومضيت أن أرى هيد الهادي على الفور وأن أتعهد إليه ولكني لم
استطع في ذلك الصبح أب أراه .

ومدت ألقب صفحات رواية « زينب » و « إبراهيم الكاكب » ولكني
لم أجد أبدا ما يجعل الفراء ..

.. لم أجد مائة قرشي .. ومضيت أن أصبح كالشيخ يوسف
والتيقظ نسي الشاردة من خلال قراءة كتاب كبير أصفر يروي قصة
الطولة والصبر كرواية « هتر » أو « أبو زبد الهلالي » ! ..

ولى الأصيل عندما كانت الظلال اللينة بالهسبات تضرع الأشمسعة
الحرارة ، انحدرت أنا على الحسر عابدا إلى القرية كمان .

كنت أفكر في أشياء كثيرة لا أبيتها ، والرحلة تزح إلى صدرى

محمد إلهى يروح مصر ويرجع ري ما هو.. حتى ما يعول اسبابي
حاجه عن مصر ؟ اه بو كت ان ابني رحيلك يا مصر ؟ حاكم ابني سي
مصر كان في الأصل حواوي ؟

وأستمر يقول - شيطا - في نعم ، وهو يرمع حاجيه ، ونسم .
دا اللي باني مصر كان في الأصل حواوي ...
ولم إيهم بالتعدد ما يحبه عبد الهادي في المدينة الكبيرة المصطحبه
التي أعيش في مداوسها بين واجبات الحساب واللغة الإنجليزية وعصى
الدرسين .

وحاولت أن أحدث عبد الهادي قليلاً عما رأيته في شوارع المدينة
التي يحسب أن الذي بناها حواوي ...
وحاولت أن أحدثه عن الذين يسرون في الطريق واجمين ، وعن
التلاميذ الذين يذهبون إلى المدرسة باخذية معزقة يداون فيها رتوق
الحوارب ، عن البطولات المعنوية ، والبدل الناحلة ، والرماس في
الشوارع .

ولكني وجدت نفسي أحدثه عن وصيفة وأحكى به كيف يكت لابها
ثم تمد في قاعة الطحين ذره ...
وقطع مبه الهادي ابتسامته ، وقطب ... وأطرق برأسه لحظة ...
ثم رفع وجهه ونظر في الفلال التي تليها أشجار التوت عن أنشطته
القليل للهر وتحتل هناك بتمتة السماد .
وأخيراً قال بصوت خفيض :

- يا هم ما الدنيا كلها البيلت بيلة .. حد عارف إيه آخرتها ..
دا الناس من النوع قربت تاكل بعض ! والحكومة ضاطرة كتعت لسا
ههنا تذهب الدور من مل آذان العرب ! طلب ب هي السس يبرقوا
في الهرم عيسى عيك ! حد يبرق بالليل .. ما شيع والله دا الناس
يتسرق الذرة الأخضر من العيطان وحمصوه وبالكسوه هريك . قال
الحكومة نعتا سسار ؟ طلب تبت ما دره ! وهوو معنى الضرب دا
حايشع الناس على رأي الشاويش عبد الله ؟!

ووجه عبد الهادي قللاً لم أستطرد قائلاً :

- يا ولداه بابا محمد ابو سويلم ! طلب دا مش طالع له البسة دي
لا ذرة ولا قطن ! الزراعية وأحدها كله .. ويمش ميني دايا اخواني ؟
قال حايحند تعويض ! وعلى ما ياخذ تعويض باكل ميني ؟ حايحمل ايه
بقلوس التعويض ؟ حايحار ! وللا بعض حايحار ؟ حايحمل ايه بالوس
بعد ما خدوا الأرض ؟ حايشتري أرض ثانية .. ومين في البلد بيع
أرض ؟!

فتمشاه مع طلال العرب ، وأحلام بالجهول تضطرم ها وهالك في
الإعجاب مني ..

أحلام يحتل بها أبطال القصص التي قرأها بمظاهرات أضراره ،
بالمدرسة الثانوية ، ووصيفه ، والمشيئين الذين أحبهم ، وحارات لي في
الحظيرة الجديدة . وذكريت العذاب الذي لعينه أرحال في سجن
المركب !

كان الناس عد عادوا بلهائم من أنحول .. تمسكوا كما امرهم
الشاويش عبد الله ..

وم بعد في طرق أنجر فيري .. والمساء .

ومن بعيد ارتفع صوت قرق جاف على سرات حورية :

بار الحطب دوم ولا بار الحمة يوم

بار الحطب تطفى وبار الحمة تدوم

كان هو عبد الهادي يخرج من حفل الدرة الذي يستلعي تحت
الساقية من وراء بطن الجسر ، وهي إحدى يديه حزمة من الحطب
أجاف وبده الأخرى تسد إلى ظهره حبلًا من أذرعه ملتبًا بالكبران ..
والتي عبد الهادي حمله أمام الصغيرة دون أن يقطع لسواءه ، وبده
سبع الكبران من أحوادها ..

كت أنا قد سرت خطواتي على الجسر في الطريق إلى البعيرة ، واد
رأيت عبد الهادي ناديت فرحاً بمفاته .

وضب مني أن أعود وأفقد عن الساقية قليلاً ليشوي لي كوزون ،
ولكني صممت على الرواح إلى البيت فما ينبغي أن أتأخر على الحمر
حتى يقل الليل .

وصحبي عبد الهادي ومغسبا إلى القرية ..

وفي الطريق علمت منه أن الشاويش عبد الله ضاع إلى العسرة
في أحضان القرب ، بعد أول لغة في القرية .

واهترت نفسي ، وتمسكت لو عدت إلى الحمية لأسهر قليلاً مع
الشاويش عبد الله ..

وطلعت من عبد الهادي أن يستأذن لي أبي . فاعود معه .

وبعد الحرب كت أظعن الحمر مع عبد الهادي وأجلس إلى حوار
السافة . كان كل شيء من حولنا ساكناً .. وعاء الهادي يحدثن عن
سعري القرب ويقول وهو يصفق ببطيه :

- شي الله يا مصر .. أمانة يا شبيح تسلم لي على مصر .. نفى

ثم وجم قليلا .. ونظر في الظلمات هائلا لعنه :

— يا حكومة !!! .. يا حكومة بلا معنى ! .

واستمرسل يقول متحمسا بأبيات من موال أدهم :

يا حكومة دانا الأدهم .. والأدهم أجيبه مني

يا حكومة دانا الأدهم قتل لي م العيال ولدين

وسكت عبد الهادي وأخذ يهمهم بشتميه ههههه حزينه ثم انطلق يروي لي قصة أدهم الذي دوخ الحكومة وتحداه ولعب عليها ، وكان يهاجم الكبار ويأخذ من مخازنهم ويعطى للملاحين العقراء ..

وظل عبد الهادي ينظر أمامه إلى الظلال المسكبة على ماء النهر الداكن وعاد يقول لي حزن كانما يحدث نفسه :

— والله حسارة يا أدهم .. خذوا خونة يا جدد ! ما كانوا يتندروا يعيشوا زراعية في بلدنا أبدا ويأخذوا الأرض كذه فخصين من حبة من الناس الحفانة ! ذا لما أئدره شح على إيمانك استطعت على مجازن الوسايا وخذت القمح ووزعته على التي مش لا يقين .. يا حصارث يا جدد .. قتلوك خذر يا بطل ! .

وأخذت عينا عبد الهادي لتتبعان ، وصوته يخلج .

ونفض واقفا وهو يشهد بنهم حزين فقرات موال أدهم لعكي من صراعه مع الحكومة ورجال الحكومة .

وبعد أن انتهى عبد الهادي هز رأسه قائلا :

— صحيح .. صحيح مني أجيب ناس لمعات الكلام يعكوه .

ولحاة رمي كيزان الدرة على الحطب دون أن ينزع منها الحطبها وسألي أن كنت أكل كوزا بعمره ، حتى يأتي الشباويش عبد الله والجماعة ، فلأترحت عليه أن ينتظر .

وإذ ذاك أمسك عودا تنسج في حضرة حمرة جمعية ونزع قشره بأسانه وذاق بلسانه ما تحت الثشرة .

وقال لي :

— خذ مصي العقلة دي ، أحلي من القصب .

وتناولت منه هود الدرة ، ومال هو على كرم الحطب وأشعل عودا من الكبريت .. وتفع في الحطب .

ثم مشى قليلا بعيدا عن الحمرة إلى الجسر وأخذ يتأمل الطريق ولكه لم يستطع أن يتبين أحدا وقال لنفسه هههه :

— ولا مساروخ ابن يومه ! .. الحسر غاضي خالص .. يا خوي الجماعة غابوا ليه ؟ ..

كانت حقول الدرة تمتد باطرافها الصفراء في حوض الجسر تحب بصر عبد الهادي وهو ينظر في أعصاب أمانم الواسع ، وأنسام الحريف تسري بين أعواد الدرة ، وتحدث فيها أصواتا كالوشوشة ..

وتهدد عبد الهادي ، وهو ينظر إلى الأرض الواسعة المغممة بالكبرياء ، ومن ودائها تبدو من بعيد حقول العطن في مساحات بيضاء يظلمها العروب ..

وتهدد عبد الهادي ، وعياه مملتان على حقول الدرة وقال :

— مملشني يا وصيعة .. كل شيء وله أوام يا وصيعة ..

وعاد يجلس تحت الجبيرة قلق لغياب الشاويش عبد الله والجماعة .

ولكن انتظاره لم يطل فند سجع من بعيد ههههه عرف من حلالها صحكات طلوا ..

وقام إلى الجسر وأخذ ينظر في الظلام .. واستطاع أن يميزياض جليباب محمد امثدي فصاح :

— الجسر منور يا رجالة ، اتدري أنجسر منور كله ومهرسره ! مراحب يا عرب ، يا عرب ..

وحملت البيا أسد المرب كلمات خافتة قائبا الشاويش عبد الله . كن موته هادئا ، ممعما ، حنونا .

ولميت لو أن الشاويش عبد الله تكلم مرة أخرى .. ولكن محمد ابو سويلم زرق من بعيد وهو يضحك :

— دهدي يا عبد الهادي .. أمال فين الراكية يا جدد .. تكوشى جابب لما دره من انتحيبسه .

وكان عود الكبريت الذي أشعله عبد الهادي قد انطفأ داخل الحطب . وتركه عبد الهادي ينطفئ بلا كلمة ! .

وأرلعت الضحكات من بعيد وقال الشيخ يوسف :

— ولع الزكية يا جدد ولع .. مستني آيه .. هايربه دره بعيره . وحل عبد الهادي كيزان الدرة من على الحطب ، ثم أشعل عودا من الكبريت ، ورمع الحطب قليلا ، ووضع العود ، فاشتعلت نار بعيره .

وأخذ ينثر أعواد كبريت غير مشتملة في أماكن متفرقة من الحطب .. وسرت النار بعض الشيء . وتوقفت العمدان الأخرى فقال سرور — أهى النار كلها دقت أهه ..

وبدا يرعى على النار التي ارتفع لهيبها ، كيزان الدرة الحصراد دون أن يسرع إلا لعلها تكون أندرة بعيره . وتمتم صاحبها :
نار الحطب دوم ولا نار الحصة يوم

وكانوا قد اقبلوا ، فعال علوانى ميتسما :

— سلاتك من المحبة وبار المحبة يا عبد..

وقال محمد ائندى بانطلاق محاولا ان يصيح نكته من التران :

— يا نار كوى بردا وسلاما على ابراهيم ..

ثم اخذ يطلق قهقهة سريعة سلاحة وهو يطر الى الشاويش
عبد الله ويلكزه .

فاتسم الشاويش عبد الله ٠٠٢ واذا ذاك تعالت ضحكات محمد
امدى ..

وسلم عبد الهادى على الشاويش عبد الله ورملائه المساكين الثلاثة
.. ثم سأل :

— امال عين حفرة الناطر ؟ ..

واجابه محمد ائندى ان خاله الشيخ حسونة لم يستطع الحضور ،
لانه مسافر لذا ياول قطار يقوم من المركز فى العصر .

فقال عبد الهادى :

— والله خسارة ؟ المساحة خلصت دفرى .. امال يا اخويه مدرسة
بلدنا ما تشتملنى ليه ؟

فقال محمد ائندى :

— دهنى ما بكرة تشتمل .. مدرستنا ومدرستهم حايشتملوا فى
يوم واحد .

وضحك عبد الهادى باستحمام :

— يا عم انتو بتشتملوا الا فى العيش التمع والعلادة الطهنية ،
وايتسم محمد ابو سويلم ، وهو يقول فى ابتسامة تعطر بأكراة :

— اى والله ؟ اشتملوا انتو فى الزر المعمر يا عم ، واحما مش لاقين
شتمل فى المش والعيش الذكر ..

وايتسم الشاويش عبد الله والحدود الثلاثة ، وضحك محمد امدى
وتفقه علوانى .. وتقدم الى الساقية ورفع من على كتفيه الحرام

المخطط ، وفرقه على خشب الساقية قائلا :

— انفصلوا هيا على كبر الساقية .. انفصل هيا يا شاويش
عبد الله مالكى .. انفصلوا ..

وحين جلس الشاويش عبد الله والمساكين ، قال علوانى مستدركا
وكانه نسى شيئا :

— لكن قول لى بس يا انا محمد . انتو مش لاقين العيش والمسن
ليه ؟ امال احما يصي يقول ايه ؟ يبنى الى رى حالانى ده يقول ايه ؟

ولم يحب محمد ابو سويلم .. فالتفت علوانى الى الشيخ يوسف
وقال له كانه يكمل حديثا سابقا معه :

— هو انتو يبا الشيخ يوسف مش ناوى عالمودية برضه .. وحياء
مفام الشاويش عبد الله ما يتكلى فيها يا شيخ كده ويحيل غيرك انت ..

آه يا حفرة (عمدة) .. ياما انت عطلى كده فى الكلمة دى ؟ .. يا حفرة
العمدة ..

وكان الشيخ يوسف اذ ذاك يشد جلبابه الى اعلى من على ظهره
ويصيح باطرافه من تحت وينتبه لجيوس على كبر الساقية ، فوقع

معاه ليقول فى صرامة :

— ما تحشى سيرة العمودية دى تانى يا واد .. علوانى .. قطعهم
تقطع العمودية وسيرة العمودية .. انا باقول لك اهمه .. ان صب

تجيب سيرتها تانى يا واد انت يا عرباوى ..

وتوقف الشيخ يوسف من الكلام فجأة ، واحس ان لسانه سمع
حين قال يا عرباوى .. وتخرج ، وتضحك ثم جلس على اهور ، وهو

يرفع يديه . ويلوح ويقول للشاويش عبد الله ورملائه المساكين :

— اهلا يا عرب .. مرحاب يا عرب .. دا احما مالفين بركة غيركم
يا عرب .. اللهم صلى وسلم وبارك على النبى العربي سيدى الحلقى
احمدين .. متورين النزل كله والله يا مشايخ العرب ..

وايتسم الشاويش عبد الله ، ورفع يده الى حبيسه شاكرا ، رجا
احد هوانى تفقه مالحا فى ظفر واعتزاز وهرة :

— ابووه كده يبا الشيخ يوسف اعدل . عرفت نفى انا احما الحير
والبركة ؟! مش عتشر كان عربى .. وانوزيد الهلالى عربى .. والزبر
مسالم كن ايه ٠٠٢ ايوه اتوزن كده .. بقى تقول لى يا عرباوى ويا شيخ

المصر .. بطل بقى .

وضايق الشيخ يوسف من لهجة علوانى وكظم فبطه ،
فتعجم عبد الهادى وهو يقلب الدرة على النار بعضا طوبه .

— وادهم يا جدرع ما هو فلاح ..؟

كان الذهب يعكس على وجه عبد الهادى البرئى .. وهيمسه
تتاهان . واتجه علوانى الى حيث يجلس عبد الهادى امام انبار ، ثم
جلس مستندا الى مقدمة قدميه دون ان يمس الأرض بحمده وامسك
بطرفى جلبابه من ناحيتين متباعدين واخذ يرتع يديه ويحفهماسرعه

جلباب يحدث فرمعه يتدفق مها مع كل هزة هواء يزيد النار
شعلا .

ويدات الكيران تطلق واسودت اصمتها الحضراء . عند عبدالهادي
بدء الى النار واحتفظ كورا .

وصرخت انا اذ ذلك في ميد الهادي محطرا ان تحرق النار بده
مضطكا ، وهو يسحب يده من النار بهدوء وفيها كور ملتهب وقال لي
بهدوء !

— يعني هيه النار حاتمعل فينا ايه ؟ يا سيدي ياما انشويئنا سيك
بقى من شعل مصر ده .. حيننا ها .. ها في وسط الحريمة ..

وخفق صوته الساخر على نبرات حريمة ..

وحينما الشيخ يوسف وكان قد انته نوحودي اذ ذلك وطلب مني
ان اجلس على كبر السافية غير اني ترددت شاكرا وظلمت اقب مكاني
بجوار الجميزة . ارقب النار ، وارى ان كان الشاويش عبد الله يتشم
او يتكلم .. كالناس !

وحس الشيخ يوسف في اذن الشاويش عبد الله ، وسسعت
اسمى واسم ابى واذا ذلك ناداني الشاويش عبد الله .. وتقدم الى
أاحد بيدي واحلسني الى حواره .

وغمرني العرج وأنا اجلس الى جوار الشاويش عبد الله ، ولم
استطع ان اقوم فضولي .. فتحسست الكرباج التت في وسطه ..
ومد هو يده مبتسما ورلع الكرباج قليلا وتركني امسك بمقبضه
المعروق بالسلك وأنا اضطرب بين الرهبة والاشفاق .

ورأيت وجه الشاويش عبد الله يتشم .. كان وجهه الصامت
ملبيا بالانقسام .. وكانت قسامة هادئة ، وشغاه مطلقان على طيبة
خارقة وجعبت ان يكون هذا هو الرجل الذي ضرب فريتي صد ايام .
وراضني ان يكون هذا الكرباج الذي امسكه بيدي هو نفسه اندى
شوى ظهور النساء والرجال والأطفال !

وسالني الشاويش عبد الله في أية مدرسة انا ، فقلت له اننى
داخل المدرسة الثانوية بعد ايام .

انقل متسما ان له أخا مثلي كان يريد هو الآخر ان يدخل المدرسة
الثانوية في اسوان .. ولكن الشاويش لا يظن ان هذا ممكن !
وسكت الشاويش ، وشدت عناء في الظلام .

وتقدم عبد الهادي ما يعد ان قشر كوز الدرة، وقدمه الى الشاويش
عبد الله والدخان يفيض ويتجم من حالته الكيفاء .

وامسك انشويش عبد الله بالكور الملتهب وقدمه الى .. فاصدرب
شاكرا ولكنه ألح ، ومي النهاية .. فطم الكور واعطاني قطعه كبيره
مـه .

واد امسكت بالكور لذعنى حرارته ، فتركنه بهوى من يدي وأنا
ادارى الى .. فابتسم الشاويش عبد الله وأحسده من هوى الأرض ،
ومسحه بيده بساطة ، وقدمه الى قائلا لى يجب ان تعود على
النار .. بالحياة عندما تكرر تصبح كلها من نار ...

واينسما جميعا ..

وأخذ بيد الهادي يقدم كيرانا اخرى للشاويش وللذين من حوله
.. وظلت الأيدي تتداول الكيران الملهمة .

كانوا جميعا يغمسون الدرة ، وهم يلهثون ويوحون من سحرته،
ومضجكون .. ومن حين الى حين ترتفع كلمة لواء على عبد الهادي
واللذرة الذي يشبه كيزان الفصل .

وسرح خيالي في كل ما صنعه الشاويش عبد الله بفريتي .
وهممت ان اسأله لماذا صنع كل هذا عندما أقبل في أول يوم ..
لماذا ضرب النساء والمجانز والأطفال والرحس ؟

ولكنى أخذت أتأمل الشيخ يوسف وحيات الدرة لتعتك بشدبه
وهو متهمك الى القضم .. وحاولت ان اسأله كيف صالح الشاويش
عبد الله .. ومضى .. وكيف شرب الشاويش هذه الشاي ...

ولكن الصبيح كانوا صامتين ياكلسون الدرة ، ولا شيء يرفع غير
وحوجة الانفاس .

وقطع صمنا لواء يتقل من مركب بعيد يمر بالنهر الصمر .
يا بيه وخبرني عالى جتوا يسين

والتفت الشاويش عبد الله الى النهر وأخذ يرقب الضوء الحافت
الذي يتعمد .

كان المركب قد حاوزنا دون ان نشعر به ومضى يتابع رحلة الليل
تحت ظلمات واسعة .. الى بلاد لا نعرفها نحن في فريتنا !

وتذكرت حلستي مع وصيفة في أول الصيف في هذا المكان بالذات،
والمركب الذي مر .. ووصيفة تلعب قدميها في الماء ، وتسالني عن مصر،
حالة ما يحملها مركب ذات يوم الى مصر .. أو ان تصبح فتجد أمها
حرة ملبئة بالقود .

وحافة الحت على صورتها عندما خرجت من قاعة الطحين لى
وتنول لامها ان الدرة لا تكى بعد الطعام !

ورحمت على صدرى كآبة غامضة ..

وكان انصبت جبلا لا يحقن فيه غير نعم بعيد من المركب الذى
يحمى من انفجارات ..

وحدة ارتفع صوب حزين بالقرب منى يتم ..

اشمعى جهام انيس وجسمانا حالوا من طين

واشمعى احمر حذاهم .. واحد شحاتين !

كان هو الشاويش عبد الله ..

وكن لصوته رنين ممتد كانه نضات قلب موجه .. وعلى اثره من
ان ابداه وطريقة نظمه كانت غريبة علينا ، فقد كان فى صوته الهادى
رجح رهيب كانما هو نصيحه كل الامم قريش وكل المخاوف من المجهول .
ولكن عبد الهادى لم يسكت ليتترك الشاويش يكمل الصاء بانعامه
المرية علينا ، بل وقف عند الهادى يصيح :

— ايوه يا شاويش عبد الله ايوه .. آى كده .. قول كمان ياسيدى
قول .. قل لنا والنسى عطشان والنيل فى بلادنا .. قول ياشيخ !
.. وحياة النسي ليتقول كمان موال احضر من تنوع بالدمك ..

وقطع الشاويش عبد الله هممته ، واضنى مسحات متكررة ،
ودهمه الصحن فسكت ، وترك نظراته المعمة تضرب فى اسفل اهرىش
الرجل ..

وقال علوانى وهو يقف بعيدا من النار :

— سامع يا عم الشيخ يوسف ؟ سامع يدا الشيخ يوسف المعنى ؟
ممى عرب ؟ سامع ؟ الى يدور حيث دلوقت يلاقيك مختار .. مسكين
مختار ..

فماطه الشيخ يوسف بضيق :

— ام ؟ مسكين ؟! يا احمى حاله سكية لما تحش رقتك .. مما
تسكت !

وصحى علوانى واستمر يقول بصوت مرتفع :

— معلوم .. مختار .. دهدي ! متى انت كس طش ان حصرة
الشاويش عبد الله يقنى فى قلبه ريمة الما .. متى انت كس تفكر
كده ؟ لكن يا عم .. الحق هالكرياج !!

وتضحك علوانى مصغية ، وصبح الشاويش عبد الله حبه من
الحيرة ، ولم يقل شيئا .. ولكنه اطلق نساته وشعبه قطعة استنكر
بسماء امهر الشيخ يوسف محققا :

— جرى ايه يا واد يا علوساى ؟! جاتك الم ما ابردك ؟ دهدي !
ما نلاش السيرة العرا دى ..
فقال محمد ابو سليم :

— ما هو الشاويش عبد الله ما كاشى علمسه ان الدور حايصب
بصحية .. كان له غريب علينا ! لكن دلوقت نقى .. خلاص ..
ما هو نقى من الرعدة العراى ..
وساد الصمت ..

ولم يعد يرتفع غير صوت الجمرات التى تتكاثر ، وعواى يعرس
ابرىق الشاى فى النار ..

ومن بعيد على الشاطيء الاحمر كدت ساقية تدور ، وترسل فى
الليل صريرا خافتا يفتضح بالآنين ..

وتهد الشاويش عبد الله .. وانتعت وراوه الى ناحية الساقية على
الشاطيء الآخر ..

وشعرت كان الشاويش عبد الله يطوى جسمه على سر كبير ..
وحاولت ان اسأله .. ولكنى لم استطع ..
فقد سعل محمد الهندى ليتقول كلام وكان يسكت طول الوقت ..

ولم اسمع ما قاله محمد امدى ، ولكنى سمعت احد العسكري يرد
عليه بهمس قائلا ان الليل هناك فى بلادهم واسع جدا حتى لكاه اب
لهذا النهر الضخم .. غير انهم هناك لا يعرفون السواقي ولا انقول :
فانليل يحرقى سدفا وسط الزمال والصحور فى صحراء لا حصول
فيها ولا خفرة ولا حياة ..

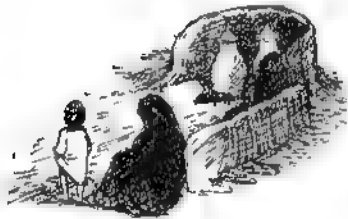
واتلمت الشاويش عبد الله الى العسكري الذى يتحدث مع محمد
امدى وسأله ان كان يشمر بوحشة هـ وسط هذه الحة لانها صدف
عن اهله !

ولم يجب العسكري .. ولكنه اطلق زفرة عميقة مشحونة :
— هيه !!!

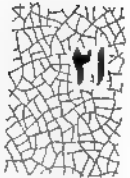
وتتمت الشاويش عبد الله بكلمات حادثة لم يكذب سميها احد ..
كلمات تبثت منها صيغة الحزن لصدى من امة وأبيه ، وحسنه لاهم
حاجوا به الى هـا ليدن قرية ثم يعرفها ابدا من قس ، وليس بينه وبين
اهلها عدا ..

وعرفت من تمتعته انه حين تعرف فيما بعد على الذين صرهم اول
يوم ظل ساهرا طول الليل يحرقه الدم ، حتى مد بكى بدموع العين ..

ووقفا جميعا ننظر ما يصنع الشاويش عبد الله .
 والتفت اليها الشاويش ، وطلب من زملائه العساكر ان يصحبوا
 الى دورها ، وأن يلحقوا به عند الدوار .
 وأنصرف .. مرتفع القامة ، والكروباخ في يده وحطونه راسحا
 في الأرض المترنة ، ورأسه شامخة ينظر الى السماء .
 ومضيما وراءه في كبرياء ينتظر في قلق : ما يكون ؟ ..
 والتعبر يرتفع في دائرة من الأفق الشرقي ..



وهرسي كلماته التي عرمت في التسهيدات .
 وألح على شعوري بأن الشاويش ضد الله يملك سرا غريبا .
 وحاولت أن أسأله عن أشياء كثيرة وقبل أن أبدأ الكلام سألي هو
 أن كنت أعرف الإنجليزية .. ولم يتركني لأجيب ، فقد طلب مني في
 هس أن أظلم الإنجليزية .
 وسكت أنا .. وسكت هو .
 على حين كان أريق الساي يعود وعراي برمع عنه العطف ، فلما
 فتصمد منه العورات تملأ المكان الصامت تحت ظلماب الليل .
 وفجأة .. وجدنا أمامنا أحد الحفراء ينادي بانزعاج :
 - يا حفرة الشاويش هيد الله ..
 وانتمضي محمد أبو سويلم يسأله :
 - خير إيه يا واد يا عبد العاطي ؟
 فقال عبد العاطي بانزعاج :
 - الأمور جهه !
 ووقف الجميع في حيرة ، إلا الشاويش عبد الله .. فمسك بهس
 متعاقلا ، وقال لعبد العاطي :
 - طب .. روح انت .
 ووقف عبد العاطي يحث قفاه .. وقال متحرجا :
 - دانا كان غرضي أقول لك يعني .. انه .. يعني .. طابع في
 البلد ومعه ثلاث عاكر بالخيل نازلين شرب في الحسق ! وكان ..
 يعني جاي يشتم عليكو انتو .. ولما تقى شوية أولاد بيلموا قددام دكان
 الشيخ يوسف .. قال .. يعني .. القصد .. قال حاجات وحشه
 على حشرتك يا حفرة الشاويش ! .. ما بلاش جيحي أحسن وأنا أقول
 له انكم في بلد ثانية ! ..
 وكان عبد العاطي ما يزال يحث قفاه .
 فبهذه محمد أبو سويلم قائلا في انزعاج :
 - مانلا هرسي في عرق الهبة ده يا وله ! .. عمال تحك في قعدا
 كيه .. حانك ألع ! ..
 واشتم الشاويش عبد الله لعبد العاطي بحماة :
 - معنى الأمور كئي القنيل ! .. طب بس روح انت .
 وانصرف عبد العاطي مضطربا .



فعدت أكثر فيما يمكن أن يحدث بين الشاويش
عبد الله والأمور الحديد .. والنيل الطويل يمتد
...!

ولكى في الصباح فمت مع الشمس ، وذهبت
إلى عاصمة الإقليم ، وهدت .

وفي القرية بدأت أسمع ما جرى في الليل بين الأمور والناويش ..
كان الناس يقولون كلاما غريبا ، ويقولون كلامهم أحيانا ، ليطلقوا
ضحكبا ساخرة من الأمور وهم يتدأرون يوم دخل في مائم الصعدة
والشيخ إبراهيم يقرأ « وانظر إلى جمارك » ..

وسمعت الشيخ يوسف يقول أن ما يجري في هذه القرية ، ماجرى
أبدا وما كان .. حتى الشاويش عبد الله الرجل الطيب خرج من حده
أول يوم سقط فيه القرية ، ولقد عاد إليه هذه المرة لبعض الوقت ، ولكنه
حين قابل الأمور ركه ما يركب القرية كلها .. فقد عاد من الجسر يمر
طوله ، والأمور يسأله من على ظهر الحصان عن سبب ثيابه وهو
لا يعيبه !

وترك الأمور يشتمه وهو لا يرد .. وفي آخر الأمر تأخر خطوتين ،
ورفع الكرناج وتسع به الأمور ، وعاد يلمسه حتى شواه ! ..

ورأيت علواني يزيط وهو يتكلم بفخر عن شهامة العرب ، ويحكي
لحسن الشان كيف أمسك الشاويش عبد الله بالأمور ورمها من ظهر
الحصان ، ومرغ به الأرض !

وسمعت عبد العاطي الجعري يقول أن الحكاية غير هذا ، وأنه وحده
يعرف الدور .. ولا أحد فيه يعرف ما هو الدور .. ولكنه لا يريد أن
يحكي !

أما الشاويش عبد الله نفسه فلم يعد يتكلم بعد ظل صامتا يسمع
ما يقوله الناس عنه وهو يتسم ، وهيتاه تنظران في الفراغ !

وعندما تكلم لأول مرة بعد صمته الهادئ الطويل ، قل أنه حزين
لان الشيخ حسونة مسافر وتركه البلد ..

ثم سكت الشاويش قليلا واستطرد يقول أنه يحاب أن يذهب هو
آخر من البلد ، ولا يراها مرة أخرى ! ..

وفي أنيل ، كان الشاويش عبد الله يجلس مع زملائه المصاكر
وبعض رجال القرية على مصطبة محمد أبو سويهم بلا كلام بين الصمت
والحذر والمحاور .

وجاءت إشارة تليفونية من المركز تستدعي الشاويش عبد الله
وصاحبيه . وادركت القرية أنهم لن يعودوا بعد ..

وفي الصباح ، قبل أن يرتفع شعاع الشمس كان رجال الزراعي
يعالون حوض الترفة ويهزون بقروسهم ومحاولهم على الأعواد المنكسة
بالطين واللثة .

بينما اجتمع على الجسر رجال من القرية يماثقون الشاويش
عبد الله ، وعلى الوجوه لمة وجزع !

وزعم علواني وهو يكي وصوله يغيص في الشبح :
« آه يا خسارتك يا شاويش عبد الله .. آه يا زين الصرب ..
يا بطل آه يا خسارة الترفة العزاة ! »

وسبح الشاويش عبد الله عيبه وركب .. ولم يقل شيئا ..
وتمتم الشيخ يوسف بصوت متهدج !

« بقي البلد ذي مالهاش نصيب دائما كله !!
وصمت الركائب بالشاويش وصحابه وهي تشير وراها دومة من
الفيار ..

واختفى صوت محمد أبو سويلم وهو يقول :

« وداد مش وداع ..
ولكنه وداع ..! »

فالشاويش عبد الله لم يعد إلى القرية أبدا ..
ذهب الشاويش عبد الله وأصحابه من طريق الجسر ، وجاء إلى
حوض الترفة وحال يدهسون الزرع ويهشمون الأعواد !! ..

وبعد العمر أقبل من المركز ثلاثة جنود وصول من بوليس المديرية ،
وقالوا أنهم مقيمون في دوار الصعدة حتى يستأجروا مكانا يجعلون مسبه
نقطة بوليس !

ورزت كلمة نقطة البوليس في القرية كغربة مفرقة !
وبدا المحائز في الدور يتذكرون أيام السلطة العسكرية والحرب ..

ولذهبت امرأة هجور إلى الشيخ يوسف تسأله أن كان مصصاكر
القطعة سيأخذون الكهائم والدجاج والبيض والسمن والدقيق من القرية

القطعة سيأخذون الكهائم والدجاج والبيض والسمن والدقيق من القرية

ويروطن الرجال في سلاسل وحبال ويسوقوهم امامهم راعيين انهم متطوعون ثم لا يعود الرجال بعد هذا الى القرية الى آخر انهم !.

ولم ينجبوا الشيخ يوسف . ولكنه نظر الى علوانى الذى كان يقف امامه وقال مضطربا ..

.. آدى آخره العماريل السوداء .. آدى آخره ماكتناوبا بالحكومة :
أصى النقطه جايه أمه ! الهى تحيلهم نقطه على عيهم ! الهى يا شيخ
ينصاوبوا بريح النقطه ! .. آدى آخره شهامة العرب وهماي العرب ..
رعلاى قوى ملشان الشاويش عبد الله ؟ .. بتجيب عليه عسناى ما كان
بيديك قرشى بعد ما تعمل له الشاى ! ياله يميظوا عليك من يدري' ..
فقال علوانى بضيق :

.. خبر ايه ؟ ايه الكلام ده .. قرشى ايه ؟ يمسى خدت حريتك فى
شجيمه العرب دوقت ؟ انت راحر كنت بتعيط الصبح وانت بتطسرق
الشاويش عبد الله ! ولا دا كان شحك !ا ما تطليلنى فى اللى انا فيه
.. يا ابا الشيخ يوسف .. بقى انا باقول لك اشترى لمجنيتى وانا
اسرح لك بهم تقوم تقول لى حرب ونقطه وعفريت اترك !ا واضعطه يبنى
حاتمىل لنا ايه أكثر من اللى احنا فيه ؟ هسه ؟ اياك انت حايض هلى
العمودية ! ..

ثم التفت علوانى الى المعجوز التى تسال وقال لها :

.. روحى يا وليه اتنى ! اسططه حاتمىل لنا ايه ؟ دا الملمس يعاب
السلطان . وايش ياخذ الريح من البلاط ؟!

وهذهت المعجوز وبقي علوانى يحاول ان يفسح الشيايخ يوسف بان
يشترى فمما يقوم هو على رعيها ، وتطرح فيها البركة ! ..

كان يفكر فى عمل .. لى عمل بعد ما باع شيخ البلد حقل الطيح
الذى كان يحرسه طوال الصيف .

وقال علوانى وهو ينصرف يائسا من عبد الشيخ يوسف :

.. وقلت ايه بقى ؟ يمسى اروح لمن ؟ لا ابويا محمد ابو سويلم عاوز
يشترى فم ولا عبد الهادى فايق للمسمم ولا حد حالىص .. يائسى
دا ما ليش من نبي الا ودهى العلم ، فقال الشيخ يوسف معضيا :

.. انت حاتمىل فى الحديث الشريف كماى .. الحديث يمسول
ما من نبي الا ودهى المسم ! لكن الكلام ده مش فى السلك دى ! انت
حاتمىل واسك براس الانبياء ! مرة تقول انت من تسال الامامو على ؟
ومرة تحط واسك براس الانبياء والرسل ! .. دا ايه دا يا ناسى ؟

روح يا شيخ روح وحليلنى فى هسى .. جاك ريج لما يمسك ! ..

وبقى الشيخ يوسف وحده يفكر ..

انه يعرف ان النقطه هعما تدخل بلد لا ترمى لاحد وقارا الا للدين
لهم رجل فى الحكومة .

ونقطه البوليس هذه تقضى على كل امل له :

عمدات المديرية تترك فى نفل مطه البوليس الى البلد ، فى
طبعنا لن نترك فى تعيين عمدة ! ..

ومن الحق أن الشيخ يوسف كان قد عدل عن التفكير فى ان يكون
عمدة . ولكن حلمه بالعمودية كان يمزو رأسه فى بعض الأحيان .

هلى ان الشيخ يوسف لم يكن هو الرجل الوحيد الذى يحشى على
منصب العمودية من وجود نقطه بالبلد .. فشيخ البلد هو الآخر كان
يكنم أحرانه . ويذارى .. ولكنه آخر الامر . وقف على مصبة طريق
فى القرية ، يشكو ل محمد أنفى من وجود نقطه فى البلد .. فمسدا
يعنى شياخ هيته كاتب للعمدة ، وهو يعنى أيضا ان الحكومة قد
هدلت من تعيين عمدة ..

وتحشرج صوته وهو يقول :

.. من هسا ورايح كل واحد حايقول باللا هالمطه ! بقى فيه حد
يستجرى ييجي يقول يا عمدة وللا يا شيخ البلد ١٩٠٠ والله رحسنا
بلاش يا ولاد ..

وفى دار محمد أبو سويلم وقفت وصيفة تحط صدرها وتقول
لامها ان نقطه البوليس جاءت للحد .. وبما يجرى من عساكر اسططه !.
وكردت وصيفة وامها تقول فى حيرة :

.. لو كان لكى نخت كان قعد لك الشاويش عبد الله !

اما عبد الهادى فقد جلس امام داره يجر على أسانه ، وتنسد
عيناه وتحدث معه محمد أبو سويلم قليلا من الرجال الذين يهفرون
الزراعية ..

وسكت محمد أبو سويلم بعد هذا وظل عبد الهادى ساكتا ..

ولحظة بعد لحظة احدث الاصوات غميش فى الحلق ..

فيما كان عبد العاطى ينف امام الدوار فارغ القلب .. انه لا يعنى
بشئ .. من هذا كله .. انفسوا حاتم الهجانة أم قطه البوليس ، وسواء
مبوا فى القرية عمدة حديثا أم لم يعنوا .. هسا هذا كله لن يزيد او

— يا واد يا واد !! حلاصى بقى فحترنا ! ما هي المصلحة جانه .. ر
عاد فيه عمدة ولا بابى عمدة ! ماجدش بقى ليه قيمة ولا سيمه ! آه
يا فخر .. طب واللاورنيك ، أصل اح سد تحدف مانحشيش .
وانصرف عبد العاطى باستعفاف من امم شيخ البلد وعمد احتفى
تعاما رفق معرقا بيوم رمى النساء صندتهم اللذات بروث الهائم :

— خير ايه يا شيخ البلد !! نعدب ايه ؟! انت بدى عيبك هاورك
معتفين جنبه رى المرحوم !!.

وحلس شيخ اسلك امام داره فى مواجهة الدوار بهر راسه تحت
شعاع العصر الهزيل الشاحب .. وهو يهتف بالشبان ..

وعندما اقبل النساء على قريته ، كانت ابواب الدور مغلقة ولا صوت
يرتفع ..

لا شيء الا الرهبة من داخل الدور ، والحدرد ، والحشوف من
الجهول !.

وطرقت ارجل الجبل ارض القرية تحمل حمولة رجال فى الطرايش
والملابس الصفراء المشدودة ، والنادق .. !.

كانوا اربعة من المسافرين على احصنة بيضاء يتقدمهم على حصان
أسود رجل بدين احمر الوجه ، فى بدلة عسكرية صفراء مفتوحة من
على رقبته ، وعلى وسطه حزام من الخلد منقوش سدس واصصح
للعبور !.

ومن شقوق الابواب وانوامد احد رجال القرية ينظرون ابنى انجيل
والرجال .. وبهائس الاطفال فى ذعر !

— الحكومة ! الحكومة نزلت البلد بالرجل !
وارتفعت همهمة من كل دار والعيون تزد من على وجه العصول
الاحمر ..

— يا نهار اسود .. الرجل ده شكل الاحيوا .. دى سنة مطية .
وانتهى العصول والمسافر من سيرهم الى دوار النعمدة وبرلوا من
الجلد وحلسوا فى البصرة الواسعة التى اهداها شيخ البلد لسيتمهم ،
بعيدا عن مكان الحريم الى الدوار .

وحمل اليهم الطعام من داخل الدوار .. حملة عبد العاطى ، وهو
ستمم .. ولكن العصول نظر الى السبيبة المطاة بمكة من الحوص ،
وقال انه لا تأكل طعاما عند العمدة ..

فأعادها عبد العاطى تلا كلمة ، الى داخل الدوار ، وعندما حاولت

ينفص من الترابيط الاربعة اتى يملكها على الجسر ، ويرومها ذرة فى
الصيف وقولا فى الشتاء .. وهو يأخذ مرته كمعبر ويعيش بلا حزم ..
الا حبات غنمصة تطوف بعقته من حين الى حين فيصرح وحده : « رب
يستر .. يا محي ! » ..

وهيد العاطى يريد ان تدمر له اللقمة .. ولقد يشرذ احيانا عيتمى
ان يحدث شيء ما يهر حيايه فيطلق ضحكات لا تتفاهل المسرارة ولا
الذكريات ولا القلق العاضى .

وتطلع عبد العاطى ابنى شبالة الدوار ، وكاتب تصف وراءه ارملة
العمدة .. وهى امرأة صميرة تروجها العمدة على كسر ولم تسحب منه !.

كانت تلس اسود ، ولا تخرج الى الطريق ، ولا يدخل مسدا
رجل ..

وهى لم تر الطريق عند حملها العمدة من بيت ابيها الى بيته
الكبير ، الا بعد ان مات زوجها العمدة ، فتعودت ان تقف فى الشباك
تتأمل الناس ، وتتكلم مع عبد العاطى ..

ورفع عبد العاطى رأسه وحاجبه ممازلا — وفى لذهه صورة اولاد
السندر حين يمازلون — وفردت صوت يرتفع مصحيا بجمعة :

سراية يا سراية بدى اربك فمير ..
فغير من غير ماهية فلشان حاطر الجعيل

ورثت ضحكة ارملة العمدة وتمايلات ، بينما وقف شيخ انبلد
يرفق محققا :

— فلشان حاطر الجعيل !؟ جميل .. جميل مين يا اخوانى !؟ ايه
يا واد يا عبد العاطى ؟ جميل ايه بانك يرك عليك حمل ما تقوم ! البلد
كلها فى ايه يا اخوانى وانت فى ايه !؟ تصال ها ..

وحرت ارملة العمدة من الشكالة الى الداخل .

وتقدم عبد العاطى من شيخ البلد باستحفا ، ورفع شيخ ال
يده ليصعقه ولكن عبد العاطى أمسك يده يد شيخ البلد وقذفها بعيدا
وهو يقول :

— اوعى تقرب ناحيتى ! ؟ تضربنى بالك على سدى ليه ؟ ليه
يبنى !؟ ما حدث له ضرب عليه ؟ بقى ما صدقنا تحصى من العمدة تيجي
انت كمان تضربنا ؟؟ .

واهتز شيخ البلد من العيظ وهو يحس بيد عبد العاطى قوة تكاد
تهرس يده .. ووقف يصيح فى مرارة :

أن تأخذها معه المرأة التي ناولها له من داخل الدار ، لكرها عبدالعاطي ودخل معه ، الى مكان الحرم ووضع الصبي أمام أرملة العمدة .

ووقف ولم يتحرك .

وبعد قليل ناداه شيخ البلد فلم يحب .

ونادي الصول بصوت أجش وهيب :

- يا عمير . ياواد انت يا عمير !

فاقتل عبد العاطي مريكا .

وبعض الصول بعد أن استراح قليلا ، وبهوى ورائه المسمار الأربعة تطاولوا بالقرية ومن ورائهم عبد العاطي .

كانت الطرقات حافلة لا حياة فيها كالأرض الحراب . وشجع الصول في أول الطواف بما يملك من هبة فامتلا رصا عن نفسه ، وظل يتقدم في طرقات حافلة بين أبواب مغلقة لا يرتفع من ورائها صوت . ولا شعاع !

وحطوة بعد حطوة كان قد أبع رضاه عن نفسه ، وبدأ يستثمر احساسا جديدا .

كان صامتا . ومن ورائه المسمار والحجر صامتون .

واحس في القرية الهامدة المظلمة بوحدة مغبسة ، فوضع يده في جيبه وأخرج علبة السجائر ، ووجدتها فارغة .

وسأل أب كان في القرية يقال يبيع السجائر .

وحجز عبد العاطي إلى دار الشيخ يوسف وطلب منه أن يفتح الدكان باسم الصول ، وأن يظهر كل ما عنده من أنواع السجائر ليختار منها الصول .

وقام الشيخ يوسف مترددا إلى وحل ففتح الدكان وأمسك طيب السجائر في ضيق وتوحي .

وعندما من الصول بالدكان . اختار علبة على عجل ، ودون أن يسأل من ثمنها أعطى للشيخ يوسف قطعة مغبسة بقرشين .

وحمل الشيخ يوسف في النعطة انصعية وسكت ، وشجع الصول سطرة طرقة ولم يعثر إلى أن يذله بالآتي .

ونظر الصول إلى العلبة وتحتها وأشعل سيجارة وأطلق دخانها من بين غياشيعه ، وأطلق مع الدخان من بين شعته صوت مرتفع كصوت الكنتي الملوأف .

وعندما عاد الصول من دورته ، جلس في الدوار على كثة كبيرة،

ووقف المسمار ، حتى أدان لهم أن يجلسوا . ثم أعطى عبد العاطي قطعة نصيه بعشرة قروش وطلب منه أن يشتري حلوة طحينية ويضا وأربعة من القمح !

ولم يكن في القرية أحد يبيع أربعة القمح ! .

وذهب عبد العاطي يحط على باب الشيخ يوسف مرة أخرى وطلب منه حلوة طحينية ، وروى له حكاية البيبي وأربعة القمح ! .

بشاول الشيخ يوسف القروش العشرة من عبد المسمار وقال متشعيا :

- هو سرقني في قرشين صاغ بنية حق علبة السجائر . وأنه لاسرقه أنا في أربعة ! والله لأعمل إلى عمره ما أنعمل في البلد . . . جابيع هيش قمح ! . . . بقى ياخذ عنة سجائر بقرشين صاغ . . . وبأ عالم . . . يمكن يطاموا براني ! .

وخرف الشيخ يوسف قطعة من الحلوة الطحينية قسم منها بإسانته حتى استوت حروفها ، وأعطى عبد العاطي قطعة أكلها عبد العاطي متلذذا سعيدا ، ثم مص أصابعه من أثارها . . . ولف الشيخ يوسف ما تبقى من قطعة الحلوة ودفع بها إلى عبد العاطي . . . ودخل إلى الدار ، وهاد بأربعة أرغفة يدسة من أجمع ، وأربعة أرغفة من الدرة . . . وهدة بيشات ! .

وانصرف عبد العاطي فقدم الحلوة والبيبي والأربعة لتصلول ، وحين رأى الصول الأربعة الجافة ثار في عبد العاطي . فأربعة الصمغ مقددة ، وقال له وهو يرمي بالخيز في وجهه أنه لم يطلب ستة أرغفة من الذرة وسكت قليلا ورم شاذبه الصمغ اللامع ثم قال

- اسمع يا ولد . . . انت من بكرة . . . تشوف لي واحدة تكون نضيفة . . . واحدة تمض وتطخ . . . فاهم ! .

فقال عبد العاطي وهو ينظر إلى خاتم ذهبي كبير يشع قصصه الاخضر في أصبع الصول :

- والله يا حضرة لعمري ما من دناش الحاجات دي هنا . . .

أقام الصول محقا وقام معه شيخ البلد ، وتقدم الصمغ من عبد العاطي وشربه بالكب على صدقه وهو يصرخ :

- انت واد لمش قليل الحبا . . . والله لأريك . . .

وطرب شيخ البلد وقال :

- قوى ! واد تحس عديم الرباية . . . ربيه يا حضرة الأمدى ! .

وعاد الصول يجلس على الكتفه وهو يسأل عبد العاطي .

— اسمع يا ولد .. انت امك اسمها ايه ؟

وحقق عبد العاطي مستكبرا وهو يقول :

— امي ؟ وايش دخل امي في شغل المعز نفى ! اشن دخل امي في
الحكومة ؟

وارتفع صوت شيخ اسد يقول :

— اسمها رهانه .. امه اسمها رهانه يا حصرة العمدى .

— معمم عبد العاطي وهو يجلس في وجه الصول وشيخ اسد .

— لا مانسأش رعدة .. رهانه ذي مبي ؟! ذي بين أم شيخ

السد !!

فقال الصول متوهدا :

— طيب يا ابن زهدة ولا هبانه ! انقص ! ادخل هات العشا اللى

جوا ولعالي ؟! بعد أمشا افرغ شعبي وبالك .

ودخل عبد العاطي فجعل الصبيعية من حديد ، وحاولت امرأة

العمدة ان تسأله عن شكل الأفندي ابدي يجلس في المدرة ، ولكنه

حمل الصبيعه وهو يقول لعنه بعيد :

— ايه شكله معفرت وراكاه المفاريت كلها ! . قال واحدة نصبيعة

تخدمه قال ؟! انت لافكرنا ايه يا حصرة الصول ؟! انت هاكسرها ايه

يا افندي !!

وقبل ان يعود عبد العاطي بالصبيعة ، التهم الصول قطعة كبيرة من

الحلاوة الطحينية .. ولم يرفع لطمعها .. ثم التهم قطعة أخرى ..

ولف القطعة الصغيرة الناقية باشمزار، وعبد العاطي يدخل بالصبيعية ..

ووضع عبد العاطي الصبيعية امامه على مضدة من ابرخام مفدوشة

(انسيقار) ، وحمل الابريق والتشيط ، وصب على يد الصول .

وقبل ان يصب على يد الصواكر قال له الصول

— خذ الحلاوة اديها للقال وقول له دي حلاوة مزجة وري الزمت !!

وخذ عيشه ده والبص رححه له وهات منه العشرة صاغ وقول له لوباغ

حلاوة زى دى مرة ثانية خاخر بيشه .

ومضى عبد العاطي يحمل ما بقى من الحلاوة وحمل الارغاس

والبيض وهو حائر فيما يقول للشيخ يوسف .. وفي الطريق فتح ودفقة

الحلاوة وقسم قطعة أخرى .

وحفظ على باب الشيخ يوسف وهو يقول لعنه معظما من موال:

خطت عذاب قال لى الباب يا وعدى !

وعندما فتح له الشيخ يوسف اعطاه الحلاوة والبص والارغاس ..

وسمه رساله الصول .

وتناول الشيخ يوسف الأشياء من عبد العاطي مستكبرا ، وتحسن

قطعة الحلاوة قليلا في صوت خافت مرتعش :

— يا لينة غيرا ؟! بعد ما طلع انلى طمحه يرجع بي انبامى ! وهودى

حاجه من الحلاوة !! ما لمها كلها ؟! حد ادى البريره ايه الله ؟! يارد

له فيها ..

ثم مضى يلصق المظله ورجال المظله وانزمن ابدي جابت فيه ، وهل

اسد جميعا ..

وهمس عبد العاطي وهو يصرف .

— وقال ايه .. هابر واحدة تخدمه ! مافكرنا معلنى ؟!

فقال الشيخ يوسف وهو يعلق الباب :

— نكرة يلاقى عشرة ! حاكم دى بلد ! بلد ما يعم بيها الا رب ..

واصراف عبد العاطي وهو يترك في الصول وما يضمنه .

وسع الدوار فدخل المدرة متعطل ..

وعلى باب المدرة وجد شيخ اسد يسلك بالابريق ويصب على يد

اصول ، والصول يتمخط ويتمضمض ويصق !

ونظر عبد العاطي الى شيخ البلد شمامة .. ودخل المدرة فوضع

العروش العشرة على الكتفه ورفع الصبيعية في صلب .

وعندما كان الصول يسبح قمع بالموطة العمراء ذات الخطوط

الصفراء المتشبكة خرج عبد العاطي بالصبيعية عن رأسه فسأته الصول

— قال انت ايه البقال ؟! اداك انطوس من سكان ولا برطم ؟! قال

ايه لا .

فقال عبد العاطي باستعجاب :

— الموس ايه مالكه .. وهو يسلم عليك !!

وجلس الصول بدجن سيحارة .. وكانت خبشيمه تطرد الدخان

بصوت مرتفع ، وكان يشخر كذكر البط السمين .

واحد يلصق في اسنانه ، ويتحشا .. وسدد قليل تمطى وتثوب

ونظر الى الكتفه وهو يقول :

— الواحد يملب نفى باحد له تصبيرة على الكفة دى وري ما تبي

تبحى !

ثم نادى بصوت حاد .

— وانت يا عسكري انت وهو حدوا بالكلم كويس .. واحد يعرف هاذك عبي باب الدوار والباقيين يلغوا البلد ا واني يتدخل بحاجة من حاجية المركز يتكح . واللى بسمع الكحة من بعيد يكسح حامد .. وانت يا عسكري ياللى قدام الدوار اول ما تسمع كحة تبحى جري لصحيى! ..

وهسى لسمه .

— يمكن النيه الامور يعرف النيله .. دا لو الود وده كن حرف ابله دى وحلها !

وخروج المساكين .. وشيخ البلد .. والصول يصعب حدانه ، ثم اتقى ببدبه على الكسة .. ولعللى .. وتصادف شحيرة بسرعة ..

كان راقدا بملابسه العسكرية ولكنه قدم هجة يحك جنده ويحصر الكبة ويشتم العلاحين وبيوت العلاحين ومعد ابلهين .

وحاول ان ينام مرة اخرى ، ولكنه قهر من على الكبة يحك جنده ويطلع سترته ويتشقى فى جسده من الحشرات التى لسمته .

وفى الصباح رحلت مع ابنى الى حاصمه الاقليم لندكتور الميون .. وكنت على طول الطريق افكر فى المدرسة الثانوية اتنى سادحتها بعد ايام قليلة .

وبعد ان انتهيت من زيارة طبيب الميون ، مصت بنا العربية المحطوط حتى وقعت أمام باب المديرية .. وفكرت قليلا فى الحديث الذى كان يدور دائما بين طبيب الميون وابى ..

كان طبيب الميون عضو شيوخ سابق كرفع مع سعد . وكان يقول لابي دائما انه لا الانجليز ، ولا الملك فؤاد ، ولا حزب الشعب، ولا المدافع . ولا كل مصانع السلاح الأوروبية ، ولا كل قوى العالم تستطيع ان تخرس صوت شعب مصر أو تحكمه على الزعم منه ! ..

سئظل الامة مصدر السلطات هى الرغم من كل شيء .. وسيظل الشعب معبرا على ان يكون صاحب الكلمة ؛ ولربما أصبحت البنادق فى ان ترهب ، ولكن الرصاص لن يخرس صرخات العدل والحرية ..

ولقد تمتع القوة العاشقة فى ان تترفع الارض من العلاحين ، وفى ان ترحم السجون بالاحرار ، وفى ان تصنع الامة فلا يفكر احد الا فى القلعة .. ولكن الناس يدركون ان الحرية هى التى توفر الطعام ، وأن الدستور هو الذى يضمن الحقوق ، وأن احتيازهم الحر لن يحكمون ، هو الذى يضمن شروطا انسانية للحياة ! .

ركان طبيب الميون يقول ساحرا ان حزب الشعب قد وصع دستورنا وصع برلمانا .. ولكن لا أحد فى مصر يعتقد ان هذا هو برلماننا ، ولا أحد فى مصر يثق فى كلمة يقولها نائب من حزب الشعب حتى لو كانت كلمة حق ! .. ذلك ان شعب مصر يدرك ان حزب الشعب حذرة يريد بها تفصيل الناس ليتفخى فيهم قضاء العدو ! .

وكان دكتور الميون يقول هذا كله وهو يضع فى عيسى شينا لرجا على مرود زجاجى ..

وتركى الطبيب ونظر الى ابنى وهو يكلم قائلا ان المهم ليس هو ما يقوله الحاكم ، فان كلام كثير ، ويستطيع الطغية البارغ ان يقول احسن كلام .. واما المهم هو بسم من يطلق الحاكم ! لاسباب من بسم ؛ والذي يحدد هذا كله هو ان يعرف من هو الذى اختار هذا الحاكم ؛ وكيف تم الاختيار ؟ وانرجل الحامى لم الحقل والشوارع يدرك هذا اكثر مما يدركه ارباب الكعادات .. ومن اجب هذا فهو لا تثنى الا فى الذى يختاره للحكم بإرادته الحرة .. وهذا عدل .. لان الذين يختارهم الشعب يسيحكموه يقتصدون دائما فيما يواجهون على الارادة الحاققة للابن الناس ، ومن هنا تتيق فىهم القوة والصلابة .. ثم انهم يحلون مصعبة الملايين التى انتفضهم هى مقياس ما يأخذون ومايدعون وما يصدرون من قوانين ! ..

ثم قال الطبيب ان الطلاب الذين يتظاهرون فى مصر يدركون هذا .. وهم اقوى الناس واسل الناس فى هذه الايام ! ..

كنت .. ونحن نقف بالعربة أمام باب المديرية — افكر فى هذا الكلام الباهر الذى قاله طبيب الميون، وحدوث ان أحدث به من كساب سائق العربة ولكنه قال لى فجأة ان ابنى دخل الى المديرية ليسمعنى فى دمع نقطة البوليس من القرية . وسكنت قليلا ثم التفت الى وقال لى صوت رهيب ان وجود نقطة البوليس فى البلد مصيبة كبيرة .. فالمسكين ان أقاموا ، خسرت كل البنات .

وكان وجهه الحجل الأصفر يمتلئ ورموش جفينة تحرق .. وكس واصعلا لى ان السائق يعانى احساسا روبا بالحجل والعدا والمهانة والصحر ..

لم تكن لى فى القرية ارض ، ومع ذلك فقد كان مهتما بالرواة ولم يكن له اسرة ولا بنات وعلى الرغم من هذا فقد كنت كلماته على خسارة البسات تقطر بالرواة والبرمة والحق .

وأندفعت كلمته في عروقي بحراره ثم احتملها ، ووثبت أمام عيني
 هذه صورة وصيعة وتخييب هي الأخرى تحسّر !
 وصيعة .. والمساكن ؟

ولم أحتمل الفكرة .. ورايستي أسبحة والتمه وانكبرياء .. وكل
 ما شجرت به منذ لحظة ، وإن أسمع كلام طبيب العيون ، وشجعت
 بأشياء منتهى تعف في حلتي .

واستمر السائق يقول لي أن البلد فقيرة ، والبيات والنساء لا يجدن
 المال ولا الدرّة ، ولا أحد في القرية يعرف العرش بينما المسكين
 يمشي العرش !

وسكنت قسلاً ، ثم قال لي في رهة أن المساكن يجب ألا يقيموا في
 البلد فربما اضطادهم البد واحد بعد واحد .. ربما أسهرت البد
 بواحد منهم فلم تتركه إلا ميتاً .. وعلى أية حال فيجب أن يعرف رجب
 المديرية أن الناس لا يكتبون عادة هي المسوان إلا إذا تنوا يدرون
 انتقاماً !

وسكب السائق هم كساب قسلاً ، وهو يمر رأسه وينظر إلى انصافه
 ثم هاد يقول لي أنه يعرف كل شيء .. فقد هاش في الإسكندرية وكان
 يعمل سائقاً للخطوط أيام الحرب وعرف ما يصعبه الجسود الأجانب
 فلما يهبطون مدينة كسرة فقيرة .. وهو يعرف ما يمكن أن يصنع
 مساكن يمشي العرش في قرية صميرة تشرع الأرض من أهلها .

وتبد قسلاً واستمر يقول أنه أشتعل في ماله شعبة ، فكان ساعد
 على عربات الخطوط ، ووقف جعراً في المدرسة ، وعاملاً في انصاف .
 وعاملاً في السجج ، وعندما قامت الثورة اشترك فيها وهو عامل في
 الإسكندرية .. وبعد الثورة اشترك في إضرابات العمال .. وسجن في
 أجل الإضراب وذاق المني !

وفي السجن لقي صيلاً بمعون أشياء لم يكن يعرفها ، وسهم تعلم
 الكثير من الأسرار .. وخرج من السجن بعد بحث هن عمر ، وحل
 أن يشتغل .. فلم يجد أحداً يرضي .. لأنه سجن مرة من أجل الإضراب ،
 فعليه أن ينظر السنوات حتى يظف صحيفة السوابق ، وهو يعق هذه
 السنوات في القرية يسوق القرية الخطوط ويدخر المال ، مؤكداً أنه
 في يوم ما سيعود إلى الإسكندرية ليستأنف حياته هناك من جديد .
 وهو يعلم أن الرجل يجب أن يرتفع رأسه دائماً ويجب أن يذكر أن في
 الامكان دائماً أن يبدأ من جديد .. هكذا علمه الدب لتعلم في السجن !

وععبت للكلام عم كساب .. ووجدته مثل كلام طبيب العيون :

يفتح العمل على كثير من الأشياء !

وعندما سكنت هو ، كنت لا أزال مبهوراً بانقواء الرأفة التي هي
 حياتي .

وتذكرت أن النساء في قرنتي لا يمكن القرش حمداً .. وعاد بنج
 على صورة وصيعة مندب لقيتها في أول الصيف ، وفوجئتها وأنا أعطي
 قطعة بعد خمسة ، وعونها في قدمها في الماء تحت سابعة مندبها
 أنها تسمى أن تصنع فتحد رلعه من قاعة الطهي ليقول أن كبرال الدرّة
 عندما خرجت منذ أيام باكية من قاعة الطهي ليقول أن كبرال الدرّة
 أسافية لا تكن لطيفاً !

مارال زين فاجع من كلماتها ، يسيل من أدنى إلى أعصبي ويهرس
 حتى الكبد !

أن السائق أدي يذفد على نيات القرية من المساكن بهم كل شيء
 جع .. بهم كل شيء من المساكن والبيات المقبرات .. فلما كما
 بهم طبيب العيون كل شيء من الأرملة والبرلس والانتخابات وحرب
 الشعب !

أيمكن أن تقهر وصيعة جعاً !

وحاولت أن أقول شيئاً .. ولكن عم كساب سائق الصرية فحاجي
 بقوله وهو يشهد :

.. يا خسارة يا محمد أبو سويلم .. يا خولي عليك يا وصيفة !
 ووثب من مكانه المزعج في العربة ودخل المديرية مسرعاً دون أن
 يرى اضطرابي لكلامه العاجيء .. أيعمر عم كساب في وصيفة أيضاً ؟
 أيمكن أن تمكر فيه وصيعة !

أيمكن أن تصب وصيفة هذا الرجل الهادي أسجل ذي أنوجهه
 الحجاب والشارب الرمدي الصغير !

أنا الثعرات البيض تدو واضحة في شاربه وشعره (نطـوـنـ)
 المتناثر من تحت طاقينه الصوف .. أنه رجل لا يتكلم ، وهو يعيش من
 صمت مع حسان العربة ، ولا أحد على الإطلاق يعرف مه شيئاً ..
 فهو لا يسهر على مصطبة محمد أبو سويلم ولا يكاد يذهب إلى ذاك
 المتجج يوسف .. ولا يكاد يكلم أحداً ..

أيمكن أن تتزوج وصيفة هذا الرجل الذي يعرف همه من عمسر
 أيها ، والذي أشتعل مائة شعله ، وعاش في الإسكندرية قبل أن تولد
 هي ، وحسن وهي طيلة لا !

وبرت أمامي صورة عبد الهادي ..

ولكن لماذا لا ياتر عبد الهادي بقرأ العاتية علي وصيفة ؟

وقيل ان بلغ القرية قطع محمد ابو سويلم الصمت بعبه ان الانبار
الذين يشعرون الزراعية وصلوا الى زعم محمد أمدي ، فهم الآن
يجهلون في أرض الشيخ يوسف انني بضع محمد أمدي يده عندها ،
ورب حرفوا في أرض محمد أمدي غدا . . وفي أرض محمد ابوسويلم
عبه بعد غدا .

واقترح اني على محمد ابو سويلم ان يسجو بمحصول العلف من
الزراعية فيجمع منه ما يستطيع جمعه قبل ان يذهب الرجال .

ورحب محمد ابو سويلم بالفكرة ، وتحبب لتبنيها بلا مدته ،
وطلب من عم كساب ان يفتي يحاول جمع بعض الاعار من في اعمر
يساعدونه في جمع العلف .

ونزل محمد ابو سويلم وابا أعجب به كيف لم يذهب رأسه ، وبعب
الفكرة الجديدة قبل ان يعلها كما يصنع المدرسون في المدرسة ، وتما
عمدونا دائما الا نتجمل في العجلة الدمامة ولي الأمانة السلامة . . وكيف
لم يقع بنا قسم له مادام المقسوم هو ان تلتهم الزراعية قطه . وأحدث
اثير في رأسي كلمات تملئها في دروس الدين والتهديب . . ككساب
نقول ان القناعة كل لا يفي !!

ولكن محمد ابو سويلم كان قد نزل العربية ، وفتح عم كساب من
مقده العالي ووقف امام وصيفة ومد إليها يده ليعرف مسعدة الى
يده ، ولكنها لم تعد يدها . . واخبر وجهها واركت ثم وسعت قدمها
عن العجلة ، فتحركت العربية ، وأوشكت ان تسقط فأمسكها عم كساب
من خصرها بيديه ، وانزلها بسرعة . . ووجهها كاورد !

ولفحنى فيظ منهم واختلجت أجهن المنيبة بصرهم المس . . وانا
احدق في بدن وصيفة بين يدي عم كساب !

وعندما هبطت على الأرض انحت في دلال وغدرة ، وهي تبسم
.. والعمارات الشائقة ترقص في وجهها !

وعاد عم كساب يفرغ الكراج في الغداء ، ويطلب من احصان
في صوت شيط أن يسير !

وبعنا الدار ولم تكده نهظ من العسيرة حتى ذهبت انحت في
صد الهادي . . وما زالت النفحات العاصفة ثقيل على صدري ! . .

امام دكان الشيخ يوسف وجدت صد الهادي ومحمد أمدي وعلواني
يقفون ، والشيخ يوسف محتض الوجه . .

كان محمد أمدي يقول انهم دهبوا الرزع وطمعوا الأعداء المحصره
ملا رحمة ، والشيخ يوسف يجيبه ان هذا كله لا يجي ولا يهجم ابدا ان
يدهبوا الرزع أو يحرقوه ، فهو ليس برعه ، وهو لا يسعيد من هذه
الأرض التي يبيع عليها محمد أمدي يده ، وهدامت الأرض مرهونه
تحت يد محمد أمدي فما شأنه هو ؟ ان كل ما يشعه حقد هو متى
ياخذ التعويض عن الأرض مادام الأرض المرهونه مازالت ملكا له . .

وكان محمد أمدي يقول له انه لا يستحق الا نصف هذا التعويض
لان الرزع ملك لعمه أمدي ، والشيخ يوسف يبرق في محمد أمدي
قائلا انه يستحق السويض كاملا فالأرض مازالت أرضه ، والتعويض
الذي لدعمه الحكومة من زرع الملكية حتى له وسيدفع منه ديونه لعمه
أمدي عى بيمه قديمة ! .

ولم يكن هذا الحديث كله يوجب عبد الهادي . .
كان يحتر على اسمائه ، وأبعاسه تتردد قوية في اعنه ثم يقول للشيخ
يوسف :

.. خلينا نكلم بالراحة يا شيخ يوسف وما نطلمش في بعض ا انكلم
كويش مع محمد أمدي . .

واحتج علواني على طريقة الشيخ يوسف التي تمصب الناس مصاح
فيه :

.. يعني يا واد يا هرباوي أفعل الذكوة واشترى لك لحم هشيش
تنسسط !!

وابدي الشيخ حزنه من فهم ما يريد محمد أمدي منه . .
فقطع علواني بان يقول مصرحا :

.. سيكو من الكلام ده . . شقي بابا الشيخ يوسف . . بقى حقيقه
ربنا كده يا عم الشيخ يوسف انت ما حمشك لبيع حاجتن تعلق لأنا
الزراعية ! . أدى الى حابره محمد أمدي . . هه اا فتنا لك أهـه
بالعشر ! .

وأزاح الشيخ يوسف صماته من على مقدمة رأسه وحك منت
اشعر لم دفع العمامة ذات الثبال الكبير المنسج فعمرت جمته ،
واستندت الى حاجبيه وأخذ يظر طولاً الى علواني ويهر رأسه وأحيرا
قال له باشمزار :

.. ما أبقيش لأنا الزراعية اراي ياواد يا هرباوي ؟ طب داهم اني
ووجوا الدكان ؟ حباب . . امال افنحها بعنى على الشك ؟ ! على كور
قلل ، وبضه ملح ، وورقة دخان على الحساب ؟ ! دا انار الزراعية
دقوا لي امبارح بس قد الى دقتعه البلد كلها في شهر ١٠٠ له اول
يوم . . يا هادي ؟ طب ذا اناكنت لسه ناقول وعسى ان تكرر هوا شينا

وهو خير لهم .. قال كنت رعلان من الزرامية . رعلان ايه ؟ حنة الأرض
الى عدى ، وحاحد بدلها طوس اذك ضيقتى ! ازل له نى ؟! وعلى
كل آهى كانت مرهوبة ، ولما الحكومة تاحدها احسن لى ألف مرة من
سيبانها كده غبرى يتمتع بها .. ادى باب .. وثانى باب الاعار بيتقبضوا
ويشتروا كل حاجة باطوس .. يمسى حابروجوا البلد كله ويمسوها
خير ! ازل من الزرامية ليه بقى ؟!

ولم يحتمل عبد الهادى هذا الكلام فزق فى انشيخ يوسف :

— كده على طول بين يوم وليه شرت راك ؟! كدهه القرش قلب
مخك .. امال قريت فى الأرض ايه ونيت ايه ؟! يا اخى افكرت مشايخ
زمان الى قريت مهم ، كنوا يعملوا ايه مع الحكومة .. ماحدش من
جدودنا قال قال عى الى عملوه ايام حواي ؟! نسيت مهابلم فى الحدوى
والانجيل ؟ نسيت كلامهم على الالبسة ؟ ننى انت بعد الى عملته سنة
١٩ ، وبعد ما وفقت ضد حزب انشعب تيجي لخصيب تفعلك كده ؟

وقضى وجه الشيخ يوسف، وارتعشت شعثاه ونظر الى عبد الهادى
محققا ولم يقل شيئا .. ولوح علوانى بذراعه ليتكلم ، فصرخ فيسفه
الشيخ يوسف :

— هس !

ولم يمس علوانى بل زق موحيا الكلام لعبد الهادى :

— يا اخى يا عبد الهادى دى الطوس تغلب المفريت ..

فانصر الشيخ يوسف يقول لعلوانى :

— بالك تغلب ما تقوم .. اسمع يا واد انت اوى تيمى هه تدى !
فقال عبد الهادى وهو يتحرك :

— والله يا شيخ ما حد جاي لك هه تانى .. دا انت راجل غلس
وقلبك ردى ..

واندفع الشيخ يوسف يقول :

— اسمع يا عبد الهادى ! انا ساكت وناقسول لعسى يا واد اقصر
الشر .. انا باقول لك يمسى ! انا يمسى بعمل كده عملا بقوله تعالى اذيع
نالى هي احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كانهولى جميعا .. آه ..
انت مالك ومالى يا اخى .. الله ! انت شريكى ؟ جرى ايه ؟! ما كل واحد
يبقول يالا نفسى .. انت مالك انت ومال الزرامية يا اخى .. انش
حشرك فيها ؟! لا لك ارض هناك ولا حاجة .. هوه شكل للبيع يمسى ؟
لم يمسى لما انا ما بيعش لانغار الزرامية ما هم حابشتروا من غيرى من

بلد تانيه .. ويعمى اعرس ان الزرامية منى حاجبانى .. حا اعمل ايه ؟
ايه العمل يمسى ؟ يمسى احسا الى حاتوقها .. ما ريمو الحديد من
الترعة ، واهى مشيت برقه على رقية احسن واحد ! احب جندف
قصاد الحكومة ؟ ما انشاورش عبد الله عمل شمول .. اهسو جاب
النفطة ! جاب العسكر !

ماحتد عبد الهادى قائلا :

— نفطة ايه وعسكر ايه ؟ طيب خليفهم يصمروا من اتبند كده ! غيرشى
همه يستهفوا الى زيك ! .. ما الواد عبد العاطى حكى لى على حكاية
الحلاوة الطحينية والسجائر وخبيتك مع الصول .. امسكت اسكيتى
بلاش كلام خايب .. باراجل دانت بتقول كلام يفرس ! يا نهسارك
اغبر يا شيخ يوسف الله يخبث يا شيخ ..

وتدخلت انا فى الحديث ، وقاطعت عبد الهادى قائلا ان النقطة
وحت من البلد وانها ستكون مجرد داورية ..

وتهللت الوجوه .. ومضيت انا وسط الاستفسارات احكى كل
ما اعرف من الامر ..

وقال محمد ائندى للشيخ يوسف :

— ايه رابك بقى ؟! غدرت الحكومة تحت نفطة بوليس فسين هنا ؟!
وحياة النسي يا شيخ لو قدمت النفطة لكات شانت الويل لنفطة
بخطرنا اهلا وسهلا لكن فصب هنا .. يا اخى بعدك !

وبهت الشيخ يوسف ، وترايل ، فاندفع محمد ائندى يقول :

— انت يا شيخ يوسف مش قلت من قيمة جمعة انك مش رايح تكلم
حد من بتوع الزرامية .. حتى كنت نارى ما فردش السلام .. ايه
الى خلاه جبيع لهم دلوقت ؟!

فقال الشيخ يوسف متزايل برود :

— دهدى ! اى قلت ! قلت ورجعت .. حبيد شريكى ! وانا ان
ما بعش ما غبرى لى بلاد تانيه رايحين بيعوا لهم ..

فقال محمد ائندى بازدراد :

— ايه الى قلت ورجعت ؟! ايه الى غيرة فى بلاد تانيه حاييمولهم ؟!
ما بيعوا .. لكن انت ما بيعش ! تخلى الانغار يطعموا الكوة رايحين
حايين .. اقلبيه يا شيخ تقطع الزرامية واللى جلب الزرامية واللى
يسلم على تنوع الزرامية ! ..

ونظر اليه الشيخ يوسف قائلا :

— هيه ! تذكر تقول أنكلام ده قدام محمود بيه ؟ تذكر كده تطمع الزراعية وتقول كده ..

فتار محمد أمدي ولعي محمود بت ، وقال انه مستعمل لآن يصح اصبعه في عبي محمود بت هذا ..

ومفي يقول معرضا بالشيخ يوسف أن محمود بت بعد ما حصل في مسالة الزراعية ومسألة حسن الرجاء ، اصبح لا يوم أحد ولا يوم به أحد في البلد ، إلا من يرجو أن يكون عمدة !

وقال أنشيخ يوسف لمحمد أمدي وهو له يرتضى :

— والله ما أنا مستعنى كلامك ! مش جارد على الكلام العاغي ! مش رادد على حد من أصله ..

ثم دس يده فاخرج كتابا سميكًا أصغر وبدأ يعصب صفحاته في فتور ويقرأ ..

وقال علواني مستكراً :

— ويقرأ قصة أبو زيد الهلالي ليه بقى ؟ .. سبيح أبو زيد ومتر والعاجاب دي لآ احنا .. سبيحها لعبد الهادي ! افرا لك مولد بقى ، ولا هدية يس ..

وشحك عبد الهادي فجأة بانطلاق .. واكمل محمد أنسدي صاهاً :

— ولا افرا جريدة حرب الشعب ! ،

وكلم الشيخ يوسف فيظه ولم يرفع راسه عن الكتاب ،

وعبد أنصرف محمد أمدي وعبد الهادي وعلواني ، ومي الكتاب في شيق ، واخذ يعن غيرة البله ،

وعند قليل دخل الى داره بجوار دكانه ، فلبس الخلاب التكمير الذي اشتراه من احن العمودية ، ولبس العانة الصفراء ذات الاكمام الطويلة ، والعمامة بشانها الحديد الأبيض الساتع .. وخرج من باب داره بفتح صدره متعدياً ، وان كان في أهماته ليشمر بالهوان !

وعاد الى دكانه ، وصمم على أن يذهب الى محمود بت لينتق عه على السعي لتعيينه عمدة مقابل نصف الملح الذي سيأخذه من الحكومة بموجباً من أرضه المترعة للزراعية ،

وعندما يصبح عمدة .. فهو قادر على أن يحرف شسطه مع عبد الهادي ، ومحمد أنسدي وحتى مع محمد أبو سويلم . وعلى أي حال فلان من تادب الولد العراوى علواني في أول يوم لتعيينه عمدة !

.. لادا لا بعيد موضوع حضرة ، وبسطه على عواي .. وعي عبد الهادي ومحمد أمدي ان لزم الأمر !

وعل ينظر أمامه في الطريق ، واستيا له ان أندين يمشون يحشون أسفل اله ، ونكي راسه .. وينظر في دفتر الحسابات ..

انصرف محمد أمدي الى حوصي الرعة ليري ما صنع الرجال بعمله ، وكان طوا انطريق يعكر في محمود بت هذا ،

ان محمد أمدي ظل يعتد ان من الممكن أن يصعب هذا الرجل شيئاً لبلد ، ودفع له من جيبه العاص مالا وانتظر ان يباحي اعره بانطامي الزراعية أو افرج في رجالاته ليسترد محمد أمدي ماله من أهل البلد .. ولكن محمود بك لم يصع شيئاً . وشاع على محمد أمدي ما دفعه ولم بعد في نفسه استعداداً لآن يقول لأحد انه دفع مليماً لمحمود بت ، وداري الأمر في قلبه ، ولكن فيه اجتماره لمحمود بت ، واحد في كن مناسبة يعن هذا الاحتار ،

ولم يكن محمد أمدي يصل خارج القرية في الطريق لي حوصي الترع حتى كان عواي وعبد الهادي يسران وراءه ..
واندفع هو الى حمه ،

أما عبد الهادي وعلواني فقد كان يسران على مهن يحدثان .
وقال عبد الهادي لعلواني انه نوى بعد ان يسبح العطن ان يشتري غنما يربها علواني وطلب منه ان يصير نفسه شريكاً في انسم نظير رعيها .

وطار علواني من الفرح وقال في امل :

— يا سلام .. أمه اواحد يلافي حته يات بها ! يا شبح دا الواحد من هرم ما فيه كن قرب يعكر انه يشتغل في اتراعه .. سكي وانه يقيت مستصيب قوى وصعانه عيه نفس يا عبد الهادي ! .. بهار اسود ، دي الحوجة تكفر صحبح يا احوالي ! .. ان ما كاشي احداً شليل بعض بقى بس يقى ايه العمل ؟ نفس الواحد يعمل رى الشيخ يوسف ! يا حمارك يا شيخ يوسف بقى ما بعد ما تقرأ دا كلمه ، وتجعش شعر عشر وأبو زيد ، تقوم تسع لآغار الزراعية ! .. دا كان حه ، تقطع رجل الى بسعي مهم ناحية الدكان !

وطلب عبد الهادي من علواني ان يقيم عنده وان يساعده في جمع العطن حتى يشتري الغنم .. ثم انسم عبد الهادي قاتلاً لعلواني !

— پس اوعى يا عوامى تعمل فى الممن دى زى ما كنت بتعمل فى غم اليه .. ما انت انى قلت لى .. مجة تشط ولا حاجة نتوه .. الامر ما يخلش ..

واكمل علوانى صاحكا :

— اى اى ! ولا خلعه كده تندارى ولا حاجة تعم اء ..

ثم سكت فجأة ، واكمل وهو جاد :

— لا .. لا يا عبد الهادى ! الكلام ده يصح مع ابيه من . لكنى قى انا امسى عليك ، احنا نمس فى بعض اء ..

وطأت بعض عبد الهادى ، وقال وهو ما يراس يصحك :

— يا واد دا كلام .. ان يا قولت كلام دعت اء ..

وحولت ان اكلم عبد الهادى قبل ان يبلغ الطريق المؤدى الى حوص الثرعة لأمود انا الى دارنا ، ولكن علوانى سببنى بوله :

— استنى يا عبد الهادى ! احاطع كده من غير مصايه ؟ لما احبب مصاية احسن الاولاد بتوع الزراعية يتحسوا بكلمة ! ولا يموا او يالسوا .. ولا يفرأوا اء .. حاكم انا عارب بتوع البندر دول اء ..

وذهب عوامى ، ووقف عبد الهادى ينتظره مكانا الى مصا قصيرة غليظة فى يده .. ووجدت الفرصة مناسبة للحديث مع عبد الهادى من وصيفة ، ولم اهرب كيف ابدأ لسانته بلا مدمات .. لدا لا يتسروج وصيفة ..

وقال بانطلاق :

— على ما ترجع الى المسامحة الجاية تلاقبها معسرة الدار .. تلاقبها منورة وشاية هيل على كتفها يا جدد اء .. سافر انت من مطمن .. اطمن اقوى ..

وشجكتنا ولم أقل شيئا ..

ثم سالتى عبد الهادى متى اسافر فقلت له اننى مسافر بعد اربعة ايام .. فقال لى ناسف :

— ياخسارة ما لحتش اقول لك المواويل اللي كنت هايز تسمعها منى فى اول المسامحة اء .. راحت المسامحة فى ملاعب العمدة وانترا الحكومة ..

ثم همهم :

— العايات كتير .. بكره الدنيا لروى .. والسكد ينزاع .. وسكت ..

وشردت فى الاجارة الى دهب ، والدراسة الى سدا بعد سدا .. وكبت اشعر بالفعالات مبهمة مديدة تصطرم فى الاعتناق منى والاسى العامنى يلا صدرى ..

واربع صوت عبد الهادى خربا معما يعنى :

نكره اسمع يا حساب حلى بالك من

ياللى علبسك من سالت مدام

واسترسل عبد الهادى يعنى الى آخر الجوار ، يسمعا كاس علوانى يتقبل بعضا علوانى وضعب على كتفيه واسند اليه فده وراسه ، ومضى علوانى مع عبد الهادى الى حوص الثرعة ..

وفى حوص الثرعة كان محمد ابو سولم يسوق بعض الاولاد لجمع القطن ووقف مع ابنته وصيفة على راسى حمله .. وغير بعيد منهم وقف محمد افندى ودباب ..

كان الرجال يعملون بهمة ورئيسهم يراقب ، وهم يتكلمون فى الحقول اكثر مما يوقت القرية .. وكانوا قد فرسا من كسر الاعواد فى ارض محمد افندى وتقدموا الى ررع محمد ابو سولم ، ودباب يرقى ، وتكاد يشق جليده واحوه محمد افندى واحم لا يكاد ينطق اء ..

وبدا الرجال يدهسون ارض محمد ابو سولم ويكسرون الاصصاوا باقطانها ، والماعول فى ايديهم تخط ..

واحس محمد ابو سولم بعقله بطير وهو يرى قطنه يسوى امامه ويختلط بالتراب ..

واطلقت وصيفة صرخة مروعة مشحونة بالياس اء .. وكانت تهاب من القرية بحيلان صفائح الدم من الثرعة وينظرون وسط الرجال نشكركم للكلمات البلية .. وظلمت احداهم من وصيفة ان لصبر وتغزل اء .. تانى لتشتغل وتأخذ للاثة قروش فى آخر كل نهار ، فتشتري كل ثلاثة اء .. كلة من الدرة اء ..

واخذ محمد ابو سولم ينقل نظراته بين العطن الذى يسوى على التراب ، ووصيفة ، والفتيات اء ..

ان شقاه الاسود يند عزاء فى هذا العطن وحده .. وليكبه يدهسونه بلا حساب .. ولقد باع الحشنة ليشتري بشمها ذرة ، ولكنه فى حاجة ايضا الى ثمن القطن .. وهو ينتظر ان يمسك احد التواجبات فسيبعه للحصول باى ثمن .. كما تعود التواجبات فى آخر كل صف ! فالتن لم يستطع محمد ابو سولم ان يظهر من كل عمله ازال العام بلرة او قطن .. فمن اين يستطيع ان يعيش اء .. لو انه تركه

يدعون القطن فيستريح لهم وصيفة تعمل كالأحراريات . يسمى مع الرجال الغرباء بكلمات دامية ، تفحك للالفاظ البديهة ، ويجذبها هذا ودالك ! ومن يدري !! .. ربما غابت في احد حورل امرأة ودخل برأها رجل او رجلان او ثلاثة ..! بعد رأى محمد ابو سويلم بعينه عتياب يصح هذا .

فتيات كن لا يستطيعن ان يرفعن الرايس امام رجل غريب .. من فرط الحياء !

وتقدم محمد ابو سويلم الى رئيس الانعار ، يطلب منه ان يؤجل حفل القطن يوما حتى يجمع العطن .

وقال رئيس الانعار :

— يعني نطبل لك شمن الحكومة عشاى نجمع أنت العطن بتمت ..

ثم التمت الى الاعار قائلا :

— افنت يا واد افنت ! هنتكم شوية ..

كانوا كلهم من بلاد بعيدة متفرقة .. وقد تعود رئيس الانعار ان يجمعهم ويسرح بهم في عمليات كثيرة .

وعاد محمد ابو سويلم يحاول ان يشرح لرئيس الانعار ولكن الرجل ازاح طربوشه المعز الى وراو ومضى في ضيق وهو يسمح كرتيه المسترعى تحت الحلاب الواسع المشفى الورى ، ودفع وجهه الحليق النكور ، لم تجم وبقى ، ومض شاربه الرمادى الاثمت اشافر الضمرات وقال لمحمد ابو سويلم فى حسم انه لا يستطيع ان يتأخر من واحد الحكومة تحاسبه باليوم ، وهى تستعمل الزراعية وقد ارف موعد التسليم المحدد .

وقال محمد ابو سويلم :

— يا سيدنا لندى حرام عليك .. وهسوه يوم حاهممل ايه للحكومة ؟! ايه يعنى لو متأخر الزراعية يوم .. طب فا يوم الحكومة بسنة ؟ اشعنى حاية تندار وتجبكها فى الزراعية ؟ يا لندى !! يسمى ترموا لنا شفا السنة بحالنا فى التراب كنه قدام عتياب ؟! يا سبة سودة يا اولاد ! .. يعنى نطلع فى آخر المواخر من غير درة ولا قطن .. يعنى نطلع حبات عتياب طول السنة وبعدن لا نطول لا انش ولا اسود .. الهى تسود عتشة الحكومة يا شيخ ..! هه دي كمان شبيحة الغر ؟! ما كفانة نقي ؟ رايح فى .. هه الحكومة رايحة فى ! عاوره اده تانى بعد الى عمتنا لنا !!

والذاك صرخ فيه رئيس الانعار :

— بس اخرس ..
وصاحت وصيفة فى حجرة :

— يا خرايك يا ابا ..

وحقق رئيس الانعار بعينيه المسحجن فى وصيفه ، ومرت يدهن فوق جليابه واحد يمسح بطنه ، ويحت مهبط كرتيه فى حركة غابية ، ورفع حاجبيه ونمز بعينه لوصيفة .

ثم امسك بالشحم المدلى من تحت دقته ، وقاد لمحمد ابوسويلم :

— وزعلائ ليه ؟! .. وبسى انت كنت حاتبع القطن بكسام يا خي ؟
يسى فطن الدائرة ؟ ما كان الحواحة حا بلهمه مك باتراب ؟ ما تخلى منك الى دائرة تصوت دى عيجى تستعمل فى الزراعة ! دى الزراعة حانة لكم مصححة يسى انتو الى بهام ..! دانا مشعل المباشر بنت من لداك ، ويوتهم انمحت !

ثم التفت الى وصيفة ويده على مهبط كرتيه وعينه قمز وقال !
— هه يا فمورة ! .. ما عيجى تستعمل يا ت .. باين علكي جامدة وكويسة .. حاديا خمسة ساغ مش تلاله رى التانيين ؟ ايه رايتك ؟

وتقدم الى وصيفة وقد ورق صوته ، ومارالت يدها فى حركات فاضحة نصت من فوق الحلاب وقال لها :

— ايه رايتك يا حلوة .. ايه يا غروسة ..

ودارت راس، محمد ابو سويلم واشتعل كل حسنه واحيل ابتسه تقف كالخرايات مع رجال غرباء تفحك لمكاستهم ، وتتمايل بصفيحة ماء على راسها ، وتدخل حفل المرة فى انتظار رجل !

ولم يستحل محمد ابو سويلم أفكاره ، واوشك ان يهوى على رأس الرجل . ولكنه قبل ان يقول كلمة سمع ضحكة فنى غلظة الصوت .. ريلم صاحب الضحكة كاتمه من على المزل ثمان وجهه ، كان هو نفس الهى الذى مضى وراء شعبان ذات يوم ، وطرده الشمس يوسف من ذكائه لانه حاول ان يقول كلاما غير طيب عن عبد الهادى .. ولكن الشيب يوسف لم يعد يطرده فى هذه الأيام ، بل قدّم له صدره .

واهتز محمد ابو سويلم وهو يسمح ضحكة هذا الفتى واحتلم عبد الهادى من الحق .

ونظ الفتى ضحك وهو يقول فى سخرية :

— والله وصفة مستاهل بريرة كمار اولو دخلت الذرة حائل كمان بريرة بوماني على الله ! .. بس عبد الهادى ما نترطش فيها ! ..

وقعر عبد الهادى على المور ، وقد ارتفعت المصا فى يده وخبط بها رأس الفتى فوقه على الأرض ساكتا

وتحرك رئيس الأنهار في مكانه مرتبكا .. . فصر الأنهار جميعا وقد
رفعوا المياول في أيديهم .

وايتمدت أعتيات ووقفن إلى جوار وصيعة وقالت احداهن :
« أومى حد يقرب من عبد الهادي .. دول بلاد بلد واحد يعرفوا
خلاصهم مع بعض .. خلى عبد الهادي ياديه .. حاه قطع لسانه
ما ابزده واد تح ! »

وكان محمد أبو سوييم يعف على رأس العتي التي الواقع على الأرض وفي
يده جاروف انشفته من احد أنفار الحجر .. وتنادى علوانى بهر عسماه
واذبح ذباب بالدي من ورانه محمد امدى .. ووقف الأولاد الصغار
الذين جمعمهم محمد أبو سوييم لجميع الفطن .. ولفوا يترقبون وفي
أيديهم الطوب .

ورقق محمد أبو سويلم في أنهار الزراعية بصوت رهيب :
« إلى حانيد ايده حاكمها له .. إلى حانيعيل عود فطن حانفطع
رفقه ! »

ونظر رئيس الأنهار مروها وسط صيحات التهديد التي ارتفعت من
محمد أبو سويلم ، وتناوبت من علوانى ودياب وعبد الهادي ومحمد
أعندى ، وبذل بصره إلى النساء اللواتي يشتعلن معه ويأخذن القروش
معه ، فوجد في يد كل واحد حجرأ نهيا لرميه على رأس من يتعرض
لأولاد بلدها .

وقال رئيس الأنهار متطلعا ، ويدها ترتعاب في توسل :
« الله .. الله .. بسم الله الرحمن الرحيم ! احب ايه يد رحاله !
.. انتو لامين بعض كده سوان ورحاله وحايين تحربوا اندية ! .. انتو
عاميينا محصوصي علشان تلموا علينا البلد ! لا حصول انه ؟ طلب وان
مالى ؟ واحا مالبا .. ذي زراعية الحكومة ! »
ثم انتمت الى الأنهار قائلا :

« طلب بطلوا .. بطلوا ناولا ! .. بطلوا حجر بنى .
وستي قبيلا وهو يسمح جهته ووجهه مشبه :
« يدانحي الحكومة تحرس الزراعية بتاعتها يامايش زراعية ! »
واتحه إلى الطريق منكن الرأس حتى اصبح امام الفتيات .

ولم تخفى أيدي الفتيات ملاحجار .. كن مازن على اسمعزاز
تعدف كل طوب الأرض على رموس الرجال أممراده الذي يحمرود
الزراعية .. على رموس نفس الرجال الذين كانوا يضحكون ويحسمون
في الدرة معهن من ساعات !

وجاور الرجل العتيات واتجه الى القرية . وترك عمال الزراعية
يرمون بمياولهم الى الأرض ، ويتسبحون في سرور واضح .

وبدأت ترتفع يسمم الصيحات وهم يشيرون القاول الذي جلبهم من
بلاد بعيدة وطل في كل ماسة تنشط عليهم ، قائلا انه سمع !
وهجأة حين ظهرت له العميون الحمراء وقف يرتبش وزاغ .

وجلس الأنهار بعيدا على الأرض التي سووها من قبل واخذوا
ينظرون الى الرجل الذي مسط تحت عصا عبد الهادي وهو يتحرك
محاولا أن يقوم .. ولم تقطع صيحاته أبدا !



اما محمد أبو سوييم فدخل الى حقل أنطن ، ومن ورائه الأولاد
الذين جمعمهم من القرية .. ودخل معه دياب وعلوانى ،
وعلى الطريق أمام الحقل وقف عبد الهادي يقول لوصيعة :
« أقعدى ياوصيعة انتي هنا على رأس المحيط . »

وفرش اكياب غرفة جلست عليها وصيعة ، تنشط ما يحى به الدين
بجموع أنطن .. ثم تقدم في الحقل ..

وتحرك محمد امدى قبلا .. لم تردد لحظة ولكنه عاد الى
القرية .

والتمت عبد الهادي الى العتيات اللواتي يشتعلن في الزراعية قائلا :
« يااا بانتت انتي وهيه كل واحدة تربط وسطها بنسرة تيل
وتخش تجمع في مها .. »

واندمت العتيات بقطع اعواد التيل من على حافة حقل الفطن وبشرها
جاءلات من القشرة الطويلة حراما .. واخذن يوسعن الجلابب السوداء
من هلي الصدور المتهدلة المترجعة ليضمن فيها ما يجمع من الفطن .

واندفعن الى الحقل يلتقطن من على الأعواد الخضراء كل حملها من
القطن الأبيض ويضعنه في الصدور : لصا على نص .

وصبح الأولاد نفس الشيء ..

وانطلق صوت احداهن بالفناء :

علاية .. علاية

دايت على دارنا سلم ولا انكلم

صلاية

وردت الأخبار في قنصور

صلابة

فقلت وصيفة وهي تقف على رأس الحقل :

— لا مشي كده ..

وتقدمت إلى حقل القطن وارتفع صوتها حنونا صائبا بصي :

يا لولي بمرجان عالياة يعوم

وانكف المكنى

هو اللي قتلنى

والشامر نفسى

على سود العيون

يا لولي بمرجان عالياة يعوم

وردت الفتيات وادها بنشاط :

يا لولي بمرجان عالياة يعوم

بسمها جليل صوت عبد الهادي وهو يروح ويحيى في الحقل :

— أيوه ..

وتقدم من الفتيات صالحا في مرج :

— خدي الفص ده يا بت .. اوعي توفعي حاجة عالارفس احسن

احلى وقتك شيرة ..

وقالت إحدى الفتيات بعثت وهي تنظر إلى وصيفة :

— وقتك شهد يا عبد الهادي .. مش كده يا وصيفة ؟!

واحمر وجه وصيفة ، وضحت عبد الهادي وهو يترب من وصيفة

وصاح محمد أبو سليم من بعيد :

— خسر إيه يا عبد الهادي ؟ إيه اللي فرل في وسط البات كده

وى جعش السات ماكفاية هليك شيل البات ليلة الفرح .

وضحك عبد الهادي وضحت البات والأولاد ..

وكان عبد الهادي إذا راقته هروسة في ليلة الزفاف ، ظل يتربص

الحمل أندى يسير يهودجها حول البلد وسط الزعازيد .. حتى إذا برك

الجمل أمام منزل الزوجية ليتقدم أحد اقارب العروس فيحملها إلى

أنداء كالعادة ، اتحتم عبد الهادي الزحام ، وحمل العروس وسط

صياح الطرب واغاني النساء ..

وقالت إحدى الفتيات ضاحكة وهي تمر لوصيفة :

— والتبى يا عبد الهادي لاحتلى علوانى هو اللي يحمل عروستك ؟!

وضحك وصيفة .. وردت صفحاتها البسيطة الزائفة ..

وقطع محمد أبو سليم الصفحات واستمر يرمى في حقه هاتلا
لعب الهادي :

— ماتيجي يا جديج تأخد باتك من بقية الجمعية ! واني يا بت يا وصيفة

ماتطلعي عبي راس العيط نصبي اعطلي اسي يجيب .. حبكي هسمد

الاكياس .. ايه اللي حشرك هه ؟!

وترددت الصفحات في الحقل .. واحمر وجه وصيفة ، ونكس

راسها ، والقت نظرة سريعة على عبد الهادي وهي تترد الحقل بتد

عبد الاكياس ،

وحقق قلب عبد الهادي ، واشرب امامه الدنيا لحظفة ، واحد

بحاجة لا تقام الى ان يفسى ، ويضحك في زحام من الناس ،

وقد علوانى مذابحا :

— أيوه ماتيجي هه يا عبد الهادي هدى ! انا جرى ..

وهربت الصفحات شاء الفتيات بسبب كاد يرتفع من بعيد هه جمال

الزائفة في يوم غريب من الهرة .

واحد الذين يجتمعون القطن يترددون من الحقل إلى الاكياس من

بلف هدها وصيفة : يفسرفون ما حموا تحت أجساليب المنمحة ،

ويعددون ليتفعلوا مصوص اعطن من على اعداده في حقه وسره

وحذر ..

ولم يكد يجتمع تحت قدمي وصيفة ملء كيس من القطن .. حس

نادت ابها ان يسل لكس القطن في كيس ..

ولم يحبها أيوها ..

وترددت قليلا ، لم اضطرب صوتها وادت عبد الهادي ، وطلت

سه ان يضع هو افطن في الكيس لانها وحدها لا تستطيع .

وقال محمد أبو سليم في ابتسامة :

— طب روح يا عبد الهادي انت ! هه ! .. روح حط القطن في

الكيس ! والله اللي اتصح ماتيجي نصي كيس ! ..

واستدار عبد الهادي إلى وصيفة ، ومشى بين أعواد القطن ..

وامام عينيه ترقص العقول كلها والأشياء ، وفي صدره وأديه تنحارب

كل الاسام التي احبها ..

وقيل ان يطلع عبد الهادي مكان وصيفة ترتفع من ناحية اميريه
صوب اجش :

.. انتو قاعدين تموا : قاعدين تموا وسايس اسيات تجمع العطن
بجمعه بصلوصي ؟! واسوا قاعدين تموا ؟! قوم انت وهو افحت
انصحت لكم توبه .

وتهاسي انعمال من يعيد وهم يقومون متناهيين :
.. ياك سمعت لك انا توبه انت والي جاپول ؟!
كان هو رئيس الاعيان يقبل من القريه يسبح كرشه ، ويدعش وجهه
وقد مال طربوشه على جبهه ، وتطوحت فتائل رده في حباله .
ومن ورائه اقل الصول ، يركب حصانه ، وحمله المساكين يمشون
.. وروقت وصيفة .. وقعدت !
ويحد قليل عادت فوقعت ..

ولم يتحرك عبد الهادي من مكانه .
وانتم حصان اصول حفل العطن ، مصرخت انعتاب .
ودخلت وصيفة فلم تستطع ان تقول كلمة ، بينما اضطرب الاولاد
وجروا هنا وهناك .. وصاح اصول يا مصرع الا يتحركوا وسال :

.. من فيكم صاحب العبط ؟! من محمد ابو رعت ؟ !
وتقدم منه محمد ابو سويلم ، وربع راسه متمسكا ..
وهاد اصول يسأل :

.. الله .. عين الواد ابو هباب ! ..
فقال محمد ابو سويلم لي صوت هدي حزين :
.. انا محمد ابو سويلم .. وماتشمنيش كده فدام بنتي ! .. انت
لعبا حد يشتتمك فدام بنتك ؟!

واهتز الصول على حصانه ووضع يده على مسدسه وقال :
.. انتي فاكركي رئيس الاعيان ؟! كلمة واحدة واخبرك بالرمص ..
وايتسم محمد ابو سويلم في ثياب ، ولكن عبد الهادي صاح :
.. رمصاص ؟ يعني تاحدوا ارضنا وتصربوا بالرمصاص كمان ؟ طب
وربنا كده ! وربنا الرصاص ده .
وانهمرت الكلمات من فم علواني قائلا لعبد الهادي :
.. تسلم يا عبد الهادي !

وقال دياب لعبد الهادي في اكار وحماسة :
.. ايوه يا حذع قل لهم زى ما قال الادهم :

وان عشت يا حكومة لاليسكم طرح وشيشان .
وقال علواني للصلول متحديا :

.. رمصاصي ايه يا حصرة لمدى ؟ واحنا كمان ها احنا بصرب
بالرمصاصي ؟!

وتبعه دياب بانفجار وهو يسل بصره بين الصول ورئيس الاعيان :
.. مايمولوا اسلعه عارت من اليد قاعدين ليه بقى ؟ ده انا قدر
عليه رئيس الزراعة ؟ جاياب لنا الحكومة يحيلها تصربنا بالرمصاص ؟طب
توربا الرصاص كده ؟ لا تشوف مين انا حيلب . قولي يا حكومة
كده واحنا بعول .

وبعت اصول ورع يده عن مسدسه ، وسال عرقه على اشارب
المصبوغ بانسواد فاحرج صديلا يجفف به وجهه .
والتمت محمد ابو سويلم الي عبد الهادي وعوانى ودياب وقال
بهدهد :

.. بس يا اولاد .. اسكتوا انوكم اذوف ايه العبارة ! لا تشوف
اخرتها ايه ونظر الى الصول قائلا :
.. انت هابر مي ايه يا حصرة الايدي !

فقال له الصول :
.. انت يتحارب اوامر الحكومة وتتحدى بالقوة على املاك اميرية .
ورعق دياب :
.. اميرية ؟ اميرية يعني ايه ؟ دي ارضنا احنا ؟ بقت ميري من امتي !
واستمر الصول يقول :

.. اطع من الارض دي يا اخينا وسيب الرجالة يهتوا ..! اطبع
احسن لك !

فقال محمد ابو سويلم بهزاره :
.. فطني باليدي اقلني ، شقايه ! انا يا قول لهم اسنوا النهارده
بس .. يا حادوا النهارده واحه لحد ما اجمع شوية العطن .. دي فيها
ايه !

وهرش الصول راسه وقال :
.. تقدر تدع تامين ؟! تدفع جنبه يعني ؟!

فاصرع علواني يقول :
.. احنا قادرين بدفع ثمن كيلة ذرة لما حندفع السحام ده اللي يتقولوا
عليه ؟!

واستدرك محمد أبو سويلم قائلا لنصول :

— ما ادعشتى حادثة ؟ تأملي ده ايه ؟ ادفع لئين ؟ حتاحدوا الأرض
وادفع لكم فلوس كمان ؟ مين ده انسى خياخد احبيه !! ياك يسخر !

فقال الصول وهو مارايل يهرش رأسه :

— ادفع ياراجل الجبيهه .

فقال محمد أبو سويلم :

— دا مش مال ؟ يعنى ادفع ضريبة الما ؟ ياسيدي احسبوا وبلا
احسروا عليا ماسدعشتى مال للحكومة دى .. والحكومة حارمه ! !

ونزل الصول من على الحصان ، وتركه حصنه لاجد المساكين ..
وسار الى محمد أبو سويلم قائلا بهمس :

— ادفع جيبه ياراجل انت تسك امورك .. خليك بيه وحركه ! ..
تقدر تدفع جيبه والا لا ..

ورأى دياب حصان الصول يعمل براسه لياكل اعواد العطن ، فعان
بمسكركى بشيق :

— مانعوش اللي يندبب ده كمان ! ..

وبهره المسكركى ولكنه ظل يرهق ، بينما كان محمد أبو سويلم
يقطع همس الصول ليصبح :

— يعنى هابز تاحد جيبه وتسك اشبعله !! يرطه يعنى ؟ لا معيش
.. اجيب منين الجبيهه ده .. اجيب فلوس منين يعنى فلشان ابرطلت ؟

وامتنع وجه الصول ، واصغر وصرخ فجأة :

— انت يا راجل انت مبتعشمش ؟ انت يا راجل بتقول كلام فارغ ..
اسمع انت بتتحدى على ملك الحكومة وتجرش البلد على كده ! انت

مش حاراف ان الحكومة حتدفع لك تمويلى .. يعنى مالكش حق فى
العطن ده ! انت تشرقه من الحكومة ..

فوقف محمد أبو سويلم .

— انا بارسق الحكومة والا هي اللي تشرقسا ! !

وهوى الصول على وجه محمد أبو سويلم بكفه ..

ورنت الضربة بالى فضاء الحول ، وترجع محمد أبو سويلم على
الأرض التى ظل راسخا عليها مدى خمسين عاما . وبوشت وصعيقة .

فانفجرت صرخاتها متوالية معزجة كانما انشقت فى أعماقها انهاوية ..
واطلقت تدمر نشلل اليد التى امتدت لها وابيها .. وتستغيث بالناس

ان يندفوا انبها والقطن ..

ودمر الصول واضطرب لحظة .. وأمر المساكين ان يضربوها
وانتبه اليها وظهره الى محمد أبو سويلم ، وظل يشتمها ويصيحها بالعنف
محمية لم تسمعها هي من قبل ! ..

واضطربت فى صدر محمد أبو سويلم انفعالات منتهية .. وبدأ
يعانى شعورا زريا بعصر قلبه ، وهو يقف عاجزا امام رجل يضربه قدام
استه ، ثم يشتمها ويطنها بكلمات جارحة فاصحه ! ..

وجحظت عيابه ، ونظراته منتصبة على ظهر الصول ، ورتبته
اللطيفة ..

وارتمت يده ، وتشتجت كفاه حول رمة الصول انفيظه المتديبة
الشمع كرقبه الثور ، ولكن المساكين أحاطوا به وأمسكوا بذرعيه من
خلف .. وجذبوه الى وراء .. واستدار الصول ، فضربه فى صدره
بخطاهه المسكركى الثقيل .. وأمر المساكين ان يحسبوه هو ومن معه
من الرجال فى الفرقة التيلتون بدوائر الصلدة حتى يسبى اعراق الزراعية من
معلم فى حفه ..

وتحرك المساكين بمحمد أبو سويلم ، وبقيّة الرجال ، وتركوا
العطن متى على الحصر ..

ومضى الصول فى ابعده على حصانه ، واندفعت وصيفة لمسك
بالصول مددتها فى بطنها بدمه ..

ووقفت وصيفة على الأرض ..

وعندما وقفت كان الصول مازال فى المقدمة والمساكين يمشون
باليه والرجال .. وكان الصول يهمس لاجد المساكين ان يرسل حميرا
لياحد العطن فى كيس لانه حق انصومه .

ومشيت وصيفة وراهم تلطم ، والسبا انوايى يعملن فى الزراعية
يمرشن ويدعون على الصول بالحياة وقصف العمر وأنفذه !

والتمت الصول الى وصيفة والسبا يشتمهن ويأمرهن بالعودة ..

ووقفت عيابه على وجه محمد أبو سويلم ووجه الرجال إغراى من
وراء الشجوب اضطراب المرأة والحد ..

وارتحف .. وشد جسده وتقدم ..

وظلادته اصوات السبا ودعاء وصيفة ان تثل دباه ..

ودهمه خوف ساعت من العيب واوشك ان يصرخ ويأمر ناطلاى
سراح الرجال .. ولكنه نظر الى امام وتجنس شاربه المصروع وتقدم من

ورائه صراح الساء وشحوب الرجال ، والحمد انصطم ..

وامام باب حجرة التليغون نزل من على الحصان دون كلمة ، ووضع
انرجال في النخرة ، وعندما اغلق عليهم الباب .. اذار الصول ظهره الى
ابواب صراح وصيفة يملأ نفسه محطبا بكلام محمد ابو سويم : ان
الرجل لا يحب ان يهار او يشتم امام ابيه !
وتران الصول الى اغوار نفسه واتند ..

ولكنه سهل في شدة ، وربع فتمته ..

ولاحث امانه صورة سريمة لاسنه ، وسماور ! .. لو ان الله انعم
معه استجابة لعدة اساءه فيه وانظم معه فاوحى لتماور ان يضربه او
يشتمه امام اسنه !

واتمش من جديد .. ولكنه خبط الأرض بقدميه ، ووقف ثانيا
لعض ابوقت ثم نادى شيخ البلد وامر بالا يسمح للرجال بمصادرة
حجرة التليغون ..

وقاس صوته وهو يقول انه راجع الآن الى المركز وسيعود الى
القرية في الليل .. ولن يقيم في القرية بعد ، وانما سيجر عليها كل
ليلة !

وقفز الى ظهر الحصان وقرن من ورائه المساك .. على خيولهم ..
وتقدم به الحصان مكسب الرأس ..

وعندما غادر القرية ومضى به الحصان على الجسر ، كانت تدوى
في ايمانها كلمات محمد ابو سويم : انت لا تحب حبيب يشتمك هذا
بنتك ..

وعادت صورة ابنته تطرب امانه ، وزحف فيه احساس مرعب
بالنصار !

وأتملات اذهابه برح صرحاب وصيفة ، واتمضى امانه كيانها اندى
يشوى في الألم ، ويشوق عليه في جرح ان تشل يده ..
وكان يشكو من ضغط الدم .. وارتعب برعب هذه المرة !

وفكر في ان يعود ، فيأس باخراج محمد ابو سويم والآخرين من
حجرة التليغون .. ولكنه تركه الحصان يتقدم به الى المركز ..

ومضى الحصان متهدلا مكسب الرقبه ، ومن فوه الصول يغتر
على وقع خطواته دون ان يرفع وجهه .. وعندما رجع رأسه وهو يغتر
من المركز سقطت من حذيه على الأرض دمعة كبيرة .. دمعة دم ..
.. اشعاع من المصير !

وقف عبد العاطي امام حجره التليغون يحيط كذا على
كف ويريق في اشغراء من حوله :

— بقي ابوي محمد ابو سويم يحسن في اوده التلافي ..
واحدا اللي لحرسه ؟ يدهار اعر يارحاه ! .. في شيخ
المعر يجرى له كده ؟! في شيخ العفر يجرى له كده ؟! وعند الهادي
كمال ؟! يا سلام يا اولاد ! يا سلام على يدع الحكومة ! ..

ولم يتكلم أحد من الحفراء ..
كانت وجوههم داكنة ، حربية وكانوا يرسلون — في بدء — انفسا
ثقيلة ممعنة بالحسرة ..

وأخيرا قال رجل منهم :
— ياخي بس ياك مايجيش اشارة من المركز يطلبوهم هناك !
ولاح هذا الحاضر للجميع مروعا حقا ، فادار عبد العاطي قائلا :
— قال الله ولا فانك ياشيخ ! ..

وعاد الصمت يحيم على الجميع ، والعيون ملقاة على الباب الحشبي
التقديم النني الذي حشر وراه محمد ابو سويم وعبد الهادي ودواب
وعلواني ومعهما عامل التليغون ..
وصاح علواني من الداخل :

— أه يا حكومة ! .. من يوم ماثلثي البلد وانا قلبي يبط .. لكن
برضه كل شدة وتزول .. دا ابو زيد انجس يا حكومة ولي الآخر طاح
في اللي حسموه ..

ورنت من وراء الباب الحشبي فسحكة عبد الهادي ودباب ..
ولم يسمع أحد صوت محمد ابو سويم ..
وارتفع صوت عبد الهادي يقول لعامل التليغون :

— وانت حاس نفسك معانا ليه .. ياخسرع اطلع انت وان حث
اشارة من ها ولا هنا حاخذها لك انا ..
وعندما كان عبد الهادي يتكلم من وراء الباب ، كان عبد الصاهر
الواقف في الحراسة يقول لزملائه الحفراء :

— دا الصول من حدره عاورني احبيب له ها القطي اللي انجم
من فيط ابويا محمد .. قال دا قطن الحكومة ؟! عاوز يحطه في بطة
ياهم ! انلي يا حكومة انلي ! ..

وتحرك عبد العاطي متفاعلا الى جمل محمد ابو سويلم .
ومع الحفل وجد رجال الزراعة يهرون بسرعة عجيبة على امواد
القطن . واخيلج وهو يرى القطن الابيض يسقط على الأرض ، وهمهم
لعمسه :

— ما عيش رحمة ! يا سلام ! ..

وهلما بلغ كيس القطن وجد محمد امدى يجلس وراءه .. وحيدا
وراسه بين يديه ..

وربط عبد العاطي الكيس امدى لم يكده يمتلئ ، وبدأ يحول ان
يحمله على ظهره قائلا ل محمد امدى ان الصول يريد ان ياخذ القطن
للحكومة .

وقال له محمد امدى :

— ارمي الكيس في دارنا .. انا حاشتره وادفع ملوسه لدار ابو
محمد . يا راحل ذا ماعدهشي رحمة اندرة .. وابقى قون للصول
انك على ما طمعت الميط ما قيتشي القطن ..

ورمى عبد العاطي الكيس ، واطبق اغابا تعمل التصير عن الراحة.
واقترح على محمد امدى ان يجمع هو الا ان ما يستطيع من القطن
قبل ان تذهب اقدام عمال الزراعة ..

وقبل ان يجيبه محمد امدى كان عبد العاطي ينتقل الفصوص
ويضمها في صدره بعد ان ربط خصره بحبل من التيل وجده الى حوار
الكيس ..

وتنادى على الفتيات اللواتي يعمن في الزراعة ، فأتفن عليه
يساعدنه في حماس كبير ، تاركات عملن في الزراعة .

وزرع رئيس الامار فيه فقال محمد امدى نمر وهدوء :
— سيبهم ! .. ذا حفرة الصول الى حاز كده .. حاز يحيى للاقى

القطن في الدوار !

وحملق رئيس الامار قللا لم تمت :

— طيب يا سيدى .. يمي ادفع الاخرة للساب ويشعلوا في جمع
القطن ! طيب يا سيدى .. ما دام حفرة الصول حاز كده ! .. امره !

واستطاع عبد العاطي والفتيات ان يملأوا الكيس .. واخذ عبد
العاطي يلك الكيس بقدميه والنتات ممسكات باطراف الكيس .

وعندما انتهى من ذلك الكيس ربطه قائلا بمرور :

— بقى تظار انه بزه ! .. بالا يايت امدى على شهرى اسندى
ورفع الكيس بمساعدة الفتيات ومحمد امدى .. وسار بمقوس

اظهر حتى بلغ دار محمد امدى فوضعه على المصطبة في مدخل دار
صالح لعمه :

— والله عصارم عيك يا محمد امدى .. والله مرجسة يا جدد ! اى
كده !

وبصق عبد العاطي الى ادوار مروي لبحراء وللمحوسين مكار
من امر القطن .

وقال محمد ابو سويلم بصوت حمض :

— لك الشكر يا محمد امدى ..

اما محمد امدى ، فمد يده من الحس مسكن الراس مشغلا بالانكار
.. كان يربى في ذهنه كلمات ينكسها في تعراف الى الباب الضام
يشكو فيه من القضا على رجال من القرية وحسبهم بلا سبب .

ولم يفكر في ان يضا الى محمود بك هذه المرة .. ولاحت له صورة
محمود بك كربة كالسول ، وكالذين امروا بان تشق الزراعة في وسط
الارقي وتمتزع العقول وتسحق اعوادها الخضراء ! ..

وقرر ان يرسل صورة من التلغراف الى الصحف التي تهجم
الحكومة .. والى كل الكتاب الذين تطاردهم الحكومة .. وفكر في ان
يرسل صورة اخرى لوزير الحقائقية ، وصورة رابعة لرئيس محكمة
الاستئناف .. ولتقب المحامين ! ..

ولكنه تذكر ان الحكومة افنت نقابة المحامين .. هكذا قرأ في احدى
انصحف منذ عام ! ..

وحين استقرت في ذهنه كلمات الرقبة .. اسرع في مشيه ، ولم
يفكر قسما يمكن ان يعذب له .. وفي ذهنه ان يضع عليها توقيع اهل
السلط ..

ووصل داره ، وانذفع الى امه ، فطلب منها ان تذيب اذرة واربخز
طرحه ! من طحين القمح ، وان تحضر الصينية ، وترسله الى الرجال
المحوسين في الدوار .

وكانت امه — كساة كثيرات في القرية — تنى ، وتقطع بكاءه
احيانا تهرى راسها وترفع يدها الى السماء وتدعو لاسها داره
والرجال ! ..

وصعد محمد امدى الى حجرته فوق السطوح .. برز صرعه
تحمس جهه ، بعد ان لس الحذاء والظربوش والطلاب السدى
الكثير .

وأنذرع إلى بيت محمد أبو سويلم .. وقالت: في الطريق متعبه
فحاولت أن تهدر معه ، ولكنه اصغر فيها يلسها ويلعن الدين خلفوها ..
واحمى وجه البنته واضطرت وقالت لفسها :
— ماله كده ياه .. ها أنا عري مشاعته عظيم قوى كده .. عمره
مأكال كده ! ..

وامام داب محمد أبو سويلم وقف محمد امدى سقل نظره بين نساء
ناكيات يحلسن من حول روضة الرجل ..

كانت كل واحدة مهن تروى الاعلام الجميلة التي وأنها في أول الصيف
.. وكانت احدثهن تقسم انها عندما رأت الصول ورجانه ندخلون البلد
على ظهور أنجيل ، فأكدت انه مادامت الحكومة دجبت امدى فواقية البلد
زرقاء .. ولم يسمع محمد امدى صوت وصيفة .. ولم تستطع ان
تتبع وجهها بين النساء .. واضطرب محمد امدى ، وشعر بدموعه
لكاد تحسفه .. وعادت الكلمات التي اعد لها للرقية لتسبب في ذهنه ،
وانعت من اعمقه كلمات جديدة ملتهبة وانهدت في افكره مكان الكلمات
القديمة ، وتكر في أن توقع هو نفسه الرقية ولبحر مايجرى ! واخيرا
لاحتله وصيفة .. خرجت من قاعة في داخل الدار ومشبب الى امها ..
ورآها لانكاد تستطعم ان تثبت خطبوتها .. وكانت تحسرس بدنها ،
وتنوح .. وكان خدعها متورما ، وعينها مقروحتين وفي احفانها
ذبول ، والصفرة الشاحبة تضر وجهها كله ،

وناداه محمد امدى فشتت اليه بانكسار ، ولم تكن مستظلم
ان ترفع عينها ..
ووقفت على الباب معه بلا صلاة ، صفراء كأنها عروقها توقعت من
الضربات ،

وسأله عما يريد بصوت مبجوح

وكان محمد امدى هو نفسه كسيرا ، متعب القلب ، تحمل سرات
صوته تهدها حزينا كالشبح ..
وقال لها انه اشترى القطع الذي جمع من حقن ايها ، وهو يريد ان
يعطيها ثمنه ..

وتحت وصيفة عسيها لحظة .. ثم تكست رأسها قائلة :
— لا اشاور امي .. بعدن يا محمد امدى لما اشاور امي ..
والا لا ،

ثم غاض صوتها وسط الدموع .. وتوقعت قللا لم استمرت بقول
وهو انه اشد صولها رنين البادات :
— والا لما أقول لاويا ..

وانهارت في البكاء ..

واستدار محمد امدى .. ومشي ، وصدره يعلو ويهبط ، والدم
يعلو في عروقه ..
وركب الجحشة وركض بها الى المركز ليرسل البرقية ..

وحاولت انا ان اتحدث الى وصيفة ، ولكني لم استطع .
دخلت دارها مقتنعا الزحام الحزين من النساء العالسات على
الأرض : الرووس في الأبدى ، والجلاليب السوداء تغمر المكان ، وجدت
وصيفة يبتحن غرقة على رجل احدثهن .

وملأني النظر بالرهبة .. ولم اجد كلاما أقوله ، وعدت من فوري
الى داري .. امد للسفر .. فقد كان على أن أرجل بعد يوم واحد الى
المدرسة الثانوية في القاهرة ..

وحاولت ان اكلم انسانا من وصيفة ..

ولم اجد غير عم كساب .. سائق العربى الحظوظ ..

ولكن عم كساب ، لم يرد أن يتكلم .. كان يدخن السجاعة من
السجاعة ، ويشهد ، ويهر رأسه .

وهذا تكلم آخر الأمر قال لي أن محمد أبو سويلم مهما يحصل
له فهو يقدر على أن يبتدىء من جديد .

ولم يكن هذا هو ما أريده من عم كساب .

غير أن عم كساب لم يقل لي غير هذا ، ثم قام يصيح ظهر الحصان
وأخذه الى البهر ..

ودخلت الى أمي فوجدتها تحتن السلال .. وتفتار مها مسبله
كبيرة تضغط فيها ما أحمل الى القاهرة من زاد ، وملابس ..

ولم أقل شيئا وخرجت الى الطريق ..

وجدت نفسي اندفع الى دكان الشيخ يوسف ..

كان يحلس في داخل الدكان ومعه الشيخ الشناوى يقرآن معا حلة
الحمة التي سيلقيها الشيخ الشناوى بعد يومين .. كانا يقرآن من
كتاب اصفر قديم تعود الشيخ الشناوى أن يقرأ منه خطب الجمع .

وكان الشيخ يوسف يلس العامة ذات الشلال الضفد الاسمن
والجلاب الكشمير والعائلة الصغراء .. وكل ما اشتراه ليكون ممدد .

وكن يعب امام الدكان شاب حامى العديم ينظر اليهم مهورا ،

ورأيت الشيخ يوسف يرفع رأسه من الكتاب ويقول في سروري:
 - أبوه يا شيخ شنوي .. أبوه ياسيدنا .. أبقى لرمق شوية وانت
 يتخطب لي الحجة دي .. أطبعوا الله والرسول وأول الأمر منكم ..
 يعني المصدة .. هه .. يعني اللي مايطاوعتني وأنا همددة يعني كافر
 وابن كافر كمان !

ثم استطرد في وهو رغبة !
 - أنا راجع من عند اليه محمود دلوقت .. وهوو معلمي
 بالصمودية خالص ،

وانخفض صوته وهو يقول :
 - وحياتك انت ذا لاهب له اسهارة العين جيبه كده هانصحب ..
 وقال الشيخ الشناوي طبية :

- ياسيدي ربنا ينحج مقاصدك بحق جاء المصطفى عليه الصلاة
 والسلام .. العالمة للبي ولأهل البيت .. العالمة ا .
 وفرا الشاب الزائف على الدكان العالمة معهما .. وعندما انتهوا
 من قراءة العالمة واكفهم مفتوحة ، مسحوا وجوههم بكفوفهم ..
 والتفت الشيخ يوسف الى الشيخ الشناوي قائلاً :

- حاكم دي مشي بلد ياسيدنا .. دي بلد هاوره الرباية .. ان ما
 كنت ادبياتك تمام .. شوف ياخي محمد امدي ييميل ايه .. يخلى
 الراجل في الحبس ويلعب بعقل البنت ويدبها فترشين .. قال ايه ..
 قال اشترى الشوية القطن اللي الوصول حجرعلهم .. للمصيبة ان اصول
 خادهم .. وأنا شايفه يعني دي .. انت جات شاورتنى من قبسه
 شوية قمت لها اوعى لنفسك .. احسن لها تروح تشتغل في الزراعة
 بدل محمد امدي ماياكل بمقلها حلاوة .. ماهي بلد خيس !

وقل ان يفرج تغليب الشيخ الشناوي من أية كلمة ، تدخسل
 الشاب الذي كان يقف امام الدكان حامي القدمين .. فقال :

- كلام ايه ده ياشيخ يوسف ! يا جدد دا شاري القطن حق وحقيق
 بتي كل حاجة تلوعرهما كده ؟ بقي وصيفة حيتلعب على عقلها ؟ وعنده
 امدي سلاص بقى انهبل يسي ؟ ياراجل اختشى ! .. ياراجل حط في
 عيبك حصوة ملح .. يا جدد اتحرر كده وماقلشني العمل الحبو تحليه
 عمل سسو .. هيب هليك ! .. بقي انت شعت القطن بعيسك رايح
 للصول ؟؟ والله انك كذاب في اصل وشك .. ومن كتر الكذب القطن
 ماوماش من على دكانتك من اصله ! أنا شايفه يعني دي التي تتقلع
 داخل دار محمد افندي ! ياخر اسود ياخواني علي ذا كذب ! ..

وانحمر الشح يوسف في الشاب ..

- كذب .. احمرس مطع لسانك انت واللي معكك .. فور ياراد
 من قدامي ، يالك تدع عيبك ؟! هو انت يامعوض مدور تمهراني ..
 دا كلام تقوله لي ؟! دا كلام تقوله لواحد مقامه عالي زيي .. جاتكو
 اللي في ملافتكو .. بند حلايف .. هو ياراد يامعوض علشان
 عبد الهادي مانع لك جاموستك من السر تقوم تمشي وراءه ؟! والله
 لارسكي بالذ ! ..

وقل معوض وهو ينصرف :
 - انا ماشي وراء عبد الهادي .. عبد الهادي ما اتحسن وانت عمال
 تحري عالمدية ! والله ياشيخ مايحشعك غير عصابتين من عبد الهادي !
 وصي الشاب ..

وبقى الشيخ يوسف يهتز من الضيق .. وأخذ الشيخ الشناوي
 يقول :

- الاكدة الواد ده عيبه كذب ؟! بقي هوه شاف القطن داخل دار
 محمد امدي .. اذا كنت انت شايفه رايح للصول ..
 ولم يعني الشيخ يوسف .. واحسن برغبة في الا يتحدث مرة اخرى
 في موضوع القطن .. فهو في الحق لم ير القطن يحمل الى الصبول
 وهو يعرف انه كان يكذب منذ لحظة ، وان الشيخ الشناوي يكذب الآن
 لبهامه ..

وعاد الشيخ الشناوي يقرأ خطبة الجمعة بصوت مرتفع .. ويردع
 عينيه في الكتاب أحياناً ليشال الشيخ يوسف تفسر جملة من العمل
 المدينة التي ظل يقرأها سنوات .. ويسمع لما يقوله الشيخ يوسف
 بصعاب ..

وتركت أبا الدكان .. وعادت الى داري ، اختلط في هرج الاستعزاء
 للسعر ..

وانصرف النساء من صد ام وصيفة وهمست وصيفة لامها بارمحمد
 امدي يرغم انه اشترى القطن ويريد ان يدفع لها الثمن ، ولكن الشيخ
 يوسف اكدها ان هذا لم يحصل وهو يصعبها الا تأخذ مليها واحداً
 من محمد امدي ..

وشردت امها قليلاً قبل ان تقول لها :

- له حق ابوكي الشيخ يوسف .. الناس تقول ايه ؟! ناخذ فلوس
 من محمد افندي ليه ؟ ..
 قاستطردت وصقة تقول لامها ان الشيخ يوسف نصحها أيضاً ان
 تشتغل في الزراعة ، وهو مستعد للكلام مع رئيس الاعمار ..

ولم تردد أنها في أن تقول لها :

— قومي روجي له ينمك . . الدرة إلى اشتريها من الرولة
مشي راح يقضي كمان حيرتين . . بس ياك يدركي آخره حلوه . . .

ثم دمعت عيناها وهي تقول :

— آه ياما تشحططا من بعدك يا محمد . . .

ودهبت وصيحه إلى الشيخ يوسف تسأله أن كس يجب أن نشتمل
في الرقاية ؟!

كانت تشر في أصمقها بالهزيمة وتود ألا تذهب لتتعب مع الرجال
العرباء الذين يقولون أي كلمة بلا مخرج . . وبعد فكر في أن تذهب
مع أمها للاقامة مع أختها في عاصمة الأقليم ، ولكنها لم تقم على أن تترك
القرية وأبوها محبوس في أدوار . . .

وقال لها الشيخ الشناوي متطوها أنها يجب أن تعمل في الرقاية
ولكن عليها ألا تتكلم مع الرجال الغريب . . .

وتحمس الشيخ يوسف قديلا أن الرجال اعسرده لـ يأكلوها . .
ووعدها أن يكلم رئيس الأنصار بعد العصر لتستلم منها من الصباج
والعمل هناك بسيط وهو يفتيها من عد اليد لمحمد الفدي ، ومن سؤال
الشيخ . . .

ووقفت وصيفة تنظر في التراب ، وتختلج نفسها بحمل الماء لرحال
الذين يستحقون زرع إبيها ؟!

وجاشت نفس وصيفة ، ولم تستطع أن ترفع رأسها ، ولكن الشيخ
الشناوي ظل يكلمها ويدعو لها بالركة . . ولم يتوقف الشيخ يوسف
من أصمقها معها أن تعمل لتتعاظ على سمعتها أنى يهدده أحد المسال
من محمد الفدي . .

وعندما رفعت وصيفة رأسها ، وأدارت حينها المعروقتين في وجه
الشيخ يوسف . . رأت وجهه قد أصغر فجة . . .

وسمعت من ورائها صوتا قاصفا يقول :

— أيه الكلام دا اللي بتقول عليه يا شيخ يوسف . . أيه الكلام ده
اللي قلته لموش . . .

والتمتت وصيفة وراها لتجد محمد الفدي طير الشر من عصبه
كان يعب أمام دكان الشيخ يوسف لأول مرة منذ وقت طويل . .
ويتحدث بانفعال دون أن يلتقي السلام . .

وكان محمد الفدي قد تعود أن يمر على الدكان دون أن يرمى السلام

وهو يقول لنفسه أن الشيخ يوسف أصبح لا يستاهل من الواحد أن يرمى
عليه السلام ! .

وبم يهيب الشيخ يوسف . . .

وقال محمد الفدي مرة أخرى :

— ماتطق . . .

كان محمد الفدي قد ذهب إلى المركز فأرسل الرقيات وعاد على
أنه دون أن يصبح دقيقة ، وهو بعد أن كتب برقية الاحتجاج ، يعود
يشعر بأنه قوى . . قوى إلى حد أنه يستطيع أن يواحه كل من في
الديرة بكلام قارس شديد . .

ولدخل الشيخ الشناوي متمجبا :

— خبر أيه يا محمد الفدي . . أنت مالك جاي كده دري شر . . .
حاترمي السلام يا أخي . . .

ولكن محمد الفدي لم يثمت إليه ، وظلت عينا ترمي الشر في
وجه الشيخ يوسف . . .

وانسحبت وصيفة مضطربة . . .

وأبصر محمد الفدي في الشيخ يوسف :

— انت يا راجل انت مش حابطل اللث تشمت ده ؟! في الراجل
مرومي في الحصى واحنا هيزين نشوف مصالحه نعوام تروح تقول لبت
الكلام ده ؟! أهي أمها مش راضية تاشوف ضمن القطن ؟! يعني يعملوا أيه؟
ياكلوا مئين ؟! آه يا راجل يا هلال . . .

وقال الشيخ يوسف مرتجعا :

— اسمع بقى لما أقول لك . . سيبك من الكلام ده ! انتو شياطين
مسي كلو ليه . . يعني يامشي وراكو يا كبريا عليه تشرططو . . الله . .
يا أخي كل واحد يقول بالأنا نفس . . خالك الشيخ حسونة ما راح
يسمي في الركي لحد ما حطلى الرقاية تعود بيده هنكو . . هيه حبت
من أركو إلا حنة ريق لا هنا ولا هناك ، أنا حارف انكو مشغلين من
حرب ورا العمودية . . يعني اسميها لكو ؟! والله ماني سابها ؟! اسمعي
انتو بنهروا ورا مصلحتكو ؟! دهدي ! .

وعاد محمد الفدي يزعق وهو ينظر باشمزاز إلى الشيخ يوسف :

— كلام أيه دا يا راجل انت ؟! أنت بتعمل بتقول أيه ؟! مصلحتنا
أيه يا راجل انت يا صلاحي يا عديم المروءة يا قليل الظهي ؟! انت اللي
عمرك مافكرت إلا في روجك . . اسمع أما أقول لك . . التحيط بالمافي
تناكك ده لازم تطلع أحسن واث واث والعظيم ثلاثة وعرة الله ناسه

.. قسما بإبدان العلية ماعندي لك من هـا وحـاى غير اللمعة .. هـه!
والله والله أندعت البعثة !

ووجـم الشـيخ يوسف .. وفتح فـه وحميتـب عيـده .. كـأنه قـدر
أن محمد أمدى يـمكن أن يـحميه يـضغـ اللمعة بانـفعل .
ولو سـحب عـليه مـحمد أمدى المـداس فـلن يـستطيع أن يـعول شـيئا
لأن البلد كلها أصبحت قـده !

وأنـدفع مـحمد أمدى بـعيداً عن أـندكار إلى أنطريق .. فـوجد
عبد العاطى يقف بعيداً ومنه الصبيبة بالطعام .. الصبيبة التى جعلها
من دار محمد أمدى للرجال فى الحبس !
وصاح عبد العاطى بطرب !

— والله عمارم يا محمد أمدى ! أى كده .. يكون فى علمك يا شيخ
يوسف .. من هـا وأراج ماصدش غير النعمة ندوبها على دماغ إلى
مابعدش : سدقهله !

ووقف الشيخ يوسف يتمتم وهو يرتضى ..

— طيب .. بكـره كله يـخاص يابـد ! .. بـى تـجى المـودبة وانـتو
تشفـوا صـحيح يعنى أـيه ضـرب الـبلغ .. يعنى أـيه بـدغ الـبيع !

سـيما تـابع عـبد العـاطى سـيره بالصـبيبة .. وفتح فـوه أـتليفون
ووضع الصبيبة على الأرض ، ووزع النكبة الخوص ، لتصاعدت رائحة
الأوز المحمر ، وأرسلت أرغفة التبع ذخاها ..

وأنـصع علـوانى على الأرض ، وحـلس بحـوار الصـبيبة وهو يـزعق
فرحاً :

— عيش صـخن وطـر .. يا وىد !

يدوم الحـماس يا جـدعان !

ثم لـكـر ذياـب واستمر يـصيح :

— كل يـأوله عـيش قـمـح كل .. الواحد مابـدقوشى حـتى لو مات من
العـيا .. اشـتمل فى الطـفر ياسـيدى اشـتمل ! .. بالـف يا شيخ بـفـد هـا
كـمان شـهريـن تـلاتـه .. اشـمط الـوز اشـمط .. كل وانـبسط باحـدع ..
كل وانـطلى يا ذكـر !

وـضـحـك الحـمـج ، وقـال عـبد الـهادى :

— بـس نـطـلح احـداً واشـترى ثـك الـعمم وانـت تـشمع عـيش طـرى يا شيخ
العـسـرب !

وحـكى لـهم عـبد العـاطى مـادار بـين مـحمد أمدى والـشيخ يوسف ،
فضـحـك مـحمد أو سـويلم ، ونظـر ذياـب إلى الحـمـج برهـو قـائلاً :
— شـابـقين الشـهامة !

عـلى عـبد الـهادى باعـجاب :

— والله شـهامة صـحيح .. أهـو كـده يا مـحمد أمدى .

واستمر عبد العاطى يصف لهم مـطر الشـيخ يوسف عـندما هـدده
مـحمد أمدى بضـرب النـع .. كان الشـيخ يوسف إذ ذاك يـلبس الـمـتـلـة
الـصـفراء ذاب الـأكمام أطولـة ، والجـسـاب الـكـثـمير أنـواسـع ، والمـصـدـم
أحـددة ذات الشـنـب الـضـيف .

وصاح علـوانى ، وهو يـضـح فى فـه لـمـعة كـبيرة مـلـوـهـه من رـعيف
الـمـمـج :

— هو الشـيخ يوسف بـمى لابس الـمـعة كـده على فـون ومـرضـه لـيه !
.. مـرضـهـا لـيه بـقى .. مـرضـهـا لـيه .. مـرضـهـا لـيه يا شيخ يوسف .
مـرضـهـا تـبقى عـدة ! يعنى فـرغـك تـقبـض .. طـب رـوح مـاتـشـى قـاضـى !

وضـحـك عـبد العـاطى طـويلـاً وضـحـك الـرـجال ..

وبال علـوانى على عـبد العاطى مـامـا :

— الـورـده عـازـل شـاى .. شـوف لـك تـسـريـفة بـمى فى الشـاى !

وقـام عـبد العـاطى .. ووقـف يـفـكر قـليـلاً ، ثم حـك رأسـه ، وأـمـحـه إلى
الدور ..

ووجـد أـرمة الـمـعدة .. وحين رأت عـبد العاطى نادته باسمـه ..

كانت تـلبـس قميصـاً أسـود قصـير الـأكمام مـفـتوح الصدر .. وغـرس
عـبد العـاطى نـظـراتـه على ذراعيـها الـسـمين الـأبيض ، ونـحـرها الـكـثـنـوف
وصـدرها الـجـراج .

وطـلب مـعـا أن تـأذن لـه فى عـمل الشـاى للـرجال ، فـرحـت وسـبـده
أـرسـر رواءـها إلى حـجـرتها لتـمـطـيه الـسـكر والشـاى .. والتـمـعت عـبـاها ،
واصـطـرب عـبد العـاطى ..

وبدا عـبد العـاطى يـحـدثـها من عـلاقة الـرجال بالـشيخ يوسف ، وأصـرارهم
على الـا يـشـتـروا مـنـه ، وروى لـها مـأـدبـت بـين مـحمد أمدى والـشيخ
يوسف ، ورنت قـسـحـكاتـها ، وثـنـت .. ودخلت حـجـرتها وأـذاب
عـبد العـاطى .

وتـحـرج شـيـخ الـلد الـذى كان يـحـلس أمام باب الدور .. وبـدى
عـبد العـاطى وطلـ بـادـه ، ثم قـرـع باب الدور مـعصاه وهو يـنـسـادى
عـبد العـاطى مـخفـاً .. وعاد عـبد العاطى يـسـأله عـما يـريد فى شـيـق وأـسـج
فانـصـع عـله شـيـخ الـلد يـشـتمـه قـائلاً :

— إيه اللي مدحك ها .. أوعى تانى مرة تحشى ها من غير أمرى .. حتى لو بددوا عليك من جوه .. أما برود .. كنت تقدر إياهم ارحوم المدة تهوب ناحية جوه ؟ جاتك الم ما ابودك !.. ان ها رى العدة تمام .. يمشى انعمدة تمام .. وعصم عبيد يعطى وهو يصرف فقال شيخ البلد :

— أوعى تبوا فيه .. انجر .. ماتحشى كده !.. انتو هاترين لى مالكوش عبدة ؟! هيه بلد من غير عبدة ؟! مال إياها يابيل إيه ؟! وأسمع عبد العائل وهو يقول :

— عبدة عبدة .. دا عامل عبدة ودا عامل عبدة .. جاتكو الم فى العمودية يتأتملك !

ونصت العربيه بهذا مضيا من ابني والإنتظار .. وصلنا أحمرت الدواب الصفراء من حقون الدرة تحت شمس الأسيل ، هبط على أعضاء صباب يستشعر ينثر الساموس فى قرىتى ، وخبطوا دقيقة توطا على الوجوه ولا تراها الميرين .

وكان أبى اذ ذاك فى حامصة الاقليم .. وأخذت انتظر هودته بالبدلة ، والقرية تنتظر هودته بالآباء .. ياترى متى يخرج الرجال ؟

وغابت الشمس وراء أشجار التوت على الشاطئ العربى ، ورايت الشيخ يوسف مقبلا من ناحية هربة محمود بك ، وكفه الواسع مشمر من العائلة الصفراء التى بدأت تتسخ .. واندلع الى داره وطلب من امرائه ان تمسك العائلة وشال العمالة ، قاتلا لها ان محمود بك وعدة خيرا ، وانتخابات العمودية لهذا فى الصباح ، بالمديرية .

وعدت الى دارى ، أرسل عيني الى الحصر ، وأذناي تحاولان التقاط صوت العربة الحظوظ ..

كانت البهائم كلها قد عادت من الزرائب على الحصر ، والطريق فارغ لاشي فيه .. حتى مالتيه البهائم من روث كانت النساء قد فرغن من جمعه ووضعه فى القاطن على رءوسهن ، ومضين الى الدور

وأخيرا أقلت العربة الحظوظ ، ورايت عم كساب يجلس على مقعده فى العتمة ، مرتفع الرأس مفتوح الصدر ، والاستسلام عملا وجهه .. وهبط أبى من العربة يحمل لفة ، وأخذها متوقفا يدي ، وفتحها بسرعة ، وتناكلت أهدا فى البدلة التى أصمدت لى ، واندفعت بها الى أمى التى كانت قد وضعت الأوز المحمر والأرز المحمر والغطا فى سلة كبيرة ، وشرعت تبحث عن قطعة من الخفى والتماش لتغطى السلة

الكبرة .. ورايت فناء تعمل فى الدار فصل بالسلة واشيط ، وعسى رأسها اللينة الصفيح ..

وأخذت أمى البدلة فرجة ، وأتممت بسرور ، ثم وضعها بعناية كبيرة فى حقيبته المسلاس وطلبت منى الأخرج لاني يجب أن أتمشى وأنام ، فالعربة الحظوظ ذهابة فى الصباح لأركب قطار العاشرة الى القاهرة .. الى المدرسة الثانوية !

وكتبت أنا أهائى خيبة أمل وحسرة لاني لم أحقق حلمي ببدلة جديدة! غير انى اندفعت الى الطريق .. ورايت عم كساب قد حل الحاصل من العربة ، ومضى فى خطوات ثابتة متسببا ..

وسالته الى أين يمضى ، فقال لى مبشعا ان أبسلك تحلصت من الصلوة ، ولنى يرى البلد مرة ثانية ، أما الرجال المحبوسون فى اندوار المديرية تمتد اشارة لليعوبية للأفراج منهم الليلة ..

وكان عم كساب يمشى بخطوات واسعة ، وأنا الى جواره أرفع رأسى اليه وأستمع كلماته تساق مطبوعة من فمه المنسجم ..

واستطرد عم كساب يقول لى ان انديا كلها معبوة فى المديرية من أجل الرجال المحبوسين ، فالبرقية اتى أرسلتها البلد الى مصر حزب الحكومة هناك ، والكتاب الذين تضطهدهم الحكومة هاجموا فى .. صحف المساء .. لانها تقضى على الناس وتسحبهم بلا تحققيق ولا حرية !

كان عم كساب يشمخ برأسه وهو يتكلم .. وحاولت ان اقول له ان محمد أفندي هو الذى أرسل البرقية ، فوجدته يعرف ويتحدث بأصحاب مما صرحه محمد أفندي ..

وهمهم :

— أهه الى عمله محمد أفندي ده كويس .. مشنى يحرق لى ورامحمود بيه ؟! أهه ده الكلام .. أهه ابتدا يوم ! .. احنا ياما شولنا وياما حربنا .. هيه الحكومة تيجى الا بالست !.. دا لو محمد أفندي شاف والى شعاه فى اسكندرية وغير اسكندرية ماكنش مصره فكر فى الحرية والى البهوات والرجوات .. هيه .. إياهم !.. الناس ما يتتطشنى بالساهر !

وبدت لى كلماته دسمة مثبثة بالذكريات والصحرة ، وبهم أسرار من الحياة لم أعرفها بعد أنا الذى تعلمت فى المدرسة وعرفت كيف أرسم القارات الأربع ، وفهمت خطوط الطول والعرض واتجاه الرياح فى الدسار وسر غليان الماء !

وأوقد عم كساب المصباح بالعود بين أصابعه ، ويده الأخرى تهر على
كف وصيفة في ابتسام مطمئن ..

وسيطرت على الحيرة ..

فأنا لم أر من قبل أحد في قرىتي يضع يديه على كف وصيفة ،

ولم أر من قبل وصيفة تنظر إلى دجل من قبل في قرىتي ، وهي
عينها هذا الرقيق ..

كان وأصحاها تنظر إلى عم كساب في أكلاب وعرس ،

وارتدت نظرائي من شعره الرمادي ، وشأبه انصهر الذي تعبر
منه الشجرات العديدة البهية ..

ولم أستطع أن أحتمل التفكير فيما يمكن أن يكون بينهما ..

وقد رت أمامي صورة عبد الهادي بوجهه الصالح ، وحده المتحور
أبدي يقول هم أولاد الثرية أن ليه شجرة من الأسد تحرق الصدري ..!

وقدلت أطر إلى وصيفة في صمت ، ولذكرت جلوسا هي الجميرة
في أول الصيف ، وتبعت أن أحلس معها الآن وحيدتين .. ولعنيت لو
انفت نفسها على مرة أخرى فبنتني .. وكان دمه قلنتها على جيني
قد بدا يسرى في دمي باللهب ..

وقدت إلى مسافر إلى مصر من صباح غد ..

ولكن وصيفة لم تنتفت إلى ..

لست حينها نظران إلى عم كساب والابتسام تئالي على وجهها
كله ..

وهبط على حبل مافات .. ولعنيت لو وجدت نفسي بمسيرة ما
بعيدا من مبي وصيفة ..

ولم أطق أن أنصهر أمام عينها وأمضي .. ولكي نزلت دمي
بصعوبة وأنا أمضي .. وسكنت هممة من عم كساب ..

وعندما كنت أغدو عتبة أنياب إلى الخارج أرتفع صوت وصيفه
مختلط بصوت أمها :

— طرقت الصلاة .. اقرأ لنا الصائحة في مصر ، الهى يسمعك
شهادة الحدادة !

وتسمرت على الباب .. وحاولت أن أستدير لأقول شيئا ..
ولكني وجمت لحظة ، ونفسي تجمت ، وتحركت ..

وسمعت عم كساب يقول في صوت هادي حاسم :

— لا .. ما عيش شغل في انراعية .. سيكوا من كلام الشيوخ

وتابعا سيرنا ..

ومحاة وقف عم كساب أمام باب مفتوح ، ودخل !

ودعشت أنا ، وتقدمت وراءه ..

كان عم كساب يدخل دار محمد أبوسليم دون أن يتحجج كما هي
العادة أو يقول « ياساكي » أو يا « أولاد » كما هي عادة الذين يدخلون
بيوتا غير بيوتهم في قرىتي ..

وكان مدخل الدار عظيما ، تنكسر على جدرانها الطلال الضاحية ،
ومن عبيد في آخر الدار يشع ضوء لجة صليح ..

وكانت الدار ساكنة تماما كأنها قد رقت أهلها .. وأصبح عم كساب
في وسط أندار فنددي على وصيفة ..

وتقدمت وصيفة ، مرلومة الرأس ، يغطوات حريصة واللجة
الصليح على رأسها تلقي شععا باهت على وجهها الحزين ..

وابتسمت وصيفة تحت النشاع الضائت ، وحقن قلبى بشدة ، وأنا
أرى النشاع عينها ، وتآلق وجهها بالعازات ..

وقال لها عم كساب بصوته الهادي :

— أبوكي طالع الليلة ياوصيفة .. أحنا مسفينين إشارة من المدبرة
البلبة ..

واعترت وصيفة ، وأسكنت بيدها اللجة الصليح .. وسرت
أرقصة الفرحه في دنها كله وانقلب تقول ورأسها يتر في نظرات
مضطربة إلى كل ما حولها :

— صحيح .. والنسى .. ارتفعت بعني .. أغرقي يا أمه ..

وتحركات وصيفة ، ونقلت خطواتها في اضطراب ضاحك ، ثم
انقضت على وتبنتني في جهتي ..

وشعرت بداءة شفتيها الدسستن على جبهتي ، وتعلمت جسدها
العائر اللعلى بطوق بدني الصغير .. وتعمرتني سعادة معاجة ، واختلجت
وارتفعت ذقات قلبى ..!

وانطلق المصاح من يد وصيفة بينما ارتفع صوت أمها مقبلة من
الربية وبداءا متسختان بالروث وهي تقول :

— الهى يشرك بكساب .. الهى يجعل في دخلتك علينا قدم السعد
نحتي دى المقرب ..

ودعشتني الحيرة وأنا أسمع هذه الكلمات ..
وأخذت أنظر إلى الطلام أمامي .. وانثق ضوء حاطف لود كبريت

يوسف والشيخ الشناوي .. أنا بقمصول لا .. اوعى تستعلى في الزراعية .. اوعى تروحي ناحيتها !

ووصلت دارها بوجدت أمي تنظري على العشاء .. ولكني لم أنعش .. ودخلت لأنا ، وعندما وضعت رأسي على الفراش ، ووجدت نفسي وحيدا في الظلام .. انعذرت من هني الدموع في صمت .. دون أن أعرف على التحقيق لماذا أبكي ! وظللت أبكي وأنا أكتب صوتي في خوف من أن يدخل أبي أو أمي أو أحد أحوالي الكبار فيحسبني أبكي .. من أجل وصيعة !

وفي الصباح كنت أعد نفسي لركوب العربة المخطورة .. وفبقتني أمي ، ووصفت في يدي بضع قطع نصيبة من ذات العشرة فروش ، وطلبت مني أن ألتفت لدروسي وأن أأخذ بالي من دوشي .. ووضع عم كساب كل ما أحمل من زاد أمامه في العربة المخطورة ، وألقيت نفسي إلى حوار أبي وأخي الأكبر .. وقال أبي وأخي الأكبر يتحدثن طول الطريق مما تصعب الحكومة بالقرية والناس ، وسكنت أخى يتكلم بهماس من مقالات الكتاب . وبقيت أنا شاردة طول الطريق ..

وتحسب أبي لأن المديرية لم ترسل إشارة ليحلة الأمر للاجراج عن الرجال فقال أبي إن هذه الحكومة لا كلمة بها ، وهي لا تصعب شيئا لمصلحة الناس إلا من خوف من أفعال الناس .. وهي أية حال فيجب أن يفرج منها المصريون كل ما أفتصبه منهم .. وسكنت أبي ، وأخذت أنا أنظر بأعصاب إلى أبي أدنى يدرس في سنواته النهائية بكلية الطب ..

وكنت شاردة طول الطريق ..

وعندما افترقت من المدينة الكبيرة داهمني أبي وأخي فدللت أنني أصبحت الآن رجلا في المدرسة الثانوية ، وليس السطرون أطول .. وتردد في قلبي صوتي الذي كان ما يزال نسا ، وطلت كلمات غالب بها شرودي ..

ودهب أبي وأخي إلى المديرية .. واطلق بي عم كساب إلى المحطة لانتظر هناك وفي فناء المحطة وقفت أنظر ووقف معي عم كساب .. كنت على طول الطريق أفكر في المدرسة الثانوية التي سأدخلها ، وفي أصرانات طلابها .. وكانت صور مما جرى في الصيف تمر أذكاري على الدوام ..

لم استطع أبدا أن أحي من عيني صورة وصيعة وهي تنسم في عيني عم كساب .. وأخذتها أنا عي سفري فلا تجيب إلا بكلمات دعا بعد أن تركت بيها ..

وكانت صورها تخطف بصور عديدة لها أثناء الصيف ، وصورتها وهي تصعب قدميها في الماء وتهمس في حلم أنها تنمي أن تصبح تنجد ٥ رلة ميانة برايل ٥ لم هسبها لي أنها تنمي أن يحصوا مركب في أسبل إلى مصر لتعيش هناك ..

وصورتها وهي تخرج من قاعة الطحين صفراء مخطورة بعون لأمها أن اللرة لم يعد يكتي .. وفوق هذه الصور جميعا كنت تعصر قلبي صورتها بعد أن وضع أبوها في حجرة التليفون ..

لم أستطع أبدا أن أحي في صورتها تلك .. وبعد انقضت عيني ودعكتها .. ولكني كنت دائما أحلل زحام الصور أري وصيعة رائدة في وسط الدار ، مقترحة الجعن ، متوردة الحد ، مبحوحة أصوت ، كسيرة مبرومة شاحجة .. ومن حولها النساء في السواد ..

وحاولت أب أهر رأسي لأعش منها زحام الصور .. ولكن الصور ظلت تلح علي .. ودمعت صوتي أكلع عم كساب وهو يرتفع انزاد من العربة وبشعة على رصيف المحطة ..

وسألته إن كانت وصيفة اشتعلت في الزراعية فقال لي أن مكسورة الرقة اشتعلت صباح اليوم ..

قالها ببساطة ، بصفته الهاديء النضف بالنعيط المكتوم ..

وأشعل سيجارة ..

ونظرت إلى عيني الرجل ، فلم أستطع أن التفت نظرة .. واضطرت بي ألم قامض ، ودهمتني المخاوف المهمة ، وتذكرت يوم وجدنا وصيفة عائدة مع أبيها من السوق فركت إلى حوار عم كساب .. وأوشكت أن تقع وهي تنزل فعلها عم كساب وأنزلها ..

أمكن أن تكون وصيفة قد أصبحت كالأخريات !

أمكن أن تذهب إلى الزراعية فتضحك للكلعات البديئة ، وتمشي بلا تخرج ، وتتقص وسط الرجال ، وتدخل الحقول أحيانا وراء هذا الرجل أو ذاك !

ولم أستطع أن أحمل وحدي ثقل هذه الأفكار ، فسمسألت عم كساب إن كانت وصيفة يمكن أن تحسر !

وسكنت .. وهز رأسه ..

وأرملت نظرائي عند رأسه الرمادي الراخر بالشعيرات البيضاء.

وحيل الى ان عم كساب يمكن ان يكون عمال لوصيفة اكتشفته ده!
.. وشاع في تفاعيل وجهه حنو قريب .. وكسر عينه ، وبدي نظارته
الناهية مشحونة بالمطعم الأيوبي .. وبالرفسة في السيطرة على
المستقل من أجل طفل صغير موز لا حبه له ..!

وحطرت في تكري كلمات له قلبها عندما قيل ان مطبخه أبسوليس
معدة الى البلد .. وعذب ذكر فرحته الظاهرة حين هم انهم انهم ..!

ان عمال الزراعة هم أيضا - كالفاسكو - يملكون القروش ، وليس
عند بيت البلد ذرة ولا مال ، والقروش يمكن ان يقلب رأس آية واحدة!
واخذت انظر الى وجه عم كساب الذي يعيش بالحنان والاحرار .
وتسبت ان يقول لي كلاما يحمل الطمانينة الى نفسي ، وأمام عيني
صورة وصيفة عندما خرجت من قاعة الطحين مرمولة ..

وسألت : كم كساب مرة أخرى ان كانت وصيفة يمكن ان تحضر ..
وهزته بدي مستحلبا منه كلمات مطمئنة ..
/ ولكنه بعد صمت طويل قال لي :

- ايده سالتني ..

ثم تمهد وقال :

- الحروع كافر ! ..

وحاولت ان اقول شيئا أدفع به زحف الاضطراب على حلقي . ولكني
اعتزرت تحت المخاوف المبهمة .. ولم استطع أن اقول شيئا .
ولم حركه عم كساب الى العربة المحطوره .

وتركني واقفا على رصيف المحطة ، ومضى يقرقع بكرهاجه طالبا منه
ان انظر على الرصيف حتى يذهب الى المديرية فيعود بابي وأخي الأكبر .
وظللت وحدي موهوبا من عم كساب .. مجعا بظلاله الثانية ،
وصوته الهاديء وكلماته الخاطلة المحملة دائما بالذكريات والتحية .

وعادت الى ذهني صورته مع وصيفة يوم ركت الى جواره ، وقفز
الى الأرض وامسك خصرها بلذاميه لتتنزل .. ثم ما صنعته بالأس وهو
مما في وسط الدار - أنه يصنع أشياء لا يسمها الآخرون في القرية .
ويقول كلاما لا يقوله أحد .

وأضطرت واسي بصور مختلفة ، وتذكرت خضرة .
أمكن ان تصبح « وصيفة » ضالعة كخضرة بعد ان ضاعت منه
الأرض .

ايكون بينها وبين عم كساب شيء كادى كان بين ذباب وعواصي
وحصرة ! .

وملأني انصتقي ..

وعدت افكر في ان وصيعة ربما اصعب بعم كساب .. وربما
تزوجته .

وحتى هذا الحاضر لم يرحى ..

ومسيت هي رصيف المحطة وأنا أقول لعسى ان عم كساب يكاد
يكون في عمر ابها .

وظللت أمشي على الرصيف الذي بدأ يمتلئ بالناس والسيارات
والعاطف والإخراج .. ووجدت شريط السكة الحديد يمتد أمامي الى
بعد .. الى بعيد جدا في حقلين متوازيين يلتقيان على مرمى العين ..
كنت أعرف أهما لا يلتقيان أبدا .. وأما هكذا تلحج الصورة عيوس
الناس .

وماضت ناسي بأحلام المدرسة الثانوية ، وما أصعب في البهارة .
ورحلت أصدقي بمشاهد مظاهرات الطلاب في العاصم الماضي تطالب
بالدستور والاستقلال والزعيم فوق الرؤوس .. وتوالت في قلبي
الحققات واهترت أمامي صور المواقب البسطة بالهتاف والوعيد .

وقلت لنفسي لئن سقطت الوزارة وعاد الدستور .. فسيعود محمد
ابو سويوم شيخا لخفره ويعود الشيخ حسبونة الى القرية ، ويرجع
النحور من أرض كثيرة الى القرية ، ويروج الناس ! .

وظللت أروح وأهدو اقل عيني من الفضاء الواسع الى شريط
السكة الحديد ، الى غند المحطة ، حيث تستقي من ورائه المدينة في
الزحام .

وبعد قليل عادت العربة ..

كان عم كساب على مقعده المرتفع يشد جسده .. ويشحك .
وهبط أبى وأخى .. ودخلا ليقطعا التذاكر ويسالا من موعده
انقطاع بالتحديد .

ونقبت أنا على الرصيف ، وعم كساب يسلم على مودعا ..

وقال لي وهو يشحك ان إشارة تلفونية أرسلت الآن الى القرية
واقفا من الأفرح عن محمد ابو سويلم وعبد الهادي ودياب وعلاوي .

وسكت لحظة ، وهو ما يزال يتشم ، ثم أطلق ضحكة مرتفعة ، وأنا
انظر اليه مندهشا فقال لي :

— أما حصل حنة دور في المديرية دلوت ؟ .. متى الشيخ يوسف ومحمود بك وقعوا في بعض ؟ يا سيدى كان فيه لجنة شياخات علشان مودية بلدنا .. وأجلوها .. القصد .. يا سيدى عمك الشيخ يوسف كان فاهم ان محمود بيه راح يساعده في المودية .. ليس الى علي الجبل كله ، ولبس الجزيرة الكتف والعمدة الجديدة وراح لك عالمديرية ومعه راجلين ثلاثة من البلد ، وشيخ البلد معاه كمان ثلاثة اربعة .. دخلوا لقيوا محمود بيه فاهم .. والشيخ يوسف بقي فاهم انه معاه وعمل يديله في فلوس ويخطف من هنا ويدبر من هنا ويدفع له على أمل انه سيساعده في المودية .. بس ياعم ويلاقى لك محمود بيه مريح نفسه للمودية ورئيس لجنة الشياخات بيسأل تنتخبوا محمود بيه ..

ثم كتم هم كساب شحكانه .. واستمر يروى كيف اعترض الشيخ يوسف على ترشيح محمود بك واعلن في غلظة ان البلد كلهسا لا تحب محمود بك فهو يلعب بالناس ويأخذ منهم المال ليقضى لهم الشغل ، ولكنه يعمل لنفسه ولا ينفذ وعوده !— وان ذلك انقض محمود بك لضرب الشيخ يوسف بالرجل في صدره وخبطه كفا على عمامته فطارت ..

وخرج الشيخ يوسف بسب ويلهن ، وخرج وراءه أهل البلد واتسموا كلم بالطلاق الا ينتخبوا محمود بك .. واقترح الشيخ يوسف ان يوحدوا الكلمة ويتفقوا على رجل واحد فاقترح شيخ البلد ان ينتخبوه هو قائلاً للشيخ يوسف الى ود :

— ما احنا اخوات برضه واوامرك كلها امشيها لك .. وكفاية عليك انت الدكان يا شيخ يوسف ..

ووافق الشيخ يوسف .. وحاولوا الدخول مرة اخرى على لجنة الشياخات . ولكن اللجنة اجلت اجتماعها عدة ايام ، فانصرفوا والشيخ يوسف يقسم ان يشكو محمود بك ويطلبه بما أخذ من مال .. ولن يسكت الا اذا وضعوا محمود بك في الحديد ..

وملائي السور وانا استمع لما يقوله هم كساب ، وضجكت كثيراً .. ولمنيت لو انى اعود الى القرية اليوم فاقضية واعيش فيما يكون هناك ثم اسافر في اليوم التالي ..

ولكن اليوم التالي كان الجمعة ، وامى لم تكن تحب لأحد منا ان يسافر يوم الجمعة .. اقبله سامعة نحس ! ..

وشردت فيما يمكن ان يحدث الآن . سيهود الشيخ يوسف مفيظاً ، فيجد القرية تزخر فرحة بالانفراج عن الرجال ، وبعض هو فيروى لهم ما حدث من محمود بك وعماق محمد ابو سوليم وعبد الهادى .. وربما

عائق علوانى ودباب .— وربما يكن من الدم ، وعائق محمد افندى ، لم يفتح دكانه ، وارسل الى علوانى بالشاى والسك .. ووقف داخل دكانه المفتوح ، يصقن ويقول : « آه يا بلد .. وبعد هذا يحك راسه ، ويلبس العمدة القديمة ، ويخلع كل ما اعتراه ليكون به عمدة ويفتح كتاب « هنتر » او « ابو زيد » ويقرأ فصولها في صوت مرتفع ! . وجاء ابنى ووراه اخى الأكبر ، فطلب من هم كساب ان يستعد لوضع اثنياننا في القطار لأن القطار قادم ..

وتحرك هم كساب بحقيبة في يده وبسلة كبيرة في اليد الأخرى .. ومضيت أنا وراءه انظر في الفضاء الى وجه القطار الأسود الذى بدا يزحف من بعيد ..

وقال هم كساب مهمهما :

— بالسلاطة .. ان شاء الله الأجازة الحياية ثلاثي دار جديدة على الزراعة ، وماكينه .. وتلاقى وصيفة منورة أدار ! . وباغتني كلامه .. واستمتع حيناً ، وسألته طالباً منه ان يعول في سرعة كل ما يعنى ..

وقال لي ببساطة انه قرر ان يشتري أرضاً على الزراعة من بقايا الأرض التي نزعتم ملكيتها ، فيبنى عليها داراً جديدة .. فإذا أخذ محمد ابو سوليم التوموس من أرضه التي نزعتم شلوكة هم كساب في بناء ماكينه طحين تكسب لمانا ، ولعمج لمحمد ابو سوليم من المسال والحياة الموفرة أكثر مما كانت تمنحه الأرض .

ووقف القطار ، فصعد هم كساب بالحقيبة والسلة وأنا وراءه اسأله ان كان حقاً سيتزوج وصيفة .

فقال لي أنه اتفق منذ زمن .. لم تتم :

— لا أرجع البلد حاجرهما من الزراعة الى ملا وشما .. زراعية ايه الى بتشغل فيها .. ذا انا حابجها ا هي ماكينه الطحين لكسب وحش ! .

وعدت اذكر ما كان يقوله لي هم كساب دائماً ..

كان دائماً يقول لي ان الرجل يجب الا يقع .. وانه يجب في اى ظرف ان يتعلم كيف يبدأ من جديد ..

وحاولت ان اتصور ما يمكن أن يصنعه عبد الهادى حين يعلم ان هم كساب سيتزوج وصيفة .. لقد قال لي عبد الهادى أيضاً ان وصيفة ستعمر داره ، واتنى ساعد في الصيف القادم لأجدها تنور الدار ! .

وخيل الى ان عبد الهادى لن يرضى بالزواج من وصيفة بعد ان اشتغلت فى الزراعة ولو لساعة واحدة .. ولكنى فى الحق اشفقت عليه ، ورثت له ..

ونزل هم كساب بسرعة ولم اقل له شيئا ..

وحضر القطار ، فوفقت مع اخى فى النافذة فسلم على ابنى .. وقبلنا يده عدة مرات ، ونفوسنا تهيش ، وقبلنا ابنى ، ودعا لنا بالستر ونجاح المقاصد .. وصغر القطار ..

ورثت نعماته الموحشة فى اذنى .. وفاض فى اغوارى الحنين وكل ما يشيره الوداع ..!

ومضى يشق بنا طريقا طويلا بين الحقول .. حقول واسمة يغمرها بياض الفطن ، وخضرة كيران الدرة .. تماما كالحقول التى تركتها فى قرىتى لهوى تحت الماعول ..

وعندما انتهت حقول الدرة ، بدأت تلوح لنا حقول واسمة من البرسيم الصغير .. ووجدت فتيات كثيرات ينتارن هنا وهناك ، منحنيات على الأرض يلتقطن من حشائش الحقول .. كنت اعرف انهن يجمعن السريس والجعججيش وحنب الدبيب واصنافا اخرى من النباتات الشيطانية ، ليأكلن بها الخبز الجاف .. فبكندا كان الفتيات والاولاد يصنعون فى قرىتى ..

وظل القطار يشق بنا الأرض دون توقف ..

وبدا يدخل محطات صغيرة تقوم عليها القرى بفداف يركاب ويلتقط آخرين ..

ولحرك منها .. ورأيت طريقا زراعيا يوارى خط السكة الحديد .. والتفت اخى الأكبر ، وقال لى ان التلاميذ الصغار يقفون على الزراعة الجديدة فى انتظار سيارات الاوتوبيس لتعود بهم من المدرسة الابتدائية فى مدينة قريبة ..

وسكنت اخى قبل ان يقول لى ان بلدنا يجب ان ترسل اولادها الصغار على الزراعة الجديدة الى المدينة فستمر بها سيارات الاوتوبيس .. وظللت انظر من شباك القطار وفكرى فى قرىتى .. وتوقف القطار عند إحدى القرى ، وسمعت اغنية حزينة تتردد نعماتها من احطرافات القرية :

يلرب اقبال حبيبى المازراعية

ما المصير للعصر باطلح ما الزراعية

وحرك القطار .. وتأت منى كلمات الاغنية .. فنظرت اخى الى

مينسما وهو يقول لى ان هذه القرية تغنى للزراعية ، وقد دخلت الزراعية فى حياتها وغناها .. وسكنت اخى لم استطرد يقول انه مادامت الزراعية قد جاءت ، فهى تدخل فى وجود الناس ، وبمن أن يسقط عليها الناس ..

وقلت له ان عم كساب سيبنى مكنية للطحين على الزراعية ..

فاستمر اخى يقول لى ان الأرض التى بقيت لمحمد أبو سويلم لن تصلح للزراعة بعد ، ومن الممكن ان يبنى عليها مكنية بملعب التصويص مشتركا مع كساب ، ويستطيع من ايراد المكنية ان يؤجر أرضا اخرى اكبر من التى كان يزرعها ..

واستطرد اخى يقترح ان يبنى الناس على الزراعية بيوتات جديدة نظيفة ..

ولم يقل لى كيف .. وعندما سألته سكت ..

واستمر القطار يمضى بنا فى ضجيج رهيب منتظم ، وعندما لاحظ لنا القاهرة بقبابها .. ورأينا من بعد ثلاثة اهرامات فى بياض الضباب ، بدا اخى يحدثنى عن هذا العام الدراسى ..

وزحرت فى صدورى صورة المدرسة الثانوية ، واضرابات الطلاب .. بينما كان قلبى ما يزال ينبض بحزن على وصيفة وعبد الهادى وقرىتى ..

وعندما وصلنا القاهرة ، وتركنا القطار ، وتألت دقات قلبى ، واحسست بدمى يصرخ بى وينادى على اشياء مجهولة لا يستطيع ان اتيها ..

ودخلت وراء اخى فى رحاب المندفعين الى ميدان المحطة ، ومن ورائنا الشبيل ..

وركبنا حربة حنطور الى بيتنا فى الحلمية الجديدة ..

ودخلت بنا العربية من شارع الى شارع ، والسائق يقرع بالكروية ويلقى شتائم لم اسمعها فى القرية فى كل شهور الصيف ..

واحمر وجه اخى ، ورأيت ينظر الى طرف عينه .. لرى اذا كنت قد فهمت الشتائم التى يلقيها السائق ..

والحق انى كنت قد سمعت هذه الشتائم طوال اربعة اعوام من شوارع الحلمية الجديدة ، ومن تلاميذ المدرسة الابتدائية ..

وملأنى احساس عجيب .. فقد شعرت .. فى حب بالغ .. ان اخى يريد ان يحى اذنى من هذه الكلمات التى يلقيها السائق على الناس فى

الطريق .. وكأنه يريد أن يمارس إلى آخر حد مسئوليته في تربيتي .
هذه المسئولية التي بدأ يحسها منذ ودعنا أبي في المحطة ..

ولكني كنت وأنا جالس إلى جوار أخي افتتح عيني على طرقات
القاهرة ، مفتونا بالضجيج ، والثرينات تجرها الحمر ، والسيارات
الفاخرة المتعددة الألوان ، والنساء في الفساتين ، والرجال بالبدل ،
والترام ، والعفافة في جلابيب غير زرقاء .. والمساكن ! ..

وهزئت المرائي العديدة التي طال عنها فيابي أربعة شهور من
الصيف وكأنني أرى لأول مرة مدينة لم أهرقها من قبل .

وأزدحممت عيني بعشرات الآباء والأمهات والأولاد الصغار يشترطون
بين المتاجر .

وهمس أخي قائلاً :

— دخول المدارس ! ..

ورنت كلماته في أعمق بوقع غريب ..

وتقنمت بنا العربية في الزحام الذي يختلط بأحلامي ..

وشاهدت بوضوح أحلامي تخرج بزحام الناس ..

وظلت العربية تعض بنا في شوارع القاهرة .. وعروقي تلجش
بأشياء مذبذبة من فريتي ..

أشياء لم أستطع أن أنساها أبداً ..



دار الكتاب العربي للطباعة والنشر
بالمساهرة
فرع الصمالة